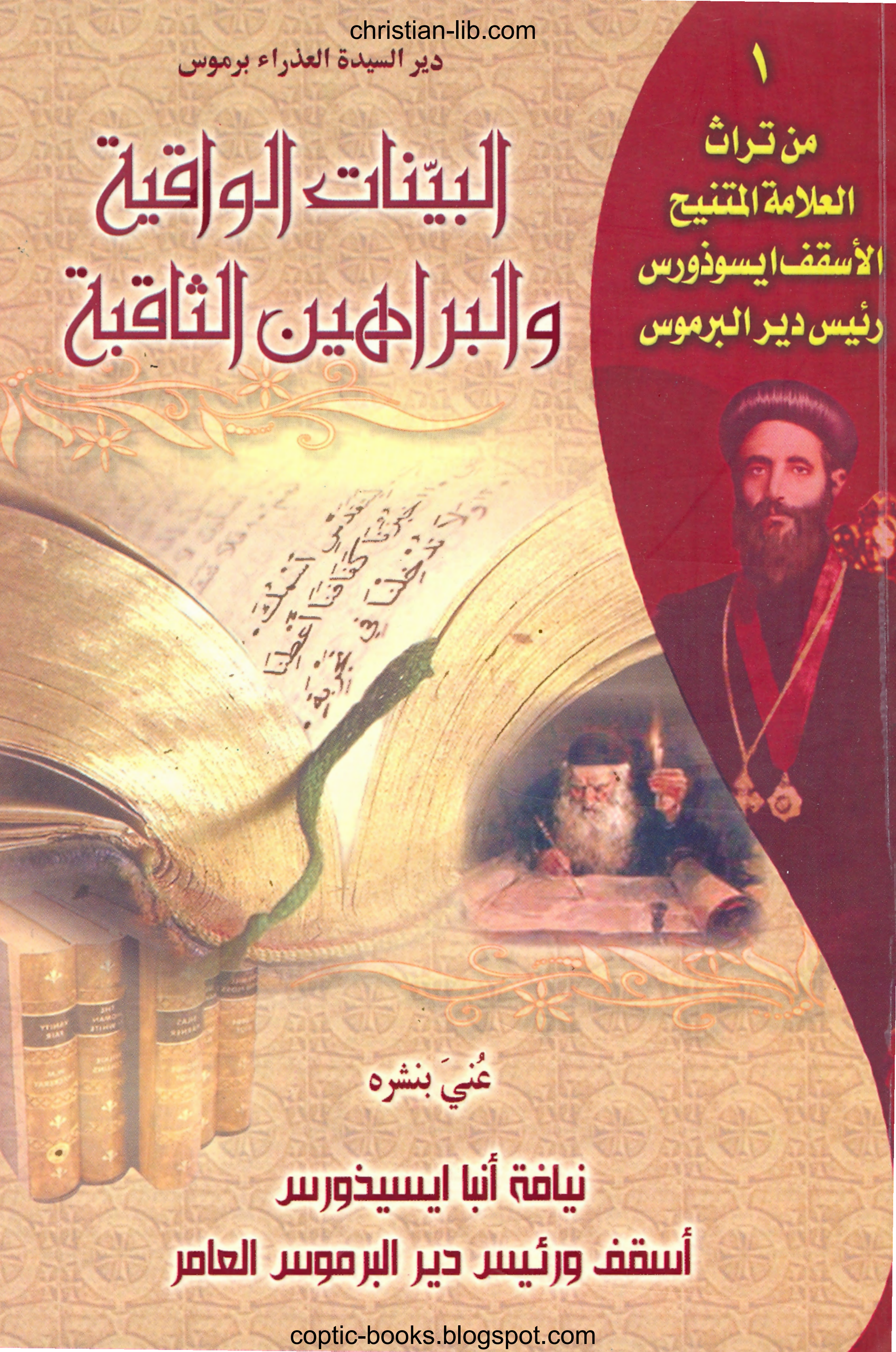

christian-lib.com
دير السيدة العذراء برموس
البيّنات الواقية والبراهين الثاقبة
١
من تراث
العلامة المتنيح
الأسقف ايسوذورس
رئيس دير البرموس
عُنيَ بنشره
نيافة أنبا ايسيذورس
أسقف ورئيس دير البرموس العامر
coptic-books.blogspot.com

البيّنات الواقية

والبراهين الثاقبة

البيّنات الواقية والبراهين الثاقبة

للعلامة المتنيح

الأسقف ايسوذورس

رئيس دير البرموس

عُنيَ بنشره

نيافة أنبا ايسيذورس

أسقف ورئيس دير السيدة العذراء برموس

دير السيدة العذراء برموس

برية شيهيت

كتـــاب : البيّنات الواقية والبراهين الثاقبة

المؤلـــف : العلامة المتنيح الأسقف ايسوذورس

الناشـــر : دير السيدة العذراء برموس

الطبعـــة : الثانية ٢٠١٠

الأولى ١٨٨٧

المطبعـــة : مطبعة الدلتا - delta PRESS

www.deltapress.net

٢٤ ش الدلتا سبورتنج - ت: ٢٠٣/ ٥٩٠١٩٢٣+٠٢٠٣

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ١٠٣١٠ / ٢٠١٠

رقم الإيداع الدولى : 977-17-8922-8


قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية




نيافة الحبر الجليل الأنبا ايسيذورس
أسقف ورئيس دير البرموس العامر

تقديم

اتسم القرن التاسع عشر بنهضة تعليمية في الكنيسة القبطية، حيث بدأت فكرة إنشاء المدارس القبطية للتعليم، إذ كان التعليم قاصراً على فئة قليلة من أولاد الوجهاء في المدارس الحكومية، فبدأ **البابا كيرلس الرابع** والمعروف بأبي الإصلاح بإنشاء مدرسة في الدار البطريركية وجعل فيها التعليم مجاناً لكل الطبقات وقام بتوسيعها وزيادة فصولها وأفتتحها رسمياً سنة ١٨٥٥م كما أنشأ أول مدارس من نوعها في مصر لتعليم البنات.

وكان **البابا كيرلس الخامس** أول من أنشأ الكلية الإكليريكية في يناير ١٨٧٥م، كما أهتم بتعليم الرهبان فأنشأ لهم المدارس في القاهرة والإسكندرية والأديرة.

ويعتبر عهد **البابا كيرلس الخامس** من أزهى وأحسن العصور التى مرت بالكنيسة القبطية منذ القرن السابع للميلاد، فقد نهض الإكليروس بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل، فكان بينهم الخطيب الذي لا يباري واللاهوتي البارع مثل **القمص فيلوثاؤس إبراهيم** كاهن الكنيسة المرقسية الكبرى، **والشماس حبيب جرجس** مدير الكلية الإكليريكية الواعظ اللاهوتي وصاحب المؤلفات العديدة ومؤسس مدارس الأحد، **والقس منسى يوحنا** راعي كنيسة ملوي الذي أصدر مجلة الفردوس ووضع عدداً من المصنفات النفيسة، **والقمص مرقس سرجيوس** الذي يغني اسمه عن شهرته ومصنف المؤلفات الجدلية، كما زين الرهبنة بعلمه ونسكه **القمص عبد المسيح صليب المسعودي البرموسي** الذي وضع مجلدين كبيرين في الأبقطيات كما كتب في الطقس والتاريخ وأشرف على تصحيح معظم المطبوعات الكنسية. **والقمص ميخائيل مينا البرموسي** العلامة اللاهوتي صاحب مجلدات علم اللاهوت.

ومن بين هؤلاء العمالقة يسطع نجم العلامة الأرثوذكسي **الأنبا ايسوذورس أسقف ورئيس دير البرموس** الذي أغنى المكتبة القبطية بمؤلفاته التاريخية واللاهوتية، كما أسس مجلة صهيون التى ظلت تصدر شهرياً لمدة تزيد عن الأربعين عاماً، ولم يكن الأنبا ايسوذورس كاتباً وواعظاً فحسب وإنما مدافعاً عن عقائد الكنيسة القبطية وعن أسرارها وإيمانها، في الوقت الذي لم يقم أحد مثله بالدفاع عن الكنيسة ضد أى هجوم. حيث تظهر غيرته ومحبته للكنيسة في الكثير من الكتب التى ترُد على مثل هذا الهجوم.

وإن كان قد مر بتجربة قاسية إلا إنها لم تؤثر على هذا الحب الخالص والدفاع عن الكنيسة القبطية، بل ظل يدافع ويكتب، وفي هذا نسمعه يقول:

"أنى في موقف دفاع عن كنيستى المحبوبة، أعارض إلى النهاية والنفس الأخير كل أثيم مُموِّه يرتدي ثوب الأرثوذكسية الكاذب وهو من الداخل ذئب خاطف ممزق ناهب سالب ... هذا الموقف موقفي ليس هو ابن اليوم، بل هو موقف الأمس وقبل الأمس، وهذه النغمة التى تردد صداها أُذنا كل أرثوذكسي نظيف من الثغر الإسكندري إلى أقصى السودان، تعلمت أن أضرب على أوتار أرغنها منذ عرفت أن أمسك القلم وأخط كلمة على الورق، أنا ربيب الأرثوذكسية ومولودها الذي يبكي لبكائها ويحزن لحزنها ويفرح لفرحها"

وقد ترك لنا هذا العلامة اللاهوتي تراث كبير من الكتب ما بين التاريخية والعقائدية واللاهوتية.

ولِمَا في هذه الكتب من منفعة للقراء والدارسين والمختصين، وجدنا أنه من الواجب علينا إظهار هذا التراث الكبير، وإعادة نشره في ثوب قشيب وتنسيق بديع لينتفع منه القارئ، وذلك دون العبث بأسلوب الكاتب أو المساس بتعبيراته، وإن وجدنا ما يستحق التعليق عليه من جهتنا ـ لتكتمل الفائدة ـ فقد أوردناه في الهامش وليس في نص الكتاب الأصلي، أما إذا كان التعليق في هامش الكتاب

نفسه فقد وضعناه بين قوسين وأرفقناه بحرف «ن» والتى تعنى «الناشر»، كذلك استحسنا أن نصحح بعض التواريخ المذكورة والشواهد وكتابة النص الكتابي للآيات الموجودة في الكتاب بالمعنى فقط، واستبدال بعض كلمات لا يستصيغها القارئ المعاصر بكلمات أخرى مناسبة له، وذلك مثل كلمة «المسيحيين» بدل كلمة «النصارى»، نظراً لأن هذه الكتب كُتِبت بأسلوب نهاية القرن التاسع عشر، وقد رفعنا بعض هوامش الكتاب إلى النص لطول وأهمية هذه الهوامش، ويوجد هناك بعض الآراء الخاصة بالمؤلف تُركت كما هي دون تدخل منا وهذا تقتضيه الأمانة العلمية في النقل وأشرنا إلى ذلك في حينه.

ولعلنا في هذا العمل ندين بالفضل لصاحب النيافة الأنبا ايسيذورس أسقفنا الحبيب الذي بارك بل وفرح بنشر تراث ديرنا العامر، وذلّل كل ما يُعيق نشره وخروجه إلى النور بهذه الصورة التي بين أيديكم الآن، كما نشكر كل الآباء والأخوة الأحباء الذين تعبوا معنا في الإعداد والكتابة والمراجعة والتنسيق والطباعة، الرب يعوضهم جميعاً أجراً سمائياً.

طالبين من الله أن يعيننا لإكمال هذه السلسلة **بشفاعة السيدة العذراء مريم** وصلوات **قديسي هذه البرية المقدسة** وصلوات العلامة المتنيح **الأنبا ايسوذورس**، وصلوات أبينا البابا المعظم **الأنبا شنوده الثالث** وأبينا الحبر الجليل **الأنبا ايسيذورس** أسقف ورئيس دير السيدة العذراء - برموس، ولإلهنا المجد دائماً إلى الأبد آمين.

١١ طوبة ١٧٢٦ش
١٩ ينــاير ٢٠١٠م
عيد الظهور الإلهي
نياحة العلامة الأنبا ايسوذورس

رهبان دير البرموس
بـرية شـيهيت

المؤلف في سطور



- ولد سنة ١٨٦٧م فى بلدة صدد من أعمال محافظة حمص بسوريا من أبوين سوريين من السريان الأرثوذكس وتسمى ناعوم.
- هاجر مع خاله القمص إشعياء السريانى إلى مصر سنة ١٨٨٠م وكان له من العمر ١٣ عاماً.
- تعلم ناعوم فى مدرسة الأقباط الكبرى بالقاهرة ، ثم عمل مدرساً للغة الفرنسية بمدرسة الإسكندرية.
- فى يناير ١٨٨٥م ذهب ناعوم إلى دير البرموس وترهب باسم الراهب أفرام وكان له من العمر ١٨ سنة وكان رئيس الدير فى ذلك الوقت هو القمص يوحنا البرموسى (البابا يوأنس ١٩)، وتتلمذ على يد القمص عبد المسيح المسعودى الكبير.
- فى سنة ١٨٨٧م رُسِم شماساً فقساً بيد البابا كيرلس الخامس وتم تعينه فى سكرتارية البابا ، وفى هذه السنة رُسِم القمص يوحنا البرموسى مطراناً للبحيرة وعُين القمص باخوم البرموسى رئيسا للدير فأسند إلى القس أفرام إدارة وقف دير البرموس فقام بحل كل المشاكل الخاصة بالوقف.
- فى سنة ١٨٩٠م رقاه البابا كيرلس الخامس إلى درجة القمصية ، وأسند إليه رئاسة مدرسة الرهبان بالقاهرة ،والتى يرجع إليه الفضل في إنشائها.
- أسس مجلة الحق سنة ١٨٩٤م، ثم مجلة صهيون سنة ١٨٩٨م.

- أراد البابا كيرلس الخامس أن يرسمه أسقفا على أبو تيج فهرب وأختفى عند صديق له فى القاهرة .
- فى ١٣ نوفمبر ١٨٩٦م أرسل غبطته هذه الرسالة إلى القمص أندراوس رئيس دير أنبا بيشوى يقول له فيها "ابحث عن القمص أفرام البرموسى واحضره صحبتك رغماً عنه متحفظاً عليه لأننا دعوناه أسقفاً وإن خالف يكون تحت الحرم".
- رشحه البابا كيرلس الخامس بعد ذلك ليكون أسقفاً على دير الأنبا بيشوى، لكن وقت الرسامة عدل عن رأيه ورسمه على دير البرموس باسم الأنبا ايسوذورس وكان له من العمر ٣٠ سنة وكان ذلك في ١٧ اكتوبر ١٨٩٧م، وبذلك كان أول أسقف لدير البرموس في العصر الحديث.
- مر بتجربة قاسية ظلت لأكثر من ٤٣ سنة ومع ذلك إحتملها بصبر، حتى نال الحل من البابا يوأنس التاسع عشر في أبريل عام ١٩٤١م .
- أثناء هذ التجربة انصرف نحو ميدان العمل والكفاح، فاشترى منزلاً فسيحاً بالدرب الإبراهيمى بقرب الدار البطريركية بالأزبكية وقد كان له نشاط واسع فى إصدار المجلات وتأليف الكتب،وكان متنبهاً لكل من يحاول مهاجمة الكنيسة القبطية في عقائدها وأسرارها، لذا عُرف بالمناضل والمدافع عن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.
- فى يوم عيد الغطاس المجيد وبالتحديد في ١٩ يناير ١٩٤٢ تنيح الأنبا ايسوذورس وله من العمر ٧٥ عام، ولما علم البابا يؤانس بنياحته تأثر جداً وأصدر أمراً بابوياً بنقل جثمان الأسقف الطوباوي من منزله إلى الكنيسة المرقسية لكي يصلي عليه بنفسه، وقد رثاه البابا بكلمة بليغة عن احتماله وصبره ومحبته لكنيسته القبطية الأرثوذكسية.

❖ كُتِبت عنه العديد من المقالات وألقيت كلمات التأبين التى تعبر عن مكانة الأنبا ايسوذورس كمؤرخ وعالم لاهوتى وأسقف مدافع عن كنيسته.

❖ ترك لنا تراث هام من الكتب والمراجع في شتى المجالات، ولعل من أشهر مؤلفاته «الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة» والذي يعتبر بحق مرجعاً هاماً لتاريخ الكنيسة.

❖ بركة صلواته تكون معنا إلى الأبد آمين ❖

مقدمة

حمداً لمن هدانا إلى محجة [1] الحق بتعاليم حقائقه الإلهية، وأرشدنا إلى منهج دينه بنور مصباح أقوال إنجيله المحيية، وإرشاداته الوحيية، التي أتى بها الأنبياء، الثابت صدقها بالدلائل والبيِّنات، والبراهين الخارقة الطبع والعادات، فمنحت عقولنا أكمل التنوُّرات، وثقفتها بثواقب الإدراكات، ونشرت عليها أشعة مصابيح الأفهام، ورفعت عن قواها دساتير الظنون والأوهام، وأحجبة الدُجى والظلام.

نحمد من أنعم علينا بنعائمه الفاخرة، وأتحفنا بهباته الوافرة، وأجاد علينا فيض كنوز صلاته الزاخرة، وتوّج عقولنا بنور نبراس تعاليم أناجيله المقدسة الطاهرة، وكلل إدراكنا بحكمه الدينية، ومعارفه الروحية، وأوقفنا على حقائق أسراره الإلهية، التي لم تطّلع عليها ملائكته النورانية، ولا أنبياءه الذين اشتهوا أن ينظروها، ولم ينظروها فأشاروا إليها بأقوالهم الغامضة الخفية، ألا وهو السيد المسيح الممجد في أوج سمائه بنغمات التهليل والتسبيح، الذي باعتلائه على الصليب رفع عن العالم عقاب كل ذنب وعيب، ووضع لنا سُنة الفضل والكمال، وارتشفنا من ينبوعه الماء الزُلال، فبرئ منا الداء العضال، والمرض العقام، وبرد ظماء القلوب والأوام، [2] وصار نوراً للعالمين يهتدئ به إلى سبل الرشاد والصراط الأحق لسلوك المخلوقات والعباد.

---

(١) هي طريق مستقيم أو غاية أو مقصد (الناشر).

(٢) الأوام هو حرارة العطش (الناشر).

أما بعد..

فيقول مؤلفه الراهب البرموسى [1] حيث أن كتابنا المسمى البراهين الثاقبة الذي طبع سنة ١٦٠٢ للشهداء [2] قد نفدت طبعته، وتكاثرت طلبته من أبناء الكنيسة المرقسية، الراغبين الوقوف على حقائق الديانة المسيحية الأرثوذكسية، والتائقين إلى إيضاح آراء كنيستهم الشريفة، في حقائق الديانة المسيحية المنيفة.

وكنت وعدت في الكتاب المذكور، أن ألحقه بتأليف آخر يشتمل على بعض أقوال من المطولات، ويوضح أصعب المعضلات، ويحل أكثر المشكلات، فمع قِصر باعى، وكساد متاعى، رأيت بالأولى ان أستجير بالمولى، مستعيناً بهدايته، متوكلا على فيض نعمته وعنايته، بإنجاز ما وعدت ووسمت ورسمت. فابتدرت أن أقتفي آثار الآباء الأولين، والرسل الحواريين، قاطعاً الأغراض الغوائية، والتحزُّبات العالمية، مقيماً صدق الحجة من شهادة القوم والكتب الوحيية سالكاً الطريق القديم، والرأي القويم، حاذياً حذو البيعة المسيحية غير معتبر تلك الزيادات الابتداعية، التي طرأت على كنيسة المسيح الحقيقية، ولا تلك الأقوال الخزعبلية، وتمويهاتها السفُسطائية، بل جعلت عباراته بسيطة لطيفة، جميلة ظريفة، فأتى بفضله العميم هذا الكتاب خالياً من الهجو والعتاب، مجرداً عن السب والشتم واللؤم والذم، في مطالعته أهمية، وقراءته ضرورية، يغنى من سئم مطالعة الكتب الكثيرة، والمجلدات الكبيرة.

---

(١) هو الأنبا ايسوذورس العلامة المتنيح (الناشر).

(٢) سنة ١٨٨٦م (الناشر).

فيا إخوتى ها كتاب أقدمه لجنابكم هديّة، فوائده جليّة، ومنافعه رفيعة عليّة، وقد قسمناه إلى جزئين: الأول في الدين والأخر في التاريخ، وسميناه البيّنات الواقية والبراهين الثاقبة.

وأنا اسألكم يا إخوتى أن تسبلوا على غلطاتى ذيل المغفرة، فإنى مقر بالعجز والمقصرة، لأن لا كمال إلا لله وحده، ولا عصمة إلا عنده.





الباب الأول

الوجود



سؤال: من أوجد هذا الكون؟

جواب:

أوجده الإله القادر، الأزلي، الأبدي، الغير المنحصر ولا المحدود، المالئ السموات والأرض، الكائن في كل مكان، والمحيط بكل مكان، الروح البسيط اللطيف، الذي لا يُدرَك، العالى عن أفكار المخلوقين، الغير المنظور، الذي لا يقع تحت الحواس الجسمانية، القريب من مخلوقاته بالوجود، وعلة كل موجود.

سؤال: ما هو البرهان الذي يدل على حقيقة وجوده؟

جواب:

اعلم أن البرهان هو المصنوعات (بدليل ثبوت المؤثر من الأثر)، فإننا من المصنوعات نستدل على صانعها، فالمصنوعات التي هي:

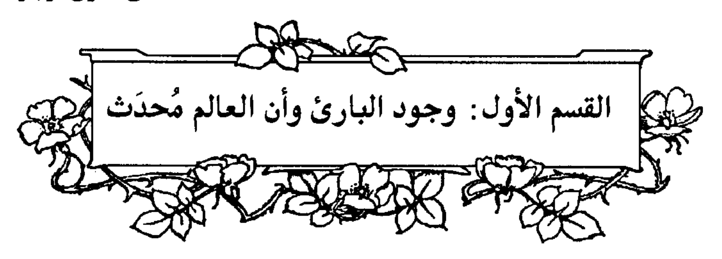
أولاً: كالرقيع [1] المزين بمجد لا يُنعت، من شمس، وقمر، ونجوم، وكواكب مضيئة بأشعة أنوار باهرة زاهرة، جميلة المنظر، غراء البهاء، ساطعة بأنوارها، ثم إننا نمعن النظر نحو حركاتها الغريبة، ودوراتها المذهلة العجيبة، وارتباط بعضها مع بعض، الارتباطات المحكمة والقيود المنظمة.

---

(١) كلمة عبرية(רָקִיעַ) معناها سماء (الناشر).

ثانيا: إذا تأملنا نحو هذه الأرض وما فيها من الاشجار والنباتات والبهائم والدبابات والحشرات وباقي الحيوانات، كيف بعض هذه المخلوقات ذات الحياة، قائمة بأشكال متنوعة مختلفة، بأجسام ذات أعضاء محكمة الترتيب والوضع، مختلفة القوة والفعل، نرى فيها عيوناً تبصر، وآذاناً تسمع، وأنوفاً تستنشق، وفماً يذوق، وقوائم تسير، وأعضاء تلمس وتتحرك، وكلها تسير باتفاق واحد محافظة على هذا الحيوان، موقية إياه من جميع ما يضره.
وما عدا هذه جميعاً، هذا الإنسان الذي ارتفع عنها بالزينة والجمال، والفضل والكمال، المرتفع عنها بالنفس العاقلة الناطقة.
وإننا لنرى في عالم الكون قياسات كثيرة، تقرب فهمنا لحقيقة صانع هذه الأشياء كلها، ومن ذلك:
الساعة المميزة الأوقات والأزمنة والساعات، فإنه مع وجودها وحركتها، ودوران دواليبها، وزخرفة صناعتها، ونظام زينتها وصغرها، لا يمكننا أن ننكر وجود صانع بمهارته أبدعها واخترع صناعتها، ولابد لمدبر يعتني بها في كل وقت، وآن وأوان وزمان، لتستقيم ويدوم سيرها.
فإن كان أصغر ما وُجِد في العالم من المصنوعات احتاج لموجد يوجده، ومعتنٍ يعتنى به، فيا ترى ما حال هذه المصنوعات المدهشة التي هذا عظم مقدارها، أيمكن أن توجد من ذاتها، فحسبنا ذلك دليلاً.





القسم الأول: وجود البارئ وأن العالم مُحدَث

«مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ. لأَنَّ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ» (رو١ : ١٩ ، ٢٠)

إنه يليق بنا أحبتي الآن أن نُرسِّخ في العقول البراهين القاطعة، والدلائل الواضحة الساطعة، وإن كنا ضعفاء وعاجزين في فصاحة اللسان، ورشاقة الألفاظ لبث البراهين الواهية العالمية، والدلائل الخزعبلية إلا أننا لا نرتكن ونتوكأ عليها بالأصالة، لأن برهاننا، الروح الكلي قدسه (١كو ٢ : ٤). وبساطة العبارة والألفاظ، لأن الروح ذاته يساعد ضعفاتنا بأمور لا يُنطق بها (رو ٨ : ٢٦). ثم أن هذه القضية، كان يُنكر قبولها عند بعض حكماء هذا الدهر، لأنهم رفضوا النور الطبيعي الذي كان داخلهم، وهو انطباعهم على معرفة خالقهم، فلم يطيعوا ما بهم من الحق، لهذا أسلمهم الله إلى الجهل، وبعد أن كانوا يسيرون في الحق، ساروا في الضلالة والتيهان، واختاروا الباطل دون حق الله، وأعدوا ذواتهم آنية للاحتقار، والإهانة والعار، وبدل خضوعهم لمعرفة الله المطبوعين عليها، خضعوا للباطل، وصاروا يخبطون في الظلمة خبطاً عشوائياً، وأقوالهم كثيرة، وتمويهاتهم الباطلة غزيرة، ولا مكان لإيرادها في هذا الكتاب، أما نحن معشر المسيحيين فخضعنا للحق والوحي الإلهي، ودحضنا الاعتقادات الفاسدة، واعتقدنا أن الله، قد أجاد بفضله على هذه المصنوعات، وأوجدها من العدم إلى حيز الوجود.

ودونك بعض الدلائل الواضحة، والبراهين القادحة:

الأول:

إنه من المسلّم به أن الأشياء المتضادة لا تتفق مع بعضها، ولا تتآلف، ولا تجتمع، ولا تتركب، لتأثير فاعلية كل منها واختلافه عن الآخر، فالأشياء المشار إليها في الأربع الطبائع المكونة للعالم التي كلٌّ منها يُخالف الآخر في القوة والفعل، وهي النار، والماء، والهواء، والأرض. لأنه إذا ما تأملنا في هذه الطبائع المتضادة وقواها، أعنى الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، بأية كيفية مجتمعة، متفقة، ممتزجة بالمسالمة، دون إضرار بعضها ببعض، حالة كون كل منها يلاشى صاحبه، فبالبديهة العقلية، يسلّم العقل أن اجتماع هذه المتناقضات من المحال لو لم يجمعها واحد أرفع وأعلى منها، وله القدرة السامية، واليد العالية، فاجتماعها ليس منها.

الثاني:

فإذا ثبت وتقرر أن هذه الأجسام (أعنى الإنسان) مركبه من الطبائع الأربع، وعرفنا استحالة اجتماعها من ذاتها، إلا بالقوة الخارجة عنها، التي ألّفتها وركبتها، لعدم اتفاقها والتئام جوهر كل منها إلى بعض، لأنه من عادة الحرارة أن تضاد البرودة، والبرودة تضاد الحرارة، واليبوسة تضاد الرطوبة، والرطوبة تضاد اليبوسة، فهذه لو لم تجد من له السؤدد[1]، والسلطان، والقوة، والجبروت، الذي صيرها خاضعة لسلطانه، غير ناظرة ما يخص كل واحدة منها، فإذا تقرر ذلك أعنى أن هذه الأجسام مركبة من الطبائع، وكل مركب يستحيل تركيبه ويتلاشى، وكل ما ينحل تركيبه ويتلاشى فليس بأبدي، وكل ما ليس بأبدي فهو مُحدَث فالأجسام مُحدَثة، ولقد اقتصر علماء المنطق

(١) السؤدد تعنى السيادة أو المجد والشرف (الناشر).

على هذا البرهان الواجب وهو، العالم متغير، وكل متغير مُحدَث، فالعالم مُحدَث. فظهر بواسطة البرهان أن الأجسام منتهية، وكل منتهي مبتدئ، وكل مبتدئ له من أوجده وهو الله، فالأجسام لها من أوجدها وهو الله، ولما كان الإنسان هو العالم الكبير لجزئياته والصغير لكلياته، وهو مُحدَث، علمنا أن جزيئات العالم وكلياته مُحدَثة.

الثالث:

إن هذه الأجسام قد يوجد فيها فعلان متغيران: أحدهما الأفعال الطبيعية الموجبة بالإرادة والاختيار وكل منها خلاف الآخر، فأفعال الطبيعة غير أفعال الإرادة كما هو مُشاهَد، فإنا نرى أن الإنسان يأكل ويشرب وينام، وينمو بالقامة، ويجوع ويعطش بالطبيعة الموجودة فيه لا بالعلم والإرادة. ونجده أيضاً يأمر وينهي، ويقوم ويجلس، ويصوم ويصلى، ويحسن على الفقراء، ويحب الغرباء والأعداء، ويعمل ما يختار عمله من الصنائع العملية، وما يهم به من الخير والشر بالقدرة والإرادة. قلنا لذلك إن هذين الفعلين المختلفين يمتنع اجتماعهما ما لم يجتمعا بالقدرة الخارجية.

الرابع:

ولو أن الطبيعة سيرت حركة الأجسام، وصارت هي المدبرة لها، والسائدة عليها، فليست الآن مدبرة في الجزء الآخر اللطيف، فإن فعل اللطيف غير فعل الطبيعة، على أننا نرى أن هذا الجزء يختلف عن الطبيعة، ويخرج من تحت تدبيرها، بل بالأزيد نراه يسود على الطبيعة ويستخدمها في أغلب الأحيان، فمن كان بهذه الحالة فهو خالٍ من تدبير الطبيعة، وله من يدبره.

الخامس:

ليست قوة للطبيعة أن تخلق ما ليس فيها، ولو كانت موجودة بذاتها من غير مدبر أوجدها لكانت فاعلة، حال ما هي فيه من جنسها وعنصرها الظاهر المشاهَد فيها لا فعل لها غيره، وما كان يوجد في الخلق اختلاف صورة من أناس وطيور وحيوانات، فاختلاف الصور بعد وجودها الحادث عنها ما ليس فيها دليل على مدبر دبرها، إذ ليس في قوة العناصر أن تخلق ما ليس فيها، والمُجمع على صحته هو أن العناصر ليس فيها، صورة حقيقية ثم تظهر، ولا اختلاف صور، ولا عقل، ولا روح، ولا نفس، وإن كان فيها ذلك لكانت تسود عليه ويبقى تحت تدبيرها، مع أننا نرى بخلاف ذلك، فإن فعل الجوهر اللطيف غير فعلها.

السادس:

ومن قال إن أجسام هذا العالم أزلية، فنجاوبه قائلين: إنه من المحال أن تكون أزلية والدليل على ذلك أن هذه الأجسام في أزليتها إما أن تكون: ساكنة أو متحركة، **والأول محال**، لأن الأنواع الأزلية ضرورية الوجود، والأشياء الضرورية غير متبدلة، ولو كان هدوء الأجسام أزلياً فما كان يمكن تحركها البتة، وحيث أنها تحركت فليس هدوئها إذاً أزلياً.

والنوع الثاني باطل لأن كل حركة لها ابتداء وانتهاء، ومن كان هكذا فكيف يكون أزلياً. **وإذا كانت غير ساكنة ولا متحركة** فلا يلزم أن يكون لها وجود في الأزلية قط.

السابع:

إن هذه الأجسام لو كانت أزلية لكان كل واحد منها يجب أن يكون في مكان خاص، ولا يسوغ له أن يتجاوز ذلك المكان أو يخرج عنه، لأن من

شرط الأزلية أن تكون غير قابلة للتبديل والتغيير، إذ أنه خرج في حال التركيب إلى الحركة فليس هو أزلياً بل مُحدَث.

الثامن:

والبرهان الجلي لمعرفة الله والخالق الإله هو أن حكمته وعنايته وأفعاله ظاهرة، وكما أننا لم نعرف وجود النفس العاقلة الناطقة إلا بأفعالها الظاهرة أمامنا والمشاهدة لدى العام والخاص، لدى الفيلسوف والجاهل، والكافر والمؤمن فكذلك أيضاً الله لا نعرفه إلا من أفعاله الظاهرة التي أبدعها، والتي تكون أمامنا وننظرها كل حين، فأفعاله دلت على وجوده، **ولنوضح لك قليلاً عن معرفة عنايته المشاهَدة لدينا فنقول:**

أولاً:

من المسلّم أنه لو فارقتنا الأرض والهواء، مفارقة النار والماء، لما كنا نعيش لحظة واحدة، وبالعكس لو مستنا النار والماء ممسة الأرض والهواء لنا لكنا نُباد لا محالة، ولاحظ أيضاً كثرة الفوائد والمنافع المتولدة من كل واحدة من هذه الإستقصات[1] مثلاً أن الله جعل حرارة النار تربى أجسام الحيوانات والنبات وترفع ضرر البرد، والأرض موطنا لها وغذاء، والماء والهواء حياة وانتعاشاً وجعل تغيير الأزمنة لنظام الكون، أعنى الخريف والربيع والصيف والشتاء.

- **فلولا الحركة الأولى** التي من المشرق إلى المغرب لما عرف تمييز الليل من النهار، ولا النهار من الليل. ولا مقادير أعمال الصناع ولا السنين، ولا الشهور، ولا الأيام ولا الساعات ولا الأوقات.

(١) الإستقصات كلمة مأخوذة عن الأصل اليوناني (Στοιχεια) وتعنى عناصر وتشير إلى العناصر الأربعة [الماء والأرض والهواء والنار] التي أعتقد الفلاسفة الأوائل أنها تمثل النواة لكل ما هو مخلوق في الكون. (الناشر).

- ولولا حركتها الثانية التي من المغرب إلى المشرق لما عرفت تلك الأشياء الطبيعية.
- ولولا حركتها الثالثة التي من الشمال إلى الجنوب وبالعكس لكان الزمان كله واحداً لا فرق بين الربيع والخريف والصيف والشتاء.

ولو كان ذلك لباد ما على وجه الأرض من النبات والحيوان، فجعل البارئ تغيير الأزمنة لبقاء خلقه، والأغرب من ذلك هو أنه جعل التغيير بحكمة عجيبة، حتى أنه جعل بين الشتاء والصيف الربيع تدريجا لقبول الحر، حتى إذا خرجوا من الشتاء وبرده لا يدهمهم الصيف وحره فجأة فيهلكون. وجعل ما بين الصيف والشتاء خريف، حتى إذا خرجوا من الصيف وحره لا يدركهم الشتاء بغتة فيُبادون بلا ممانعة.

ثانياً:

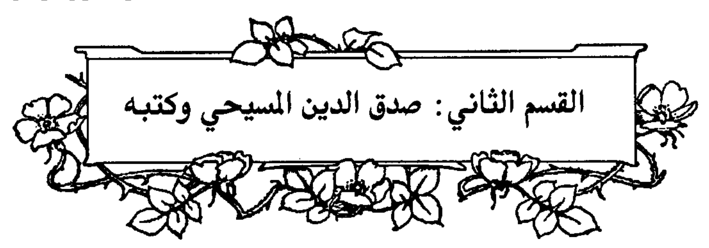
لو أن الشمس كانت أقرب إلى الأرض من البعد الذي هي عليه الآن، لهلك بحرارتها ووهجها جميع ما على الأرض من نبات وحيوان، وكانت حرارتها تجفف المياه التي في الأنهار والبحار على الأقل فتفور[1] بأسرها، ولو كانت أبعد مما هي عليه من الأرض لقلت حرارة الصيف ونقصت، وتضاعفت برودة الشتاء وعظمت، فهلك كل حي ماشٍ وطائر وسابح لقوة برد الهواء وكثرة الثلوج، فجعل حكمته وعنايته في هذه الخلائق، وجعل لكل واحدة منها حداً لن تتعداه، وذلك لفائدة بعضها.

(١) تفور أى تتبخر (الناشر).

ثالثاً:

ولاحظ أيضاً القمر وترتيب حركاته، والمنافع الظاهرة منه، فإنه:

- **بحركته** نعرف مدد الشهور والسنين، وبزيادة نوره ونقصانه يتزايد الضوء بالليل وينقص، وينمو النبات والثمر لأن مع زيادته تزيد الرطوبة ومع نقصانه تنقص، وبحسب حركته تكون حركة المد والجزر، هذا مع الفوائد الناتجة من الكواكب، من ضوءها بالليل وهدايتها للمسافرين والضالين، وزينتها للسماء بنورها الساطع.
- **أما المطر** ففيه فائدة عظيمة، فإن بواسطته تفرخ الأرض وتنبت الأعشاب والزروع. وأوان مجيئه أيضاً أوان عجيب. فإنه لو أتى في الصيف مثلا لما كان فيه فائدة، بل بالعكس يوقع الضرر من تعفن الزروع، ولو كان انقطاعه في الشتاء كانقطاعه في الصيف لقلت فائدته وكثرت مضرته وكانت تهلك الحبوب ولم تنبت ولو أن الأمطار كانت أزيد من المقدار الضروري لكثر عطبها وبالعكس.
- **وأما الرياح** فما عدا جهلنا بها، وعدم معرفتنا أين جوهرها وأين مستقرها، ومن أين تخرج وإلى أين تذهب أيضاً، فإن فيها فوائد جمة لا تحصى من تسيير المراكب والسفن العظام وغير ذلك. فأفعال البارئ ظاهرة، ومن أفعاله نندهل ونقر بوجوده جلَّ وعلا، له العزة والمجد.



القسم الثاني: صدق الدين المسيحي وكتبه

بعد أن أثبتنا لك عناية خالق الوجود بجوده تعالى على خلقه نعمة وجودة، بقى لنا أن ننظر في أمر آخر، فعلى المطالع أن لا يمل من إمعان نظره فيه.

وهو لابد للإنسان من طريقة دينية يسلك فيها، ويصل إلى غايته، وهي السعادة الأبدية، ولا يمكن أن يوجد إلا طريقة واحدة لهذا المرام، لأن الله واحد ولا يعطى طرقاً متعددة مختلفة للوصول إلى مقامه الأسنى، وإن وُجِدَت طرق، فليست كلها تؤدى إلى الحياة.

ولمعرفة طريق الله من غيره تعلم من أدلة يصدق عليها العقل، ويشهد لصحتها النقل، وهي على نوعين:

الوجه الأول:

أن الإنسان لابد له من مرشد يهديه إلى الصواب، لأنه لا يعلم بما يخلص، لاسيما بعد أن خلت الطبيعة من تدبير النعمة الإلهية المفاضة عليها، واستُعبدت للشر بواسطة الهفوة التي سقط فيها آدم، وأُسقِط النوع الآدمى بأسره، فصار تصور فكر الإنسان منذ صباه مائلاً إلى ما يكره فعله، وكثيراً ما يعمل الشر وهو يحتسبه خيراً، ومن ثم فقد صار محتاجاً إلى مؤدِّب يردعه، ومرشد يرشده، ويثقف أحواله. ومن هنا يلمع وميض لزوم واحتياج الوحي للنوع الإنساني، لكي يرتقى بذلك إن أمكن إلى سعادة القداسة التي بدونها لا يرى أحد الله.

وإن قيل إن الطبيعة أي القوى الداخلية العقلية قد يمكنها أن تتصل إلى معرفة بارئها، وعبادته الحقيقية دون احتياج الوحي نجيب أن ذلك ممكن لطبيعة طاهرة غير ساقطة في رباق [1] الخطية وعبوديتها، والحال غب [2] أن تملكت عليها الخطية صارت قاصرة عن معرفة حقيقة عبادة مولاها، نعم إن الإحساسات لم تزل تحرك الطبيعة على تأدية عبادة ما لخالقها، ولكن ليس كما ينبغي، فإن الطبيعة اتخذت المخلوقات دون الخالق معبوداً لها، فصارت الطبيعة في غاية ما يكون من الاحتياج إلى إرشاد يدلها كيف تقوم بالعبادة الواجبة لخالقها. ناهيك عن معرفة:

- كيفية وجود البارئ ثلاثة أقانيم إله واحد.
- وكيفية دخول الخطية في العالم، والمخلص منها.
- وعمل الروح القدس.
- وحقيقة قيامة الأجساد، والدينونة العامة.
- وثواب الأبرار وعقاب الأشرار، وخلود الأنفس إما في عذاب وإما في راحة.

فجميع هذه الحقائق مهمة للغاية، ومع ذلك فالطبيعة عجزت عن معرفتها كل العجز، ولم تعلم شيئا منها.

وإن قيل بأي دليل نستدل على معرفة الوحي من غيره؟ أجيب أن **دليل معرفة الوحي أي كلام الله من غيره، من عدة أوجه:**

١. **أن يكون خاليا من الإباحة**، بعمل ما يضاد ناموس العقل، فان الله كلى الصلاح ولا يأمر إلا بالصلاح، فيكون الوحي يأمر بالبر والقداسة كقوله كونوا أطهاراً لأني طاهر (لا ١١ : ٤٥).

(١) رباق جمع ربق وهو حبل ذو عرى لربط الدواب (الناشر).

(٢) غِبُّ بمعنى بَعْدَ (الناشر).

٢. **أن يكون مضاداً وضعه لناموس الطبيعة البشرية**، التي استُعبدت للشهوات من قِبَل الذي أخضعها على الرجاء، وأُخضِعَت للباطل والفساد بواسطة المعصية.

٣. **أن يؤتى ببراهين وآيات تقهر الطبيعة**، وتُعجزها عن فعلها، أي حامل الوحي ينبغي أن يكون مثبِّتاً وحيُه بواسطة فعل الجرائح [١] والمعجزات الفائقة اقتدار طبع البشر، كإقامة الموتى، وإبراء الأمراض المتنوعة، وإخراج الأرواح الشريرة.

٤. **أن يكون خالياً من الخرافات والأحاديث** التي لا فائدة لها، ولا طائل تحتها.

٥. **أن يكون خالياً من التناقض والتضاد**، أي ألا تكون أقواله تضاد بعضها بعضاً، فقول يثبت شيئاً وآخر ينفيه.

٦. **أن يتنبأ بأمور مستقبلية يتم فعلها في حينها.**

فهذه هي البراهين المحققة ثبوت الوحي، وكل كتاب أتى بها فهو موحى به من الله لإرشاد النوع الإنساني.

الوجه الثاني:

<u>أولاً</u>: إن الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، إذا شاء أن يعلن طريقاً لهداية البشر لا يفعل ذلك بدون إقامة دلائل وبراهين تدل على صدق الطريق وحقيقته، وأنه هو الآمر بالسير فيه لا غيره.

فالدليل على صدق الطريق المؤدى إلى الحياة، هو أن الصدق والكذب ضدان لا يجتمعان ولا يرتفعان، فالدين الذي يأمر الله بالتدين به، لابد أن يكون خاليا من الكذب مطلقاً، ويذاع بشروط الصدق المحققة له، وشروطه أن

---

(١) الجرائح جمع كلمة جريحة وهي الأعجوبة (الناشر)

يكون المذيع الخبر مؤيداً دعوته وبشارته بالدلائل والبينات والبراهين والآيات حاملاً على منكبيه فعل العجائب والمعجزات الفائقة اقتدار طبع البشر وكافة المخلوقات سوى الخالق.

فإن حاملي بشارة يسوع الناصرى (لاسيما ذاته) ما أمكنهم أن يحققوا دعوته، وإنه هو المسيح المنتظر، مع ما يتعلق بالديانة المسيحية، ويودعوا قبولها لسماع الأمم المختلفة الأجناس المتنوعة الألسن، إلا بقوة تأييد معلمهم لهم على عمل المعجزات، وبهذه الواسطة قهروا فلاسفة العالم وقوتها، وظفروا بممالك الدنيا، وأدخلوها كنيسة يسوع الناصرى، وقبلت وآمنت بما سمعت.

<u>ثانياً</u>: إن البرهان يضطر السامع إلى القبول على شرط أن يكون خالياً من السفسطة ذات الخزعبلة وتنميق الكلام باطلاً. والبرهان المؤيد لصدق دعوة المسيح (ما خلا تحقيق ثبوت حلول القديم بالمُحدَث وإمكان التجسد وعدم امتناعه بواسطة المقاييس المنطقية) هو سبوق تقرير الإنباء عنه بزمن مديد من أفواه أنبياء موحى إليهم. ثابت صدق كلامهم بواسطة المُعجِز أولاً، وثانياً بإتمام نبواتهم في حينها.

<u>ثالثاً</u>: إن التصديق بالخبر بعلم أو بغير علم،

١. **فما كان بعلم** فهو بواسطة قوة البراهين، وتأثير الأقوال الوعظية، ذات الروح والحياة، وكما قيل عن يسوع إنه عندما كان يعلّم، كان يؤثر بقوة كلامه وألفاظه التي كالسيف ذى الحدين، كانت تدخل إلى القلب الحجرى فتفتته وتلين قساوته، وتميز أفكار الإنسان ونياته. وقد قيل في التاريخ الكنسي إن الملوك الكفرة، وعبدة الأوثان كانوا لا يألون جهداً من أن يمنعوا المسيحيين الرجال والنساء من المخاطبة مع

الناس، وما ذلك إلا لكونهم بسرعة يذيبون جمود القلوب، ويُميلون سماع الآذان إلى مقولاتهم ذات الروح، فيضطرون بالقبول رغماً عنهم فيؤمنون.

٢. **وما كان بغير علم،** أعنى التصديق:

- إما بالاضطرار أو الاضطهاد وهذان النوعان مُبرأة الديانة المسيحية منهما.
- أو إما بالمعجز الإلهي، والآيات والأعاجيب وهذه قواعد وأعمدة الديانة المسيحية.

ولما كانت الديانة المسيحية تشتمل على هذه الشروط كانت هي التي لا سواها. **وشروط قبول الخبر الكاذب هي:**

١. **أن يضطر القابل إلى القبول ما يُحمّل عليه قسراً** (مت ١٣ : ٢١) أي بالاضطهاد، والضرب، والحبس، والقتل، وجميع الاهانات.
٢. **أن يفر الإنسان من الضيق والشدة،** إلى السعة والراحة والحياة الرغدة والغنى (مت ١٣ : ٢٢) فيدع دينه وينتقل إلى دنياه ويقبل المحال والكذب.
٣. **أن يفضل العز على الذل،** والقوة على الضعف، وإلى هذا أشار المخلص قائلاً: «كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْداً بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ؟ وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلَهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟» (يو ٥ : ٤٤)
٤. **أن يكون النذير الداعى للقبول رجلاً ماهراً في الكلام والحيل،** خبيثاً مكاراً محتالاً (رو ١٦ : ١٨).
٥. **أن يستعين الداعى بجهل المدعو وبساطته.**
٦. **أن لا يحتمل المدعو التعليم الصحيح،** والتطرق بالطريق المؤدى إلى الحياة، فينحرف إلى الخرافات، والديانة التي لا يعانى فيها تعباً ولا شقاء (٢تى ٤ : ٣ — ٤).

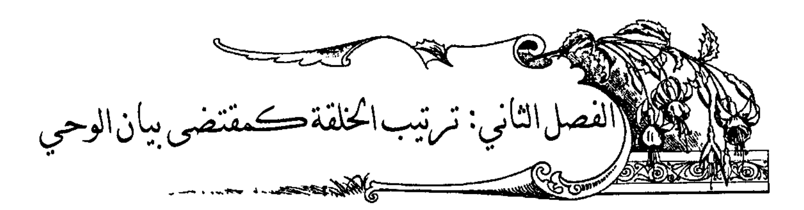
٧. **أن يكون نسب طبيعي ما بين الجهتين**، النذير والمنذر، فيروم أن لا يقطع حبل الوصال فيقبل الواحد ما دعا إليه الآخر.

ولقد جمعت شروط قبول الخبر الكاذب بثلاثة أوجه، بجواب من أحد أئمة البيعة لسائل سأله، ما دليلك لصدق دينك؟ فأجابه **دليلى لصدق دينى هو أن يكون دينى خالياً من ثلاثة أوجه داخلاً في عكسها وهي:**

١. **أن لا يكون منتشراً بالسيف والاضطهاد**، بل بالذلة والتواضع والمعجز.
٢. **أن لا يكون مقبولاً بالغنى والثروة** والرشوة والإغراء ومحبة المجد الدنيوى، بل بالفقر والمسكنة، وبذل ما عند الإنسان واكتساب الإهانات والاحتقار.
٣. **أن لا يكون بواسطة حكمة هذه الدنيا** التي هي جهالة عند الله، بل ببساطة الكرازة وجهل المنذرين والحكم بعدم معرفتهم العلوم ومكثهم في المدارس أزمنة مستطيلة.

وإذا أمعنا النظر جيداً في هذه الأقسام التي هي أعمدة لقبول الكذب نرى أن الديانة المسيحية لم تُذع وتتمُ بقسم منها ولا بقوة جسدية، إلا بقوة إلهية تمنطق بها الرسل وخلفاؤهم، فهي الديانة التي لا سواها.





سؤال: في كم يوم أبدع الله المخلوقات؟

جواب:

في ستة أيام فقط، ومع ذلك فانه كان قادراً على إبداعها في وقت وجيز، لأن الكتاب الإلهي يخبر عن جلاله أنه كان يقول للشئ كن فيكون، ولكن هكذا اقتضت إرادته العلوية، إذ أبدع في كل يوم جزءاً منها حتى كملت الستة أيام، لأجل نظام الكون، وترتيب الدور، وتمييز الأوقات والأزمنة (تك١).

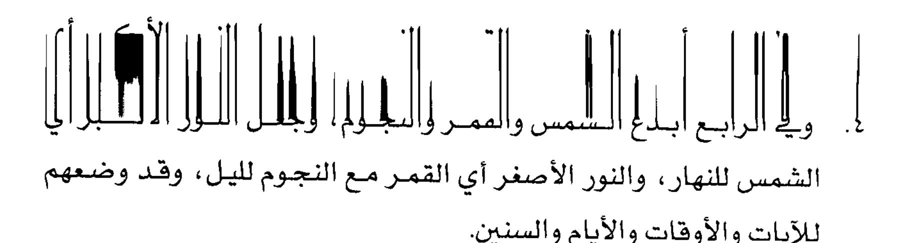
سؤال: ماذا أبدع في كل يوم منها؟

جواب:

١. في الابتداء (اليوم الأول) خلق السموات الغير المنظورة، وخلق الأرض مغمورة بالماء، وكانت مظلمة، وكان يرف روح الله عليها (تك ١ :١ ، ٢ ، تك ٢ : ٤ ، خر ٢٠ : ١١) وأبدع النور وسماه نهاراً، والظلمة وسماها ليلاً.

٢. وفي الثاني أبدع الجلد أي السماء المنظورة.

٣. وفي الثالث جمع الماء إلى مكان واحد، وأظهر اليابسة، وأنبت من الأرض النباتات والأشجار.



٤. وفي الرابع أبدع الشمس والقمر والنجوم، وجعل النور الأكبر أي الشمس للنهار، والنور الأصغر أي القمر مع النجوم لليل، وقد وضعهم للآيات والأوقات والأيام والسنين.
٥. وفي الخامس أبدع من الماء الأسماك والحيتان وباقي الحيوانات البحرية وأجناس الطيور.
٦. وفي السادس أبدع من اليابس أي الأرض البهائم والوحوش ذات الأربع قوائم وغيرها من الدبيب، وفيه خلق آدم أبانا وحواء أمنا على صورته ومثاله بنفس حية عاقلة ناطقة.

سؤال: من أين نعلم أن الإنسان ذو نفس، والحيوان بدونها؟

جواب:

نعلم بدلائل وبينات:

الأول: قد يوجد فرق عظيم ما بين الإنسان والحيوان. فإن الإنسان يمتاز عن الحيوان بالفكر، والفطنة، والتمييز في الأمور القريبة والبعيدة، واقتبال التعليم، واكتساب الحرف والصنائع، ولغات الألسن المتغايرة وكتابتها.

الثاني: إن أفعال الحيوان تمتاز عن أفعال الإنسان، فإن أفعال ذاك موجبة بطبعه، قد أوجدها البارئ غريزة منذ مولده لا يحتاج إلى مدبر له فيها، لوجودها فيه بالطبع الغريزي، أما الإنسان فأفعاله مكتسبة لوجود جوهر فيه غير الجوهر الحيواني، فلا يحتاج إلى أفعال غريزية موجودة بالطبع، بل يتلقى تلك الأفعال شيئاً فشيئاً بالجوهر الموجود فيه الخالي منه الحيوان.

ودليل ذلك إنه لو أحضرت لديك طفلاً ابن أربعة شهور، وحيواناً ابن عشرة أيام، وجعلت أمامهما ما يكره قبول مسكه، فترى أن الحيوان يهرع عنه هاربا، والطفل إن أمكن يمسكه بيديه، ولقد شوهد مرارا كثيرة أن طفلاً

يمسك الأفعوان وغيره من الدبيب (ولا يضره شئ من ذلك)، وما هذا إلا لجهله وعدم معرفته بعد بأضرارها، ولكن تلك المعرفة قد توجد في الحيوان لخلوه من جوهر يكسب تلك المعرفة فيما بعد.

فمن هنا يتضح وجود جوهر النفس وهو الجزء الذي أُعطيه بالنفخة الإلهية من فم البارئ.

الثالث: أن النوع الإنساني لما خُلق حراً، قادراً على فعل الخير والصلاح، وترك الشر والطلاح، وأظلم ذهنه حاجزاً الحق بالإثم، تاركا ناموس الله المطبوع على قوالب قوى عقله الطبيعية، بفعله الآثام والرزايا والذنوب والخطايا، قد شعر بوجوب العبادة، وتقديم الواجبات لإله ما، لأن نفسه قد أظهرت فعلها فيه، بشعورها بالعقاب والثواب. وإذ هو غبي مظلم الذهن قد اتخذ المخلوقات دون الخالق. وأبدل مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والطيور والدواب والزحافات. فمن ذا الذي حركه على هذا الفعل إلا النفس، فتقديمه العبادة لاسيما مع عدم وجود منذر بتقديمها، هو الدال على وجود النفس الناطقة.

سؤال: كيف يكون جوهر النفس؟ أكثيف، أم لطيف؟

جواب:

إن النفس لطيفة لا كثيفة ولا مدركة بالحواس الجسمانية، والدليل على ذلك أن أفعال اللطيف غير أفعال الكثيف، ونرى أن النفس قد اتصفت بصفات وأفعال لا يأتي بها الجسم، ولا تتم به، **وبيان ذلك من عدة أوجه:**

أولاً: لو أن النفس جسم أو حالّه بجسم، ولا قائمة بذاتها غير مفتقرة إلى ذات أخرى تقوم بها، لكانت تسقم بسقم الجسم، وتصح بصحته، والآن ليس الأمر كذلك، لأنه الدماغ كلما ضعف ودق من شدة التفكير، فإن النفس

تقوى وتعتز، وأيضا إن العقل الذي هو القوة الأولى للنفس من بعد الاربعين سنة يبتدئ في الكمال والجسد في الانحطاط والنقصان، وإلى هذا أشار الرسول قائلاً: «لِذَلِكَ لاَ نَفْشَلُ. بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْماً فَيَوْماً» (٢كو ٤ : ١٦).

ثانياً: إن القوة الجسمانية لا يمكنها أن تبصر الحقير الضعيف من بعد ما تبصر القوى الأكبر، لأن الناظر إلى قرص الشمس، إذا ما كف نظره لينظر المصباح فلا يبصره، وكذلك من يسمع صوت الرعد فلا يمكنه أن يسمع لوقته صوت الذبابة، وأما النفس الناطقة فليست كذلك، لأنها كلما ازدادت في إدراك المعارف المنيعة فتهون عليها السهلة.

ثالثاً: إن القوة الجسمانية هي الجسم فإنها قد تضعف وتعجز بمداومة الأفعال، وأما النفس فإنها تقوى بذلك، لأن القوة الباصرة إذا تفرست في منظورات شتى متباعدة تضمحل وتفنى وهكذا القوة المحركة وتتمة ذلك، وأما النفس فإذا تفرست في المنظورات المتعالية عنها الكثيرة إذا هدست [1] بها فإنها تكمل بزيادة وتتعزى عن الإدراك، وكذلك الذي يقرأ ويطالع وإن ضعف ووهن الخارج فالداخل يقوى ويكمل من المطالعة وتكرار المعاني.

رابعاً: قد نعلم من الضرورة أن الأبيض ضد الأسود، ولو لم نجد ذلك في فكرنا، فكيف يمكننا أن نحكم بهذا التقدير، لأنه لا يمكن أن تجتمع الأضداد بالموضوع الواحد الجسماني، أعنى أنه لا يمكن أن يكون جسم واحد في وقت واحد أسود وأبيض معاً، أو بارداً وحاراً معاً فيلزم أن الذي تجتمع فيه الأضداد حين التقدير عليها والتمييز ما بينها هو غير جسم.

(١) هَدَس أى فكّر (الناشر).

خامساً: الصورة الأولى إذا ما تصورت في الجسم فإنها تمنع من مكانها أن يتصور فيه غيرها، أما النفس الناطقة فليست هي هكذا، لكنها إذا ما تصورت فيها صورة شئ معلومة، فإنها بزيادة تتهيأ لقبول صوراً أخرى معلومات، وتتصور فيها تلك الأشكال بدون أن تمحى الصورة الأولى، ومن هنا نعلم بالصحيح أن النفس بسيطة.

سادساً: إن كل إنسان بالضرورة يعلم أنه هو ذاك الذي كان قبل عشرين سنة مثلا وليس هو غيره، وأما الجسم وأجزاؤه فليسوا تلك الأجزاء، فلزم من كان قبل عشرين سنة ليس جسما لأنه لم يتغير.

سابعاً: إن جميع أعضاء الجسم الداخلة والخارجة هي كالآلة، إنما خلقت ليفعل بها الإنسان، ولذلك يقول رأسي، وعيني، وقلبي، وكبدي، وجوفي وتتمة ذلك، فيلزم أن من له هذه الأعضاء التي هي آلة له، يكون غيرها وليس البعض منها.

ثامناً:

- إننا نرى بعض الأوقات عصا في ماء، جزؤها الداخل في الماء معوج وملتوٍ عن جزئها الخارج، ومع ذلك نحكم أنها بغاية الاستقامة.
- وأيضاً نرى الشمس كطبق صغير ومع ذلك نحكم بنظر آخر أنها أكبر من العالم.
- وقد يرى الإنسان أن البناء يدور وذلك إذا دار على ذاته عشرين درجة أو أكثر ومع ذلك يوقن أن البناء ثابت لا يتحرك.

- ونرى في التياترو[1] مثلا رجلا ذبح ابنه ومع ذلك نوقن بأنه لا شئ من ذلك.

فلو لم يكن فينا إلا الجسد الذي يرى الخارج، فمن ذا الذي كان يصلح فكرنا باطناً، ويعلمنا غير ما وقع تحت حواسنا الجسدية، فليس هو إلا النفس التي خلاف طبع الجسد الكثيف.

تاسعاً: إذا اعتبرنا نفس الإنسان جسدية، فلا تكون أفكاره وأفعاله إلا حركات آلية كحركة الساعة، أو مركب البخار، والحال إن المبدأ في الحركة الآلية يلزم أن تكون مطابقة لعلتها، مثلا قوة كذا من البخار تحرك جَرْماً [2] كذا، وزنبرك الساعة يحرك دولاباً كذا ورمى حجر يبعد قدر شدة القوة في رميه وتتمة ذلك.

والحال إننا نرى في أفكار أنفسنا ومفاعيلها ما يخالف ذلك بالكلية، مثلا إنى أقول لأخى بصوت منخفض إمضِ فادْعُ فلان فهذا الأمر ربما جعل الأخ يطوف جائلاً النهار كله مفتشاً على ذلك الرجل، والأعجب من ذلك هو أن الإنسان قد يجعله فكره هارباً أياماً عديدة يعانى أسفارا شاسعة خوفاً من وقوعه في خطر، فأين إذا المناسبة ما بين العلة التي هي صوتى وفكرى، والمعلول الذي هو جولان الخادم وطوفه هارباً.

عاشراً: من البين أن الناس قد يمكنهم أن يعربوا عما في ضميرهم بواسطة الألفاظ، وبسمات أخرى معروفة عند ناظريها، فالمادة لا يمكنها أن

---

(١) عن الكلمة الانجليزية Theeatre وهى مأخوذة بدورها عن اليونانية Θε'ατρον والتى تعنى مكان عام للمشاهدة وقد أطلقت بعدئذ على المسرح.

James Strong, *the New Strong's expanded, Dictionary of Bible words*, (Nashville: Thomas Nelson, 1894),1135. (الناشر).

(٢) الجَرْم هو صندل (سفينة نقل نهرية مسطحة القاع) (الناشر).

تصنع ذلك، لأنه إذا لُفِظت لفظة على مسامع أناس من فِجاج [1] مختلفة وأمصار متنوعة فتأثيرها في مسامع الجميع يكون واحداً، ومع ذلك لا يفهمها إلا من كانت تلك الكلمة من لغته، ولو كانت أفكار النفس من جملة الحركات الآلية لوجب أن تؤثر تلك الكلمة في سمع الجميع على حد سواء.

حادى عشر: إن العقل البشرى قد يتذكر الأمور القديمة، ويجول أي جولان في العصور السالفة، وينظر في الحوادث الماضية، ويدرك حقائق لا تعلُّق لها بالحواس البتة، فكيف يمكن أن يكون للمادة قوة على ذلك، لأن المادة والحركة لا يمكنهما أن تفعلا إلا في ما إذا كان حاضراً أو محسوساً، لا في ما كان غائبا وغير محسوس.

ثانى عشر: نقول إن النفس الناطقة ليست بمفتقرة في أفعالها إلى جسم، لأنها تدرك ذاتها التي هي آلتها، ولو أنها تدرك الجسم بجسم آخر، فيلزم أنها تدرك ذلك الجسم الآخر بغيره، والآخر بآخر وهلم جراً إلى ما لا نهاية له، فيلزم التسلسل وهذا محال.

ثالث عشر: نقول أننا ندرك جبلاً من ياقوت، أو بحراً من زئبق (المنطقية)، وظاهر الأمر أنه لا يوجد ذلك بالفعل بل في الفكر، فالذي يوجد فيه هذه الصور ليس بجسم، بل بسيط.

رابع عشر: لو كانت النفس الناطقة جسماً، فلا يكون غير ممكن في جزء منها أن يثبت علم المعلوم، وفي جزء آخر عدم علم ذلك الشئ المعلوم، فيوجد الإنسان في وقت عالماً، وغير عالم، وهذا محال.

(١) فِجاج جمع فج وهو طريق واسع بين جبلين (الناشر).

خامس عشر: إن النفس تحكم أن الخير واجب العمل، وتحكم أن الخير وحده، والمحبة وحدها، وأنهما يوافقان بعضهما بعضا، وتحكم أن الشر لا يجب عمله، وتتصور أن الشر وحده والمحبة وحدها، ثم تحكم بأن الشر لا توافقه المحبة. فلو كانت هذه النفس جسدية ومركبة، لما أمكنها أن تحكم باتفاق هذين التصورين أو عدم اتفاقهما، وإذ كان ذلك، فيكون جزؤها الواحد يتصور حينئذ الخير، والآخر المحبة في لحظة واحدة.

فمن أين يكون بجزء علم بما عند الجزء الآخر، فيكون في الإنسان بمنزلة نفسين، تصورت إحداهما الخير وتصورت الأخرى الشر فلا يمكن للنفس أن تقابل تصوراً مع آخر، وبالتالي لا يمكنها أن تحكم بموافقة الواحد للآخر أو بمنافتهما، والحال أنها تحكم بالموافقة وعدمها، فإذاً هي بسيطة غير مركبة. وكفي به دلائل.

سؤال: هل في أول وجود النفس في الجسم تكون كاملة، أو تنمو بنموه؟

جواب:

وحيث أن جوهر النفس لطيف كما علمت، جوهر بسيط، نوراني، غير مدرك، ولا محسوس، ولا مركب، فلا يطلق عليه ما يطلق على المحسوسات المركبات التي تنمو وتزيد، وخذ لك دليلاً من النار وأول وجودها في المواد، فإن كانت صغيرة أو كبيرة هي كاملة في جوهرها، فظهور كبرها أو صغرها، ليس من حيثية ذاتها، بل من حيثية ارتباطها مع كبر أو صغر المادة، فالنفس أشبه بنور موضوع في إناء، فإن كبر الإناء أو لم يكبر، فالنور كامل في جوهره.

سؤال: ما دليل كون النفس أبدية مخلدة؟

جواب:

دليل كون النفس مخلدة لا انتهاء لها، ولا موت هو:

١. من عناية الله وعدله، فأخص ما يقوم به عدل الله وعنايته، الثواب عن الفضيلة، والعقاب عن الرذيلة، فإذا لم تكن حياة أخرى، فقد تتجو الرذيلة من العقاب على الغالب، ولا تفوز الفضيلة بالثواب كما ينبغي، فكثيراً ما نرى فضلاء تحيط بهم المصائب وتنزل بهم آفات هذا الدهر ونكباته، ورذلاء يتنعمون بالغنى والملذات والأفراح والمسرات، فعدل الله وعنايته يستلزمان وجود حياة أخرى للنفس فيها ينال فاعلو الخير ثوابهم وفاعلى الشر عقابهم، لأننا كم من مرة نرى في هذه الحياة الإثم غير معاقب، والفضيلة غير مثابة، فإذا لم تكن حياة أخرى بعد هذه يكافئ فيها الله الأبرار بالثواب ويجزى الأشرار بالعقاب، فكيف يكون الله عادلاً، وكيف يرضى بالرذيلة ولا يثيب الفضيلة.

٢. لو لم تكن حياة أخرى للنفس الناطقة بعد الانفصال، لكانت البهائم أحسن حظاً من الإنسان، وأكثر راحة وهذا لا تحتمله حكمة الله، فالبهائم مطبوعة على الرغبة في الخير المحسوس فقط ولا تحتاج كثيراً وما تحتاج إليه فقد تدركه بسهولة لأن الطبيعة تمنحها كل شئ من أعشاب وغيرها، وأما الإنسان فلا يرغب في الخير المحسوس فقط بل يطلب خيرات أسمى منه، كالشرف والعلم والفضيلة وسكينة النفس وراحة الضمير واطمئنان الخاطر وبالجملة يشتهي سعادة كاملة، وتلك الخيرات لا يحصل عليها إلا بمتاعب ومصاعب وقد لا يحصل، فإن لم تكن حياة أخرى كانت البهائم أكثر حظاً وأعظم سعادة.

٣. إن النفس لا توجد بعد الفراق من الجسد فقط، بل ولا يمكن قوة مخلوقة أن تعدمها الوجود والحياة. ففقدان الوجود لا يكون إلا بالفساد


والانحلال أو الملاشاة، وذلك للمركبات لا للبسائط، وبالتالي فقد تبين سابقاً أن النفس بسيطة لا أجزاء لها غير مركبة، فما ليس بمركب ولا أجزاء له يقوم بذاته لا يمكن أن ينحل، ولا يقدر أحد أن يلاشيه إلا الله وحده، ونريد أن نعلم لماذا خلقه إلا للسعادة، وإذا كان للسعادة فقد تحققنا عدم امتلاكه لها في هذه الحياة، فبقى حياة أخرى يتمتع فيها أي الخلق بتلك السعادة.

٤. نقول إذا كان الله يلاشى ما خلق، فيلزمنا أن نثبت أنه يصنع ذلك لدواعٍ:

- **إما من قبل طبع النفس:** فلا داع لذلك لأنها غير قابلة للفساد لبساطتها ووجودها على صورة الله جلّ وعلا.
- **وإما من قبل الله:** فالله جواد وجوده يقتضى أن لا تموت ولا تتلاشى.
- **وإما من قبل عدله:** فالعادل يشهد بقيامة أخرى فيها تثاب الفضيلة وتعاقب الرذيلة.

إذن فالنفس غير مائتة.

سؤال: قد علمت بأن الإنسان ذو نفس غير مائتة، ولكن أين وضع الله آدم وحواء حينما خلقهما؟

جواب:

وضعهما الله في فردوس أرضي، أبدعه لهما وزينه بجميع أشجار وزينات الأرض مع شجرة الحياة، وشجرة معرفة الخير والشر، التي قد حرضهما ألاّ يأكلا منها.

سؤال: ماذا صارا بحالهما؟

جواب:

غب أن مكثا وقتاً وجيزاً في الفردوس، خدعهما إبليس الساكن في الحية، فانخدعا بغوايته وحادا عن الأمر الإلهي، آكلين من الشجرة المحرمة، فحالاً حاق بهما الخوف، والوجل، والخزى، والخجل، وتعريا من النعمة ولباس النور، وصارا عبدين لمن خضعا له أعنى إبليس مبدأ كل الشرور، ثم طردهما البارئ من الفردوس إلى أرض الأتعاب، والبلايا، والأوصاب [1] ليحرثا الأرض ويأكلا خبزهما بعرق جبينهما، ووضع حارساً ماسكاً بيديه سيفاً حافظاً طريق شجرة الحياة.

سؤال: أليس الله طويل الروح، كثير الرحمة؟ فلماذا لم يرحمهما فلا يطردا من الفردوس من مكانهما؟

جواب:

اعلم أن الله رحيم وعادل، غير أن آدم وحواء لم يستحقا الرحمة، ومع ذلك فانظر إلى رحمة البارئ، لأنه كما لا يخفي أن جرم هذين الشخصين كان

(١) الأوصاب جمع وصب وهو المرض أو الوجع (الناشر).



أولاً : لكونهما طمعا في الإلوهية ليصيران إلهين.

ثانياً : لكونهما أطاعا إبليس وعصيا خالقهما وتمردا عليه.

ومع هذا كله فقد نزل البارئ قاصداً أن يرحمهما بطرق كثيرة، وأنواع مختلفة، فلم تجد الرحمة لها مكاناً فيهما، حيث أنهما لم يلتجآ إلى رأفة البارئ، ويستغفرا عما جنياه من الإثم، فأدركهما عوض ذلك العدل الإلهي آخذاً حقه فيهما، طارداً إياهما من الفردوس، فلم يكفِ أنهما ابتعدا عن رضى الله والتمتع بنعيمه، واضعين أساساً للعداوة ما بين نسلهما والخالق، بل أنهما زيادة على ذلك بواسطة هذا التعدى أوجدا الفساد في طبع النوع الإنساني.

سؤال: هل رحمة البارئ تركتهما في حال الشقاء والوبال [1] أم وعدتهما بالخلاص؟

جواب:

إنه من المحقق أن الله لم يخلق الإنسان حراً في ذاته قادراً على فعل الصلاح وترك الطلاح، إلا ليمتعه بفيضان سعادته، والخلود في النعيم الدائم، لاسيما مفضلاً إياه على كافة المخلوقات، مصوراً إياه على مثال الصورة الإلهية الأزلية، بنفس عاقلة ناطقة جوهرية حرة في أفعالها وحركاتها، فلا يصح أن البارئ يخلق الإنسان بهذه الهيئة ويتركه بيد المهلك القتَّال، وبالتالي لكي تهان تلك الصورة الإلهية المصور على مثالها وشبهها، والحال فقد دبرت رحمته ووعدته بالخلاص بيد واحد من نسله أي يسوع المسيح، وذلك بواسطة الرموز والأمثال والنبوات بأفواه الأنبياء كما سترى.

(١) الوبال هو سوء العاقبة (الناشر).

سؤال: هل عقوبة جرمهما كانت قاصرة عليهما؟

جواب:

كلا، بل لحقت جميع نسلهم.

سؤال: ولماذا؟

جواب:

لأن الثمرة التي أكلاها سرت قوتها في الجسد الذي صار منه التناسل، فاشترك النسل فيما لحق الجسد، فلذلك صار النسل جميعه تحت عقاب الخطية والموت بواسطة التناسل، ولهذا عينه لا يوجد أحدٌ خالٍ من هذه الخطية وعقابها، إلا من كان ليس من زرع البشر وهو المسيح.

سؤال: هل أخبرت النصوص بكون خطية آدم عمت على الجميع؟

جواب:

نعم، أخبرت صريحاً أنه لا أحد خالياً من هذه الخطية ولو كان عمره على الأرض يوماً واحداً. قال داود النبي:

✟ «هأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي» (مز ٥١ : ٥).

على أن الزواج الشرعى طاهر، والمضجع نقى، غير أنه إنما عنى بذلك الخطية التي ورثناها وقيل أيضاً:

✟ «لَنْ يَتَبَرَّرَ قُدَّامَكَ حَيٌّ» (مز ١٤٣ : ٢).

✟ «فَكَيْفَ يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ عِنْدَ اللهِ وَكَيْفَ يَزْكُو مَوْلُودُ الْمَرْأَةِ؟» (اى ٢٥ : ٤).

وقال الرسول صريحاً:

✟ «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ» (رو ٥ : ١٢).

سؤال: بماذا كان تبرير النوع الآدمي من تلك الخطية، وذلك الموت؟

جواب:

بتجسد كلمة الله الآب، سيدنا يسوع المسيح مخلصنا ومحيينا.

سؤال: ولماذا نموت بعد التبرير، إذ كنا تبررنا من الخطية وعقابها الموت؟

جواب:

إن الموت على نوعين عقلى وحسى، فالموت الذي وقع على آدم والنوع الآدمى ليس هو موت الجسد أعنى الحسى بل موت الروح، أي تجردها من لباس النور ونعمة الله وعنايته، وهذا ظاهر من قول البارئ إن يوم تأكل منها موتاً تموت، على أن موته الحسى بعد أن عاش تسع مئة سنة.



فالموت الذي وقع على آدم حين أكل الثمرة هو الذي تبررنا منه وانتعشنا، وأما الجسد إذ هو قابل للفساد والانحلال، حتى قبل المعصية فقد كان الله قادراً أن يحفظه من الفساد لو لم يخطئ، كما سيكون بعد الانبعاث والنشور.[1]

وأما السيد فقد دعاه رقاداً وانتقالاً (اكو ١٥ :٢٠ ، اتس ٤ : ١٣ – ١٥).



(١) النشور هو البعث أو القيامة من الأموات (الناشر).



الباب الثاني

الإيمان بالله وكيفيته



سؤال: أوضح لى عن ذات الله له السجود؟

جواب:

قد يعجز عقل البشر عن أن يحوى كنه ذات البارئ، خلا ما أوضحه عن ذاته بفم أنبيائه ورسله، الثابت صدق قولهم، أنه ذات واحدة وجوهر واحد، ثلاثة أقانيم آب وابن وروح قدس، والثلاثة جوهر واحد، ذات واحدة، لاهوت واحد، معبود واحد.

وأن الآب والد الابن وباثق الروح القدس منذ الأزل، وأن أقنوم الآب غير أقنوم الابن وأقنوم الروح القدس، وأقنوم الابن غير أقنوم الآب وأقنوم الروح القدس، وأقنوم الروح القدس غير أقنوم الآب و أقنوم الابن، ومع ذلك فليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد.

لأن التغاير والاختلاف في الأقانيم والصفات، لا في الجوهر والذات.

سؤال: أقم لى مثالاً يُفهمنى وحدة ذات الله وتثليث أقانيمه؟

جواب:

حسبك المثال هنا بالنفس الحية الناطقة، مع كونها ذات، حية، ناطقة، وأن الذات غير حياتها ونطقها، وحياتها غير ذاتها ونطقها ونطقها غير ذاتها وحياتها، ليست ثلاث نفوس بل نفس واحدة، لأنها لا تتعدد بالذوات بل بالصفات.

سؤال: زدني بياناً، كيف أن الله ذو ثلاثة أقانيم، وليس ثلاثة آلهة؟

جواب:

قلنا سابقاً إنه جلَّ وعلا جوهر واحد وذات واحدة بثلاثة خواص. كالنفس كما نظرت، أو كالشمس فإنها قرص وحرارة وضياء، ومع وجود هذه الخواص الثلاثة التي كل واحدة منها غير الأخرى، ليست الشمس ثلاث شموس بل شمس واحدة، لأنها ذات واحدة، ولو تعددت خواصها.

فكذلك ذات البارئ التي هي ثلاث خواص، ليست الخواص الثلاث ثلاثة آلهة ولو تعددت، لكون ذاتهم واحدة، جوهرهم واحد، وقوتهم واحدة، وفعلهم واحداً.

سؤال: ما معنى تتعدد بالخواص؟

جواب:

أعني أن كلاً من الثلاثة أقانيم يتميز بخاصية دون الآخر مع وحدة الجوهر، وإذا علمت ذلك نقول:

- **إن الأقنوم الأول يتميز بخاصية الأبوة** مع وحدة الجوهر بما أنه والد الابن وباثق الروح القدس، فيكون علة الابن والروح القدس بالنسبة إلى القرص.
- **والابن يتميز بخاصية البنوة** مع وحدة الجوهر بما أنه مولود من الآب أزلياً، وذلك كولادة النطق من العقل، والشعاع من الشمس، ولادة لطيفة بسيطة، لا كثيفة ولا مدركة، فيكون الابن مولوداً لا والدا ولا منبثقاً.

- والروح القدس **يتميز بخاصية الانبثاق** مع وحدة الجوهر، لأنه الروح القدس المنبعث من الآب أزلياً، كصدور الحرارة من القرص، وليس هو والداً ولا مولوداً بل منبثقاً.

سؤال: ماذا تعنى بولادة الابن وانبثاق الروح القدس من الآب؟ أفما يكون بقولك هذا أن الآب أقدم من الابن والروح، كتقدم الشجرة على الثمرة، والأب على الابن الجسدى؟

جواب:

أولاً: أعنى أن ذات الله حية، ولا حي إلا بحياة. وناطقة، ولا ناطق إلا بنطق. ولكون الحياة لا تقوم وحدها أي خلواً من ذات وكذا النطق، فتكون الذات علة لقيام الحياة والنطق.

- ومن حيث أن **الذات** ناطقة بالقوة أزلياً، وحية بحياتها، أي والدة النطق وباعثة الحياة، فننعتها دون الحياة والنطق **بالأبوة**.
- ومن حيث أن **النطق** منطوق به بالقوة أزلياً، أي مولود من الذات، فنصفه **بالبنوة**.
- ومن حيث أن **الحياة** محيًّى بها بالذات فنصفها **بالانبثاق أو الروح القدس**.

وقول المعترض منقوص، والعقل يشهد بذلك أنه لا يمكن أن يتقدم الآب على الابن والروح القدس، **إذ لا يمكن أن تكون ذات الله مجردة من نطقها وحياتها وقتاً ما**، بل النطق والحياة موجودان أزلياً مع الذات، وإلا لكان البارئ وقتا حياً ناطقاً، وآخر عديم الحياة والنطق، وهذا لا يقبله العقل ولا النقل.

ثانياً: القائل هذا القول قد يضطر إلى قول آخر من المحال أن يكون، وهو إن كان الآب متقدماً على الابن والروح القدس، فمن اللازم ولابد أن

يكون تقدمه على الابن والروح القدس مقدارا محدودا معلومة كميته، مثلا مقدار أربعين ألف سنة أو أكثر أو أقل، ومن هنا ينتج فساد هذا الرأي إذ يتعين به ابتداء للذات وكلاهما من المحال.

سؤال: مثّل لي عن كيفية هذه الولادة والانبثاق لمساواتهما مع الذات في الوجود؟

جواب:

حسبك الاعتبار والمثال بالنار، وظهور الشعاع الصادر منها، وقوة الحرارة التي تفعل وتؤثر مع الضياء بوجود الاثنين في النار وصدورهما عنها، فإذا علمت هذا نقول أنه لا يوجد قبلية أو بعدية بين النار والضياء والحرارة، بل اتحاد الثلاثة ووجودهم في زمن واحد، إذا كان الضياء لا يظهر قبل النار ولا بعدها، وكذا لا توجد النار دون الحرارة، بل وجود الثلاثة متساوٍ.

فهذا المثال يقرب فهمك لذات البارئ ونطقها وحياتها بمساواة الوجود.

سؤال: إن كان الوحي الإلهي أشار إلى وحدة ذاتُ الله وتثليث صفاته، فاذكر بعضاً من قوله؟

جواب:

إن الوحي قد أشار إلى ذلك بقول واضح وعبارة لا تقبل تأويلاً.

ومنه قال داود النبي عن كلمة الله:

✞ «أَرْسَلَ كَلِمَتَهُ فَشَفَاهُمْ وَنَجَّاهُمْ» (مز ١٠٧ : ٢٠).

✞ «إِلَى الأَبَدِ يَا رَبُّ كَلِمَتُكَ مُثَبَّتَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ» (مز ١١٩ : ٨٩).

✞ «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ» (مز ١١٠ : ١).

✞ «أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ» (مز ٢ : ٧).

وأيضاً:

✞ «مَن صَعِدَ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ؟ مَن جَمَعَ الرِّيحَ فِي حُفْنَتَيْهِ؟ مَن صَرَّ الْمِيَاهَ فِي ثَوْبٍ؟ مَن ثَبَّتَ جَمِيعَ أَطْرَافِ الأَرْضِ؟ مَا اسْمُهُ وَمَا اسْمُ ابْنِهِ إِنْ عَرَفْتَ؟» (ام ٣٠ : ٤).

وجاء في الحكمة:

✞ «يَزْعُمُ أَنَّ عِنْدَهُ عِلْمَ اللهِ وَيُسَمِّي نَفْسَهُ ابْنَ الرَّبِّ، وَقَدْ صَارَ لَنَا عَذُولاً حَتَّى عَلَى أَفْكَارِنَا، بَلْ مَنْظَرُهُ ثَقِيلٌ عَلَيْنَا لِأَنَّ سِيرَتَهُ تُخَالِفُ سِيرَةَ النَّاسِ وَسُبُلَهُ تُبَايِنُ سُبُلَهُمْ، قَدْ حَسِبَنَا كَزُيُوفٍ فَهُوَ يُجَانِبُ طُرُقَنَا مُجَانَبَةَ الرِّجْسِ وَيَغْبِطُ مَوْتَ الصِّدِّيقِينَ وَيَتَبَاهَى بِأَنَّ اللهَ أَبُوهُ» (حكمة ٢ : ١٣ – ١٦).

وقال الإنجيل المقدس:

✞ «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ» (يو ١ : ١).

✞ «لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللَّهِ» (يو ٥ : ١٨).

✞ «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يو ١٠ : ٣٠).

وقال للذى شفاه:

✞ «أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللَّهِ؟ أَجَابَ: مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ لِأُومِنَ بِهِ؟ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: قَدْ رَأَيْتَهُ وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ» (يو ٩ : ٣٥ – ٣٧).

وقال داود النبي عن الروح القدس:

✞ «أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟» (مز ١٣٩ : ٧).

وقال الابن بفم إشعياء النبي رامزاً إلى تجسده:

✞ «السَّيِّدُ الرَّبُّ أَرْسَلَنِي وَرُوحُهُ» (اش ٤٨ : ١٦).

وقال المخلص:

✞ «وَأَمَّا الْمُعَزِّي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ

شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ» (يو ١٤ : ٢٦) انظر أيضا إلى (يو١٤ :١٧، يو ١٥ :٢٦).

وروى النص عن الآب والابن والروح القدس: [1]

✢ «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا» (تك ١ : ٢٦).

✢ «وَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: "هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا» (تك ٣ :٢٢).

✢ «هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ» (تك ١١ : ٧).

قال داود النبي:

✢ «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَبِنَسَمَةِ فَمِهِ كُلُّ جُنُودِهَا» (مز ٣٣ : ٦).

وقد مُجِّد الثالوث الأقدس بالثلاثة تقديسات من أفواه السيرافيم هكذا:

✢ «قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ» (اش ٦ : ٣).

وقال الإنجيل المقدس:

✢ «وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِياً عَلَيْهِ. وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (مت ٣ : ١٦ – ١٧).

وعندما أرسل السيد تلاميذه قال لهم:

✢ «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ» (مت ٢٨ : ١٩).

✢ «فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ» (ايو ٥ : ٧).

---

(١) ولم يقل أخلق وصورتي وشبهي وذلك دليل على قائل يقول لغيره، على أن علماء اليهود لما لم يمكنهم أن يتصرفوا بمثل هذه الآية، أى لم يجدوا في اللسان العبراني المكتوب به التوراة إطلاق علامة الجمع على المفرد، فقالوا أن الله يقول للملائكة لنخلق أو كواحد منا أو ننزل ونبلبل وما شابه ذلك، ومن المعلوم أن الله ليس بمحتاج لمعونة آخر إذ هو الخالق للملائكة، فكيف يحتاجهم ولو أراد ذلك الأمر لما كان يقول على صورتنا وشبهنا، إذ ليس ذات الملائكة هي ذات الله، تعالى عن ذلك علواً زائداً.

مقالة على التثليث والتوحيد

«اذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ»
(مت ٢٨ : ١٩)

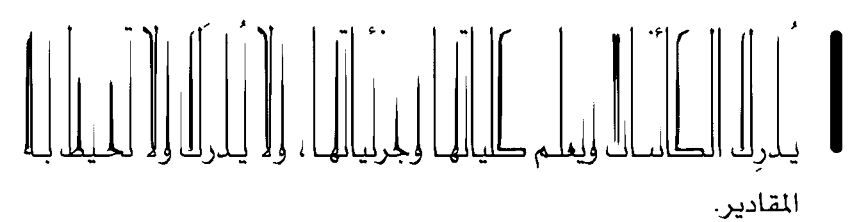
أيها الروح الكلى قدسه المنير الأعين، الفاتح البصائر، المُنقى الضمائر، الكاشف خفايا السرائر والستائر، والمعطى كلمة للناطقين ذوى البشائر، هلم الآن وسر فينا، وحل في أراضى قلوبنا، واملأنا فرحاً، وارو ظمأنا، وأيدنا بمعرفة صائبة، لننطق بغير اعوجاج بسرك الأقدس، يا من ملأت الآباء من المعرفة والذكاء والفطنة، ونطقوا بالاستقامة وأتوا بالضالين إلى منهج الهدى والرشاد.

انطق الآن على ألسنتنا ما ينبغي أن ندونه إرشاداً لعديمى المعرفة آمين.



إن العقل من دون براهين وأدلة قد يسلّم بأن الله:

- خالق السموات والأرض وكل ما يُرى وما لا يُرى.
- معبود لا سواه.
- خالق إله متصف بأسمى الصفات، وجميع القوات ذات الكمال.
- واجب الوجود لذاته.
- كائن في كل مكان.



- يدرك الكائنات ويعلم كلياتها وجزئياتها، ولا يدرك ولا تحيط به المقادير.
- يحيط بالمقادير والأمكنة وهي لا تحيط به، رب لا يُحَاز ولا يُدرَك كنة وجوده.
- فائض الجود على خلقه، ومعتنى بكل مصنوعاته.

وبالتالي يدلنا العقل أنه لا يمكن وجود إلهين أو أكثر، ودليل ذلك من عدة أوجه:

الأول:

أن صانع هذا العالم إما أن يكون قديماً أو مُحدَثاً، وكل مُحدَث كائن بعد أن لم يكن، وكل كائن بعد أن لم يكن ممكن الوجود بواجد، والواجد ممكن الوجود بواجد آخر ممكن الوجود، والواجد الآخر ممكن الوجود بواجد آخر غير ممكن الوجود وهكذا إلى ما لا نهاية له، ومن هنا يلزم التسلسل، وذلك من المحال. **فيكون صانع هذا العالم واحداً قديماً.**

الثاني:

إن العالم إما أن يكون قديماً أو مُحدَثاً، ولا يمكن أن يكون قديماً، لأن القديم كما عرفنا سابقاً لا يتصف بالحركة، والانتقال، والتغيير، والتبدل، والفساد، والانحلال، وكما نظرنا من جزيئاته يطرأ عليها هذه الأنواع، فتحققنا أن جزئياته وكلياته مُحدَثة.

فالعالم إذاً مُحدَث لا قديم، أحدثه الأزلي الواحد بالذات.

الثالث:

إن كان يوجد إلهان، فيكون منهما خلق الأرض، وكف أن يخلق فاستعان بالآخر ليخلق شيئا آخر لعجزه وتناهيه في المقدار، وكل عاجز متناهي في المقدار ليس بالله.

الرابع:

إلهان يمتنع وجودهما، لأنهما إن كانا موجودين، فيكونان:

- ❖ **إما متفقين من كل جهة:**

أعنى متساويين في القدرة، والفعل، والكمال، والذات، والإرادة، والمشيئة، فهما واحد لا اثنان.

- ❖ **وإن كانا متخالفين:**

الواحد يخالف الآخر في الذات والقدرة، فيكون الواحد منهما ليس بالله، لأن التخالف دليل النقص والعجز في أحدهما، أعنى الواحد يشأ أن يصير طوفان والآخر لم يشأ ذلك، فالذي أراد ألا يصير طوفان، بطُل أن يكون إلها لإبطال قدرته، وكل من ليس بقادر ليس بإله.

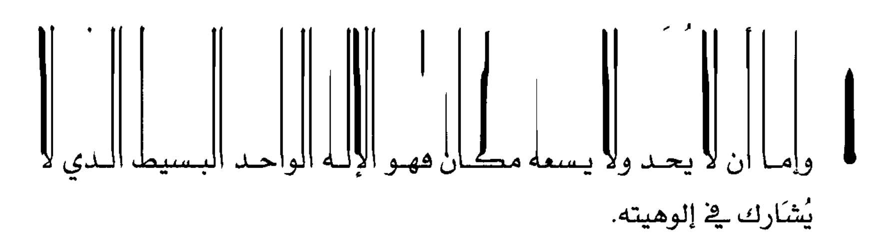
الخامس:

إن كان إلهان، فيكون الواحد منهما في مكان لا يكون فيه الآخر، ومن هنا يلزم الحد، وكل من يُحَد فليس بإله.

السادس:

كل موجود إما أن يكون مركباً أو بسيطاً:

- ❖ وما كان **بمركباً**: يقبل الفساد فليس بقديم.
- ❖ **والبسيط:**
  - إما أن يُحَد أي أن يكون بمكان دون مكان فهو مخلوق لا قديم.



وإما أن لا يحد ولا يسعه مكان فهو الإله الواحد البسيط الذي لا يُشَارك في إلوهيته.

السابع:

إن الواحد (قياساً تقريبياً) مستغنى بنفسه عن الثاني، غير محتاج إليه ولا مضطر، والثاني غير مستغنى بنفسه عن الواحد، إذ كان الثاني لا يكون ثانياً إلا بثبوت الواحد له، والتقدم عليه. فلما تقرر سابقاً أن البارئ قادر، وبالتالي ليس بمحتاج إلى معونة لأن ذلك دليل القصور والعجز، والله ليس بعاجز، فإذن ليس بمحتاج لمعونة غيره، كحاجة الثاني إلى الواحد. فنفينا عنه الحاجة وثبتت الوحدانية، لاستغنائه بذاته عما سواه جلت أسماؤه، ونزيد برهاناً لو كان الخالق اثنين للزمهما الكمية، ولحقهما الحد.

وكل محدود مُرَكّبْ، وقد تقدم أن كل مُرَكّبْ له مُرَكّب، لأن الاثنين لا يخلو كل واحد منهما من أن يكون في مكان منفرد بالاضطرار إذ وقعت عليه الكمية، ويلزمهما إذا كان كل واحد منهما في مكان أن يكون بينهما فضاء وحد يفصل بينهما. فيقال إذ ذاك اثنان أزليان بمكانين أزليين، وفضاء قديم بينهما، فتصير الجملة خمسة أزلية قديمة وهذا محال، لأن الله خال من الكمية والأينية والكيفية، ولله المجد والعز والثناء والحمد.

الثامن:

إن الوحي الإلهي قد أوضح بغاية الإيضاح التام أن الله واحد لا إله سواه، ولا معبود عداه.

قال موسى مقدام الأنبياء:

☩ «الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ» (تث ٦ : ٤).

✞ «الـرَّبَّ هُـوَ الإِلـهُ فِـي الـسَّمَاءِ مِـنْ فَـوْقُ وَعَلـى الأَرْضِ مِـنْ أَسْـفَلُ. لـيْسَ سِوَاهُ» (تث ٤ : ٣٩).

وقال الله بفم إشعياء:

✞ «أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ وَلاَ إِلَهَ غَيْرِي» (اش ٤٤ : ٦).

وقال نحميا:

✞ «أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ وَحْدَكَ» (نح ٩ : ٦).

وقال الله بفم إشعياء:

✞ «أَنَا الرَّبُّ وَلاَ إِلَهَ آخَرَ غَيْرِي؟ إِلَهٌ بَارٌّ وَمُخَلِّصٌ. لَيْسَ سِوَايَ» (اش ٤٥ : ٢١).

وقال المخلص:

✞ «لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ» (مت ١٩ : ١٧).

وقال الرسول:

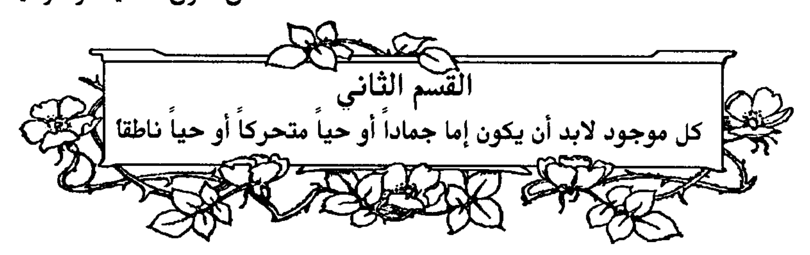
✞ «لأَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى آلِهَةً سِوَاءٌ كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الأَرْضِ كَمَا يُوجَدُ آلِهَةٌ كَثِيرُونَ وَأَرْبَابٌ كَثِيرُونَ. لَكِنْ لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ» (١كو ٨ : ٥ - ٦).

✞ «إِلَهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ» (أف ٤ : ٦).

نثبت أن الله واحد في الذات، وله تخضع جميع الكائنات.

✣ ✣ ✣





إن جميع الموجودات علة وجودها الله، والله لا علة له في وجوده، إذ كان واجب الوجود، أي موجود بذاته مستغنى عن غيره في وجوده.

فكل موجود على الإطلاق إما ظاهر أو غير ظاهر، وقد علمنا مما تكرر سابقاً أن الله ليس بجسم، وكل ما ليس بجسم فممتنع النظر إليه، وبالتالي فلا يُرى، ولا تقع عليه الحواس الجسدية البتة من النظر واللمس وتتمة ذلك، لأنه ليس بمحسوس، بل وأرفع من المحسوس، نقول غب أن تكرر أن الله بسيط، لطيف، لا يُدْرَك. **إن كل موجود إما أن يكون ذا حياة أو لا يكون:**

- **فإن كان ذا حياة** يكون قابلا للحركة غير ميت أي حياً متحركاً.
- **وإن لم يكن ذا حياة** فيكون جماداً عديم الحركة.

والنتيجة أن هذا الموجود إما أن يكون حياً متحركاً أو جماداً غير قابل للحركة. وهذا ظاهر لا يريد زيادة تكرار، ونزيد على الحي الموجود قسماً ثانياً، وهو أن هذا الموجود الحي **إما أن يكون ذا نطق أو لا يكون:**

- **فإن كان ذا نطق:** فيكون حياً ناطقاً.
- **وإن لم يكن ذا نطق:** يكون حيواناً ناهقاً.

فقد يجب الآن على ذوى العقول المرتاضة وأصحاب العلوم وآل المعارف ممن اضطره العقل وارتشد إلى الإقرار بالصانع الواحد القديم الأزلي أن يعرف خواصه وجوهره فيقر أن جوهر الله حي لينفي عنه الموت، وأنه ناطق وذلك لينفي عنه الخرس.

لأنه لا يصح لموجِد الذوات، وبادع الحياة، وخالق النطق في الإنسان، أن يكون بدون حياة ونطق، فبقى أن جوهر الله حي ناطق أي حي بحياة، وناطق بنطق، فالحياة فينا معشر الآدميين لها نهاية وانقضاء وغاية بالموت اللاحق لجوهرنا.

والله تبارك حياً غير ميت لا ابتداء لحياته ولا انتهاء. والنطق فينا من أشرف الفضائل التي ارتفعنا بها عن حد الحيوان. فالفرق بين نطق الله ونطق البشر هو أن نطق الله أزلي بذاته، ونطقنا مخلوق، لأنه تباركت أسماؤه، حي ناطق غير مائت، ونحن جنسنا حي ناطق مائت لكوننا مخلوقين وهو الخالق الأزلي، وكذلك الفرق بين الحيوان والإنسان هو أن الحيوان حي غير ناطق مائت والإنسان حي ناطق مائت. [1]

واعلم أيها المطالع اللبيب الأريب [2] أن الكلمة الذاتية في الجوهر هي غير الكلام المسموع الملفوظ من الشفتين واللسان والآلات المركبة له، لأن سواء كان الكلام من الله أو من الناس ليس هو شيئاً قائماً بذاته، ولا عيناً يُشار إليه، وإنما بضبط وقيد بآلات كالكتابة والخط، ولولا ذلك لكان ينحل ويتلاشى، بخلاف الكلمة الذاتية الثابتة الأزلية الدائمة بلا انتهاء. فالفرق بين الكلمة والكلام كالفرق بين الجوهر والعرض، وبين ما كان ذاتياً لم يزل وبين ما هو حاضر مكتسب. والدليل على صحة هذا الرأي الوطيد أن حد

---

(١) عجباً ممن يدّعى ويزعم أن المسيح مخلصنا كلمة الله – وهو ذات قائم، وعين يشار إليه، وأنه استحق هذا الاسم لأنه كلمة الله، لأنه قال له كن فكان فيقال له عرفنا كل مخلوق سواء كان من الناس أو البهائم أو الوحوش أو الدبيب أو الهوائم هو كلمة الله وروحه، فلم يكن أن يُجاب إلا هو، فإذن واذ كان الأمر كذلك فما الفضل للمسيح على غيره، إذا كان هذا بكلمة الله وروحه، وذلك بكلمة الله وروحه.

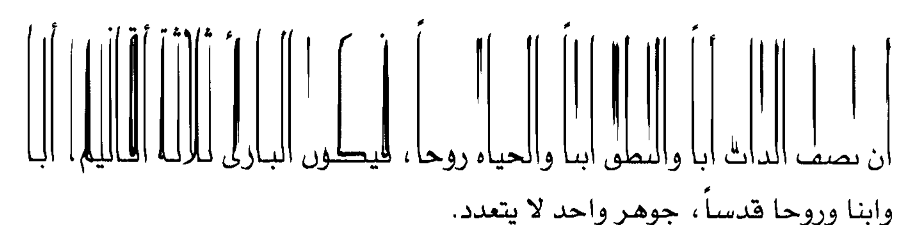
فأشكل على المعترض من قبل أن يميز بين الكلمة والكلام، فظن ان المسيح كلمة الله أعنى أمره أو كلامه، ولم يفقه أنه القوة النطقية الذاتية الكلمة الأزلية المتجسد لأجل خلاص آدم وذريته من عقال العدو اللعين وأسره.

(٢) الأريب هو الحاذق أو الماهر أو البارع (الناشر).

الإنسان حي ناطق مائت، فناطق ليس من حيث انه لافظ كلاماً مسموعاً، ولو كان ذلك كذلك لم يكن حد الإنسان الأخرس من بطن أمه أو الساكت وقتاً ما حياً ناطقاً ميتاً، بل حياً ميتاً، لأنه ليس بناطق، والآن ليس الأمر كذلك. لأنه ولو كان الإنسان أخرس أو عرض له عارض ألزمه الصمت والسكوت فلا يمتنع أن يكون هذا الإنسان حياً ناطقاً ميتاً فإذاً الكلمة غير الكلام، لأن الكلمة هي قوة النطق الكائنة في جوهر الإنسان.

فمن ثم اتضح أن النطق والحياة اللذين للبارئ كل واحد منهما جوهر لأنه لا يمكن أن يكونا عرضين، وإلا للزم أن يكون البارئ مُحدَثاً ويقبل الأعراض والتغيير والآلام تعالى عن ذلك علواً زائداً. فإذاً كل واحد من النطق والحياة جوهر، ولا يمكن أن يكون جوهراً عمومياً لئلا يتطرق على الخلق والمخلوق. فالحكمة حكمة واحدة، وكذلك الحياة، فإذاً جوهر كل واحد من الحياة والحكمة جوهر خصوصي أعني به أقنوماً. وذلك ظاهر أن حكمة البارئ تعالى هي أقنوم البارئ وهكذا حياته. لأن الذي هو حكيم وحي معناه غير معنى الحكمة والحياة. وهو أيضاً أقنوم قائم بذاته وله الحياة والنطق.

<u>والنتيجة</u> أن ذات البارئ حية ناطقة، ومن المعلوم بل والمسلم به أن لا حي إلا بحياة، ولا ناطق إلا بنطق، وحيث أن الذات علة الحياة والنطق لكون كل من الحياة والنطق لا يقوم خلواً من الذات، فتكون الذات علة وجودهما.
لا إيجادهما بعد أن لم يكونا، بل قيام كل منهما، أعنى الحياة والنطق، فنَصِف الذات بالأبوة على الدوام، والحياة بالانبعاث على الدوام، والنطق بالولادة على الدوام، لكون الذات علة وجودهما على الدوام، أي الحياة محيى بها دائماً، والنطق منطوق به دائماً، والذات ناطقة وباعثة دائماً. وحيث أن النطق مولود لا والد، والحياة منبعثة لا والدة ولا مولودة، وأن الذات والدة وباعثة، لزمنا


أن نصف الذات أبا والنطق ابنا والحياة روحا، فيكون الباري للاثة أقانيم، أبا

وابنا وروحا قدساً، جوهر واحد لا يتعدد.

قد يتشكك المتشكك ويقول:

إذا كان الباري حياً وناطقاً، لزم أن تكون الحياة والنطق أقنومين كل واحد قائم بذاته، وإذ هو قادر أيضاً، وخالق، وصالح، وعادل، ورحيم، وغيور، وأزلي، وأبدي فيلزم أن تكون جميعها وغيرها أقانيم قائمة بذاتها، ولا يمتنع أن يكون ثلاثة أقانيم فقط أعنى الباريء بل عشرة بل أزيد من عشرة.

الجواب:

حل هذا الشك ينبغي للقراء والمطالعين له أن يرفعوا عن عاتقهم أثقال الغواية والأغراض التحزُّبيّة، وبدل ذلك ينظروا بقلب مستقيم قاصدين بذلك مجد الله فقط والطريق المؤدى للحياة ومنهج الحق والاستقامة، اعلم أيها الحبيب الأريب الماهر النجيب أن **صفات الباريء تنقسم إلى ثلاثة أقسام:**

وهي الصفات الثبوتية الذاتية والصفات الإضافية أو الاكتسابية والصفات السلبية:

الأول:

فالصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: منها ما هو صفة للذات ومنها ما هو صفة لتلك الصفات الثلاثة. ومن المسلّم أن صفة الصفة لا تُحسب ولا تُعد مع الصفة، أما الصفات الثبوتية الذاتية فهي: قادر حي ناطق، لا زائد عليها ولا ناقص منها. فأما تمييز الصفة من صفة الصفة فهي:

- عن القادر: إننا لا نجد مريداً، رءوفاً، رحيماً إلا قادراً، فالرأفة والرحمة والإرادة صفات القادر وليس العكس

- **وعن الحي:** لا نجد سميعاً بصيراً إلا حياً. فهما صفتان للحي مع إنهما من الحواس الخمسة، وهو يتعالى عن السمع والبصر كما يتعالى عن الشم والذوق واللمس.
- **وعن الناطق:** إننا لا نجد حكيماً، عاقلاً، مدركاً إلا ناطقاً، فهي صفات تابعة للنطق وليس العكس.

فتميزت الصفات الثبوتية الذاتية التي هي: قادر حي ناطق.

الثاني:

وأما الصفات الإضافية: فهي التي تكون موجبَة بالقوة أزلياً ثم تخرج بالفعل حديثاً، كما يقال أن البارئ خالق قبل أن يخلق بالقوة، فلما خلق العالم سُمى خالقاً بالقوة والفعل. وهكذا الرازق، والغافر، والمانح، والرءوف، والرحيم وما شابه ذلك.

الثالث:

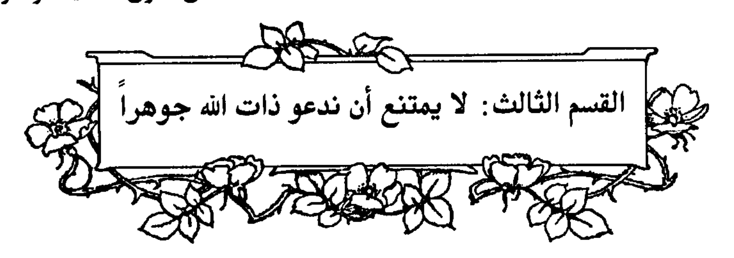
وأما الصفات السلبية: فهي التي توجب الصفات الثبوتية كما مر ذكرها. ومن المعلوم أن كل موصوف بصفة ما، لابد أن يسلب ضدها، إذ ان الضدان لا يجتمعان معا ولا يرتفعان.

- فمن وصف الله الإله تعالى، أنه **ليس بمعدوم**، فقد أثبت له **الوجود**.
- ومن وصفه بأنه **غير مائت**، فقد أثبت له **الحياة**.
- ومن وصفه بأنه **ليس قبله غيره**، فقد أثبت انه واجب **الوجود**.
- ومن وصفة بأنه **ليس بجاهل**، فقد أثبت له **النطق والعلم والحكمة**.
- ومن وصفه بأنه **ليس بضعيف**، فقد أثبت له **القدرة**.

فالصفات السلبية باللازم تثبت الصفات الثبوتية كما نظرت، ومن المعلوم أن هذه الصفات ما عدا الصفات الثبوتية التي هي قادر أو موجود، حي، ناطق، ليست قائمة بذاتها وبالتالي فليست أقانيم كما زعم المتشكك.

ولما كانت حقيقة الإله هي توحيد ذاته وتثليث صفاته، ولم يكن في سائر الأسماء المعلومة لمخلوقاته أسماء يعبر بها عن الثلاثة أقانيم، وتتميز بها خواص صفاته سوى الثلاثة أسماء التي اختصها بها سيدنا المسيح كلمة الله وهي الآب والابن والروح القدس الممجد الآن وكل أوان.





القسم الثالث: لا يمتنع أن ندعو ذات الله جوهراً

كل شئ موجود إما أن يكون جوهراً أو عَرَضاً:

- **وتعريف الجوهر:** هو الشئ القائم بذاته، فكل ما يقوم بذاته يستغنى عن غيره في قيامه لا في إيجاده فيسمى جوهراً وليس العكس.
- **والعَرَضْ:** هو ما كان قائماً في غيره يقبل التغيير والتبديل والتلاشى، كحُمرة الخجل، واصفرار الوجه عند الخوف، وابيضاض الشعر، والضحك وما شابه.

واعلم أن الأعراض تقارن وتلاصق المُحدَثات، والله ليس بمُحدَث فلا يقبل الأعراض في جوهره، وأعلم أنه لا يمتنع علينا الإدعاء بأن الله جوهر كما أنه ذات أيضاً. فللمعترض الذي ينكر أن يدعو الله جوهراً أن ينكر أيضا كونه قائما بذاته، لأن كل جوهر شئ قائم بذاته، فالله جوهر لأنه قائم بذاته، وإذا كان امتنع من الإنكار كونه قائماً بذاته فما دليله كون الله لا ينبغي أن نصفه بجوهر.

ولعل المعترض يحتج قائلاً: أننا لا يحق لنا أن ندعو الله جوهراً، لكونه لا يقبل الحيز ولا الإحاطة ولا الأعراض ولا الحدوث ولا الإدراك ولا العلم بمعرفة كنه وحقيقة ذاته، والأشياء التي وقع عليها لفظ الجوهر جميعها تقبل ذلك.

فيجاب:

أولاً: أننا لسنا ندعو الله جوهراً من حيث أنه جلَّ وعلا وتقدست أسماؤه، يقتبل الحيز أو الأعراض أو أنه مُحدَث أو أنه يُدرَك أو أنه يُعْلَم كنة ذاته، بل أنه قائم بذاته كما تقدم.

ثانياً: لماذا يسمى الله ذاتاً، مع أن هذه التسمية أعنى ذاتاً هي من الأسماء التي تقبل الحيز والعَرَضْ والحدوث، فكما أننا نسمى الله ذاتاً، وهي صفة للمخلوقين المُحَدثين كالمعادن، أقول وغيرها القابلة الحيز والانحصار والإحاطة والإدراك والأعراض، غير قاصدين أن الله يقبل شيئاً من ذلك، فكذا الأمر أننا نسميه جوهراً غير قاصدين أنه يقبل مما تقبل الجواهر، واعلم بعد إثباتنا أنه لا يمتنع أن ندعو الله جوهراً.

إن الجوهر ينقسم إلى قسمين: جوهر عام وجوهر خاص:

- كل جوهر يحتوى على صفات متعددة متميزة عن بعضها بعض فهو جوهر عام.
- وكل جوهر بخاصية واحدة أو صفة واحدة فيُعبَّر عنه بأقنوم لأن معنى الأقنوم جوهر بخاصية أو عين خاص.

واعلم أن أصل تسمية الشئ القائم بذاته في اللغة السريانية كيان. ولما أراد علماء الدين، وفلاسفة البيعة ترجمتها إلى اللغة العربية لم يجدوا فيها اسماً للشئ القائم بذاته سوى جوهراً، فأطلقوا على البارئ اسم الجوهر، وبعض الأئمة يطلقون اسم الطبيعة على ذات الله، وبعضهم يستكرهون إطلاقه على الله محتجين بأن من شرط الطبيعة أن تكون إما باردة أو حارة أو يابسة أو رطبة، والله لا يتصف بمثل هذه الأوصاف، فلا يُطلَق عليه اسم الطبيعة، ولهم في هذا الميدان كلام متسع.





القسم الرابع : حل شبهة

إن قيل **هل الآب إله** فمن الضرورة أن يُجَاب **نعم**، وإن قيل **هل الابن إله** فيُجَاب **حقاً**، وإن قيل **هل الروح القدس إله** فلا يمتنع السامع من أن يجيب بلى، **فمن هنا تدخل الشبهة على السائل، ويعتريه الشك والريب، لظنه أن المسيحيين مشركون، إذ يعتقدون بثلاثة آلهة، الآب إله والابن إله والروح القدس إله.**

فنحن نجيب عن ذلك:

إن المسيحيين لا يعتقدون بثلاثة آلهة، ولا هم بمشركين. والدليل على ذلك هو أنهم لا يعتقدون بوجود ثلاثة جواهر حتى تُمسك عليهم الحجة، غير أن السامع وقع في بحر الشك من قِبَل أنه لم يميز في معتقدهم ويمعن النظر جيداً، لأن كما تقدم القول أن الجوهر يعم ويخص.

فجوهر الله يعم الخواص الثلاثة، والأقنوم هو الجوهر الواحد الذي لا سواه، ولا يُعبد خلاه، بخاصة من الخواص الثلاثة. فكل أقنوم إله، أي أن الجوهر الواحد بخاصة الأبوة إله، والجوهر الواحد بخاصة البنوة إله، والجوهر الواحد بخاصة الانبعاث إله. وليس هم ثلاثة جواهر أو ثلاثة ذوات حتى يكونوا ثلاثة آلهة، فيقال جوهر بثلاث خواص، قادر حي ناطق، وكل خاصة مع حفظ وحدانية الجوهر إله. لأن اللاهوت واحد والجوهر واحد، غير أن الخواص تتميز عن بعض، بالأبوة والبنوة والانبثاق، واليك بعض أمثلة اعتباراً لوحدة ذات الله وتثليث أقانيمه.

اعلم أولا أن العقل ذات من الذوات البسيطة، قد يعقل بذاته، ومن قبل تعقله بذاته قد يحصل معنى آخر غير العقل وهو العاقل، ومن البين الواضح أن معنى كونه عقلاً لا يتضمن أنه عاقل، ومن قبل كونه يعقل ذاته أيضاً يحصل معنى آخر غير العقل والعاقل وهو المعقول، ومن البين أن معنى كونه عقلا وعاقلا لا يتضمن كونه معقولا، إذ لكل واحد منهم معنى غير الآخر.
فمن حيث اسم العقل يسمى به ذاته مجرداً من دون أن يضاف إليه شئ آخر، وهو علة وجود الوصفين الأخريين أعنى العاقل والمعقول، وهو مماثل للذات المتصفة بالأبوة والبنوة والانبعاث إذا كانت علة البنوة والانبعاث.

واعلم ثانياً أن النفس ذات من الذوات الموجودة، وهي حية ناطقة، ومعنى أنها حية لا يتضمن كونها ناطقة، ومعنى أنها ناطقة لا يتضمن كونها حية، وهي معناها أيضاً غير حياتها ونطقها. وكما أن الكلمة تولد من النفس أعنى به قوة النطق، والحياة تنبثق منها بغير انفصال ولا انقطاع ولا انفراد، كذلك ذات الله الوالدة النطق والباعثة الحياة لا فصل بينها وبين حياتها ونطقها. وأيضاً كما أن الشمس هي واحدة مع أنها قرص وشعاع وحرارة، وهي واحدة ليست متعددة بقرصها وضوءها وحرارتها وكما أن الشمس تلد شعاع النور وتنبثق منها الحرارة بغير قطع ولا فصل ماعدا التمييز، إذن لا يكون الضوء حرارة ولا الحرارة ضوءاً كذلك الذات العالية مع نطقها وحياتها واحدة لا تتعدد ولو تعددت الصفات، وكان الكلمة مولوداً والروح منبثقاً بغير قطع ولا فصل، إذ لا فرق بين الكلمة والحياة بالذات. وأيضاً كما أن التفاحة هي ذات واحدة ذات ثلاثة صفات، الذات والطعم والرائحة، والعقل يُسلّم بأن الذات غير الطعم وغير الرائحة، والطعم غير الذات وغير الرائحة، والرائحة غير الذات وغير الطعم، والذات هي علة الطعم والرائحة، ومن المعلوم أنه لا يمكن وجود التفاحة دون طعمها ورائحتها، وكما أنه أيضاً لا يمكن وجود النار دون ضوءها

وحرارتها، كذلك لا يمكن وجود الذات دون نطقها وحياتها، أعنى الآب دون الابن والروح القدس.

واعلم أنه ليس من حيثية أننا نقدم للقراء أمثلة للتثليث والتوحيد نقصد أن يكون البارئ كواحد منها من كل جهة، بل أننا نقدم الأمثلة لكي يسرع القارئ إلى القبول وإدراك السر بغاية السهولة. لأنه من المسلم أن من شرط المثل ألا يكون كالممثول من جميع الأوجه، ولو كان ذلك فلا عبرة أن يكون ذات الممثول.





الفصل الثاني: كيفية الإيمان

سؤال: ما معنى الإيمان؟

جواب:

معناه التصديق بكلام الله، والعمل بحسب ما يرضيه.

سؤال: إلى كم قسم ينقسم الإيمان؟

جواب:

ينقسم إلى قسمين:

١. ما يلاحظ الذات العليا ومبدعاتها.
٢. ما يلاحظ التجسد المجيد وما يتعلق به.

سؤال: ما شرط الإيمان بالذات العليا؟

جواب: شرطه:

١. نؤمن بأن الله واحد في ذاته مثلث في صفاته.
٢. إن هذه الصفات متساوية في الجوهر والذات.
٣. إن جوهر الأقانيم، روح بسيط، لطيف، غير مُدرك ولا محسوس. يملأ الكل، والكل لا يملأه.
٤. إنه سرمدي أي أزلي أبدي، لا ابتدأ لكيانه، ولا انتهاء لسنينه.
٥. إنه قادر على كل شئ، ومدبر كل شئ من المبدعات.

سؤال: ما هي مبدعات الذات العليا؟

جواب:

هي السموات وما فيها والأرض وما فيها.

سؤال: ماذا يوجد في السموات؟

جواب:

الملائكة وسائر قوات السماء، خلقهم البارئ أرواحاً غير متجسمة (مز ١٠٤ : ٤).

سؤال: متى خلقهم البارئ؟

جواب:

في اليوم الأول من الخلقة [1] مع السموات والأرض والنور.

سؤال: هل استمروا طائعين كلهم لبارئهم؟

جواب:

لا، بل ترفع البعض منهم، وسقط متدهوراً من رتبته، ومن ذاك المقام الرفيع، وحُفِظ مقيداً بسلاسل إلى اليوم الأخير (يه ٦ ، ٢بط ٢ : ٤ ، عب ٢ : ٢ ، رؤ١٢ : ٧-١٣، اش ١٤ : ١٢ – ١٥).

(١) قد يُقال ما دليل المؤلف على كون الملائكة خُلِقَت في اليوم الأول لأن الوحي قد أغلق عن تحديد خلقتهم، فالجواب وإذا كانت السموات لم تُخلق بعد، أعني قبل اليوم الأول ، فأين مستقرهم؟ لاسيما أنهم محدودن، وكل محدود لابد له من مكان يحده، ومن هنا يتبرهن كون الملائكة خُلقت في اليوم الأول.

سؤال: أما خلق الباريُ عوضهم؟

جواب:

أي نعم خلق آدم وحواء متجسمين، وأسكنهما فردوس النعيم.

سؤال: ما هي أسماء الملائكة الذين داموا في الطاعة لمولاهم؟

جواب:

الكاروبيم (تك ٣ : ٢٤)، والسيرافيم (اش ٦ : ٢)، والعروش أي الجلوس والسيادات والرئاسات والسلاطين (كو ١ : ١٦)، والملائكة ورؤساء الملائكة والقوات (رو ٨ : ٣٨).

سؤال: أما لهؤلاء علاقة مع بنى آدم وحواء؟

جواب:

حقاً فإن لهم علاقة كلية مع بني البشر غير أنهم لا يختلطون مع الجميع، بل فقط مع الذين أعدوا ذواتهم آنية للكرامة وورثة الأماكن الدهرية (عب ١ : ١٤).

وقد قال داود النبي:

✠ «مَلاَكُ الرَّبِّ حَالٌّ حَوْلَ خَائِفِيهِ وَيُنَجِّيهِمْ» (مز ٣٤ : ٧).

✠ «لأَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ فِي كُلِّ طُرُقِكَ»(مز ٩١ : ١١).

فمن كان ذا قلب مستقيم أمام الله، وعاملاً بمقتضى أوامره الخلاصية ووصاياه الإلهية، تحيط به الملائكة الروحيون، مرسلين من عند الباريُ، مساعدة له على كل عمل خيّر، راجع:

- ظهور الملاك ليشوع (يش ٥ : ١٣ — ١٥).
- ظهور الملاك لامرأة منوح (قض ١٣ : ٢ - ٣).
- ظهور جبرائيل الملاك لدانيال (دا ٨ : ١٦ ، ٩: ٢١).

- ظهور الملاك لزكريا النبي (زك ١ : ٩).
- ظهور جبرائيل لزكريا أبي يوحنا (لو ١ : ١١ – ٢٠).
- وظهوره لمريم مبشراً بالحبل (لو ١ :٢٦- ٣٧).
- وظهوره ليوسف خطيب مريم (مت ١ : ٢٠- ٢٤).
- وظهور جمهور من الملائكة للرعاة في الحقل يوم ميلاد الرب (لو ٢ : ١٣).

سؤال: هل الذين ضلوا لهم علاقة ببنى البشر؟

جواب:

أي نعم كما أن الملائكة المبررين تعتنى بالناس الأبرار وتساعدهم على كل عمل يرضى مولاهم ليتمتعوا بالفرح ومساهمة إرث ملكوت السموات والخلود بها، كذا أيضاً الطغمة الضالة المضلة فإنها لا تألوا جهداً من اعتنائها بالناس الذين كرسوا ذواتهم آنية للهوان أشراراً وفجاراً، مساعدة لهم على كل عمل يقبح فعله لدى البارئ. إذ هم أشرار ويحسن لديهم عمل الشر لأنهم مبدأ كل شر وما ذلك إلا ليشاركوهم إرث عذاب النار ومكابدة عقاب الجحيم. فمن أطاعهم وخضع لرأيهم ومشورتهم صار تحت سلطتهم وابناً لهم، مالكين على قوى عقله، عبداً للآلام الجسدية.

قال السيد:

✞ «أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَق. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ» (يو ٨:٤٤).

وقال أيضاً:

✞ «لأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ» (يو ١٤ : ٣٠).

وقال بولس الرسول:

✞ «وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتاً بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلاً حَسَبَ دَهْرِ هَذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ» (أف ٢ : ١، ٢).

✞ «الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ. فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ» (أف ٦ : ١١ – ١٢).

وقال بطرس الرسول:

✞ «اُصْحُوا وَاسْهَرُوا لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِساً مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ» (١بط ٥ : ٨).

اُنظر:

- حرب وتجربة الشيطان لأيوب (اى ٢ : ٧).
- فجاءت روح ردئ لشاول (١صم ١٦ : ١٤- ١٦).
- إرسال روح ردئ بين أبيمالك وأهل شكيم (قض ٩ : ٢٣).
- إرسال روح كذب من قبل الرب إلى أفواه أنبياء آخاب (١مل ٢٢ : ٢١ – ٢٣).
- وتجربة الشيطان للمسيح (مت ٤ : ١).
- وإخراجه الشياطين من المجانين (مت ٨ : ٢٨ – ٣٢).
- والشيطان من الأخرس المجنون (مت ٩ : ٣٢ – ٣٣).

إلى غير ذلك.





الباب الثالث

التجسد



الفصل الأول: كيفية الحبل والاتحاد

سؤال: إنك قد تقدمت سابقاً فقلت إن البارئ قد وعد آدم وحواء وذريتهما بخلاص، فقل لي ذلك الوعد؟

جواب:

إن وعد الرب بمخلص يخلص النوع، لم يكن ظاهراً بهذا المقدار، لكنه كان أولاً يُعطَى برموز وإشارات وأمثال، وهذا الوعد من فم البارئ كان ينمو شيئاً فشيئاً، حتى صار مصرحاً به بصريح القول ومعلناً.

فأولاً:

إن البارئ قد قال للحية إن نسل المرأة سيسحق رأسك (تك ٣ : ١٥).

وهذا القول ولو أن فيه إشارة إلى انتصار ابن مريم على إبليس الحية القديمة، غير أنه ليس كما أوضح بعد قليل **قائلاً لإبراهيم:**

✠ «وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ» (تك ٢٢ : ١٨).

أو كتقدمة **إسحق** وحيده إشارة إلى الذبيحة الحقيقية ابن الله الوحيد كفارة عن العالم (تك ٢٢ : ١٠).

وهنالك يعقوب أبو الأسباط قد اتى الوعد بفمه صريحاً لا يحتاج تأويلاً قائلاً:

✠ «لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ» (تك ٤٩ : ١٠).

ثانياً:

صار ذلك ظاهراً بألفاظ بينة ، **ومن تلك الأقوال قول أيوب:**

✞ «أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّي حَيٌّ وَالآخِرَ عَلَى الأَرْضِ يَقُومُ» (اى ١٩ : ٢٥).

وأيضاً قد قال موسى النبي موصياً بنى إسرائيل:

✞ «يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيّاً مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ» (تث ١٨ : ١٥) [١].

وقال إشعياء:

✞ «يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ» (اش ٧ : ١٤).

✞ «لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً إِلهاً قَدِيراً أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ» (اش ٩ : ٦ – ٧).

✞ «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ» (اش ٦١ : ١).

✞ «نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيهِ. مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا

---

(١) إن النبى الذي وعد موسى لإتيانه هو المسيح لوجهين:

- ينبغي أن يكون هذا النبى من بنى اسرائيل لقول النص (من وسطك من إخوتك).
- ينبغي أن يكون مماثلاً لموسى لقوله (مثلى)، أى أن يعمل ما عمل من اجتراح العجائب وعمل المعجزات والقوات، وشرع السنن والوصايا، وليس أحد صنع مثل موسى من بنى اسرائيل وغيرهم إلا المسيح المنتظر، ولا سيما أن اليهود كانوا يفهمون أن هذه النبوة هي عن مجئ المسيح المنتظر (يو ٥ : ٤٥ – ٤٦).

وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا» (اش ٥٣ : ٢ – ٥).

وقال ميخا النبي:

✞ «أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطاً عَلَى إِسْرَائِيلَ وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ» (مى ٥ : ٢).

وقال زكريا النبي:

✞ «تَرَنَّمِي وَافْرَحِي يَا بِنْتَ صِهْيَوْنَ لأَنِّي هَأَنَذَا آتِي وَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ يَقُولُ الرَّبُّ. فَيَتَّصِلُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ بِالرَّبِّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَيَكُونُونَ لِي شَعْباً فَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ فَتَعْلَمِينَ أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكِ» (زك ٢ : ١٠ – ١١).

✞ «إِبْتَهِجِي جِدّاً يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ» (زك ٩ : ٩).

وقال ملاخى خاتم الأنبياء:

✞ «هَأَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟ لأَنَّهُ مِثْلُ نَارِ الْمُمَحِّصِ وَمِثْلُ أَشْنَانِ الْقَصَّارِ. فَيَجْلِسُ مُمَحِّصاً وَمُنَقِّياً لِلْفِضَّةِ. فَيُنَقِّي بَنِي لاَوِي وَيُصَفِّيهِمْ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لِيَكُونُوا مُقَرِّبِينَ لِلرَّبِّ تَقْدِمَةً بِالْبِرِّ» (ملا ٣ : ١ – ٣)

وجميعهم تنبأوا عن ميلاده وتردده بين الناس، وقبوله الآلام والقتل، كفارة عن ذنوب الشعوب وصعوده إلى السموات.

سؤال: ماذا نؤمن بسر التجسد؟

جواب:

نؤمن هكذا أنه بعد انخداع آدم وحواء، وسقطتهما بواسطة غواية إبليس الساكن في الحية، وترتيب قضاء الموت على نوعهم أجمع، لم يسمح البارئ، الكثير الرحمة، الجزيل الجود والإنعام، ويرضى أن يبقى النوع الإنساني معتقلاً تحت أسر إبليس، واستعباد الموت العقلي، وتجرده من النعمة، ووقوعه في الفساد، وحال الوبال. بل وعد جلَّ وعلا بخلاصه بواسطة الوحي على ألسنة أنبيائه، ورسله المنتخبين بنزوله وترديه بالحلة البشرية لخلاص آدم وذريته من عقال ورباط اسر العدو اللعين.

فلما جاء ملء الزمان الذي ينبغي أن ينجز فيه الوعد، وتتم النبوات التي سبقت فأنذرت بمجئ البار القدوس المتأنس لأجل خلاص الورى [1] أرسل جبرائيل الملاك من قِبَل الملك مُسهِّلاً سبُل ابن الملك، إلى زكريا الكاهن يبشره بحبل امرأته العاقر الطاعنة في السن، التي فاتها ما يقتضيه طبع وعادة النساء، أي انقطاع التناسل والحمل لشيخوختها وكبر سنها وهذا الأمر المذهل الذي هو على خلاف العادة البشرية، كان تمهيداً لطريقة حبل السيدة مريم البكر البتول، الذي عجزت العقول عن إدراكه، وفاق نظام الطبيعة البشرية.



فحبلت العاقر اليصابات بيوحنا الصابغ الملاك المُسهِّل طريق سيده، والمبشر بالخيرات الجديدة، والنعم الجزيلة المقدار، الفائقة الاقتدار.

(١) الورى هو الخلق (الناشر).

وفي الشهر السادس لحبل العاقر امرأة الشيخ زكريا، وافى خادم العهد الجديد جبرائيل منحدراً من أعلى القناطر العلوية، مُرسلاً من قِبَل مولاه الساكن في أوج عُلاه، إلى مدينة في مقاطع الجليل تدعى ناصرة، إلى بكر بتول اسمها مريم (نجمة الصبح) مخطوبة لرجل بار اسمه يوسف، وكلاهما من سبط يهوذا من نسل داود، مبشراً لها بالحبل المنيف، السامى قدر جلاله الشريف، من أحشائها الطاهرة، وإذا قبلت البشرى، أي أن يتجسد منها الابن الأزلي، حل عليها الروح القدس، وطهرها ونقى جسمها من الدنس الأبوى والأمى [1]، وقدسها وجعلها طاهرة بلا عيب ولا دنس، متأهبة باستعداد كلى لكي يكون الجسد الذي اتخذه الابن الأزلي وجعله واحداً معه، بدون عيب ولا دنس، نقياً من الجريمة الجدية، حتى لا يجد إبليس نصيبا له البتة (يو ١٤ : ٣٠)

فتجلل جسمها بالروح الكلى الطهر والقداسة، وملأها داخلا وخارجا من قدسه ونعمته، وصير دمها نقياً، مستحقاً أن يكون منه جسداً لله الكلمة. ومن ثم تنازل الابن الأزلي بمسرة أبيه الصالح ورضا روح قدسه، وصور له جسماً، خالقاً له نفساً ناطقة عاقلة، ووحده معه وحدة ذاتية طبيعية جوهرية أقنومية، منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة والتغيير، بسر لا تدركه الإدراكات، ولا تعقله العقول، ولا تحده الحدود والأفهام، فحبلت به البكر مريم البتول عروسة الروح، بدون ما تنفك ختوم بتوليتها، ومكث في بطنها تسعة أشهر كناموس الطبيعة، وولدته وهي بتول خارقا ناموس الطبيعة وحكمها.

---

(١) رأى خاص بالمؤلف (الناشر)

سؤال: من أين نعلم أن إبليس كان ساكناً في الحية؟

جواب:

إنه من المعلوم أن الحية من طبعها صامتة غير ناطقة، خرساء والوحي الإلهي لا يقول أنها كانت ناطقة ثم بعد ذلك خرست، ومن ثم تعين دخول ناطق فيها، ونطق على لسانها وهو إبليس، لا سيما أن المسيح قد دعا الشيطان قتال الناس منذ البدء (يو ٨ : ٤٤)، ويوحنا دعاه الحية القديمة (رؤ ٢٠ : ٢).

سؤال: ومن أين نعلم أن مريم من نسل داود؟

جواب:

الأول:

١. من الاكتتاب الذي حصل في زمن ولادة المسيح الرب (لو ٢ : ١ — ٥).

٢. ومن نبوة أبو يوحنا المعمدان، زكريا الكاهن (لو ١ : ٦٩ — ٧٠).

٣. **والأنبياء:**

إرميا شهد قائلاً:

✝ «هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأُقِيمُ لِدَاوُدَ غُصْنَ بِرٍّ فَيَمْلِكُ مَلِكٌ وَيَنْجَحُ وَيُجْرِي حَقّاً وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ. فِي أَيَّامِهِ يُخَلَّصُ يَهُوذَا وَيَسْكُنُ إِسْرَائِيلُ آمِناً وَهَذَا هُوَ اسْمُهُ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِهِ: الرَّبُّ بِرُّنَا» (ار ٢٣ : ٥ — ٦)، (ار ٣٣ : ١٥ — ١٦).

واشعياء يجزل فرحاً قائلاً:

✝ «وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ. وَيَحِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ. وَلَذَّتُهُ تَكُونُ فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ فَلاَ يَقْضِي بِحَسَبِ نَظَرِ عَيْنَيْهِ وَلاَ يَحْكُمُ بِحَسَبِ سَمْعِ أُذُنَيْهِ. بَلْ يَقْضِي بِالْعَدْلِ لِلْمَسَاكِينِ وَيَحْكُمُ بِالإِنْصَافِ لِبَائِسِي الأَرْضِ

وَيَضْرِبُ الأَرْضَ بِقَضِيبِ فَمِهِ وَيُمِيتُ الْمُنَافِقَ بِنَفْخَةِ شَفَتَيْهِ. وَيَكُونُ الْبِرُّ مِنْطَقَةَ مَتْنَيْهِ وَالأَمَانَةُ مِنْطَقَةَ حَقَوَيْهِ» (اش ١١ : ١ — ٥).

والثاني:

إن بنى إسرائيل قبل اختلاط الأسباط، ما كان المرء منهم يتزوج إلا من سبطه وعشيرته، ولقد مر بك أن يوسف ذهب ليكتتب في مدينة داود.

سؤال: كيف قال مجمع نيقية، الابن تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء؟

جواب:

إن هذا المجمع ما أتى بشئ خارجاً عن مقتضى حكم الوحي الإلهي كما سترى إن شاء الله، وعن معنى قوله هنا قد قال الملاك ليوسف:

✞ «الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (مت ١ : ٢٠).

أي أن السيدة وهي مظللة بالروح الكلى قدسه، ومملوءة منه داخلاً وخارجاً، أخذ الابن الأزلي دماً نقياً مقدسا بالروح القدس، وجعله معه واحدا، فصار الاعتراف وهو الحق (تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء).

سؤال: فالمسيح إذاً واحد أم اثنان؟

جواب:

إن المسيح واحد من اثنين، وجوهر من جوهرين، وأقنوم من أقنومين، وطبيعة من طبيعتين، وكيان من كيانين، وحقيقة من حقيقتين، إله متأنس.

سؤال: أليس أن الاثنين، أعنى اللاهوت والناسوت، لم يستحيلا ولم يمتزجا، فكيف يكونان واحداً، وما المثال لهدم قول القائل إن المسيح شيئان أي إله وإنسان؟

جواب:

اعلم أرشدك الله ووقاك من الغلط أنه: من شروط الاتحاد الطبيعي أو الجوهرى، أن يجعل أشياء عديدة، واحدة طبيعية، أو واحداً طبيعياً، فالقائل إن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت كان طبيعياً جوهرياً يضطر إلى اعترف قول آخر أي أن يقر بكون اللاهوت والناسوت واحداً بالطبع والجوهر من بعد الاتحاد. لأنه إن كانت المقدمة [1] صادقة بالضرورة تكون نتيجتها صادقة وإن اعترفنا بالمقدمة فلا مناص لنا من أن نعترف بالنتيجة أيضاً.

والمثال هو: أن هذا الإنسان المنظور أمامنا المُرَكّب من جسد ونفس، كون الجسد كثيفاً أرضياً، والنفس لطيفة بسيطة، وباتحادهما معا دون أن يلحقهما اختلاط أو امتزاج أو استحالة أو تغيير، يصيران شخصاً واحداً، ذاتاً واحدة، جوهراً واحداً، طبيعة واحدة.

كذلك اتحاد اللاهوت القدوس بالناسوت كون اللاهوت لطيفاً بسيطاً والناسوت الجوهر الكثيف بنفسه العاقلة، وباتحادهما صارا شخصاً واحداً، ذاتاً واحدة، جوهراً واحداً، طبيعة واحدة، أعنى كلمة الله المتجسد بدون امتزاج، ولا اختلاط، ولا تغيير. فالمسيح واحد مادام الله موجوداً، ولقد هتفت كنيستنا بلسان حالها قائلة، جعل لاهوته مع ناسوته واحداً.

(١) قياساً واحداً صادقاً، الطبائع اتحدت اتحاداً طبيعياً، وكلما اتحد اتحاداً طبيعياً يكون واحداً طبيعياً (النتيجة الصادقة) فالطبائع واحدة طبيعية.

سؤال: أفالمسيح واحد بالجوهر أم بالعَرَض؟

جواب:

إن المسيح واحد بالجوهر لا بالعَرَض، لكون الاتحاد جوهرياً لا عرضياً.

سؤال: ماذا يقول المعترض على ذلك؟

جواب:

يقول إن المسيح بعد الاتحاد الطبيعي الجوهرى طبيعتان، طبيعة لاهوتية تعمل ما يختص بها وطبيعة ناسوتية تعمل ما يختص بها، فالواحد من المذكورين يُبهر بالعجائب والآخر ملقَى للإهانات. وهذا الاعتقاد لا يقبله العقل ولا النقل كما سترى.

سؤال: ما الرد على ذلك؟

جواب:

أولاً:

لو كان هذا قول المعترض حقاً، لكان بواجب الضرورة يظهر وقت الولادة الغير مدركة، لأن على مقتضى رأيه أن الولادة ناسوتية للناسوت لا للاهوت، وعلى هذا البناء كان يلزم حل ختوم البتولية الطاهرة وهو ينكر ذلك ولا يسلم به، وكذا دخوله على التلاميذ والأبواب مغلقة، وقيامته من القبر والأكفان موضوعة مثل ما وضعت والحجر موضوع على باب القبر.

ثانياً:

إن الأخ يعترف بالاتحاد الطبيعي الجوهرى الحقيقي الكامل غاية الكمال، قائلاً إن الطبيعتين اتحدتا مع بعضهما بوحدانية طبيعية حقيقية، لكن واأسفاه لفظاً لا معنى، لأنه يهدم ما يبنيه من الاعتقاد، ويقوض أركان

مبانيه وينقض زواياه إذ يقر بالاثنينية، غب أن أقر بالوحدانية القائمة من الاتحاد، ويقر بالطبيعتين بعد أن أقر أن الاتحاد طبيعي.
لأن الوحدانية غير الاثنينية والاثنينية غير الوحدانية، لأن كل لفظ لابد له من معنى، ولفظ الاتحاد لا يدل على التثنى، وهو يقر بالتثنى بعد أن أقر بالاتحاد.
وكذا لفظ الطبيعي لا يدل على طبيعتين أو طبائع بل طبيعة أو طبع، وهذه الألفاظ ضد بعض والأضداد من المحال أن تجتمع، ومن هنا يتضح إبطال الاعتقاد باثنينية الطبائع من بعد اتحادهما.

ثالثاً:

إذا كان في المسيح طبيعتان فيكون إذاً أقنومين، لأن المسيح أقنوم إلهي وأقنوم ناسوتى، وهو ينكر وجود أقنومين ويعترف بأقنوم، والغرابة أنه يجرد الأقنوم من الإنسان، زاعماً أن الإله الكلمة أخذ الجسد دون أقنوم.
بعد أن هتفت بيعة الله من مشارق الشمس إلى مغاربها، أن الابن الكلمة أخذ كل ما للبشر ماعدا الخطية، فالخطية ليست بأقنوم، وقد تقدمت الألفاظ الدالة على التعميم كما يعرف من له إلمام (كل أو ما) وانظر اعترافه بكمالية الناسوت ومن كل ما يتصوره الإنسان. **قال:**
"إن الله الكلمة هو كامل غاية الكمال مثل ما يعلمنا الإيمان الأرثوذكسي، وأنه أخذ إنساناً كاملا بجميع ما يختص بالطبيعة الإنسانية، ولا ينقصه شئ مما هو منسوب إلى تصور الإنسانية، كما يجب علينا أن نقر بذلك" (صفحة ٤٦ من الكتاب المسمى بالإيمان الصحيح طبعة رومية والآن طُبع في بيروت).
فهذا الاعتراف الحسن يلزم المعترف به، أن يعترف بأقنومية المسيح من جهة الناس.
كما وأن البابا كيرلس البطريرك، مطرقة الهراطقة وعمود الدين لم ينكر أقنومية المسيح من جهة الناسوت **قائلاً:**

"من فرق من بعد الاتحاد المسيح الواحد إلى أقنومين، وطابقهما في بعضهما بعض بالمصاحبة فقط، أم بالعظمة، أم بالقدرة، أم بالسلطان، وليس بأحسن (انظر) يوحدهما بوحدانية طبيعية، فليكن محروماً" (انظر الاثنى عشر حرماً التي للبابا كيرلس مدرجة بكتاب أعمال مجمع خلقيدونية المطبوع بمطبعة رومية بيد الكاثوليك).

فمن هنا يتضح أن المسيح من اقنومين وبالاتحاد الطبيعي صارا واحداً، فكذلك المسيح من طبيعتين وبالاتحاد الطبيعي صارا طبيعة واحدة، وإن أنكر الثاني فينكر الأول وبالعكس.

سؤال: إذاً في المسيح فعل واحد أم فعلان؟

جواب:

إن كان الغير المستطاع صار من المستطاع، فكم بالحرى يكون المستطاع.

سؤال: ما معنى ذلك؟

جواب:

معناه أن اتحاد الذوات هو غير مستطاع، وقد صار من المستطاع في شخص السيد المسيح، وهذا معلوم أن المسيح من بعد الاتحاد صار واحداً بالجوهر لا بالعَرَض. فإذا عرفت ذلك نقول أن المستطاع هو اتحاد المشيئات والأفعال.

لأنه ممكن أن يقال عن أكثر من [1] ربوة من الناس إنهم واحداً نظراً لصيرورة مشيئتهم وأفعالهم واحدة بالاتحاد والاتفاق.

---

(١) قيل عن الرسل الأطهار وجماعة المؤمنين:

*«هَؤُلاَءِ كُلُّهُمْ كَانُوا يُواظِبُونَ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّلاَةِ وَالطِّلْبَةِ مَعَ النِّسَاءِ وَمَرْيَمَ أُمِّ يَسُوعَ وَمَعَ إِخْوَتِهِ» (اع ١ : ١٤).

*«وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعاً بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» (اع ٢ : ١).

وغير ممكن أن يُقال عن شخصين إنهما واحداً نظراً لاتحاد ذاتيهما وجسميهما.

الأول:

قال السيد مثبتاً هذا الأمر من فمه الكريم:

✠ «وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلاَءِ فَقَطْ بَلْ أَيْضاً مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ. لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ» (يو ١٧ : ٢٠ – ٢٢).

ويستحيل وجود سائر المؤمنين واحدا بالذات مع بعضهم ومع الله، فبقى أن يكون ذلك بالأفعال والمشيئات.

فمن هنا يتضح إبطال رأي أصحاب المشيئتين، لأنه إن كان الأمر كذلك، أن للمسيح مشيئتين وفعلين وهو مع علمه بأن حكم هذه القضية

---

* «وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يُواظِبُونَ فِي الْهَيْكَلِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» (اع ٢ : ٤٦).
* «وَكَانَ لِجُمْهُورِ الَّذِينَ آمَنُوا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّ شَيْئاً مِنْ أَمْوَالِهِ لَهُ بَلْ كَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكاً» (اع ٤ : ٣٢).

وقد قال بولس الرسول:

* «وَلْيُعْطِكُمْ إِلَهُ الصَّبْرِ وَ التَّعْزِيَةِ أَنْ تَهْتَمُّوا اهْتِمَاماً وَاحِداً فِيمَا بَيْنَكُمْ بِحَسَبِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ. لِكَيْ تُمَجِّدُوا اللهَ أَبَا رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَفَمٍ وَاحِدٍ» (رو ١٥ : ٥ – ٦).
* «فَتَمِّمُوا فَرَحِي حَتَّى تَفْتَكِرُوا فِكْراً وَاحِداً وَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، مُفْتَكِرِينَ شَيْئاً وَاحِداً» (فى ٢ : ٢).
* «أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنْ تَقُولُوا جَمِيعُكُمْ قَوْلاً وَاحِداً وَلاَ يَكُونَ بَيْنَكُمُ انْشِقَاقَاتٌ بَلْ كُونُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ» (اكو ١ : ١٠).

وقال بطرس الرسول:

* «كُونُوا جَمِيعاً مُتَّحِدِي الرَّأْيِ بِحِسٍّ وَاحِدٍ» (ابط ٣ : ٨).

والنتيجة أن المؤمنين المنظورين الحقيقيين والغير المنظورين هم جميعاً واحدٌ بالمشيئة، وكلا الوجهين واحدٌ مع البارئ أعنى بالمشيئة.فيبقى معنا خلا ذلك ناسوت المسيح الذي ليس هو معنا واحداً ولا مع اللاهوت. ولو كان الأول لكان الثاني وبالعكس، فبقى وحده منفرداً. فلتنظر أهل العقول المرتاضه وتحكم هل يصح ذلك.

ووجودها من الأمور المستحيلة سيما عند البشريّين لمعرفته السابقة بماهية ذاته وتغاير آرائه وعدم وحدانيتها، فما كان يليق بهذا المعلم (الذي لم يقل قولاً ويشرع قضية أو يبث حكماً إلا وقد أتمه بشخصه المسجود له) أن يضع نيراً على عواتق ورقاب المؤمنين ما لم يستطيعوا حمله، ويقدروا على السير بمقتضى حكمه. فمن قال هذا القول يلزمه أن يقول قولاً آخر وهو أن صلاة السيد من أجل وحدانية المؤمنين عبث لأنه إذا كان لم يقدر (وهو المعلم والشارع الذي ينبغي أن نحذو حذوه ونقتفي أثر خطواته مت ١٢ :٢٩). أن يجعل لاهوته مع ناسوته واحداً بالمشيئة، فبأية كيفية يدعو الآب أن يجعل ملايين من البشر واحداً لاسيما معه. أمراً لا يتم فعله ولا يتأتى وجود إمكانيته ما لم يتم بالشارع وصاحب الطريق والراعى الصالح الإلهي. فان لم يكن المسيح واحداً بالمشيئة فلا يكون المؤمنون واحدا بالمشيئة وليس العكس، وإن لم يكن المؤمنون واحداً بالمشيئة فقد تمزق النص أي مُمَزِق. لاسيما صلاة السيد التي من المحال أن تُرَد خائبة لا مستجابة.

الثاني:

إن السيد قد أوضح غاية الإيضاح بأنه واحد بالمشيئة بقوله:

- ✞ «لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يو ٦ : ٣٨).
- ✞ «طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ» (يو ٤ : ٣٤).
- ✞ «أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يو ٥ : ٣٠).
- ✞ «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الاِبْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ» (يو ٥ : ١٩).

فبقى إذاً جميع ما صنعه على الأرض بمشيئة واحدة لا بمشيئتين، وان كان للناسوت مشيئة مخصوصة، إلا إنها صارت واحدة مع اللاهوت، لأن السيد لم ينزل ليعمل مقاصد الناسوت.

الثالث:

إن العقل يسلّم غاية التسليم بأن الأدنى دائماً يكون تحت اختيار الأعلى، وهنا بالأخص كون الأعلى قد اختار الأدنى، فلا يصح أن يكون للأدنى فعل مغاير لفكر الأعلى، وحيثما ارتفعت المغايرة وقعت الوحدة فالمسيح مشيئتاه واحدة. والأخوة قد يعترفون بهذا الاعتراف باللفظ ولو أنكروه بالمعنى، قائلين بكتابهم المسمى بالإيمان الصحيح:

إن مشيئة الإنسانية لم تضاد أو تخالف قط المشيئة الإلهية القادرة على كل شئ، بل خضعت لها دائماً، لأنه كان يجب أن تتحرك مشيئة الجسد لكن بنوع أن تخضع للمشيئة الإلهية، كموجب رأي أثناسيوس الكلى الحكمة، لأنه كما أن جسده يُقال جسد الله الكلمة، وهو حقا، فهكذا مشيئة جسده الطبيعية تُقال خاصة لله الكلمة وهي حقا، والنتيجة أنه لا يصح أن يكون لله الكلمة مشئيتان، وقولهم الأغرب من هذا، ونحن نعلم أن كثيرين باقتناعهم من شهادات الإنجيل والآباء القديسين ومن القياس والبرهان (لست أعلم أي قياس وأي برهان)، يعتقدون حقا بمشيئتين في المسيح لكن بنوع أن الواحدة موافقة للأخرى، ولا يمكن القول بأنهما اثنتان بل (انظر) واحدة. فبالحقيقة الكنيسة الرومانية تقر وتعتقد أن هاتين المشيئتين هما متفقتان في المسيح كأنهما واحدة فقط. **فانظر يا صاح كيف أن الحق لا مناص للأخوة ولا مفر من الإقرار به.**

سؤال: إذا نظرنا السيد يعمل أعمالاً جسدية، فهل ننسبها للاهوته أم لناسوته؟

جواب:

إن النصوص الإلهية لم تميز وتفرق أفعالاً من أفعال، والسبب في ذلك هو كون الإله صار إنساناً بالحق، فسواء كانت أفعال جسدية أو إلهية، تنسب للكلمة المتجسد لكون «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً» (يو ١ : ١٤).

وحيث أن الكلمة صار جسداً، أو الإله صار إنساناً، فبالضرورة قد صارت كل الأفعال لمن صار إنساناً وجسداً، وهو الإله الكلمة. لأنه لم يصر الجسد لله الكلمة إلا وقد صارت أفعاله لله الكلمة المتجسد. **وهاك بعض النصوص الثابت صدقها:**

قال بولس الرسول:

✟ «الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلْبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ» (عب ٥ : ٧).

✟ «لاَ تَقُلْ فِي قَلْبِكَ مَنْ يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ؟ أَيْ لِيُحدِرَ الْمَسِيحَ، أَوْ مَنْ يَهْبِطُ إِلَى الْهَاوِيَةِ؟ أَيْ لِيُصْعِدَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ» (رو ١٠ : ٦ — ٧).

✟ «كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيحَ ... وَلاَ نُجَرِّبِ الْمَسِيحَ كَمَا جَرَّبَ أَيْضاً أُنَاسٌ مِنْهُمْ فَأَهْلَكَتْهُمُ الْحَيَّاتُ» (١كو ١٠ : ٤ — ٩).

وقول يهوذا (النسخة القبطية):

✟ «دُفْعَةً وَاحِدَةً أَنَّ يَسُوعَ خَلَّصَ شعبَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وفي الثانيَةِ أهْلَكَ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا» (يه ٥).

وقول يوحنا:

✟ «اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا» (١يو ١ : ١).

وقول السيد:

✞ «وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ» (يو ٣ : ١٣).

✞ «فَإِنْ رَأَيْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ صَاعِداً إِلَى حَيْثُ كَانَ أَوَّلاً» (يو ٦ : ٦٢).

✞ «أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتاً وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ» (رؤ ١ : ١٧ — ١٨).

✞ «لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ» (يو ٣ : ١٦).

وقوله حكاية عن غارس الكرم:

✞ «فَأَخِيراً أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ ابْنَهُ قَائِلاً: يَهَابُونَ ابْنِي!. وَأَمَّا الْكَرَّامُونَ فَلَمَّا رَأَوْا الابْنَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هَذَا هُوَ الْوَارِثُ. هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ وَنَأْخُذْ مِيرَاثَهُ!. فَأَخَذُوهُ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ» (مت ٢١ : ٣٧ — ٣٩).

وقول بطرس الرسول:

✞ «أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ. وَرَئِيسُ الْحَيَاةِ قَتَلْتُمُوهُ» (اع ٣ : ١٤ — ١٥)

وقول بولس الرسول أيضاً:

✞ «إِحْتَرِزُوا إِذاً لأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً لِتَرْعُوا كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ» (اع ٢٠ : ٢٨).

✞ «لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ» (١كو ٢ : ٨).

✞ «اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا» (تى ٢ : ١٣ — ١٤).

✞ «اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ» (رو ٨ : ٣٢).

✞ «الإِنْسَانُ الأَوَّلُ مِنَ الأَرْضِ تُرَابِيٌّ. الإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ» (١كو ١٥ : ٤٧).

فمثل هذه الآيات الربانية وغيرها الدالة على الاتحاد الكامل غاية الكمال ما بين اللاهوت والناسوت، والمبينة شرف الاتحاد وتأثيره بصيرورة فعل القديم للمُحدَث وفعل المُحدَث للقديم كما هو ظاهر مما تقدم آنفاً.

سؤال: إن كان الآباء المعتبرون اعترفوا بذلك، فقُص عليَّ بعضاً من أقوالهم؟

جواب:

إن كان النص الإلهي اعترف بذلك، وهو أحسن المعترفين فما حاجتنا إلى شهادة آخر، هيهات إن قبل المعترض صدق قوله وسلم بحقيقة شهادته، ومع ذلك نذكر لك أقوال المشتهرين في البيعة.

قال القديس أثناسيوس الرسولي: [١]

"هذا الواحد الإله، هو ابن الله بالروح وهو ابن الإنسان بالجسد، ليس بأن الابن الواحد طبيعتان إحداهما مسجود لها والأخرى غير مسجود لها، بل طبيعة واحدة لكلمة الله المتجسد، الذي يُسجد له مع جسده سجوداً واحداً".

وقال القديس كيرلس الإسكندري: [٢]

"لأننا نحن نقرن الطبيعتين بالاتحاد، ونعترف بمسيح واحد وابن واحد ورب واحد، أخيراً نقول طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد [٣]، وقال فإذ قد ثبت الاتحاد فلا تفترق الأشياء المتحدة من بعضها البعض، بل يكون المسيح واحداً، وطبيعته واحدة، بما أنها طبيعة الكلمة المتجسد".

---

(١) Athanasius I أثناسيوس الرسولي وهو حامي الإيمان والبابا ٢٠ من باباوات الإسكندرية (٣٢٨ – ٣٧٣م) (الناشر).

(٢) Cyril I كيرلس الأول وهو عمود الدين والبابا ٢٤ من باباوات الإسكندرية (٤١٢ – ٤٤٤م) (الناشر).

(٣) لقد لخَّص القديس كيرلس عقيدة الطبيعة الواحدة في جملة لاهوتية في منتهي الأهمية وهي:

(μι'α φυ'σις του θεου λο'γου σεσαρκωμε'νη ــ ميا فيزيس توثيئو لوغو سيساركومينى) والتي تعنى (طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد) (الناشر).



"المسيح إله بالحقيقة، وابن واحد بالطبيعة".

وقال أيضاً في إحدى رسائله:

"أنا لا أقدر أن أفرق ما قد صار واحداً، وهو يغنى عن الطبائع".

وقوله بمواضع شتى:

"الجسد الذي جعله معه واحداً".

وقال أبوليدس [1] بابا روما في رسالته التي أنفذها إلى ديونوسيوس بطريرك الإسكندرية: [2]

"ليس للجسد طبيعة مفروزة في ناحية منفردة في التجسد، بل مثل الإنسان الذي هو طبيعة واحدة، كذلك المسيح الذي صار بشبه البشر، فإذا كانوا لا يعرفون الواحد بالاتحاد، فقد يمكنهم أيضاً أن يقسموا الواحد إلى كثير، ويقولوا طبائع كثيرة، لأن الجسد مجموع من أشكال كثيرة من عظام وعروق ولحم وجلد وأظافر وشعر ودم وروح، وهذا كله بالحقيقة طبيعة واحدة، واللاهوت والجسد هما واحد لا ينقسم إلى طبيعتين"

وقال أيضاً:

"فبالضرورة يلزم الذين يعتقدون بطبيعتين أن يسجدوا للواحدة ولا يسجدوا للأخرى".

(١) Hippolytus يعرف أيضاً باسم هيبوليتوس(٢١٧-٢٣٦) (الناشر).

(٢) Dionysius ديونوسيوس الأول وهو البابا ١٤ من باباوات الإسكندرية (٢٤٦ - ٢٦٤م) (الناشر).

وقال القديس غريغوريوس [١] أخو القديس باسيليوس [٢] في مقالة له على معمودية يسوع، شارحا (هذا هو ابني) فمنها قال:

"إذا رأيت ابني قد جاع أو عطش أو نام أو مشى أو تعب ...الخ ، فلا تحسب ذلك لجسده دون لاهوته، وإذا رأيت ابني يشفي المرضى ويطهر البرص بالقول ويصنع أعيناً من طين .. الخ فلا تحسب ذلك للاهوته دون ناسوته"، وقال أيضاً: "فلا تظن أن الأفعال العالية لواحد والمتواضعة لآخر".

وقال البابا أنوريوس:

"إننا نعتقد أن في سيدنا يسوع المسيح مشيئة [٣] واحدة" وهذا الأب يُحسب لدى الكاثوليك هرطوقياً لكونه وافق اعتقاد البيعة المستقيم.



---

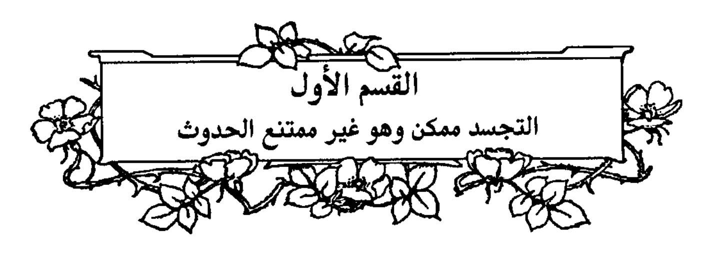
(١) هو أسقف نيصص (٣٧٣- ٣٩٥م) (الناشر).

(٢) رئيس أساقفة الكبادوك وأخو القديس غريغوريوس أسقف نيصص والقديس بطرس أسقف سبسطية والقديسة ماكرينا، وصاحب القداس الباسيلي المشهور (٣٧٠-٣٧٩م) (الناشر).

(٣) إن الطائفة المارونية كانت تعتقد بالمشيئة الواحدة واستمرت على هذه الحالة كما ذكرت تواريخ البيعة الى سنة ١١٨٢م، انظر كتاب ريتشارد سمعان في تاريخ مسيحي الشرق فصل ١٣ صفحة ١٤٦، وسرجيوس بطريرك القسطنطينية علّم بالمشيئة الواحدة والإرادة الواحدة والفعل الواحد، وسنة ٦٣٩م نشر (اكشيسيسا) أى دستور إيمان وبعده (برّوس) الذي تخلف عنه وثبّت تعليم المشيئة الواحدة في مجمع القسطنطينية سنة م٦٣٨ على يد هؤلاء الأفاضل، وأنوريوس البابا الرومانى لكونه علم بالمشيئة الواحدة شُجِب في مجمع القسطنطينية السادس والسابع والثامن وفي مجمع (ترولو) وشجبه أيضاً خلفائه أغاثوليون الثاني وهدريانوس .. الخ.

مقالة على التجسد
مسهبة وفيها خمسة أقسام

«لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ» (غل ٤ : ٤)



القسم الأول
التجسد ممكن وهو غير ممتنع الحدوث

إن الله الخالق الأبدي الأزلي الرحوم القادر على كل شئ المعتنى بكل شئ، لما خلق الطبيعة البشرية حرة في ذاتها، متصرفة في سيرها كيفما أرادت وشاءت، لها القدرة على العمل الخيري أو تركه، بسلطة على ذاتها خالية من استعباد غيرها.

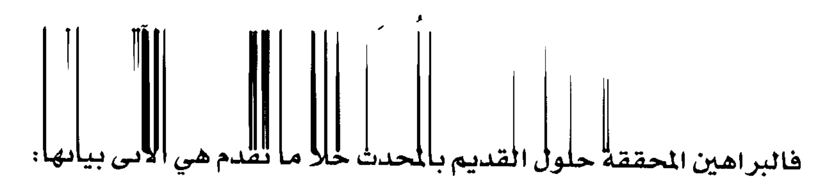
فهذه الإنعام حصلت عليها بخلقة البارئ وإيجاده لها من العدم إلى حيز الوجود، وتمتعها بحرية ذاتها وسكناها مستظلة تحت ستر حماية البارئ في نعيم نضير، متمتعة بفرح لا يشوبه حزن ولا كدر، مغتبطة بسعادة، حائزة كمالاً بذاتها أفضل من كافة المخلوقات.

والبارئ ذو الجود والفضل والإنعام والكرم والامتنان قد زاد الطبيعة جوداً فوق جود، فلم يكتفِ أنه أوجدها من العدم إلى حيز الوجود، متفضلاً على ذاتها بتلك النفس المدبرة لها العاقلة الحارسة لها، بل قد زادها سلطته وسؤددا على كافة مخلوقاته، جاعلاً إياها **خاضعة لآدم الإنسان الأول**، مدبراً لها كيف شاء واختار. فهذا وجه إنعام على أبوينا الأولين. غير أنهما لم يحافظا

على سعادتهما، حالة كونهما لهما الاقتدار والعظمة والانتصار على محاربه أضدادهما والغلبة عليهم، مع أن المحاربين لهما خالون من آلات الحرب، لا يمتلكون شرع الأسنة ورمى النبال. سوى تخيلات لا حقيقة لها، ولا قدرة لها ولا قوة أمام هذين البطلين المؤتزرين بسؤدد السلطة، ودرع الحرية وخوذة السعادة، تحت ستر منيع، أي القوى العقلية المدبرة لسفينتهما، المحافظة لهما من العواصف الغوائية، واضطراب الأمواج السامة القاتلة. فهذان البطلان عندما قام عليهما حرب العدى بعض القيام تركا ما بأيديهما من الأسلحة الباترة والسيوف الحادة الشاطرة وركضا مسلّمين ذاتهما تحت اختيارهما، فأخذتهما العدى وتصرفت بهما أشر تصرف، فهتكتهما وفضحتهما أشر فضيحة وأقبح هتكه. فغدت الطبيعة مستأسرة تحت حكم الخطية والموت، متمرغة بحمأة المآثم والرزايا والذنوب والخطايا، فنزلت بها النوازل ولحقتها البلايا، وصارت أضحوكة لأعدائها وباغضي خيرها وسعادتها، عرضة لمخاطر الهلاك، وعبودية أسر الموت الأبدي، وزيادة على ذلك لم يكف أنها باختيارها قد أوجدت الفساد بذاتها، وتراكمت عليها الأهواء العالمية من كل جانب وصارت تحت قبضة العدو والمحتال، وسُلِبت منها السلطة الذاتية والحرية الأصلية. بل قد زادها شراً فوق شر وهو اغتياظ البارئ عليها وإبعادها عنه مسافة هذا عظم مقدارها، فترتبت عداوة وأي عداوة ما بين البارئ والإنسان، وهذه العداوة لم تقتصر على خطية آدم بل قد ازدادت ونمت أكثر فأكثر، وسبب ذلك كون الطبيعة البشرية المطبوعة على معرفة البارئ واستعلان معرفته لها بأنواع شتى وأمور مختلفة (اع ١٤ : ١٧). لأنها وإذ هي مفطورة على هذه المعرفة، معرفة بارئها وخالقها لم تمجده وتعطيه ما يجب عليها قياماً بحق الإله. بل قد حمقت وأظلم قلبها وأبدلت مجد الله الذي لا يفنى باتخاذها معبودات صنعة الأيدي وأغاظت بارئها بعبادتها المخلوقات دون الخالق المبارك إلى أبد الآبدين (رو ١ : ٢١ — ٢٥).

وحيث أن جرح الخطية ونكالها قد أبعد الطبيعة من نعمة الله مقداراً يفوق التحديد حيث أضحت مستحقة لإفسادها وتلطخها بالدنس وعدم شرف قداستها، وطهارتها الأولى، بل عذاباً دائماً بل مكابدة نار لا تطفأ ودود لا ينام ولا يهدأ. ولكن بمقدار ما أن الله عادل منتقم من الرذيلة، مثيب أصحاب الفضيلة، بمقدار أيضاً ما أنه رحوم منعم جزيل الجود، معم الصلات والعطايا والهبات على خلقه أجمع. فلما نظر أن الطبيعة قاصرة عن الوفاء، وتحرير ذاتها من عبودية الموت والخطية واستخلاصها من قبضة يد المحتال إذ صارت مُباعة بثمن بخس، ودخلت تحت ظلال الموت باختيارها لمحبتها في المجد الباطل، وطمع الرفعة على القدوس. نظر أن يعم بجوده عليها ويرشدها إلى منهج الاستقامة، فأرسل الأنبياء، لذكرهم السلام، فحثوا الناس على العبادة لله وترك المعبودات المضمحلة، فما أطاعهم إلا نفر قليل، والذين أطاعوهم وهم ما أمكنهم أن يبرروا ذواتهم من تلك الجريرة الجدية، لأنهم لم يعملوا براً يفي عن تلك الهفوة وذاك الاستعباد، فالأنبياء ما أمكنهم أن يشفعوا أو يفوا عن الطبيعة لأنهم قاصرون لاستعبادهم ووقوعهم تحت الموت وسلطة العدو.

فصار الأمر واقفاً لاحتياج تجديد الطبيعة التي فسدت، وتجديدها صار متوقفاً على مبدع الطبيعة ليجددها مرة ثانية، وإذ هو قادر أن يفكها من يد المحال بأقرب وقت غير أنه شاء أن يكون للطبيعة فضل، وهذا الفضل لا يتأتى إلا من قِبَل كدها ومصارعتها والجهاد مع أعدائها الثلاثة الذين هم الجسد والعالم والشيطان (مت ١٠ : ٣٦ ، يو ١٦ : ٣٣ ، ١بط ٥ : ٨) فنزل الخالق، وصار ابن بشر وعلّم البشريين بقوله وعمله، وبهذا الأسلوب قد صار الخلاص، وانفتح باب الحياة، وانهدم سياج العداوة، وانغلب الموت وانتصر الإنسان عليه.



فالبراهين المحققة حلول القديم بالمحدث خلا ما تقدم هي الآتي بيانها:

الأول:

إن الله منبع الجود [1] والإنعام وكنز الهبات والامتنان، ومن اتصف بهذه الصفات التي لا يوصف بها غيره ينبغي له أن **لا يبخل** على مخلوقاته، بل يمن عليها بأفضل ما عنده من الجود والإنعام، وأفضل ما عنده من الجود والإنعام، **ذاته نفسها**، فيمكن أن يمن على مخلوقاته باتصال ذاته بها والسير معها. بل وجوده يقتضى أن يمن بذاته، لأنه لو بخل بعدم المنه بذاته لِمَا سُمِّى **جواداً ولا منبع النعم**، ولو لم يكن اتصال القديم بالمُحدَث من الأمر الممكن، لوجب القول بنقض ما تقدم. أي أن يكون الله إما غير قادر على منح أجزل المواهب وأفضلها لخلقه. أو أنه قادر على ذلك غير أنه لا يشاء منح أعظم المواهب لخلقه، وهذان القسمان كلاهما من المحال. لأنه إن كان غير قادر على الجود بأفضل ما عنده وهو يريد ذلك فيبقى ليس بإله. وإن كان قادراً وهو لا يشاء، أعنى يبخل، فأين حقيقة كونه جواداً، وعلة كل جود.

فلما تبين بطلان هذين القسمين، كان حلول القديم بالمُحدَث، من الأمر الممكن.

الثاني:

إن النفس الناطقة العاقلة البسيطة عارفه ذاتها، ومعلومة من ذاتها، وبهذه الصفات قد تقتنى نسباً ما، ودالة في طبعها مع الكيان الإلهي بمقدار عظيم يفوق وصفه، وكل من كان قريباً، وله الدالة، والنسب الطبيعي مع البارئ، فليس بممتنع اتصال البارئ به، واتصاله بالبارئ. لأنه قد ظهر مما تقدم

(١) إنه من المسلم بالبديهة أن أفضل (قياساً) الجايدين هو الجايد بأفضل الذوات، والبارئ أفضل الجايدين، أنتج ذلك أن البارئ يجود بأفضل الذوات، وإذا أضيف إلى هذه النتيجة ما هو آت، وهو أن ذات البارئ أفضل الذوات، وأفضل الذوات يجود بها البارئ، أنتج ذلك أن ذات البارئ يجود بها البارئ.

أن البارئ ليس بضد النفس المخلوقة على شبهه ومثاله، وإذا كان ليس بضد لها فيمكن اتصاله بها. **وقد قال أحد أئمة البيعة الكرام:** "إن البارئ اتحد بالنفس المتحدة بالجسد، وبواسطة اتحاده بالنفس اتحد بالجسد المتحدة به النفس".

الثالث:

إن كل واحد من الثلاثة الأقانيم له القدرة على كل شئ، ونحن فقد تقرر لدينا سابقاً أن الاتحاد هو أمر غير ممتنع الحدوث، فيمكن لأحد الأقانيم أن يتحد بأحد المُحدَثين واعلم أن الأمور التي لا يليق على الله حملها، بل ولا يقدر أن يعملها، وذلك ليس بالنسبة لقدرته، بل لعدم قبولها وعدم أهليتها هي:

الأول:

أنه لا يقدر أن يخلق العالم منذ الأزل، وليس ذلك بالنسبة لعجزه وعدم اقتداره، بل لعدم أهلية العالم.

الثاني:

لا يقدر أن يصنع حلقة مستديرة ومربعة، أو أن يوجد النور والظلمة معا، أو أن يجعل خطاً مستقيماً ومعوجاً معاً لوجود السلب والإيجاب، والنفي والإثبات.

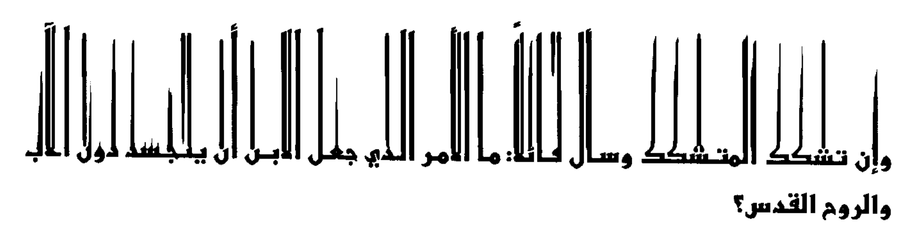
الثالث:

أن لا يقدر على خلقة أحد مثله، أي أن يخلق إلهاً مساوياً له.

الرابع:

أنه لا يقدر أن يخلق شيئاً يكون في طبعه شرٌ، أو يكون خالياً من الصلاح، أو يكون شره غالبا على خيره.

وإذا كان الاتحاد ليس من هذه الأقسام، فليس هو غير ممكن أن يتطرق على الله فعله.



وإن تشكك المتشكك وسأل قائلاً: ما الأمر الذي جعل الابن أن يتجسد دون الآب والروح القدس؟

فنجيب:

أنه كان موافقاً وملائماً أن يتجسد الأقنوم الثاني من الثالوث دون غيره من عدة أوجه:

الأول: لما كان الله خلق بالابن كل شئ كقول الوحي الإلهي (ام ٨ : ٣٠ ، يو ١ : ٣) فلاق بمن «فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ» (كو ١ : ١٦) «وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ» (كو ١ : ١٨) «أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ بِالآلاَمِ» (عب ٢ : ١٠).

الثاني: كان لائقاً أن يتجسد الابن دون الأقنومين الآخرين، لَلَبَث كل أقنوم على ما له من خاصية، فلا يكون الآب ابناً، ولا الروح القدس ابناً، لئلا يحصل للخواص الجوهرية تغيير أو تبديل وهي غير قابلة ذلك.

فلزم الولادة لمن له خاصية الولادة، وهو الابن المولود من الآب منذ الأزل، وبهذا بقيت الأقانيم على نظام دون تشويش.

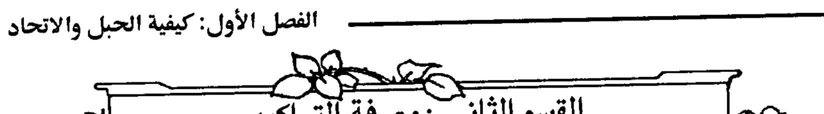
الثالث: أن الإنسان خُلِق على صورة الله، وقد اختبطت هذه الصورة بمرض اعتراها من قِبَل الخطية، فلاق أن تُصلَّح صورة الله، أعنى الطبيعة البشرية بمن هو صورة الله أعنى الابن (كو ١ : ١٥، عب ١ : ٣). ثم أن آدم الإنسان الأول أدعى بالخطية أن يتشبه بخالقه ومبدعه، كما قالت الحية للمرأة، فتشبه صورة الله بالإنسان ليمحو بتواضعه عجرفة آدم.

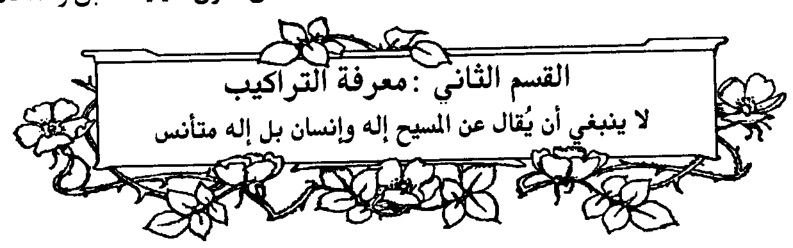
وقد أجمع في إصلاح الإنسان الثلاثة أقانيم:

❖ فالآب عاقبه. ❖ والابن قدم الوفاء عنه. ❖ والروح القدس غفر له.

واعلم أن التجسد فعل الثلاثة أقانيم، والقابل لذلك الأقنوم الثاني أعنى الابن.







القسم الثاني : معرفة التراكيب

لا ينبغي أن يُقال عن المسيح إله وإنسان بل إله متأنس

اعلم أن الجنس عند المناطقه عبارة عن الكثيف، والفصل عبارة عن اللطيف. والتراكيب منحصرة في ثلاثة أنواع، غير خارجه عن مدار قاطبتها: فإما أن تكون من جنسين أو من فصلين أو من فصل وجنس، ولا تتعدى ذلك،

الأول: فالمركب من جنسين:

قد يقبل في حالة تركيبه الامتزاج والاختلاط، واعلم أن الفرق ما بين هذين هو أن:

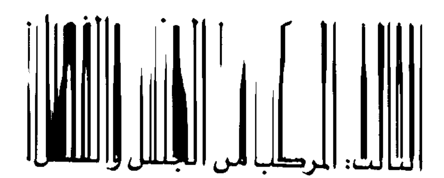
١. **الامتزاج:** عبارة عن التفاسد والتغيير والاستحالة، ولا يمكن افتراق أجزائه كامتزاج المشروبات، والمعادن، وذلك لقيام ماهية غير كل واحد منهما.

٢. **الاختلاط:** فلا يقبل التفاسد والتغيير والاستحالة، وقد يمكن افتراق أجزائه أو لا يمكن لبقاء ماهية كل واحد منها على حالها:

- فالممكن افتراق أجزائه: كاختلاط القمح مع الشعير.
- والغير ممكن: كاختلاط دقيقهما مع بعض.

الثاني: المركب من فصلين:

هو كتركيب الأصوات، والألحان، والنفوس مع بعض، وهو يقبل التفاسد والتغيير والابتدال من نوع الامتزاج، لقيام ماهية أخرى غير ماهية كل واحد منها.



وهو كاتصال النفوس الناطقة بأجسادها والنار بالفولاذ، واتصال الروح بالجسم وهذا النوع يسميه علماء الدين اتحاداً، لكونه لا يقبل في ماهياته التغيير ولا الاستحالة ولا الامتزاج ولا الاختلاط ولا الفساد.

فالنفس اتحدت بالجسم اتحاداً ذاتياً، ولأنها لطيفة، ومن شرط اللطيف خرق الكثيف وليس العكس، فأثرت النفس في الجسد، وهي لم تتأثر منها كما هو مشاهَد. **فإن النفس لو استحالت إلى حيث الجسم:**

- لعدم منها النطق والعقل، وباقي الأفعال المختصة بها.
- وبقت مثل الحيوان.
- وكانت تهلك عند الموت وتصير تراباً.

ولو أن الجسم تحول إلى نفس:

- لكان لا يحتاج أكلاً ولا شرباً.

فكل منهما حفظ ما يخصه بالاتحاد الذاتي، غير أن النفس لما اتحدت بالجسم أوصلت ما لها من الحياة، وشرفته عن طبع الحيوان بالعقل والنطق.

فقام هذا الإنسان من جوهرين: جوهر حيواني أرضي وجوهر سمائي روحي، وبتركيب الاتحاد الذاتي الجوهرى الطبيعي المنزه عما سبق فيما يلحق تركيب الجنسين صار الاثنان كياناً واحداً، وجوهراً واحداً، وطبعاً واحداً، وذاتاً واحدة.

واعلم أنه مهما وقع من الحوادث والأفعال بجزء من هذا الكيان الواحد المركب من جزئين، ينسب لكليته، مع أن بعض الأفعال لا تقع إلا بالنفس، وغيرها لا تقع إلا بالجسم. أو على الإطلاق بجزء واحد من تلك الأجزاء المُؤلَّف منها الجسم، كاليد والرِجل والرأس والعين وتتمة ذلك.

غير أنه لما كان مركباً وقائماً (حالة كونه كياناً واحداً) من تلك الأجزاء المتحدة اتحاداً ذاتياً طبيعياً أقنومياً جوهرياً، فمهما نال أحد أجزائه من الأمور ينسب للأجزاء الأخرى. **كقولنا**: بطرس قائم أو آكل أو معلم أو مهندس أو أعمى أو أخرس، وهذا الأمر حقيقي وعليه التعويل ومدار الصدق. [1]

فظهر مما تقدم أن كل مركب من جنس وفصل، لا يقبل التفاسد في ماهيته ولعدم التفاسد سُمِّي ذلك اتحاداً. ولا يمكن أن يُقال للشيئين المتحدين اثنين، أو واحد وآخر. **والدليل على ذلك** هو إن كان الشيئان **متناسبين ومتساويين في الجنسية والنوعية** وكانا من جنس واحد ونوع واحد فلا يصح أن تطلق عليهما التثنية إلا في حال بقاء كل واحد منهما على حاله، مثلاً: كرجلين، ورجل ورجل، ودينارين، ودينار ودينار، ودرهمين، ودرهم ودرهم. فإن امتزجا بالتركيب: فسدا، وبطلت منهما التثنية وصارا واحداً.

وإن كانا لم يتساويا في الجنسية والنوعية، كذهب وفضة، فلا تطلق عليهما التثنية أيضاً في حال بقاء كل واحد منهما على حاله، بل يُقال: ذهب وفضة، دينار ودرهم، وإن امتزجا بالتركيب بطلت منهما التثنية وصارا واحداً.

وإن كانا من لطيف وكثيف: كحيوان ونطق، وروح وجسم، ونار وحديد وكانا مفترقين، لم يجوز إطلاق التثنية عليهما، لعدم مساواتهما كالدينارين والدرهمين والرجلين بل يقال لهما لطيف وكثيف، **حيوان ونطق، روح وبدن، نار وحديد**، وإن تركبا بالاتحاد بطلت منهما التثنية، فلا يُقال لهما حيوان ونطق، جسم وروح، حديد ونار، بل يُقال لهما **حيوان ناطق وجسم حساس، وحديد حام.**

ولما لم نجد مثالا أعظم وأفضل من هذا تقريباً لاتحاد لطافة الكلمة بكثافة ناسوته القائم من نفس ناطقة عاقلة، وجسم كثيف عليه مدار كلامنا ومحور

---

(١) وبناءً عليه قولنا إن مريم والدة الله، فلسنا نغلط وإن قلنا أن الله مات عن البشر والخالق مات لتحيا الخليقة فلسنا نغلط، لأن الموت والولادة وقعا على الجسد، والجسد جسد الله، فكل ما يقع به يُنسب لله.

برهاننا وعلى منهجه نسير، سيما أن الآباء جعلوه رأس كلامهم، في هذا الأمر، وسدوا به أفواه الهراطقة **كأثناسيوس الرسولي والقديس كيرلس وغريغوريوس اللاهوتي وأبوليدس بابا روما وغيرهم.**

فهكذا الأمر في حال اتحاد لاهوت الكلمة بناسوته، قام الاثنان شيئاً واحداً وكياناً واحداً وذاتاً واحدة، طبقاً للاتحاد الطبيعي الذاتي الأقنومي، فلهذا لا نقول إن المسيح اثنان أي إله وإنسان أو لاهوت وناسوت بل نقول إن المسيح إله متأنس. لأنه كما دلتنا البراهين العقلية أنه لا يمكن إطلاق القول على اتحاد اللطيف بالكثيف، حيوان ونطق، جسم وروح، حديد ونار، كذلك لا نقول إن المسيح اثنان، أو إله وإنسان أو لاهوت وناسوت، إذ لا يمكن أن نسمى ذوات المسيح المتحدة اتحاداً ذاتياً، فطبقاً للعقل أن المسيح واحد وليس بمثنى الذوات **كزعم لاون القائل:** "وحقاً يأتي المسيح وهما اثنان، إله وإنسان، والواحد من المذكورين (الاثنين) يُبهر بالعجائب والآخر ملقَى للشتائم" (لاحظ كتاب أعمال مجمع خلقيدونية طبعة الكاثوليك)

وأما من جهة برهان النقل، فالنص الإلهي لا يقبل ثنائية المسيح بل وزيادة على ذلك يشهد بكونه واحداً. والآب شهد مرتين بكون الابن المتجسد واحداً، بقوله هذا هو ابني، ومحال أن يطلق لفظ هذا أو هو على ذاتين أو شيئين بل بعكس ذلك على واحد مخصوص منفرد بالذات منظور.

واسمع شهادة يوحنا الصابغ يهتف قائلاً:

✠ «هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: إِنَّ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي صَارَ قُدَّامِي لأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي» (يو ١ : ١٥).

فأثبت بقوله [هذا] أن الابن الأزلي هو الزمني وليس غيره، دالاً على حقيقة الاتحاد الكامل غاية الكمال، ونحن نسأل الأخ المعترض بكل رفق ولين

قائلين: هل الذي أتى بعد يوحنا هو الذي كان قبله أم آخر غيره؟ فلم يمكنه أن يجيب إلا هو وليس غيره، **كقول الرسول:**

✠ «نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضاً فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ» (أف ٤ : ١٠).

وإن كان هو وليس غيره، فهو واحد لا اثنان، **كما قد شهد الإنجيل:**

✠ «اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ» (يو ١ : ١٨).

✠ «هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ» (يو ٣ : ١٦).

✠ «اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ» (يو ٣ : ١٨).

وقال الرسول:

✠ «لَكِنْ لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ» (١كو ٨ : ٦).

✠ «لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ فَبِالأَوْلَى كَثِيراً الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رو ٥ : ١٧).

فقد تبين أن المسيح واحد أعنى إلهاً متأنساً وليس اثنين أعنى إلهاً وإنساناً، وإن كان إلهاً وإنساناً، والإله مختص بعمل والإنسان مختص بعمل آخر، واحد يعمل العجائب والآيات، وآخر يحتمل المساخر والإهانات، فبمقتضى ذلك يكون المسيح مُجزءاً من كل جهة ووجهة:

❖ أعنى الإله ابن الله الآب بالطبع، وابن مريم بالنعمة.

❖ والإنسان ابن الله بالنعمة، وابن مريم بالطبع.

❖ ابن الله مولود منه أزلياً.

❖ وابن مريم مولود منها زمنياً.

فيكون مريم لها ابنان أحدهما أزلي بالنعمة أعنى إله، والثاني زمني بالطبع، أعنى الإنسان لكونهما اثنين، فيكون لا فرق بيننا وبين إنسان المسيح لأننا نحن أيضاً أولاد الله، **كقول الإنجيلي:**

- «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ» (يو ١ : ١٢).
- «كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ» (١يو ٥ : ١).
- «انْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ!» (١يو ٣ : ١).

ولا فرق بين أن نقول بالاتحاد أو بعدمه، لأن لفظ الاتحاد صار لفظاً ساذجاً لا معنى له، لأنهما لم يزالا اثنين من بعد الاتحاد. فهذا هو الاعتقاد الذي نَفَر منه جميع الآباء في المجمع الثالث الأفسسي والبابا **كيرلس البطريرك** ذو الذكر الحميد، كما هتف في حرمه الخامس والثالث.

قائلاً في الخامس:

"من تجاسر وقال إن المسيح الذي يستعمل السلطان الإلهي أنه هو إنسان ساذج، وليس بأحسن يقول إنه هو إله بالحقيقة، وابن واحد بالطبيعة، الذي كالاتحاد الأقنومى اشترك معنا في اللحم والدم، لكون الكلمة صار جسداً، فليكن محروماً".

وقال في الثالث:

"من فرق من بعد الاتحاد المسيح الواحد إلى أقنومين، وطابقهما في بعضهما بعض بالمصاحبة فقط أم بالعظمة أم بالقدرة أم بالسلطان وليس بأحسن يوحدهما بوحدانية طبيعية، فليكن محروماً"

فأثبت بأقواله هذه أن المسيح طبيعة واحدة بمقتضى الاتحاد الأقنومى، وأنه أقنوم واحد بمقتضى الاتحاد الطبيعي، فحينئذ يرجع لرأي النص الإلهي كون الله صار إنساناً بالحق وأن:

- «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً» (يو ١ : ١٤) (وليس مع الجسد).
- «فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: قَدْ رَأَيْتَهُ وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ» (يو ٩ : ٣٧).
- «اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا» (١يو ١ : ١).

فحينئذ تسلم السريرة وينتفي الباطل ويثبت الحق. كون المعبود واحداً، ذاتاً واحدة، إلهاً متأنساً كما شهد العقل والنقل.







القسم الثالث
المسيح واحد بالجوهر لا بالعَرَض

قلنا فيما مر سابقاً أن المسيح جوهر من جوهرين، وبالتالي فأقنوم من أقنومين، كما شهد البابا كيرلس في الحرم الثالث لنسطور ولتقرير ثبوت أقنومية المسيح من جهة الناسوت نقدم لك برهاناً، اعلم كما عرفنا فيما مر أن الجوهر قد ينقسم إلى قسمين: جوهر عمومي وجوهر خصوصي، فجوهر المسيح الإلهي خصوصي لا عمومي، وإلا فيكون الاتحاد طرأ على الثالوث القدوس وذلك مرفوض عند عموم وخصوص المسيحيين على حد سواء، لأنه حيث كان الجوهر، كان إما خصوصياً أو عمومياً.

فإن كان خصوصياً: كان ذا أقنوم واحد، فهذا هو اعتقاد عموم المسيحيين، أن المسيح جوهره الإلهي خاص (أقنوم واحد) وليس بعام (أقانيم كثيرة).

فإذ قد ثبت بالبرهان المُسلَّم أن جوهر المسيح خصوصي هو أقنوم أي الابن الأزلي، علينا أن ننظر من جهة أخرى بفكرة صافية وقريحة شافية، ونظر خال من التعصب والأغراض الجسدية، ليت شعرى فما نحن وكافة فرق المسيحيين نقر معترفين أن جوهر المسيح الناسوتى كامل غاية الكمال، ولا ينقصه شئ من كل ما يتصوره الإنسان مما للبشر ما خلا الخطية، ونحن نتصور بفكرة رائقة أن غاية كمال جوهر المسيح الناسوتى هي أن يكون ذا جسم كثيف متحرك ونفس عاقلة ناطقة مما للبشر.

نقول أيضاً كما سبق إن الجوهر يكون على نوعين: إما أن يكون جوهراً خصوصياً أو جوهراً عمومياً، فعلى المعترض أن يجيب أي جوهر كان

جوهر الإله المتأنس، لأنه لا يخرج عن هذين الحدين، إذ لا غيرهما، فإن قال إن جوهره الإنساني جوهر عام أنكرنا ذلك عليه وأثبتنا هرطقته باعترافه بأن المسيح لم يتحد بأحد البشريين بل بكافة البشريين بطبيعة الإنسان العمومية، وطبيعة الإنسان العمومية تدخل تحتها طبيعة الحيوان فمن ذلك يكون الاتحاد وقع بالجنس وبجنس الجنس وذلك من المحال، إذ لم يقله أحد من المسيحيين على الإطلاق، كما أنه لا يقول إن الاتحاد طرأ على الأقانيم الثلاثة، فإذ لم نقدر أن نقول إن جوهر المسيح الناسوتي جوهر عمومي لدخول اعتقاد المحال، والعقل والنقل لا يُسلّمان به أيضاً، قلنا فبواجب الضرورة يكون جوهره الناسوتي الذي جعله معه واحداً جوهراً خصوصياً، والبرهان يضطر السامع إلى القبول، والخصم يُسلّم به ضرورة لسبب الموانع الحاصلة، فيكون بيان البرهان وحقيقته أن **المسيح قام من جوهرين بأقنومين: جوهر الإله بخاصة البنوة، وجوهر الإنسان بخاصة الفرد،** لأنه من حيث سلّمت أن الجوهر بخاصة سلّمت بالأقنوم أيضاً، **فعلى كل الجهتين:** إما أن يكون جوهرا المسيح عموميين أو خصوصيين، والأول يرفض قبوله والثاني هو المختار لدى الجميع.

فالنتيجة إن قلنا إن في المسيح جوهرين فلا نعفي ولا مناص لنا من أن نقول بأقنومين له أيضاً وهذه الحقيقة لم ينكرها البابا كيرلس البطريرك الإسكندري، بل أوضحها بألفاظ لا تؤوّل ولا تُفسّر بمعنى آخر، ظاهره باهرة في الحرم الثالث، وبعد فأضاف أن عوضاً عن الاعتراف بافتراق الأقنومين يجب أن يُوحدا بالوحدة الطبيعية، فالبابا كيرلس يعترف صريحاً أن له أقنومين غير أنهما باتحادهما بالاتحاد الطبيعي صارا واحداً، **والمعترض يعترف بخلاف اعترافه قائلاً: إن المسيح أقنوم واحد**، وليته يقف عند ذلك بل يضيف أن هذا الأقنوم الموجود في المسيح أقنوم لاهوتي لا ناسوتي. فيجرد الناسوت من الأقنوم،

زاعماً أن الناسوت تأقنم بالأقنوم اللاهوتي [١] (خرافة لم يسبق لها الآباء بذكر) وذلك خوفاً لئلا يجعل معبوده أربعة أقانيم، مع أن اعتقاده يضطره أن يعترف بالرابوع [٢] كما يتضح من البراهين والأقيسة. فمن قال هذا القول وقع تحت الارتباك الذي لا مزيد عليه.

إن قال إن هذا الأقنوم قام من الأقنومين، يضطر بالاعتراف أنه أيضاً ذو جوهر قام من الجوهرين، وإن قال بالأقنومين والجوهرين وقع تحت خطر عظيم ولحقه حرم البابا كيرلس. وقد أجمع علماء الكنيسة غرباً وشرقاً على اعتبار أمانة البابا كيرلس دون نسطور ومن تبعه، فلهذا السبب جرد الإنسان من الأقنومية بدون داع يوجب ويحقق عدم أقنوميته، لأن المعترض لا ينفك من اعترافه بكمالية الجوهر الناسوتى، وبعد ذلك باعترافه هذا يوجب النقض فيه، بالمعترف بالإيمان الصحيح الأرثوذكسي، لعمري كيف يقبل مثل هذا الاعتقاد الغير مبنى على منهج حقيقي ونمط مستقيم، لأنه لا يصح أن يكون هذا الجوهر كاملاً وناقصاً، فمن حيث اعتراف البيعة، لا قدرة للمؤمن أن ينكر كمالية الجوهر، ومن حيث اعترافه وإيمانه فيجعله ناقصاً، فالكامل غير الناقص، والناقص غير الكامل وهذا ضد ذاك، وليت الأضداد تجتمع فنسلم للمؤمن بهذه البدعة، لأن النقيض بعيد عن نقيضه كاجتماع النور والظلام، والأعوج والمستقيم، والحلو والمر، وما شابه ذلك.

---

(١) ثم أن صاحب كتاب الايمان الصحيح غب أن قرر كمالية الإنسان بجميع ما يختص به، نقض هذا الاعتراف الحسن وأردف قائلاً: "ولهذا قد اتخذ الإله الكلمة الطبيعة الإنسانية الكاملة، من جهة الطبيعة إلا أنها ليست كاملة من جهة الاقنوم، لأنه قد أخذها وهي عادمة الأقنومية البشرية، والضرورة قد كانت تقتضى أن تتكمل من هذه الجهة بالأقنوم الإلهي وتقوم به، وإلا فلو كانت كاملة من حيث الأقنوم الإنسانى، ما قام من اتحادهما مع الإله الكلمة أقنوم واحد بل أقنومان، أى أقنوم إلهي وأقنوم إنسانى وهذه بدعة نسطور المرذولة" ص ٤٧ (العذر مقبول).

(٢) أى أربعة أقانيم (الناشر).

فمحال أن يكون الجوهر الناسوتى كاملاً وليس بكامل، وناقصاً وليس بناقص، واعلم أن القائل إن المسيح أقنوم إلهي محض يوجب إدخال الآلام على اللاهوت، لأن لابد أن تقع حوادث الصلب على أقنوم، وحيث أن الناسوت غير متشكل بشكل ليس له أقنوم، أوجب هذا الإقرار بوقوع الحوادث على الأقنوم المتأقنم به الناسوت، وبعدم تحقيق وقوع الحوادث صدقاً في الخارج، لا سيما بعد أن أثبت الوحي قبوله الآلام بأقنومه قائلاً: وهو بأقنومه تولى تطهير خطايانا (عب ١ : ٣) (لعبت أيدي المترجمين بهذه الآية كما يتضح من النسخة اليسوعية) وإذ كان مجرداً الإنسان من الأقنوم فقبوله الآلام من المحال، لأن اللاهوت منزه عن قبول الانفعالات بالكلية، فاتضح غاية الاتضاح بشهادة برهان العقل والنقل أن المسيح من جوهرين وأقنومين، أحدهما جوهر إلهي كامل بخاصة البنوة، والآخر جوهر ناسوتى واحد بخاصة الفرد الواحد.

فنقول إما أن تتحد هذه الجواهر والأقانيم أو لا تتحد، فإن اتحدت بطل منها اسم الكثرة ولفظ الكمية وكانت واحدة، وإن لم تتحد أطلق عليها لا الأثنينية بل الكثرة، لأن الجوهرين ليسا من نوع واحد وجنس واحد، ولما هتفت كنيسة المسيح من شرق لغرب بالاتحاد الطبيعي الذاتي الجوهري الكامل غاية الكمال كان المسيح جوهراً واحداً، وأقنوم واحداً ولأجل هذا هتف الكوكبان الشرقيان البطريركان الاسكندريان قائلين (**طبيعة واحدة للكلمة المتجسد**).

ومن المعلوم أن المسيح هو الكلمة المتجسد فطبيعة واحدة للمسيح الذي هو الكلمة المتجسد، إذاً لا يلزمنا أن نقول بخلاف قول هذين البطلين الذين بقوة براهينهما بددا شمل الهراطقة، وشهادة هذين لا تقبل تغيير البتة، وينبغي أن تُقبل حرفياً بدون زيادة أو نقصان.

قد يعرف من له علم ومعرفة صائبة أن لفظة (المتجسد) ليست واقعة صفة للطبيعة بل للكلمة، فلا ينبغي أن تجرد من أداة التعريف، والطبيعة وصفها (الواحدة)، ومجموع الطبيعة ووصفها ملك لله الكلمة المتجسد، الذي هو المسيح، أعنى طبيعة واحدة للمسيح.

✠ ✠ ✠

تابع لما قبله

إن الله لما تحنن على خليقته وصنعة يديه، بعدما اتضح لديه عجز خليقته عن فداء الجبلة الآدمية: «فَرَأَى أَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ وَتَحَيَّرَ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ شَفِيعٌ. فَخَلَّصَتْ ذِرَاعُهُ لِنَفْسِهِ وَبِرُّهُ هُوَ عَضَدَهُ» (اش ٥٩ : ١٦) رأى من الصواب أن ينزل ويقدم الفداء بذاته عن خليقته، فدفع ذاته لتتحمل أثقالنا وأتعابنا لنستريح نحن، ونشتمل باتضاعنا واحتقارنا لنتمجد.

وإذا كانت ذات الله لا تتطرق عليها الانفعالات لكونها لطيفة ليست بمحسوسة، فوَجَبَ أن تُقبل هذه الأمور بما هو محسوس ليتحقق صدقها.

ولما كان الخلاص للنوع البشرى لا لغيره من المخلوقات، أخذت [1] ناسوتنا وقبلت به ما قبلت من الحوادث والأمور الجسدية.

فأخذت ذاتاً كاملة مكملة من نفس ناطقة عاقلة وجسد كثيف، ووحدته معها باتحاد طبيعي، فصار كلا الذاتين ذاتاً واحدة، بقطع النظر عما يتطرق ويجرى باتحاد الذوات المتباينة والمتناسبة، كثيفة كانت أم لطيفة، من الاستحالة والتغيير والابتدال والامتزاج والاختلاط، فتركب لاهوته الأقدس مع جسده الطاهر، كتركيب نفسنا مع جسدنا وقام كلا الشيئين شيئاً واحداً.

(١) الذات الإلهية (الناشر).

وهذان الجوهران اللذان اتحدا مع بعضهما، جوهر منهما لطيف لا يقبل الانفعال والتغيير والابتدال في ذاته باتحاده مع الآخر لأنه من شرط اللطيف أن يخرق كثافة الجوهر الثاني الكثيف وهو باقٍ على وضع ذاته من دون ما يلحقه شئ مما تقدم، كما نرى نصب أعيننا من النار واتحادها بالحديد، فان الحديد لم يؤثر فيها وهي تؤثر فيه لا باختلاف جوهره وتغييره، بل بالإشراق والإنارة والإحراق.

ولما كان جوهر الإله لطيفاً لا يُرى كلطافة النار، ورأينا لطافة النار المخلوقة باتحادها بالهيولي قد يغلب اسمها على المتحدة به، لكونها أعلى وأفضل من المقترنة به، كان هذا المثال موافقاً لتسمية المسيح إلهاً، لأن الجوهرين إذا اتحدا قد يغلب اسم الأفضل منهما على الآخر. وليس البشريون أعطوه هذا الاسم، بل أبوه الأقدس، بوحيه للأنبياء والرسل وشهادته له.

واعلم أن المسيح قد كان يدعو ذاته إنسانا وابن البشر لوجهين:

الأول:

لعدم قابلية أولئك المدعوين: فإنهم كانوا كالأطفال الرُضَّع، ومن المعلوم أن الطفل لا يحتمل الغذاء الثقيل (عب ٥ : ١٢).

الثاني:

لكونه احتمل ثقل التواضع ليفدى ويبرئ عجرفة وشماخة أنف آدم، **وكما أشار الرسول:**

✞ «كَذلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضاً لَمْ يُمَجِّدْ نَفْسَهُ لِيَصِيرَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ، بَلِ الَّذِي قَالَ لَهُ: أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ» (عب ٥ : ٥).

وأما نحن الآدميين فقد زدناه رفعة وقدراً، مشهرين اسمه على الدوام بأفواهنا وقلوبنا صارخين (المسيح إلهنا)، غير أنه لأجل عدم فقدان الناسوت واستحالته

بعض الأوقات ندعوه (إلها متأنساً) مستنبطين هذه التسمية من قول ابن زبدى «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً»

وعلّمنا المنطق بتعريفهم للمحمول والموضوع (حيواناً ناطقاً) ولكن لسنا ندخل واو العطف البتة أي لسنا نقول إلهاً وإنساناً، لئلا يكون معبودنا مخلوقاً فنشرك، ونحن نكره ذلك ونبعد عن الشرك بعد الشمس عن الأرض، **بخلاف اعتراف البابا لاون القائل** "بالحق يأتي المسيح اثنان وهما إله وإنسان" **وقوله** "الكلمة يعمل ما يختص به الكلمة، واللحم يعمل ما يختص به اللحم، فالواحد من المذكورين يُبهر بالعجائب والآخر ملقَى للشتائم"

ولما كانت هذه الأمور غير خارجه عن قاطبة دائرة المقاييس المنطقية، وجدنا أنها لا تأذن لنا بتثنية الذوات بعد اتحادها بل بعكس ذلك، كقولنا عن اتحاد فصل الإنسان وجنسه بالبديهة حيوان ناطق، لا حيوان ونطق، وعن النار والحديد، حديد حامٍ، لا نار وحديد، وعن اتحاد الجسم والروح، جسم حساس، لا جسم وروح، وعن النبات مع قوة النمو، نبات نامٍ، لا نبات ونمو، فدلتنا هذه المقاييس المسلّم بها على أننا لا نثنى لاهوت الابن مع ناسوته، غب أن اتحدا فلا يكونان إلهاً وإنساناً، أو لاهوتاً وناسوتاً بل يكونان إلهاً متأنساً، لئلا نصير الاتحاد لا معنى تحته، ويكون وجوده وعدمه على حد واحد، وشرط الاتحاد أن يصير الأشياء التي يقع عليها واحدة، ومتى فقد شرطه فُقِد هو أيضاً، فظاهر الأمر أنه لا ينبغي لنا أن ندعو المسيح اثنين، كما لا ينبغي لنا أن ندعو الإنسان حيواناً ونطقاً، ولله در القائل إن البارئ جلَّ وعلا مثلنا به وتمثل بنا، أي أنه في الابتداء خلق النوع الإنساني على صورته ومثاله، وبعد ذلك بقدرته أخذ مثلنا وتشبه بنا، كما تفوهت النصوص فلهذا نمثل الاتحاد جوهر لاهوته بناسوته بإنساننا المركب من نفس لطيفة وجسم كثيف، ولا يمكن أن يكون الإنسان اثنين لا بالعقل ولا بالنقل، ولا يمكن أن يوصف جسده بشئ دون نفسه أو نفسه دون جسده، أي لا يمكن أن يُقال جسد بطرس أكل أو شرب أو جال أو نام أو

جرح أو مات، أو نفس بطرس تعلمت علم الهندسة أو الطب أو كتبت أو نطقت بالألسنة المتغايرة والحال بعكس ذلك، فإن هذا الإنسان المركب من شيئين قد يتصف الواحد منهما بما للثاني. وهذا الأمر ثابت من الوحي.

قال المولى:

✠ «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ. لِزَيَغَانِهِ هُوَ بَشَرٌ» (تك ٦ : ٣).

وقال داود النبي:

✠ «أَنَّهُمْ بَشَرٌ. رِيحٌ تَذْهَبُ وَلاَ تَعُودُ» (مز ٧٨ : ٣٩).

وقال السيد:

✠ «اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ» (يو ٣ : ٦).

قال داود عن يوسف ابن يعقوب:

✠ «آذُوا بِالْقَيْدِ رِجْلَيْهِ. فِي الْحَدِيدِ دَخَلَتْ نَفْسُهُ» (مز ١٠٥ : ١٨).

وقال الرسول:

✠ «فَالَّذِينَ هُمْ فِي الْجَسَدِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُرْضُوا اللهَ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ» (رو ٨ : ٨ – ٩)

وعلى مقتضى رأي الرسول معنى ذلك أن الذين يتدبرون بروح الله أي ينقادون لطاعة رأي الروح، فأولئك ينخلعون من الجسد وما يحق له من الأوصاف فيصيرون روحانيين، وعكس هذا الذين يعيشون حسب الجسد.

فهذا الأمر لا يوافق معترضي إيماننا، الذين يقولون واحد من المذكورين يفعل كذا والآخر كذا، أو أنا أؤمن بطبيعتين أو ذاتين، واحد منهما يمشى والآخر لا يمشى، ليت قائل هذا القول نظر أصوات الوحي، أو أصوات الآباء الدالة دلالة بليغة على وحدانية الابن المتجسد.

كما يقول منارة الإسكندرية كيرلس البطريرك:

"أنا لا اقدر أن أفرق ما قد صار واحدا ... إن كان الاتحاد لا يجعل الطبائع واحدة فأية فائدة فيه ... من ميز تلك الأصوات المذكورة في كتب الإنجيليين أو رسائل الرسل .. الخ، فليكن محروماً"

أو طنطن بآذانه **صوت البابا أثناسيوس** الذي دوى بين كنائس المسيح شرقاً وغرباً **قائلاً:**

"ليس بأن الابن الواحد طبيعتان بل طبيعة واحدة للكلمة المتجسد"

(لاحظ ص١٤٢ ، ١٦١ من كتاب الإيمان الصحيح تأليف الكاثوليك ضد إيمان الأرثوذكس)



ونحن ندعو من راق فكره وصفا عقله وخلع عن ذاته التمنطق بالتحزب وصلابة الرأي، لينظر في هذه الشهادة المثبت صدقها بكتب عديدة مختلفة الألسن واللغات وبالاختصار أقول إن مفهوم المسيح ومعناه وتفسير لفظة الكلمة المتجسد، فهو المسيح الكلمة المتجسد، فكيف القائل طبيعة واحدة للكلمة المتجسد، لا يقول طبيعة واحدة للمسيح.

إن في ذلك لعجباً عجيباً، على أن المحدثين من الأخوة الذين يبيعون حق الله بالكذب، ويحملون على عواتقهم خطأ التحريف، قد بذلوا جهدهم ومجهودهم في أن يغيروا موضوع هذه الشهادة (خلافاً عن تفسيرهم لها الأعوج) فما أمكنهم إلا قليلاً فمدوا أيديهم وقطعوا من لفظ المتجسد أداة التعريف (لاحظ كتاب البرهان تأليف ابن المقفع في التجسد) فبدلاً عن وضعها المسلم من فم البابا أثناسيوس والبابا كيرلس، طبيعة واحدة للكلمة المتجسد، قد استبدلت بطبيعة واحدة متجسدة للكلمة، فعوضاً عن وضع المتجسد صفة للكلمة جُرِّدَت من

أداة التعريف وحولت وصفاً للطبيعة، ولكن هذا الاختلاس لم تخف حقيقته عمن كان ذا رشد وعقل وذكاء وفطنة رائقة، ومن المعلوم أن الطبيعة تحددت بوصف الأحدية، وسبب ذلك كان لنقض قائل يقول طبيعتان للمسيح، الواحدة إلهية يُسجد لها، والأخرى إنسانية لا يُسجد لها، فكان النقيض ليس بأن الابن الواحد طبيعتان بل طبيعة واحدة للكلمة المتجسد أعنى المسيح، وليس لنقيض قول قائل يقول طبيعتان لله الكلمة متجسدتان ليكون النقيض، لا بل طبيعة واحدة لله الكلمة متجسدة والأخرى غير متجسدة فمن هنا اتضح فساد الرأي الثاني ببرهان العقل، وعلى شرط أن يكون هذا القول بعينه، فلا يفيد المعترض تثنية الطبائع، كما أنه لا يفيد الكثرة من قولنا إله متأنس أي إله وإنسان، فنحن إذاً لا ننكر القول بطبيعة متجسدة ولكن يشترط بذلك رفع لفظ الوحدانية، لأن لا لزوم لها في هذا الموضع كما نظرت مما تقدم، بل لزوم لفظ الوحدانية عندما يُلقى علينا السؤال هل طبيعتان للكلمة المتجسد؟ فنقرع سماعه ونصدع آذانه بهفيف صوت البطريرك أثناسيوس قائلين "لا بل طبيعة واحدة للكلمة المتجسد" فقد تبين غاية البيان أن هذه الشهادة أرومة الاعتقاد الأرثوذكسي، **فافقه واعي لِمَا تقدم.**



تابع لِمَا تقدم

قال النبي «فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ الرَّبُّ وَحْدَهُ وَاسْمُهُ وَحْدَهُ» (زك ١٤ : ٩)

أولاً:

فلنلقِ على من نَفَر من الاعتراف بوحدانية المسيح، بعض تساؤلات ولعلها تكون سبباً لرفع الشك من قلبه. فنقول للمتشكك:

أيها الخل الودود. هل صدق الاتحاد الذاتي الطبيعي على الطبائع أو لم يصدق؟ فلم يكن له جواب إلا أن يقول صدق الاتحاد الطبيعي الذاتي، ثم نسأل وهل صدق الاجتماع؟ فلابد أن يجيب المسئول نعم صدق الاجتماع على الطبيعتين، ثم وبتكرار السؤال هل صدق الاتصال أيضاً على الطبيعتين؟ فلا يمكن للمسئول الامتناع من الإجابة بالإيجاب قائلاً نعم صدق الاتصال أيضاً، نقول قد سوغت العادة أن تجعل لكل قضية نقيضاً لها، ومن المسلم أن الاتحاد نقيضه التثنى، والاجتماع نقيضه الافتراق، والاتصال نقيضه الانفصال.

- فإن وقع الاتحاد يُنفي وجود التثني، وإن وقع التثنى ينفي وجود الاتحاد.
- وإن وقع الاجتماع يُنفي وجود الافتراق، وإن وقع الافتراق ينفي وجود الاجتماع.
- وإن وقع الاتصال يُنفي وجود الانفصال، وإن وقع الانفصال ينفي وجود الاتصال.

لأنه من المسلّم عند أهل العلوم العقلية الرفيعة أنه من المحال أن يجتمع السلب والإيجاب، والنفي والإثبات و الضد مع ضده، وقد قيل في قانون المنطق: إن **الضدين لا يجتمعان ولا يرتفعان** ونرى المؤمن الواقع في عثرات الشك قد أوجب

أقنوما، وكل أقنوم منها هو الجوهر بخاصة، فمن الضروري أن تصير الجواهر واحدة لثبات صيرورة الأقانيم واحداً، لأن أقانيم بدون جواهر لا توجد إلا عقلاً وليس في الخارج، فمن الواجب إن كنا نعترف أن الأقانيم صارت واحداً نضطر تحت معنى أن الجوهر بخاصة هو الأقنوم، أن نعترف بأن الجواهر أيضاً صارت واحداً فيكون أقنوم المسيح واحداً، أي جوهراً بخاصة مركباً من أقنومين أي جوهرين بخاصتين.

رابعاً:

نسأل المسيحي المؤمن الذي لا يرفض الحق إذا ظهر قائلين: **هل الابن الأزلي هو بعينه بما هو الابن الأزلي الابن الزمني المولود من مريم الدائمة البتولية، أم الابن الأزلي غير الابن الزمني؟**

فإن قال نعم، إن الابن الأزلي هو بعينة بما هو الابن الأزلي الابن الزمني، قلنا له: إذا كان الأمر كذلك جاز لنا نحن أن نقول إن ذات الابن الأزلي هي ذات الابن الزمني فهي ذات واحدة **كما قال الرسول:**

✞ «اَلَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضاً فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ» (أف ٤ : ١٠)

فليس الذي نزل غير الذي صعد، وبالتالي فليس ذات الذي نزل غير ذات الذي صعد، وإن قال المؤمن إن الابن الأزلي غير الابن الزمني، لزمه الكفر والخروج عن دائرة معتقد الآباء والأنبياء والرسل والعلماء، وأن يعتقد أن ليس المسيح ابن الله بل بعض المسيح ابن الله وبعضه ابن مريم، وإن الله له ابنان احدهما أزلي بالطبع والآخر زمني بالنعمة. حمانا الله من هذا الاعتقاد.

خامساً:

نقول للمؤمن **هل المسيح بما هو مسيح واحد أم اثنان؟** فالمؤمن على ظني طبقاً لحكم الوحي يختار الأول دون الثاني فيقول المسيح واحد، ثم نضيف على ذلك سائلين، **هل هذا الواحد بما هو واحد أزلي أم زمني؟** أو من أزلي وزمني لسبب الاتحاد الذاتي، فإن قال إن هذا الواحد أزلي أو زمني، كان ذلك مكروهاً، فإنه يفضى إلى عدم التجسد واتصال الطبيعة بخالقها، وذلك من المحال، فيبقى أن يقول إن هذا الواحد هو من أزلي وزمني أعنى من اثنين، فإذا جاز أن يكون هذا الواحد من اثنين (إذ لا يمكن أن يكون أزلياً على الإطلاق، فيفضى إلى عدم التجسد وصيرورة الإله إنساناً، ولا يمكن أن يكون زمنياً فيفضى إلى عدم كون المسيح إلهاً). نقول فلما لم يجز أن يُقال إن جوهر هذا الواحد أيضاً من جوهرين، لأن ليس الواحد شيئاً والجوهر شيئاً آخر.

قال أحد علماء البيعة: إن القائل إن المسيح واحد، فمعنى الوحدانية فيه إما أن تعتبر في الذوات أي الطبائع أو في الصفات أي المشيئات، فبالنسبة إلى اعتبار وحدانية المسيح في الذوات نجد المعترض يفر منها هارباً، ويكره ذلك كرهاً متزايداً، وبالنسبة لاعتبارها في الصفات نجده يسأم من ذلك، وقال إذا كانت الوحدانية غير معتبرة في الذوات ولا في الصفات إذ لا شئ غير ذلك، فهل زرعنا شيئاً جديداً في المسيح ونتج فكراً واحداً.

سادساً:

نسأل المؤمن وهو أحق بالسؤال **هل المسيح ابن مريم وابن الله بالطبع، أم ابن مريم بالطبع وابن الله بالنعمة، أم ابن الله بالطبع وابن مريم بالنعمة؟**

- **فإن قال إن المسيح ابن مريم وابن الله بالطبع كما هو اعتقاد البيعة** نقول: إذا كان المسيح طبيعتين إحداهما إلهية سمائية والأخرى إنسانية

أرضية، من أين يكون الإله ابن مريم بالطبع والإنسان ابن الله بالطبع، لعمري وهل يكون اللاهوت مبتدأه من مريم، والناسوت من الله. حاشا ثم حاشا.

- ❖ **وإن قال المؤمن إن المسيح ابن مريم بالطبع وابن الله بالنعمة** فيكون لا مزية للمسيح على غيره، إذ نحن أيضا بنو الله بالنعمة.
- ❖ **وإن قال إن المسيح ابن الله بالطبع وابن مريم بالنعمة**، نقول وهذا الإقرار يفضى إلى عدم التأنس وأخذ الجسد من بطن مريم الطاهر، وذلك مرفوض من عموم وخصوص المسيحيين على الإطلاق.
- ❖ **وإن قال إن المسيح إذ هو طبيعتان إله وإنسان:** فالإله ابن الله بالطبع وابن مريم بالنعمة، والإنسان ابن الله بالنعمة وابن مريم بالطبع، نقول إن هذا الاعتقاد مرفوض ومدحوض من المجمع الثالث الأفسسي ومن البطريرك كيرلس الإسكندرى، إن المسيح إله بالحقيقة، وابن واحد بالطبيعة، فلا تسلّم الكنيسة به البتة لأن اعتقاد الكنيسة أن المسيح ابن الله بالطبع وابن مريم بالطبع وذلك لا يتأتى إلا من قِبَل كون الطبيعتين طبيعة واحدة.

سابعاً:

نقول للمؤمن ولعله يقتنع **هل مريم ولدت إلهاً أم إنساناً؟ أو ولدت إلهاً وإنساناً؟**

1. **فإن قال ولدت إلهاً لا إنساناً** كان ذلك **محالاً**، فإن الله لا يولد ومُبرّأ عن التأثيرات الجسدية.
2. **وإن قال ولدت إنساناً لا إلهاً**، كانت أم إنسان لا أم الله. وذلك **مرفوض**.

٣. **وإن قال ولدت إلهاً وإنساناً** كانت أم إله وأم إنسان، فلها ابناناً أحدهما إله والآخر إنسان. وهذا الأمر **لا تقبله العقول ومرفوض.**

٤. **وإن قال أن الإله والإنسان صارا واحداً** ولذلك مريم ولدت واحداً، فالذي ولدته ليس إلها بالإطلاق، ولا إنسانا بالإطلاق، ولا إلها وإنساناً، بل إله متأنس. **وهذا هو الحق.**

ثامناً:

نقول: نحن نعلم من الاعتقاد الدارج بين الكنائس الغربية والشرقية أن المسيحيين كلهم يقولون إن مريم والدة الله، لذكرها الطوبى والاغتباط، وهو حق غير أنه إن كنا نذكر أمامهم شيئاً قد ينفرون منه كل النفور، وهو أن الله الغير المتألم قد تألم وقبر وقام في اليوم الثالث، كقانون مجمع نيقية، فالذين ينكرون علينا هذه الحقيقة المثبت صدقها بآيات وشواهد عديدة من الوحي الإلهي، نريد أن نعلم بأية كيفية يطلقون الولادة على الله الذي لا يولد، فإن قالوا إن الله بالحق لا يولد ولادة جسدية غير أنه ولد بالجسد أي لاتحاده بالجسد المولود المنسوب له، نقول نحن أيضاً إن الله بالحق لا يتألم تألماً جسدياً وهو مرتفع عن ذلك ارتفاعاً عالياً، غير أنه تألم بالجسد القابل الآلام وذلك لاتحاده به اتحاداً ذاتياً.

تاسعاً:

قد يكفي مما تقدم لإقتناع المؤمن واعترافه بوحدانية الابن المتجسد، غير أننا نزيد برهاناً نقلياً شهادة مسلّم بصدقها من قول البابا كيرلس البطريرك، وهي أن أقوال هذا الأب الكريم المجاهد على الأمانة جهاداً بليغاً قد لا تحتاج إلى تفاسير بل واضحة ساطعة المعنى، وهذا الأمر دوّنه في حرمه الثالث والخامس، أي ذكر الطبيعة والأقنوم، فعندما ذكر الطبائع شبه اتحادها

بالاتحاد الأقنومى، كقوله الذي كالاتحاد الأقنومى اشترك معنا في اللحم والدم لكون الكلمة صار جسداً، ولما ذكر الأقانيم شبه اتحادها بالاتحاد الطبيعي كقوله ولم يحسن اتحادهما (الأقنومين) بوحدانية طبيعية، فهنا ملحوظة فلنتأمل لها، وهو إن كان قول البابا كيرلس (طبيعي) يدل على طبيعتين وشبّه اتحاد الأقانيم بالاتحاد الطبيعي، يعنى بذلك طبيعتين، فيكون الأقنومان اثنين لمناسبة اتحادهما بالاتحاد الطبيعي المقصود به طبيعتان، وعلى ذلك يكون قوله (اتحاد أقنومى) يدل على أقنومين.

وشبّه اتحاد الطبائع بالاتحاد الأقنومى المقصود به أقنومين، فيكون الطبيعتان اثنتين، لمناسبة اتحادهما بالاتحاد الأقنومى المقصود به أقنومان، وإن كان قول البابا كيرلس (اتحاد طبيعي) يدل على طبيعة واحدة، وشبّه اتحاد الأقانيم بالاتحاد الطبيعي المقصود به طبيعة واحدة، لتكون الأقانيم واحدة لمناسبة اتحادها بالاتحاد الطبيعي المقصود به طبيعة واحدة، فيكون قوله (الاتحاد الأقنومى) يدل على أقنوم واحد، وشبّه اتحاد الطبائع بالاتحاد الأقنومى والمقصود به أقنوم واحد، لتكون الطبائع واحدة لمناسبة اتحادها بالاتحاد الأقنومى المقصود به أقنوم واحد، والنتيجة من قول هذا الأب إن كان المسيح طبيعتين فيكون أقنومين، **وإن كان طبيعة واحدة فيكون أقنوماً واحداً**، وكفي به دليلاً.





القسم الرابع
المسيح واحد بالمشيئة والفعل

«رَجُلٌ ذُو رَأْيَيْنِ هُوَ مُتَقَلْقِلٌ فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ» (يع ١ : ٨)

لما ثبت اتحاد الجواهر وصيرورتها جوهراً واحداً لله الكلمة المتجسد، نقول إن اتحاد الأفعال أكثر إمكاناً من اتحاد الذوات.

أولاً:

لأنه من الممكن والغير الممتنع أن تتحد ربوات من المخلوقين بعضها مع بعض وتصير واحداً نظراً لاتحاد أفعالهم، وممتنع أن يتحد رجلان معاً ويصيرا واحداً نظراً لاتحاد ذاتيهما، ولما صار الممتنع لدى البارئ عديم الامتناع فكم بالأحرى الممكن والغير ممتنع (أعني اتحاد الأفعال) وهذا الأمر قد يسلّم به العقل والنقل.

أما من جهة تسليم العقل به، هو أنه كلما حصل الوفاق في وقوع الأصعب فقد حصل في الأسهل، بل يصير الأسهل أشد إمكاناً في القول والعمل، فالمؤمن قد لا يمتنع من التسليم باتحاد ذات الله بذات الإنسان اتحاداً جوهرياً، واتحاد الذات من قبيل الأمر الخاص بالقياس إلى مطلق الاتحاد، واتحاد الأفعال والمشيئات من قبيل الأمر العام، ومن الأمر المسلّم والمشهور بين العلماء أصحاب الرأي السديد أنه حيثما صدق وقوع الخاص صدق وقوع العام، وليس كلما صدق العام صدق الخاص، فاتحاد المشيئات والأفعال من قبيل العام والذوات من قبيل الخاص، وإذا كنا قد سلّمنا بالخاص فلما لا نسلّم بالعام، وأي أمر يعفينا من عدم تسليمنا به، فمن الواجب والأمر اللازم أن يسلّم باتحاد الأفعال

والمشيئات بعدما سلّمنا باتحاد الذوات، لأنه إن كان صار العديم الإمكان من الممكن، وغير المستطاع من المستطاع، والممتنع من الممكن، فنريد أن نعلم من أي كيفية يمتنع عدم وقوع ذاك الممكن لا لدى البارئ فقط بل لدينا، وما دليل امتناعه إذ حكم بإمكانه إرشاد العقل.

ثانياً:

نقول إن الأمر واضح وبيّن لكل عقل رشيد، ومحقق غاية التحقيق أن أعمال السيد كلها كانت لقصد واحد، وهو خلاص الجنس البشرى، كقوله:

✞ «ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ بَلْ لِيُخَلِّصَ» (لو ٩ : ٥٦).

✞ «لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللَّهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ» (يو٣:١٧).

✞ «لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لِأُخَلِّصَ الْعَالَمَ» (يو ١٢ : ٤٧).

فإن كان قصد السيد خلاص ما هلك، فلا يصح أن يكون في المسيح مقاصد ومشيئات وأفعال مختلفة، أعنى لا يصح أن يكون البعض منه يختار خلاص النوع البشرى والبعض لا يختاره. وإذا كان لا يصح ذلك فتكون مقاصده وأفعاله متفقة على إنجاز هذا الخلاص، وإذا كانت متفقة فإما أن تكون **متفقة من كل وجه أو تكون متفقة من وجه ومختلفة من وجه آخر:**

❖ **فإن كان الأول** يستلزم الاتحاد فتكون واحدة.

❖ **وإذا كان الثاني** ارتفع الاتحاد والاتفاق في بعض الوجوه لوجود عدم الاتفاق في بعض الظروف والأوقات (كوقت الصلب) مشيئة منه تختار الصلب والأخرى تكره ذلك، فقد حصل الاختلاف والانقسام ولو بوجه، وكل مختلف لا يثبت كصدق قوله: «كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تَخْرَبُ» (لو ١١ : ١٧).

ثالثاً:

إن كان للمسيح مشيئتان مختلفتان، فمن الضرورة أن يبدو عنهما فعلان مختلفان، أوجب هذا الأمر عدم حلول القديم بالمُحدَث وإبطال التجسد، ودليل هذا أن الشئ لا يتصل بالشئ إلا بعد شروط حصول المناسبة وارتفاع الممانعة، فيستحيل عدم حصول الموافقة بين المتصلين مع تقدم اشتراط حصول الموافقة والمناسبة وارتفاع المخالفة والممانعة من بينهما، وإلا للزم ألا يتصلا، ومن المسلّم به أن القديم القدير له العلم السابق بأحوال المُحدَث، لا سيما أن علمه يتقدم عمله، فلو رأى البارئ بعلمه المتقدم على اتصاله بالمخلوق، أن أفعال المتصل به ومشيئاته مغايرة ومضادة لأفعاله فما أمكن أن يتصل به، وإذ كان هذا الأمر ينتج عدم اتصال الطبيعة بخالقها، فلا يمكن أن يكون للمسيح مشيئتان بل مشيئة واحدة.

رابعاً:

إنه من المحقق أن الذين اختارهم الله من البدء واصطفاهم لخدمة كلمته، وأنزل عليهم روحه، ودبروا النوع البشرى قد صاروا معه واحداً بالمشيئة.

كقول المخلص:

✠ «لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا» (يو ١٧ : ٢١)

ويستحيل عدم تأثير وقبول صلاة السيد، ويستحيل صيرورة المؤمنين واحداً بالذات مع الله ما خلا بالمشيئات، أي كونهم عملوا مشيئة باريهم. فإذا كان هؤلاء البعيدون من الذات الإلهية مقداراً لا يحد قد صاروا واحداً مع الذات، فما حال الذي اتصل بالذات اتصالاً ذاتياً لا يعقبه افتراق ما دام الخالق خالقاً والإله إلهاً، واعلم أن السيد قد شبه هنا وحدة المؤمنين مع خالقهم ووحدته مع أبيه في قوله: «لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ» (يو١٧: ٢٢).

فوحدته مع أبيه التي شبه بها وحدة المؤمنين التي لا تخلو من أن تكون إما بالمشيئة أو بالذات، فسواء كانت بالذات أو بالمشيئة، نحن نرى المعترض لا يقبل أن المسيح مشيئة واحدة مع أبيه، ولا يقبل أنه ذات واحدة، ولكن الأصح هنا أن يكون قول المسيح «لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ" يعني به عن وحدة المشيئة لا الذات، والدليل على ذلك امتناع وحدانية المؤمنين مع بارئهم بالذات.

خامساً:

إن النص الموحى به من الله، قد حكم بأن **المسيح أفضل من كل الخلائق** (أع ٤ : ١٢) (عب ١ : ٤). فتفاضله وارتفاعه عن الخلق **إما أن يكون بالواجب** أعني من قِبل استحقاقه ذلك، **وإما أن يكون بالجائز** أي من قِبل الإنعام والمنة، فإن كان الأول فهو المطلوب، كون جميع الخلائق لم يقدروا أن يقوموا بفضيلة المسيح، ويأتوا بالبر الذي أتى به، إذ صار كفارة عن جريمة لا نهاية لعقابها. وإذ حكم البرهان الوحي، قد حكم بأن البعض من أولئك الذين ليس لأنهم لم يوجبوا برارة النوع فقط، بل برارة أنفسهم بالأكثر قد صارت مشيئتهم ومشيئة البارئ واحدة، فلما لا يكون ذلك الذي صار آدم ثانياً، رباً روحانياً، معلماً إلهياً، قائداً الطبيعة بأسرها من الظلمة إلى محجة النور، ولا يصح لذلك المعلم الفريد الذي انتصر على الموت والجحيم وحرر الطبيعة من العبودية وصار لها المرشد الإلهي الوحيد الذي لم يشابهه شبيه ولم يماثله مثيل، بعد أن تكون الطبيعة حائزة سمات ومراتب أفضل منه ، ففي هذه الحالة لا يصح أن يكون المنقاد أفضل من القائد، ولا يصح أن يكون المعلول أفضل من العلة، فلا يصح أن تكون الطبيعة صارت واحدة مع بارئها بالمشيئة والمسيح لم يصر.

سادساً:

البيعة قد قررت أن المسيح واحد مع الله وواحد مع البشر، فإذ لم يكن المسيح واحداً مع الله بالمشيئة ولا واحداً مع البشر بالمشيئة، فمن أين يكون واحداً مع الله ومن أين يكون واحداً مع البشر، وإن رد المعترض الأول محتجاً بأن المسيح واحد مع الله باللاهوت لا بالناسوت، نقول دون معارضة فيكون واحداً مع البشر بالناسوت، والبشر صاروا واحدا مع الله بالمشيئة، فعلى كل حال صار المسيح واحداً مع الله بالمشيئة.

سابعاً:

إن شهادة الله لأعظم من شهادة البشر بمقدار متفاوت الحدود، وإذا كان كتابه قد شهد بأن المسيح لم يعمل كل أعماله إلا بمشيئة واحدة فيحق للمؤمن أن يسلّم بأقرب وقت، **وهذا ظاهر من قوله:**

✠ «لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يو ٦ : ٣٨).

✠ «طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ» (يو ٤ : ٣٤).

✠ «أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً ... لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يو ٥ : ٣٠).

✠ «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهَذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذَلِكَ» (يو ٥ : ١٩).

فالظاهر مما تقدم أن كل ما صنعه يسوع هو بمشيئة واحدة، لأن ما يختاره اللاهوت قد يختاره الناسوت، فالاختيار الحادث هو واحد، ولا خلاف في الاختيار، وهاك دليلاً أن الصليب اختاره ورضى به اللاهوت والناسوت، ولو لم يكن الاختيار واحداً لما كان يُقال إن المسيح مات بإرادته، بل بإحدى إرادتيه، وذلك محال.

ثامناً:

إن كان يسوع صنع شيئا من أعمال الجسد كالأكل والشرب والتعب والمشي، فهذه ناهيك عن تخصيصها لله بالنبوة الواردة عنه بزمن متقدم قد صنعها الأبرار أيضاً، فكما أنه بوجود تلك الواقعة منه بالطبع لا بالاختيار، والضرورة التي ألجأتهم إلى ذلك، ومع هذا كله صاروا واحداً مع الله بالمشيئة، لأنهم وهم في الجسد صاروا كأنهم ليسوا في الجسد (رو ٨ : ٩).

وسبب ذلك كونهم بالروح أماتوا أعمال الجسد فحيوا مع الله (رو ٨ : ١٣) وإذ انقادوا بالروح فصاروا أولاد الله (رو ٨ : ١٤) فلما لا يكون ذاك الذي كانت أعماله كلها خارجة عن حكم الطبيعة، ولم تلجئه الضرورة كما ألجأت أولئك، لاستغنائه عنها بالكلية (يو ٤ : ٣٢ – ٣٤).

واعلم إن كان المسيح عمل بمشيئة الناسوت كالأكل وعمل بمشيئة الناسوت كغير ذلك، فينتج من ذلك مشيئتان، يكون هذا الأمر نقضاً لقوله لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي، وأنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً، وإذا كان هذا الأمر يوجب هذا النقض فلا لزوم لإثباته فتكون مشيئتا المسيح واحدة.



تابع لِمَا تقدم

قد تقدم ببراهين تكفي لإقناع من لا يحب إتباع الأغراض والميل الجسدي الغوائي الباطل الخالي من نعمة الله، فمثل هذا لا يتأخر من الإقرار بأن في المسيح مشيئة واحدة، وإذا تقرر ذلك نقول أيضاً ولا يمكن أن يكون للمسيح فعلان أحدهما يضاد الآخر. أي أحدهما يُبهر بالعجائب والآخر ملقى للإهانات. واحد يُصلب وآخر لا يُصلب. واحد يولد وآخر لا يولد، بل أن المولود والمصلوب والصانع العجائب واحد، وهذا هو الإيمان الرسولي واتفاق أصوات الأناجيل والرسائل والآباء. قال بولس الرسول: «الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلْبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ» (عب٥:٧)

وقال الرب:

✞ «أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتاً وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ» (رؤ١: ١٧، ١٨).

وقال الرسول أيضاً:

✞ «الإِنْسَانُ الأَوَّلُ مِنَ الأَرْضِ تُرَابِيٌّ. الإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ» (١كو١٥:٤٧).

وقول السيد:

✞ «أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ» (يو ٦ : ٥١).

وقال يوحنا:

✞ «اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا» (١يو١: ١).

فإذا قال الذي في أيام جسده أوضح الرسول بهذا أن الابن في أيام جسده صنع ما صنع وليس الجسد الذي صنع، فمن هنا يتضح بغاية الإيضاح أن **كل ما صنعه الرب يسوع من الأفعال هو منسوب لفاعل واحد**. وإذا قال أيضاً أنا الأول والآخر وتتمة القول فقد دل هذا القول العجيب على أن الأول والآخر هو الذي كان ميتاً وليس غيره. وقول الرسول المغبوط الإنسان الثاني الرب من السماء، كيف يسوغ لنا أن نقول إن واحداً يعمل كذا والآخر كذا. لأن الرب هو الإنسان والإنسان هو الرب النازل من السماء، ومثل قوله أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، ومن المعلوم أن الخبز المشار إليه هو جسده، وجسده ليس من السماء، وهو قال أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، فقد دل بهذه دلالة واضحة على أنه لا يمكن أن نقول إن هذه الأقوال للاهوته وتلك لناسوته. كما تحقق من قول يوحنا إن الذي كان منذ الأزل وأخبرنا به الأنبياء رأيناه بعيوننا وشاهدناه ولمسته أيدينا. فالأزلي قد نظرناه ولمسناه بأيدنا وليس أحد غيره. ولعلنا نحتاج صوت المعلمين استشهاداً لصحة هذا الأمر المحقَقَ من كتاب الله وأصوات الرسل الأطهار.

قال القديس غريغوريوس الثاؤلوغوس:[1]

"من ليس له جسد تجسد، والكلمة تغلظ، الذي لا يُبصَر يُرى، الذي لا يُلمس يفتش، الذي لا يحيط به زمان يبتدئ، وقال تألم من لا يتألم، وبالموت من لا يموت".

(١) هو الناطق بالإلهيات وأحد الثلاثة آباء الكبادوك العظام وواضع القداس الإلهي المعروف باسمه الغريغوري (٣٧٢- ٣٩٠م) (الناشر).

وقال غريغوريوس أسقف نيصص:

"إذا رأيت ابني قد جاع أو عطش أو نام أو مشى أو تعب الخ، فلا تحسب ذلك لجسده دون لاهوته. وإذا رأيت ابني يشفي المرضى ويطهر البرص بالقول ويصنع أعيناً من طين الخ، فلا تحسب ذلك للاهوته دون ناسوته. وقال فلا تظن أن الأفعال العالية لواحد والمتواضعة لآخر".

وقال البابا كيرلس في حرمه الرابع لنسطور:

"من ميز تلك الأصوات المذكورة؟ كتب الإنجيليين، أم في رسائل الرسل؟ أم نطق بها الآباء القديسون؟ أم قالها المسيح على ذاته، وفرزها إلى أقنومين؟ أم إلى اثنين قائم بذاته، ويصدق أن البعض منهم هي لائقة لإنسان خصوصي وحده، كأنه غريب عن كلمة الله، وأن البعض منهم ملائمة لله فهو يخصهم إلى كلمة الآب وحده فقط، فليكن محروماً" (من كتاب أعمال مجمع خلقيدونية).

فالبابا كيرلس ذو الذكر الصالح قد منع القائلين بفعلين للمسيح ووضعهم تحت القطع. إذ برهن أنه لا ينبغي أن تُفرز أعمال المسيح بعضها من بعض. بل أن الذي يعمل أعمالا إلهية هو بعينه يعمل أعمالا جسدية، **وورد في كتب الأخوة من كتاب أباطيل العالم بهذا الوضع قائلاً:**

"تأمل متفرساً في ما صنعه في شأنك بارئ الموجودات سيدنا يسوع المسيح، وهو أنه بذل حبه لك بهذا المقدار، حتى أن الغير ممكن صيره ممكنا لأجلك، وأي شئ عديم الإمكان أكثر من إله يموت، لعمري لم يكن شئ مناقضاً لوجود الله تعالى مثل الموت، وقال بعد قليل والخالق مات لتحيا الخليقة" (جزء ٢ فصل ٨٤)

ومن المسلّم أن الله بسيط لطيف. وكل بسيط لطيف لا يحتاج في أعماله إلى حركة أو سماع صوت. وكل أعمال تكون بحركة أو سماع صوت لا تنسب

إلى الله محضاً. فإذا نظرنا كون الناسوت يعمل أعمالا إلهية لاتحاد اللاهوت به، فلماذا نفرزها للاهوت ولماذا لا ننسبها للناسوت أيضاً، وأي [١] مانع يمنعنا من ذلك، أما قال مذهلاً اليهود عند إبرائه المفلوج «لاِبْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا» (مت ٩ : ٦)

فالذي أعطى سلطاناً أن يغفر الخطايا، ألم يعط أيضاً سلطانا أن يصنع القوى والعجائب ويقيم الموتى من حضيض الموت ويفتح أعين العُمي ويقيم المرضى من فراش الموت، ألم يعط كل سلطان في السماء وعلى الأرض (مت ٢٨ : ١٨)

أما شهد النبي من قبل وروده بزمان كبير قائلاً:

✞ «كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَاناً وَمَجْداً وَمَلَكُوتاً لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ» (دا ٧ : ١٣ – ١٤)

فأي نص بعد هذا يصرح لنا أن الإله يصنع العجائب والإنسان يقبل الإهانات، أما الصانع العجائب والقابل الإهانات هو واحد. لأنه كما **قال البابا ديسقوروس:** [٢] "ليس بعجيب إن كان الإله يعمل عجائب، بل الأعجب هو كون الإنسان يعمل العجائب".

فالناسوت الصائر مع الكلمة واحداً هو الذي باتحاده باللاهوت يفتح أعين العُمي بتفله على الأرض وجبله الطين وطليه لها بالأيدي الناسوتية، أما يلمس المعتوهين والمصابين والواقعين في أشد العذابات وأنواع الأمراض والعلل

(١) على ما مر من تعليم الوحي الإلهي وأصوات الآباء المعتبرين الذين سنوا قانون الإيمان بكون الإله نزل من السماء وتجسد وتألم ومات وقبر وقام وصعد إلى السماء والإنسان عمل العجائب وصنع القوات والجرائح وابرأ الواقعين في الأمراض المتنوعة وأحيا الموتى. أنظر الفصل الثاني عشر من حروم القديس كيرلس ضد نسطور.

(٢) Dioscorus I ديسقوروس الأول وهو بطل الأرثوذكسية العظيم والبابا ٢٥ من باباوات الإسكندرية (٤٤٤ – ٤٥٤ م) (الناشر).

فيشفيهم، أما بصوته يفضح كتائب الأرواح النجسة ويهتك ضلالتهم، أما بلسانه اللحمي يُسكّن ضجيج الأمواج البحرية ويهدِّئ الرياح العجاجة، أما بأخمصى قدميه يطأ على البحر فيخرق طبعه ويمشى كأنه على اليابس، أما بصوته زلزل الأرض زلزالاً وشقق الصخور وأقام جمهوراً من الموتى، وقام من القبر وهو مقفول مختوم، ودخل على التلاميذ والأبواب مغلقة.

فليس الصانع العجائب واحداً والقابل الآلام غيره، ليس الذي يقيم الموتى واحداً والمائت على عود الصليب غيره، ليس الجائع واحداً والمُشبع الخمسة آلاف رجلاً في البرية غيره.

كما قال القديس كيرلس هو يصنع هذا وذاك، وكما قال بروكلوس بطريرك القسطنطينية (الذي أقيم بدل نسطور):

"هو حمل إكليل الشوك وأزال قضية الشوك، هو هو كان في حضن أبيه وهو هو في مستودع البتول، هو كان محمولاً على ذراعي أمه وهو هو محمول على أجنحة الرياح، هو مسجود له من الملائكة وهو هو كان جالساً مع العشارين، الشاروبيم لم يجسروا أن ينظروا إليه وبيلاطس، يسأله والعبد يلطمه بالكفوف، الخليقة ترتعد منه هو هو على خشبة الصليب، وهو هو مد السماء كالجلد، وهو معدود مع الأموات وهو يسبى إلى الجحيم، أسفل يُهان كالطاغي، وفوق يتمجد بمجده القدوس" (صفحة ٢٠ من كتاب الإيمان الصحيح تأليف الكاثوليك ومن كتاب اعتراف آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أيضاً) [١]

---

(١) إلى هنا قد اتفق النص من كلا الكتابين. أما كتاب الكاثوليك فتلا قائلاً: "فيا للسر العظيم فإنى أرى الآيات وأنادى باللاهوت وأرى الآلام ولم أجحد الناسوت.. الخ" وأما كتاب الآباء فقال: "هكذا يعترف الأرثوذكسيين ولا يقولون اثنان عن الواحد الغير المفترق، ولا مسيحان ولا ربان ولا شكلان ولا اقنومان ولا فعلان ولا طبيعتان، بل كما قلت طبيعة واحدة وأقنوم واحد لله الكلمة المتجسد، نبشر به بإعلان ونسجد له بجسده، سجدة واحدة، ومن لم يعترف هكذا فليكن محروماً".

فجميع هذه البراهين والشواهد تدل دلالة بليغة على وحدانية فعلي المسيح. وأما إن كان المؤمن لم يقتنع بالبراهين العقلية والنقلية ولم يزل بعد مصراً على عناد رأيه. فقد ألزم نفسه أن يتنازل عن الإقرار بفعلين للمسيح وأن يعترف بأربعة أفعال ثابت حقيقتها من أقوال السيد الإلهية، وهي:

أولاً: قوله:

- ✞ «أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَّامُ» (يو ١٥ : ١).
- ✞ «بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً» (يو ١٥ : ٥).
- ✞ «أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعًى» (يو ١٠ : ٩).
- ✞ «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي» (يو ١٤ : ٦).

وما أشبه ذلك لا للاهوته ولا لناسوته بل لكليهما .

ثانياً: قوله:

- ✞ «أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ» (يو ١٤ : ١١).
- ✞ «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ» (يو ٥ :١٧).
- ✞ «انْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ» (يو ٢ : ١٩).
- ✞ «لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضاً» (يو ١٠ : ١٨).

فعلى زعم المعترض أن هذه الأقوال للاهوته لا لناسوته.

ثالثاً:

ويقابلها اتضاع السيد وسهره وصلاته، وكقوله تعلموا مني أي القداسة والطهارة وأفعال الفضيلة لناسوته لا للاهوته.

رابعاً:

إن جوعه وعطشه وتعبه وأكله ونومه لا للاهوته ولا لمجموع ناسوته بل لجسده المحض، لأن النفس لا تجوع ولا تعطش ولا تتعب ولا تمشى، فلا يُطلق عليها شئ من ذلك. فتكون أفعال السيد أربعة لا اثنين كما ظهر من الشواهد الدالة دلالة واضحة. فالمؤمن الذي لا ينظر إلى ما يخص التحزب والجدال لا يمكنه أن يمتنع من الاعتراف إما بوحدانية الأفعال أو برابوعها. لأن الحق غير مكتوم، فلا يصح أن نتمسك بعقائد لا أصول لها ولا فصول وغير مبنية على محجة الاستقامة وأساس الحق الوطيد. فالحق يضطرنا أن نعترف به إن كنا أولاده ونقول إن المسيح واحد وفعله واحد. هذا هو الإيمان الرسولي، هذا هو الاعتقاد الذي جاهدت عليه كنيسة المسيح منذ العصور الأولى. وأراقت دماها توطيداً لحقيقته.

ولنأتِ إلى حل بعض مشاكل قد تورد على أصحاب القلوب البسيطة الوديعة.



كل ما يطلق الاتحاد على الأشياء يبطل عددها وكثرتها، وكل أشياء يبطل عددها وكثرتها تكون واحدة، فكلما يطلق الاتحاد على أشياء تكون واحدة فالمقدمة صادقة ونتيجتها أيضاً صادقة من دون ريب.

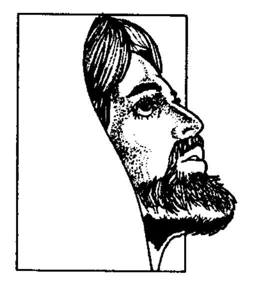
ثانياً:

اتضح أيها السادة أن اعتراضكم مقدمته مضطربة فنتيجته كاذبة لا صدق فيها، لأنه من حيث قلتم إنكم التزمتم أن تثنوا الطبائع لعدم حصول التغيير ما بينهما، فنسألكم أخبرونا بأية كيفية أجزتم أن تجمعوا النفس والجسد إلى طبيعة واحدة، بقولكم للمسيح طبيعتان طبيعة ناسوتية وطبيعة لاهوتية، مع أن الطبيعة الناسوتية قائمة من طبيعتين نفس وجسد ومع ذلك لم يحدث بينهما مماسة الاختلاط والامتزاج .. الخ.

ومع ظهور وتباين اضطراب هذا الاعتراض نحن نلزمكم أن تقروا بثلاث طبائع للمسيح، طبيعة حيوانية وطبيعة ملائكية وطبيعة ربوبية إلهية، بقطع النظر عن الجسد وما فيه من الجواهر المختلفة والذوات العديدة وهذه كلها باقية بدون تغيير.

ثالثاً:

الإيمان الأرثوذكسي الخالي من السفسطة يلزم المعتقد بطبيعتين أن يعتقد بأقنومين أيضاً.



مشكل ثان:

قال السيد لأختي لعازر أين وضعتموه، فمن هنا يتضح أن المسيح طبيعتان، لأنه لا يصح أن يكون غير عارف بلاهوته بل بناسوته بالأولى.

الجواب:

إن المسيح كان يعلم كل شئ بلاهوته وناسوته، لأنه أُعطِى سلطاناً تاماً مطلقاً ودليل معرفته صوت ابن زبدي قائلاً:

✞ «لَكِنَّ يَسُوعَ لَمْ يَأْتَمِنْهُمْ عَلَى نَفْسِهِ لأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ الْجَمِيعَ. وَلأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجاً أَنْ يَشْهَدَ أَحَدٌ عَنِ الإِنْسَانِ لأَنَّهُ عَلِمَ مَا كَانَ فِي الإِنْسَانِ» (يو ٢ : ٢٤ – ٢٥).

فإذا يسوع كان عالماً بالموضع وقوله هذا ليس لكونه لا يعلم الموضع بل ليتحقق صدق الآية تدبيراً منه كقول الله لآدم «أَيْنَ أَنْتَ؟» (تك٣:٩) ولإبراهيم «أَيْنَ سَارَةُ امْرَأَتُكَ؟» (تك ١٨ : ٩) وليعقوب «مَا اسْمُكَ؟» (تك ٣٢ : ٢٧) ولأهل سدوم «أَنْزِلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ» (تك ١٨ : ٢١) ولموسى «مَا هَذِهِ فِي يَدِكَ؟» (خر ٤ : ٣).

مشكل ثالث:

المسيح قال الآب أعظم مني، ولا يليق هذا القول أن يكون بلاهوته لأنه مساوٍ لأبيه بل بناسوته بالأحرى.

الجواب:

إن سيدنا لم يعن بقوله عن الطبيعة البشرية، بل عنى تنازله وترديه بالحلة البشرية وقبوله كل ما للبشر. فالآب أعظم من الابن في كونه لم يقبل ما قبل الابن من صيرورته إنساناً، وتنازله إلى غاية ما يكون من الذلة والتواضع والاحتقار والهوان، أما أن الكلمة صار جسداً فإذ صار الكلمة جسداً ألم يقبل

كل ما للبشر أعني الكلمة. فمن هذا الوجه يُقال إن الآب أعظم من الابن، وذلك بطريق الحق لأن الآب لم يقبل الآلام والصلب والموت والدفن إلى آخر ما يتعلق بالابن، وهذا هو صوت السعيد **بولس قائلاً**:

✞ «رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ» (٢كو ٨ : ٩).

✞ «إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ» (في ٢ : ٦ — ٨).

✞ «الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلْبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ» (عب ٥ : ٧).

واعلم أن هذا النقص أو التواضع أو الفقر لا يخل بشرفه، لأنه قبله لا تحت اضطرار أو اغتصاب بل بإرادته.

مشكل رابع:

المسيح قد أكل وشرب وتعب وتألم وذلك بطبيعة الناسوت، وصنع الآيات والأعاجيب إلى غير ذلك من القوى الباهرة والجرائح الظاهرة، فالمسيح يَصدُق عليه معنيان مختلفان، وكل معنى منهما لا يصلح آن يكون إلا بجوهر، فمن هنا يثبت حقيقة جوهري المسيح.

الجواب:

<u>إن غلط هذا الاعتراض يتضح من عدة أوجه:</u>

الأول: أنه غير ممتنع أن يكون جوهر واحد في الموضوع، يتصف بأوصاف مختلفة، وكل وصف منها لا يليق أن يكون إلا بجوهر، فمن ذلك أن الإنسان ناطق حي مائت. وكل معنى منها لازم بجوهر دون الآخر.

فالجوهر الناطق غير الحي، والحي غير القابل الموت، فكما أن الإنسان يصدق عليه معاني مختلفة وهو واحد بالجوهر والذات، فكذلك ولو أن المسيح يصدق عليه معاني مختلفة فهو واحد بالجوهر والذات، كما أنه واحد في الأقنوم.

الثاني: إن قولنا بطرس مهندس عالم طبيب متكلم بألسنة، غير قولنا آكل شارب نائم سائر، ولعمري إن كل نوع من هذين المعنيين المتصفه بهما ذات بطرس هو غير الآخر، ولا يليق لكل منهما أن يكون إلا بذات، فكما انه يصدق على بطرس أفعال مختلفة وهو ذات واحدة وجوهر واحد لا أكثر، فكذلك ولو صدق على المسيح أفعال مختلفة فهو ذات واحدة وجوهر واحد لا أكثر.

الثالث: إذا كان على مقتضى اختلاف أفعال المسيح فلا مانع إذاً أن نقول إن له أكثر من جوهرين. لأنه كما لا يخفي عن حيازة الفطين العالم ذي الرأي الصائب أن المسيح يصدق عليه أكثر من فعلين، لأن أعمال النفس غير أعمال الجسد، فإن النفس لا تقبل أكلاً ولا شرباً، فلا تجوع ولا تعطش ولا تتعب ولا تكبر ولا تصغر مما يختص بالجسد المحض، وأيضاً الجسد لا يدرك ولا يميز، وغير ذلك مما يختص بالنفس وأفعالها. فمن أين يكون الناسوت جوهراً واحداً وهو مع ذلك يصدق عليه أمور مختلفة. فمن هنا اتضح سفسطة هذا الاعتراض وفساد مقدمته واضطرابها.

مشكل خامس:

أما أعلن المسيح صراحة أنه ذو مشيئتين، بقوله «يَا أَبَتَاهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ» (لو ٢٢ : ٤٢).

الجواب:

قد تظهر حقيقة معنى قول المسيح هل يعنى مشيئة أم مشيئتين مما يأتي من تفسير هذه الصلاة بوجه الاختصار والبرهان الصادق عليها وهو أن إقدام المسيح على الموت إما أن يكون باختياره أو بدون اختياره، فإن كان باختياره نريد أن نعلم بأية كيفية ينتج من هذا أن المسيح له مشيئتان، إذ كان ما يختاره اللاهوت قد يختاره الناسوت، إذ لا مغايرة في الاختيار، وإن كان بدون اختياره، فتتفتح بذلك موانع صعبة:

أولاً:

يكون نقضاً لقول الرسول بولس القائل عن المسيح:

✠ «وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ» (فى ٢ : ٨).

فالسعيد بولس يشهد أن موته لم يكن بدون اختيار منه بل باختياره وطوعا منه. والحال لو أخذنا صلاته على ظاهرها وخوفه وقلقه وانزعاجه لأنتج كونه مات دون اختياره بل قهراً عنه، وأنت يا صاح قد تعلم أن السعيد بولس قد أثبت أنه مات طوعاً منه فإن لم تتأول صلاة المسيح لوجدت النقائض أي مات قهراً وطوعاً. وكل منهما ضد لصاحبه وذلك محال.

ثانياً:

أن السيد قد أوصى خواصه الأطهار ورسله الأبرار ألا يخافوا من الموت قائلاً:

✠ «وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ يَا أَحِبَّائِي: لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَبَعْدَ ذَلِكَ لَيْسَ لَهُمْ مَا يَفْعَلُونَ أَكْثَرَ بَلْ أُرِيكُمْ مِمَّنْ تَخَافُونَ: خَافُوا مِنَ الَّذِي بَعْدَمَا يَقْتُلُ لَهُ سُلْطَانٌ أَنْ يُلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ. نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ: مِنْ هَذَا خَافُوا!» (لو ١٢ : ٤ — ٥).

فيستحيل أن يقول المسيح قولاً ويعمل بخلافه، أعني أنه لا يصح أن يوصى خواصه بعدم خوف الموت ويخاف منه، لا سيما المسيح صار معلماً وعاملاً بعمله، ولهذا أوصى أن نقتفي أثره المقدس بقوله: «تَعَلَّمُوا مِنِّي» (مت ١١ : ٢٩).

وشهد بطرس الرسول قائلاً:

✠ «لأَنَّكُمْ لِهَذَا دُعِيتُمْ. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكاً لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ» (١بط ٢ : ٢١)

فمن ثم لا يصح أن يكون قدومه على الموت بخوف أو تحت اضطرار بل بإرادته وطوعاً منه لنتعلم منه ونقتفي أثره المقدس.

ثالثاً:

إن الأنبياء والرسل والشهداء وقاطبة المجاهدين الذين سفكوا دمائهم محبة في ربهم، قد ماتوا باختيار منهم وهم غير مكترثين برهبة الموت وخوفه وشدة العذابات المتنوعة كما شهد التاريخ، فان كان المسيح مات دون الاختيار فما فضله على أولئك، فكان الأجدر به أن يقتدي بهم لا أن يقتدوا هم به. وإن كان هذا الأمر يؤول إلى شناعة مثل هذه فلا لزوم لإثباته. فلزم أن يكون قدوم المسيح على الموت باختياره وإرادته، وإن كان باختياره وإرادته فلا ينتج من صلاة المسيح أن له مشيئتين.

مشكل سادس:

زعم صاحب كتاب الإيمان الصحيح قائلاً:

"إنه يمكن أن تقوم طبيعة واحدة من طبيعتين ناقصتين، ولكن مبدأ من المبادئ المسلّمة عند الفلاسفة واللاهوتيين أن من طبيعتين كاملتين لا يمكن أن تقوم طبيعة واحدة جديدة (بزعمه أننا إذا اعترفنا بطبيعة واحدة قد تكون هذه الطبيعة لا إلهية ولا إنسانية بل ثالثة غيرهما)"

ثم قال: "لو أمكن أن يتحد الإنسان والملاك فلا تحصل من ذلك طبيعة جديدة بل شئ آخر يتضمن إنساناً واحداً وملاكاً واحداً، كما كانا قبل الاتحاد من حيث أنهما طبيعتان كاملتان بذاتهما، ولا تحتاج أحدهما إلى الأخرى لتكميل ذاتها، إذ طبيعة الملاك ليس لها أن تكمل نقص الإنسان ولا طبيعة الإنسان لها أن تكمل نقص الملاك، بل كلتاهما كاملتان بذاتهما" (ص٤٥،٤٦).

الجواب:

يا للعجب، إن هذه أقوال فارغة خزعبلية لا فائدة فيها وهي لا تستحق الإجابة، غير أننا لا نبقيها عثرة للسذج وبسطاء القلوب الذين يسارعون إلى القبول وذلك لعدم معرفتهم، فنقول على قوله الأول إن من طبيعتين كاملتين لا تقوم طبيعة واحدة جديدة.

أولاً:

إن كان يزعم المعترض أننا بقولنا طبيعة من طبيعتين نعني أن من تلك الطبيعة القائمة من الطبيعتين هي ثالثة مستجدة من حيثية وقوع الامتزاج والتغيير والابتدال والاختلاط هذه التي من شروط الطبائع المتباينة المتكاثفة، فهذا لا نقوله ولسنا نعترف بالانقلاب والتغيير. بل أننا نقول إن الطبيعتين اتحدتا ببعضهما بوحدانية طبيعية، وذلك غير مرفوض، لا لاستحالة إحداهما إلى

الأخرى بل لكون طبيعة اللاهوت جعلت الناسوت معها واحداً طبيعياً، فالوحدانية ليست من قِبَل كونها صارت ثالثة مستحدثة، بل لكونها جعلت الاثنين أعنى اللاهوت والناسوت واحداً، فالواحد هو القائم من الاثنين، فهذا معنى قولنا طبيعة من طبيعتين، لأن الطبيعتين صارتا واحدة، فالواحدة من قبل اتحاد الطبيعتين مع بعضهما اتحاداً طبيعياً. كما قال **البابا كيرلس برسالته الأولى إلى سوكينسوس أسقف سوريا** الذي سأل القديس كيرلس هل يجب القول بطبيعتين أم لا، فأجابه بعد أن أعرب به حال ذاك الشقي ثيؤدوريت معلم نسطور قائلاً: "إن الطبيعتين اجتمعتا طبيعة واحدة، ومن بعد الاتحاد لا نفرق أحدهما من الأخرى ولا نقسم الواحد (الذي من اثنين) الغير مقسوم ونجعله اثنين، بل نقول إنه ابن واحد وحيد، مثلما قال آباؤنا طبيعة واحدة للكلمة المتجسد".

ثانياً:

وعلى شرط أن نسلّم له بأن طبيعتين كاملتين لا تقوم طبيعة واحدة باتحادهما بقطع النظر عن كونها مستجدة أو غير ذلك. ولكن هل نسلّم له بأن الإنسان طبيعة واحدة من طبيعتين ناقصتين غير كاملتين كما يزعم.

حاشا ثم حاشا، فإنه بناء لا حقيقة له، ولم يأتِ به أصحاب الرشد بل بالعكس فإن العلوم العقلية لا سيما والنقلية قد أوجبت غاية الإيجاب بأن الإنسان مركب من طبيعتين كاملتين غاية الكمال كما نرى بواسطة إرشاد العقل من أفرادهما الحيوان والملاك، فالإنسان طبيعة واحدة منه حيوانية لها من كل ما للحيوان من القوائم والأيدي وباقي الأعضاء والروح والجسم، ومنه طبيعة ملائكية لها من كل ما للملاك من العقل والنطق والبساطة واللطافة.

فهذا حد كمال كل منهما. فهل أحد يشك قائلاً أن جسم الحيوان ناقص في حد ذاته وكذلك أيضاً هل أحد يشك قائلاً أن الملاك ناقص. لا يكون ذلك. فإذا



ثبت كون الحيوان كاملا والملاك كاملا لقول إن الإنسان ملاكا وحيوان.

ملاك من قبل جوهره الملائكي، وحيوان من قبل جوهره الحيواني.

جوهره الملائكي قائم في ذاته مستغنى عن غيره في قيامه، كما لا أحد يشك في بقائه بعد فراقه الجسم من دون تأثير يلحقه في حد ذاته، فالنفس لا تحتاج في قيام ذاتها إلى الجسم لتكمل بواسطته، ولو كان ذلك لكانت تقبل التركيب وكل مركب ينحل تركيبه فمنتهي، ونحن فقد عرفنا سابقاً بأدلة كافية كون النفس ليست جزءاً من أجزاء الجسم بل هي غيره، لأن أفعالها غير قابلة ما يقبل الجسم. فإذا ثبت كون النفس جوهراً قائماً بذاته لا يحتاج في تكميل ذاته وقيامها إلى ذات أخرى. نقول أيضاً إن الجسم هو مركب من العناصر الأربعة الماء والأرض والنار والهواء، وقد أجمع علماء الفلاسفة كأرسطوطاليس [1] وغيره على أن قيام هذا الجسم من اجتماع هذه العناصر، وانحلاله من تفرقها، ورجوع كل عنصر منها إلى عنصره فهو كامل لأنه مركب من أربع طبائع، وليس قيامه بذات النفس بل بذاته، وإن كان البارئ جعل انفصال النفس عنه سبباً لتلاشيه، وذلك ليس من قبل كونه قائما بالنفس بل من قبل نظام البارئ وحكمته، ولو كان الجسم قائماً بالنفس لا بذاته لما كان جوهراً.

وكل ما ليس بجوهر فهو عَرَض وذلك مرفوض، بل بعكس ذلك، فإن هذا الجسم مركب من جواهر عديدة وذوات مختلفة، فالقول بأن نفس وجسم الإنسان طبيعتان ناقصتان ليس بصحيح.

والقائل لو أمكن أن يتحد ملاك بإنسان لما صارا طبيعة واحدة ليس بصحيح أيضاً، ودليل هذا هو أنه كما أمكن أن يصير ملاك وحيوان طبيعة واحدة أعني

(١) فيلسوف إغريقي، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر وقد كتب في العديد من المواضيع، بما في ذلك علوم الفيزياء والميتافيزيقا، الشعر، المسرح، الموسيقى، والمنطق والبلاغة والسياسة والحكومة، والأخلاق، والبيولوجيا، وعلم الحيوان. جنبا إلى جنب مع أفلاطون وسقراط ويعد واحداً من أهم الشخصيات في تأسيس الفلسفة الغربية (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) (الناشر).

النفس الروحية المخلوقة على شبه الله والجسم الأرضي الحيواني. وفي هذا كفاية لخالي الغرض وطالب الحق ونصرته، واعلم أن المعترض قد قال إن الناسوت ليس بمساوٍ للاهوت فلا يمكن أن يكونا طبيعة واحدة. وعلى ذلك نجاوب قائلين إن النفس ليست مساوية للجسم والفرق مشهور بينها وبينه فلا حاجة بنا إلى التعريف، فلا يمكن أن يكونا طبيعة واحدة إذا كان الأول ممتنعاً.

مشكل سابع:

قال صاحب كتاب الإيمان الصحيح صفحة ٩٠:

"إنكم تؤمنون ونحن نؤمن من نص الإيمان بأن طبيعة واحدة إلهية تقوم في ثلاثة أقانيم، وأن ثلاثة أقانيم توجد في طبيعة واحدة، إذاً لماذا تشكون الآن في أن طبيعتين تقدران أن توجدا بنوع إلهي عجيب في أقنوم واحد في الكلمة"

الجواب:

إن اعتقادنا بالثلاثة أقانيم بطبيعة واحدة أو جوهر واحد قد تحقق ببراهين وأدلة قبلها العقل وأتى بها النقل. فمن قبل العقل إذا استعمل عقلياً قد يحكم بأنه لا يمكن أن تكون طبيعة المولى إلا بثلاثة أقانيم. لأنها حد الكمال وموضع التمام. وقد مر إثباته ببيّنات تشهد لصحتها أرباب العلوم العقلية. ومن قبل النقل قد تحققت بصوت الوحي المثبت صدقه في مواضع كثيرة (واعلم لئلا تقع في الريبة أن المفهوم من الطبيعة هو المفهوم من الثلاثة أقانيم، والمفهوم من الثلاثة أقانيم هو المفهوم من الطبيعة، فليست الطبيعة قدراً زائداً على الأقانيم، ولا الأقانيم قدراً زائداً على الطبيعة، فبطل قول المعترض (طبيعتان في أقنوم واحد) حيث يتضح من قوله أن الأقنوم الإلهي زائداً على الطبيعة الإلهية).

وأما من قبل وجود طبيعتين في أقنوم واحد فقد رفضه العقل والنقل:

- **فمن جهة العقل:** قد يحكم بأنه لا يمكن أن تقوم طبيعة من دون أقنوم، يعنى لا يحكم العقل بأن الكلمة أخذ طبيعة ليست عامة ولا خاصة وإذا كانت لا عامة ولا خاصة فلا وجود لها في الخارج أصلاً. فهذا وجه حكم العقل.
- **ومن جهة النقل:** فلا يحكم بصحته البتة بل بعكس ذلك، كما هتف الرسول قائلاً: «صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا» (عب ١ : ٣).

وكما شهد البابا كيرلس في حرمه الثالث لنسطور وبروكلوس بطريرك القسطنطينية الذي قال: إن المسيح أقنوم واحد من أقنومين وغير ذلك. والنتيجة إن كان القول بطبيعتين في أقنوم واحد قد أنكره العقل ولم يشهد بصحته النقل فهو باطل. لا سيما أن الحقيقة قد تكون إما بعلم أو بغير علم. فإن كانت بعلم فتكون بأدلة وبراهين يحكم بصحتها. وإن كانت بغير علم فتكون بشواهد الوحي وآياته، وإذا نظرنا الوجهين نجدهما خاليين منها. فهذا وجه ظهور هذه البدعة.



حاشية

اعلم حرسك الله أن جميع الشهادات التي أتى بها صاحب كتاب الإيمان الصحيح هي محرفة غاية التحريف وهاك بعض شواهد أتى بها من **رسائل القديس كيرلس**. انظر صفحة ٢٥ من الرسالة الأولى التي أرسلها **إلى سوكينسوس الأسقف** قائلاً:

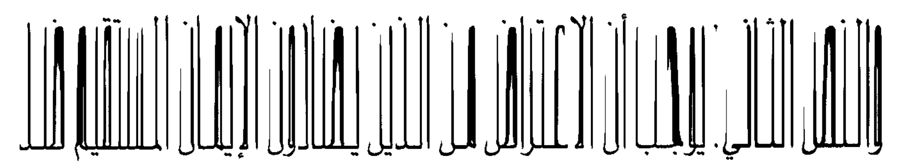
(نص كتاب الإيمان الصحيح)

"فإن أنكرنا أن المسيح الواحد هو من طبيعتين متميزتين موجودتين بعد الاتحاد الغير المنقسم، فليقل لنا الذين يضادون الإيمان المستقيم إن كان المسيح هو كله طبيعة واحدة فكيف صار إنساناً، وأي جسد تنازل فخصه لذته".

(حقيقته من كتاب اعتراف الآباء)

"وإذا رأينا هذا أن المسيح واحد كان من طبيعتين مختلفتين بعضهما من بعض، فهو غير مفترق من بعد الاتحاد، وسيقول لنا الذين يعاندون الأمانة المستقيمة إنه إن كان كله طبيعة واحدة صار إنساناً فكيف خلق له جسداً وحده، ولأني وجدت كلاماً هكذا في رسالتك إنه من بعد القيامة من الموت هل استحال جسد المخلص الطاهر إلى طبيعة اللاهوت حتى إنه كله صار لاهوتاً واحداً"
فالفرق ما بين كلا النصين أن بكل منهما يوجد اعتراض.

فالنص الأول: يوجب أن الاعتراض من البابا كيرلس على المخالفين الإيمان المستقيم المعتقدين بطبيعة واحدة كقوله فليقل لنا الذين يضادون الإيمان المستقيم إن كان المسيح هو كله طبيعة واحدة فكيف صار إنساناً، وأي جسد تنازل فخصه لذاته.



القديس كيرلس المعترف بالطبيعة الواحدة كقوله وسيقول لنا الذين يعاندون الأمانة المستقيمة إنه إن كان كله طبيعة واحدة صار إنسانا فكيف خلق له جسداً. والثاني الأحق بدليل تتابع الكلام.

(نص كتاب الإيمان الصحيح)

"وإن كانت الطبيعتان مختلفتين فإنهما بالاتحاد الحقيقي تجعلان مسيحاً واحداً وابناً. وذلك ليس من حيث أنه بطُل اختلاف الطبيعتين لأجل الاتحاد، ولكن لأن اللاهوت والناسوت اجتمعا اجتماعاً خفياً سرياً في أقنوم واحد قد جعلا لنا مسيحاً واحداً وابناً واحداً".

(حقيقته)

"والآن ثم طبائع كثيرة مختلفة يتآلف بعضها إلى بعض بالاتحاد الحقيقي واحد من اثنين. أعنى لاهوت وناسوت المسيح الابن. ليس تزيل هناك اختلاف الطبائع من أجل الاتحاد وبل تمما لنا بالأفضل الواحد الرب يسوع المسيح الابن بلاهوته وناسوته بالاتحاد الذي لا يوصف".

(نص كتاب الإيمان الصحيح)

"إننا نزعم ونقول إنه قد صار اتحاد الطبيعتين لكننا نعترف اعترافا مستقيما بأنهما مسيح واحد وابن واحد وإله واحد، وأمر ظاهر أن من يعلن إقراره بالإيمان المستقيم فيدعوهما طبيعتين، وأما كحسب اختلافهما فليستعمل ألفاظ الأقوال الإلهية".

(حقيقته)

"ولكن عقولنا تعتقد أن طبيعتين ما اتحدتا مختلفتين، ولكن نحن نقر بابن واحد، مسيح واحد، ورب واحد، لأن الكلمة صار جسداً، وإذا قلنا صار جسداً فإنما صار إنساناً، وما هي الضرورة أن يتألم بطبيعته وحده، ونحن نقول إن بعد الاتحاد هي طبيعة واحدة للابن الذي تجسد".

(نص كتاب الإيمان الصحيح)

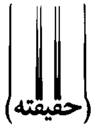
"صار اتحاد الطبيعتين فلذلك نعترف بمسيح واحد وابن واحد ورب واحد، وبموجب معنى هذا الاتحاد الغير المختلط نعتقد أن السيدة القديسة البتول هي والدة الإله، بما أن الإله الكلمة قد تجسد منها وصار إنساناً".

(حقيقته)

"صار وحدانية الطبائع ولأجل هذا نعترف بمسيح واحد ورب واحد وابن واحد، وبهذا الفكر الذي للاتحاد من غير اختلاط نعترف بأن العذراء القديسة والدة الإله، لأن الله تجسد وصار إنساناً، والجسد الذي اتخذه منها صيره واحداً معه من الوقت الذي حُبل به".

(نص كتاب الإيمان الصحيح ص٨٩)

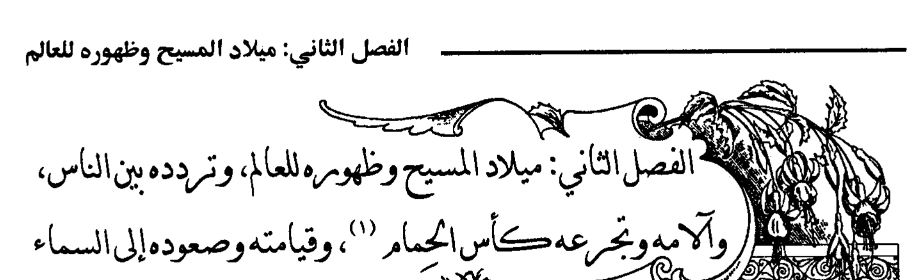
"إن الكلمة صار إنسانا وسمى ابن البشر، إذ اتحد بالجسد الكامل ذى النفس الناطقة، لا باتفاق المشيئتين والآراء ولا بأخذ الأقنوم الإنساني، لكن باتحاد الأقنوم الإلهي بنوع غير موصوف وغير مُدرَك، ومع أن الطبيعتين كانتا مختلفتين فمع ذلك اجتمعتا باتحاد حقيقي، وجعلتا لنا مسيحاً وابناً واحداً، ليس من حيث أنه رفع اختلاف الطبيعتين بالاتحاد، لكن من حيث أن اللاهوت والناسوت باقتران خفي غير موصوف بأقنوم واحد جعلا لنا يسوع مسيحاً وابناً واحداً".



"إن الكلمة اتحدت بالنفس الناطقة والجسد كالأقنوم، وليس يمثل به بالقول ولا بالمعرفة، وصار إنساناً وسُمى ابن البشر، وليس كالفكر والإرادة فقط، ولم يتخذ شكلاً بزيادة لكن من طبائع كثيرة مختلفة يتآلف بعضها إلى بعض بالاتحاد الحقيقي واحد هو من الاثنين، أعنى لاهوت وناسوت المسيح الابن، ليس نزيل هناك اختلاف الطبائع من أجل الاتحاد، بل تمما لنا بالأفضل الواحد الرب يسوع المسيح الابن بلاهوته وناسوته بالاتحاد الذي لا يوصف".

وهكذا مما سوف تقف على حقيقته من رسائل البابا كيرلس المدرجة في الجزء الثاني من هذا الكتاب.





الفصل الثاني: ميلاد المسيح وظهوره للعالم، وتردده بين الناس، وآلامه وتجرعه كأس الحِمام [1]، وقيامته وصعوده إلى السماء

سؤال: متى وأين وُلد المسيح؟

جواب:

ولد سنة ٥٥٠١ لخلقة العالم، ليلة تسعة وعشرين كيهك القبطي الموافق خمسة وعشرين كانون الأول الرومي، في مغارة بيت لحم يهوذا، **التي تنبأ عنها النبي قائلاً:**

✠ «أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطاً عَلَى إِسْرَائِيلَ وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ» (مى ٥ : ٢)

سؤال: كم ميلاد للمسيح؟

جواب:

ميلادان اثنان:

١. أزلي: وهو مولد من الآب بدون أم (مى ٥ : ٢).

٢. زمني: وهو مولده بالجسد بدون أب من العذراء.

التي تنبأ عنها إشعياء النبي قائلاً:

✠ «يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ (الله معنا)» (اش ٧ : ١٤)

(١) الحِمام تعني منية أو موت (الناشر).



جواب:

حقاً فإنه نزل ملاك من السماء وبشر رعاة كانوا يحرسون حراسات الليل على رعيتهم قائلاً:

✞ «فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ .. وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ» (لو ٢ : ١٠ – ١٤).

وسمعان الشيخ الموحى إليه أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب:

✞ «فَأَتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللهَ وَقَالَ الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ. لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ. الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ وَمَجْداً لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ» (لو ٢ : ٢٧ – ٣٢).

وحنة بنت فنوئيل من سبط أشير يومئذ كانت هنالك عابدة بأصوام و طلبات ليلاً و نهاراً تنبأت عليه (لو ٢ : ٣٦ – ٣٨).

وكوكب عجيب في منظره، مذهل في سيره، خارقاً العادة ظهر لملوك الفرس دالاً على ولادة ملك:

✞ «وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ. فَلَمَّا رَأَوُا النَّجْمَ فَرِحُوا فَرَحاً عَظِيماً جِدّاً. وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ وَرَأَوُا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَباً وَلُبَاناً وَمُرّاً» (مت ٢ : ٩ – ١١).

سؤال: كيف حبلت مريم بيسوع وولدته؟

جواب:

حبلت به وهي بتول وولدته وهي بتول، بقدرة اللاهوت الأقدس المتحد بالجسد، وقد سبق النبي فأنبأ بذلك قائلاً: «يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ» (اش ٧ : ١٤).

سؤال: هل استمرت مريم متبتلة بعد أن ولدت يسوع؟

جواب:

حقاً إن مريم قد حفظت ذاتها متعففة صائنة جسدها بدون ملامسة رجل إلى يوم مماتها، وذلك بتفاضل قوة اللاهوت التي ظللتها وجعلتها مسكناً لله الكلمة، ذاك الذي لم يزل مظللاً عليها بروحه القدوس وواهباً لها نعمته.

وحسبنا صوت النبي الشاهد على صدق دوام تبتلها قائلاً:

✠ «ثُمَّ أَرْجَعَنِي إِلَى طَرِيقِ بَابِ الْمَقْدِسِ الْخَارِجِيِّ الْمُتَّجِهِ لِلْمَشْرِقِ وَهُوَ مُغْلَقٌ. فَقَالَ لِيَ الرَّبُّ: هَذَا الْبَابُ يَكُونُ مُغْلَقاً» (حز ٤٤ : ١ — ٢)

إن البرهان الصادق والدليل الثابت لتحقيق صدق دوام بتولية مريم العذراء، يظهران من تلك المخاطبة والمناظرة التي حدثت وقت البشارة العظمى:

الأول:

فقول الملاك لمريم:

✠ «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هَذَا يَكُونُ عَظِيماً وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ. وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ

نِهَايَةٌ ، فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟»
(لو ١ : ٣٠ - ٣٤).

فجوابها هذا العجيب وبرهانها المفحم الغريب قد أشهر ذاتها إنها غير عازمة على معرفة رجل البتة ، لأن لسان حالها يهتف قائلاً : أنى وإن كنت مخطوبة لهذا الرجل البار المزين بجميع ضروب الفضائل إلا أنى قد تقدمت فأنذرت على يده وتحت رضاه عفة ذاتي، وطهارة بكوريتي، ونقاوة عذراويتي وبتوليتي ما دمت حية.

فيا أيها المنحدر من أعلى طبقات السماء، الحامل مراسيم سيده، المتمنطق بالعز والجلال والبهاء والكمال، كيف يخفي على من كان مثلك سر قد سبقت فأنذرت بإتمامه، فأنى لهذا أتعجب كل العجب كيف يكون ذلك وأنت جليل بقدرك، ملاك الله العزيز تقول لى إنكِ تحبلين وتلدين ابناً ، أفيحق لى بعد أن نذرت ذاتي وكرستها لأقدمها عفيفة نقية طاهرة من ألم الجسد ولذاته، أن أفسخ هذا النذر، الأمر الذي لا يأذن لى به الكتاب ولا الناموس.



فلذلك وإن كنت ملاكاً وإن نزلت من القناطر السماوية، وإن كان ما تبينه يفوق الطبع والعادة. فأنا لم أزل محافظة على تقدمة جسدي مكرسة إياه على الدوام، ولهذا أقول لست أعرف رجلاً ، فالظاهر من هذا البرهان الصادق أن مريم دائمة البتولية.

الثاني:

إن كلامها هذا قبل أن تحبل بالمخلص وتلده، فمن يا ترى يظن أنها خلفت نذرها وولدت أولاداً، ومن يظن أن خطيبها البار العفيف يوسف يجسر أن يقترب لذاك الجسم الذي تقدس وتطهر وزاد نقاوة بولادة ابن الله منه.

الثالث:

إن عدم دوام بتولية العذراء قد يخالف كمال المسيح، لأنه كما هو وحيد الآب، هكذا يلزم أن يكون وحيد أمه.

الرابع:

إن عدم استمرار مريم بتولاً يُهين الروح القدس الذي كان مستودع مريم مكرساً له، إذ صور فيه جسد المسيح الطاهر، ولذا لم يكن يليق أن يُعتدى عليه بجماع رجل.

الخامس:

يخالف مقام أم الله وقداستها، إذ يبان من ذلك أنها أنكرت إحسان الله، ولم ترتضِ بابن هذا عظم شأنه، بل أرادت أن تضيع البتولية التي حفظها ابنها لها، بمضاجعة رجل.

السادس:

يخالف وعد الملاك بأنها وجدت نعمة لم يجدها أحد قبلها ولا بعدها (إذ من المستحيل أن يولد ابن الله ثانية) بأن تلد ابناً وتدعو اسمه يسوع وهذا الولد يكون عظيماً وابن العلى، وزيادة على ذلك فإنه يملك على بيت يعقوب جالساً على كرسي داود أبيه إلى الأبد. وذلك الكلام الذي هتفت به العجوز العاقر أليصابات قائلة:

✞ «مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ! فَمِنْ أَيْنَ لِي هَذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟»

فيكون الملاك وأليصابات قد غدراها بعذوبة الألفاظ، لأنها لم تنتفع من تلك المواعيد. إذ كانت قاصرة على وقت حملها، وغب أن ولدت رجعت إلى حالة النساء وألم الجسد. ففرغت أن تكون مباركة في النساء ووالدة ربها. لأن تلك المواعيد كانت نتيجتها أن تحظى مريم بمجد ونعمة دائمة من قِبَل ولادتها ابن الله والآن ليس الأمر كذلك.

السابع:

إن ذلك يحسب في يوسف نفسه تكبراً فظيعاً إن كان حاول أن يدنّس من أوحى إليها الملاك، إنها حبلت بالله من الروح القدس، وصارت عروسة لملك الملوك وسيد السادات، فكيف يجسر يوسف أن يدنو إليها بعد أن نظر تلك العجائب البينة الباهرة الدالة على أن المولود منها ملك لا أرضياً بل سماوياً، لا مخلوقاً بل خالقاً رب أبدي ملك السلام وأبو الدهور الآتية.

الثامن:

أن الوحي أبان غاية البيان بأن مريم خالية من الشك بإبقاء دوام بتوليتها:

✞ «فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ وَالتِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفاً قَالَ لِأُمِّهِ: يَا امْرَأَةُ هُوَذَا ابْنُكِ . ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ: هُوَذَا أُمُّكَ. وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التِّلْمِيذُ إِلَى خَاصَّتِهِ» (يو ١٩ : ٢٦ – ٢٧).

والنتيجة لو كان لها أولاد غير يسوع لما كان يعطيها لأحد تلاميذه، بل كان الأولَى أن يعطيها لأولادها لكي يقوموا بحاجتها، ثانياً كيف يرضى أولادها بأن يأويها الغريب، فهذا من المحال.

أما قول المعترض بهذا الشأن فهو أن مريم بعد أن ولدت يسوع، ولدت من يوسف بنين وبنات، مقدماً بعض شواهد من النص الإلهي ومفسراً إياها على خلاف معناها وهي أولاً:

✞ «وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ» (مت ١ : ٢٥)

فيقول المعترض إن يوسف بعد ولادة يسوع قد ضاجع مريم، ثانياً: قوله أيضاً (البكر) وكل بكر لابد أن يكون بعده أولاد آخرين، ثالثاً: قول الإنجيل: «وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُ الْجُمُوعَ إِذَا أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ قَدْ وَقَفُوا خَارِجاً طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوهُ» (مت ١٢ : ٤٦).

فيقول المعترض لأجل ذلك ها قد أوضح النص أن يسوع له أخوة وذلك من مريم.

ونحن على ذلك نجيب:

الاعتراض الأول: أي ولم يعرفها حتى ولدت أبنها البكر مفند من وجهين:

الأول:

إن لفظة (عرف) لم تأتِ دائما في الكتاب المقدس بمعنى المضاجعة، بل وردت على الأكثر بمعنى العلم بالشئ، وهو المعنى العام وبناءً عليه نقول إن قول الإنجيل لم يعرفها أي أن يوسف لم يعرف استحقاق مريم وشرفها وسمو مرتبتها، وإنها حاملة بحامل المكونات بقبضة يده وماسك أزمتها حتى ولدت، ورأى أجواق الملائكة ترتل بنغمات التسابيح عند مولده، فدعا اسمه يسوع كوعد الملاك له، فحينئذ عرف أنها التي قيل عنها بالأنبياء أنها أم المخلص المنتظر المستحقة كل التوقير والإجلال. ويزيد ذلك تأييداً من الآيات السابقة للآية، من اهتمام يوسف بتخليتها كأنه غير عارف أنها حبلى بابن الله، كأنه يقول أن يوسف لم يعرف علو مقامها إلا لما رآها قد ولدت على غير عادة النساء، ورأى الملائكة يرتلون ويسبحون، والرعاة يبشرون.

الثاني:

وعلى شرط أن تكون لفظة (عرف) أتى بها النص هنا بمعنى ضاجع، فمع ذلك لا يثبت إدعاء المعترض أصلاً. وذلك أن حتى في قول الإنجيلي «وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ» عينت عدم المعرفة قبل الولادة، ولم تنفِ بعدها.

وذلك معلوم مما ورد مثلها في النص الإلهي:

✞ «وَلَمْ يَكُنْ لِمِيكَالَ بِنْتِ شَاوُلَ وَلَدٌ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهَا» (٢صم ٦ : ٢٣).

✞ «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ» (مز ١١٠ : ١).

✞ «وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (مت ٢٨ : ٢٠).

فمن كان ذا فكر صائب وفهم رائق يعتبر أن ميكال لم تلد أبناً البتة، وأن الرب لم يزل جالساً عن يمين الأب، وإن المسيح لم يبطل أن يكون مع الرسل بعد انقضاء العالم. فهكذا ولم يعرفها حتى ولدت أي لم يعرفها قبل الولادة ولا بعدها.

الاعتراض الثاني: قول المعترض ولدت أبنها البكر.

والجواب أن البكر لا يشترط أن يكون بعده أولاد، بل كل من وُلد أولا سُمى بكراً، سواء وُلد بعده أخوة أم لا. وهذا قول الباري نحو بني إسرائيل:

✞ «وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: قَدِّسْ لِي كُلَّ بِكْرٍ كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ» (خر ١٣ :١، ٢).

والدليل على ذلك أن بنى إسرائيل كانوا يقدسون البكر منذ مولده بدون توقع ولادة أخ آخر، ولو كان البكر يشترط أن يولد بعده أخوه لكانت تنتظر ولادة أخ آخر، وذلك لم يرد في الكتاب.

الاعتراض الثالث: قوله إن يسوع له أخوة.

والجواب أن أخوة المسيح ليسوا من أمه، بل من أبيه أو أهله أو أقاربه، بدليل ما ورد في سفر التكوين (تك ١٣ : ٨ ، تك ٢٠ : ١٢، تك ٢٧ : ٢٩، تك ٣١ : ٣٧).

وقد شهد كتاب خلاصة الأدلة السنية على صدق أصول الديانة المسيحية المطبوع بيد الاميركان أن يعقوب أخا الرب، ليس من أمه بل من امرأته الأولى، أو من أخت أمه (ص٣٨).

فيكون أخوة يعقوب أيضا ليسوا من أم يسوع، وفي هذا كفاية أن مريم لم تزل عذراء قبل الولادة وبعد الولادة.

سؤال: متى ظهر السيد للعالم؟

جواب:

ظهر بعد أن مكث ثلاثين سنة، بشهادة يوحنا ابن زكريا وشهادة الآب عنه، بقبوله العماد من يوحنا حينما كانت تتقاطر إليه جموع اليهود معتمدين بمعمودية التوبة، معترفين بخطاياهم، فتقدم يسوع لكي يعتمد لا على سبيل الاحتياج، إذ هو مسد احتياج المعوزين، لكن ليُخفض ارتفاع وتشامخ أنف رؤساء اليهود الذين أبوا أن يعتمدوا من يوحنا.

فلما اعتمد انفتحت السموات إجلالاً لقدره، ورفعة شأنه، وسمو مقامه، وهبط عليه الروح القدس بشبه حمامة، وهتف الآب من السماء قائلاً:

✞ «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (مت ٣ : ١٧).



سؤال: لماذا اعتمد المسيح؟

جواب: لأمرين:

الأول:

إذ كانت أعماله كلها قولاً وفعلاً، تعليمية تهذيباً للطبيعة البشرية. فاعتمد اتضاعاً، ليتعلم الناس من انحناء رأسه وهو السيد أمام يوحنا العبد ابن العبد، فيسلكون طريقه الصالحة، ويسيرون مسلك قدميه الطاهرتين، ويقتفون أثر رجليه المقدستين. وهذا ما هتف به نحو يوحنا إذ امتنع من عماده قائلاً:

✞ «اسْمَحِ الآنَ لأَنَّهُ هَكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ. حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ» (مت ٣ : ١٥).

أي وإن كنت سيدا وأنت عبدا ، وإن كنت منذ اتحاد لاهوتي بناسوتى صرت لست بمحتاج إلى عمادك، إلا أنه لى بذلك عمل رفيع وقصد عالى، وهو إنى أكمل كل البر الذي عجزت عن إكماله الطبيعة بأسرها، وأجعلها بنعمتى وتعليمى لها أن تدخل في سلك التواضع، فتقتفي أثرى وتغلب عدوها.

الثاني:

إذا كان سر التثليث والتوحيد لم يسبق ذكره في كتب الأنبياء والناموس إلا بالرموز والإشارات، وهو كان خافياً عن أعين الشعب الإسرائيلي بهذا المقدار، فأراد السيد المجد لنعمته أن يظهره ويجعله مبدأ الخيرات الجديدة وأرومة [1] الاعتقاد المسيحي. فالابن كان يعتمد والروح القدس نازلاً عليه وصوت الآب من السماء يشهد قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت.

سؤال: ماذا باشر بالعمل بعد العماد؟

جواب:

أُخرج بالروح إلى البرية ليُجرَّب من إبليس صائماً أربعين يوما بلياليها، واضعاً للمؤمنين مثالاً للإقتداء به، وفي تمامها أظهر على ذاته علامة الجوع إرادياً [2] لكي يعطى سبيلاً للمجرب ليقترب منه للتجربة، فدنا منه واختبره مُجرِّباً إياه كما جرب آدم الأول بالشراهة والكبرياء والمجد الباطل، ولكنه لم

---

(١) أرومة بمعنى جذر أو أصل (الناشر).

(٢) وهذا مما يدل على أن جوع المسيح لم يكن طبيعياً بل ارادياً، والدليل على ذلك انه ليس بمقتضى حكم الطبيعة، لأنه كما هو معلوم أن الطبيعة من مقتضى حكمها أن تجعل الإنسان يطلب الغذاء فى وقت مقرر معتاد عليه بالطبيعة. وإن جاز ذلك الميعاد فيبدو استهلال الجوع ويظهر عليه شيئاً فشيئاً حتى ينتهي في المقدار، وذلك رغماً عن الإنسان.

وإذا تأملنا بعين العقل وإرشاد الروح خالعين عن أحقاء قوى عقولنا التحزب بالأغراض والميل العالمى، نرى أنه شتان ما بين جوع المسيح وجوعنا، كما أخبرنا الإنجيلي انه جاع أخيراً، أى حينما أراد واختار ذلك، ظهرت على هيئته علامة الجوع. ومن ذلك نرى أن المسيح كان غير محتاج إلى هذا الطعام، بل طعامه أن يعمل مشيئة أبيه.

يعلم أن نسل المرأة يسحق رأسه، فلما لم يجد طريقاً كما بآدم وحواء ولى الإدبار هارباً، وبواسطة ذلك علّمنا ابن مريم حيله الكاذبة وصنائعه الخبيثة، وأعطانا سلاح الغلبة أعنى الإمساك عن الشراهة ورفض المجد الباطل، وبعدما فرغ من مكافحته مع العدو شرع يكرز ببشارة الحياة معلماً الناس طريق الكمال ومهذباً إياهم.

سؤال: كم هي أقسام تعليمه؟

جواب:

قسمان عقائدى وعملي، وهذان النوعان مبنية عليهما كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته.

فالعقائدى: هو الإيمان والإيقان بوحدة ذات الله وتثليث أقانيمه. [1] كما مر بك مع ما يتعلق بالتجسد المجيد.

والعملي: هو ما يجب على كل مؤمن عمله لنوال السعادة الأبدية والملك السعيد. كما سترى في باب الأعمال.

---

(١) *«لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ» (يو٣:١٦ـ١٨).

*«اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ» (يو٣:٣٦).

*«لأَنَّ هذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ» (يو٦:٤٠).

*«اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي. وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. أَنَا قَدْ جِئْتُ نُوراً إِلَى الْعَالَمِ حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ» (يو١٢:٤٤ـ٤٦).

*«أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي» (يو١٤:٦).

*«وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ» (يو١٧:٣).

سؤال: هل أقام الآب شواهد تدل على صدق دعوة ابنه وأنه هو المسيح المنتظر؟

جواب:

نعم:

أولاً:

أقام الأنبياء من قبل مجيئه، فأظهروا أمره وكيفية سلوكه وتردده على الأرض كما نظرت، وبهذا الدليل أفحم يسوع الشعب الإسرائيلي قائلاً:

✠ «فَتِّشُوا الْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي» (يو ٥ : ٣٩).

✠ «لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي. فَإِنْ كُنْتُمْ لَسْتُمْ تُصَدِّقُونَ كُتُبَ ذَاكَ فَكَيْفَ تُصَدِّقُونَ كَلاَمِي؟» (يو ٥ : ٤٦ – ٤٧).

ثانياً:

أقام النجم والملائكة فبشروا الرعاة الذين كانوا ساهرين في الحقل، بأن راعي الرعاة الحقيقي قد ظهر على الأرض، والرعاة شهدوا بمجده ومجدوا عظائم الله، والنجم الذي كان خارقاً العادة، مذهلاً في سيره، عجيبا في رؤيته، لأنه كان يتقدم المجوس ظاهراً ليلاً ونهاراً.

ثالثاً:

أقام يوحنا ابن زكريا الرجل البار المعتبر لدى عموم وخصوص اليهود، ولهذا كان يهتف شاهداً عندما سُئل من اليهود قائلاً:

✠ «أَنَا أُعَمِّدُ بِمَاءٍ وَلَكِنْ فِي وَسَطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي الَّذِي صَارَ قُدَّامِي الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ ... وَفِي الْغَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ فَقَالَ: هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ

الْعَالَمِ. هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ يَأْتِي بَعْدِي رَجُلٌ صَارَ قُدَّامِي لأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي» (يو ١ : ٢٦ - ٣٠).

رابعاً:

أقام المجوس الذين دخلوا أورشليم فبشروا بولادة ملك اليهود، وأراد بهؤلاء حتى تكون الشهادة منهم ومن غيرهم فلا يبقى لهم علة في عدم قبولهم إياه.

خامساً:

أظهر بشخصه البرهان الساطع القاطع، وذلك بفعله الآيات التي عجز عنها كافة أنبياء العهد القديم وقصرت يدهم عن فعلها، لأنه كان بأمره وسلطانه الذاتي، يأمر البحر فيسكن عواصفه ويهدئ عجيج وضجيج تلاطم أمواجه، وبكلمته يقيم الموتى من حضيض الموت، ويشفي الأمراض العضال، ويفتح أعين العمياء، وبصوته يرعب جماهير الأرواح النجسة، وبقوته يشبع من خمس خبزات ألوفاً من العالم، إلى غير ذلك من القوى والآيات كان يعلم بما يضاد قبول الطبيعة بالامتناع عن أعمال الشر والنجاسة، وحثه الناس أن يعملوا أعمال البر والقداسة، قائداً إياهم من الظلمة وظلال الموت إلى محجة النور والحق.

سادساً:

أقام له شهوداً من بعد قيامته، وأيدهم بصنع العجائب الخارقة الطبع، فأبهروا الأنام بمنادتهم بالكرازة، وصدَّعوا الآذان وأفحموا الفلاسفة بالبرهان الروحي، ونشروا دعوة معلمهم بأسرع وقت لا بقوة جسدية كانت تساعدهم على ذلك، بل بتأييد معلمهم لهم على ما يُعجِز الطبيعة البشرية.

سؤال: ماذا عمل بعدما ابتدأ بالكرازة؟

جواب:

وهو جائل يطوف المدن والقرى كارزاً ببشارة الحياة الجديدة المؤدية إلى الأماكن الأبدية، ويحث الناس على العمل الذي يرضى الله أبيه، أي أن يعملوا أعمال الله، ويؤمنوا بالذي أُرسل من قبله، وانتخب اثنى عشر رسولاً واثنين وسبعين مبشراً، وخولهم السلطة على إخراج الأرواح الشريرة وشفاء الأمراض (مت ١٠ : ٢ – ٤، لو ١٠ : ١). وأمرهم أن ينادوا بالبشارة في مدن اليهودية وقراها، وفي أثناء إذاعته البشارة تصدى له رؤساء اليهود، وقاوموه بغضاً وحسداً لكثرة أعماله وشهرة صيته في كل موضع، فكانوا على الدوام ينصبون له الشرك والحبائل ليصيدوه بها ليمسكوا عليه الحجة ليقتلوه، ولما تمت له ثلاثة سنين وبضعة أشهر منذ عماده، أسلم ذاته لهم، فأمسكوه وعلقوه على الصليب ظلماً، ومات عنا باختياره مصلوباً بمدينة أورشليم يوم الجمعة في الساعة التاسعة من النهار.

سؤال: ما المراد بكونه مات عنا؟

جواب:

قد علمت بحسب ما تقرر آنفاً أن سقوط أبوينا في الخطية جلب الموت عليهما وعلى كافة ذريتهما، وصار الجميع عبيداً للخطية والموت، ولم يكن ممكنا للنوع البشرى بأسره أن يقدم الوفاء عن شر هذه الخطية.

لأن الخطية المفعولة في حق الجلال الإلهي هي ذات شر مساوٍ لشرف الجلال الإلهي المهان بها، والدليل على ذلك أن الخطية يعظُم شرها ويصغُر بالنسبة إلى المضافة إليه، فالخطية المفعولة في حق أدنى الناس ليست كالمفعولة في حق الملك، لأنها وإن كانت واحدة بالكيفية وبقية الظروف، إلا أن فعلها في حق

الملك يهينه على حسب قدره، فالإساءة إذاً تتخذ ثقلها وخفتها من خارج من قِبل المضافة إليه.

وعلى هذا النموذج تكون الخطية أنتجت إهانة غير متناهية بمقدار ما أنها أضيفت إلى شرف غير متناهٍ، والحال أن جلال المولى غير متناهٍ ولا محدود، فتكون الخطية في حق المولى ذات شر غير متناهٍ وغير محدودة، فالخطية أبعدت النوع البشرى عن الله بعداً غير متناهٍ بمقدار ما أنها أهانت إلهاً غير متناه، وإذا كانت الطبيعة احتاجت أن تفي عن تلك الخطية وهي قاصرة لأنها متناهية وأفعالها متناهية، فشتان ما بين شر الخطية الغير متناهٍ وأفعال الطبيعة البشرية الوفائية المتناهية، فلم يكن ممكناً للطبيعة البشرية أن تقوم بالوفاء، والله لا يمكن أن يخالف عدله الإلهي، لأنه كما أنه يتمجد برحمته كذلك يتمجد بعدله.

والمولى قد خلق النوع البشرى للسعادة لا للفساد كما نظرت سابقاً، فلابد والحالة هذه من أن الطبيعة تحوز استغفاراً، والعدل لإيفاء يقوم بحقه من قبل الطبيعة كما نظرت، لأنها قاصرة، فأوجد المولى طريقة خلص بها الجنس البشرى، وهي انه أرسل ابنه فادياً قائماً مقام الطبيعة البشرية، فصار الوفاء منه وإليه (لأن الرحمة والعدل تقابلا). فقدم ذاته للموت، وأبطل الموت بموته ووالي سلطان الموت الذي هو الشيطان، وعتق الذين تحت عبوديته (عب ٢ : ١٤ — ١٥).

سؤال: كيف يقتبل الآلام والموت وهو ابن الله؟

جواب:

إن قبوله الآلام والموت، لم يكن من حيثية لاهوته الأقدس، إذ اللاهوت منزه عن كافة الانفعالات، ولذلك لا تتطرق إليه التأثيرات، لكن بما أنه متحد بالناسوت اتحاداً ذاتياً طبيعياً جوهرياً أقنومياً، لا يعقبه انفصال ولا افتراق ولا تثنٍ، فلا يمكن أن نخصص لكل منهما فعلا، وقد علمت كما مر بك أن

الشئ المركب من ذوات عديدة وأشياء مختلفة إذا نال أحد أجزائه عارض فيكون لكليته، فما وقع بهذه الذات الواحدة المركبة من ذاتين، وبهذا الكيان الواحد القائم من كيانين، أفعال جسدية كالأكل والصوم والجوع والتعب والآلام والموت وتتمتها تنسب للاهوت الابن أيضاً، وما وقع من الأفعال اللاهوتية كالشفاء وإقامة الموتى تنسب للناسوت أيضاً، فيكون الله تعب وتألم ومات وقُبر وقام، وسار في الطريق وجاع وعطش وأكل وشرب، والإنسان صنع العجائب وأقام الموتى كمقتضى حُكم النص الإلهي.

سؤال: كيف قال لاون بابا روما إن الكلمة تفعل ما يختص به الكلمة، واللحم يكمل ما يختص به اللحم، فالواحد من المذكورين (الاثنين) يُبهر بالمعجزات والآخر ملقَى للشتائم، وقال بالحق يأتي المسيح اثنين وهما إله وإنسان؟

جواب:

إن هذه العقيدة ليست مطابقة لحكم النص الإلهي، وأصوات الآباء المكرمين. فلهذا تكون غير مقبولة عندنا ودونك برهان الوحي الغير قابل للتأويل.

قال المسيح:

✠ «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو٣:١٦).

وقال أيضاً حكاية عن الآب:

✠ «فَأَخِيراً أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ ابْنَهُ قَائِلاً: يَهَابُونَ ابْنِي!. وَأَمَّا الْكَرَّامُونَ فَلَمَّا رَأَوْا الابْنَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هَذَا هُوَ الْوَارِثُ. هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ وَنَأْخُذْ مِيرَاثَهُ!. فَأَخَذُوهُ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ» (مت٢١: ٣٧ ـ ٣٩).

وقال أيضاً:

✞ «أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتاً وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ» (رؤ١: ١٨، ١٧).

وقال بطرس الرسول:

✞ «وَلَكِنْ أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ. وَرَئِيسُ الْحَيَاةِ قَتَلْتُمُوهُ» (أع٣: ١٤، ١٥).

وقال بولس الرسول:

✞ «إِحْتَرِزُوا إِذاً لأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً لِتَرْعُوا كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ» (أع٢٠: ٢٨)

✞ «لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ» (١كو٢: ٨).

✞ «ظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا» (تي٢: ١٣، ١٤).

✞ «اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا» (رو٨: ٣٢).

✞ «لأَنَّ الْمَسِيحَ إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لأَجْلِ الْفُجَّارِ» (رو٥: ٦).

✞ «وَلَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا» (رو٥: ٨).

✞ «لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ. لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ بِالآلاَمِ» (عب٢: ٩، ١٠).

سؤال: إن كان جوهر اللاهوت لطيفاً فكيف تتطرق إليه الانفعالات؟

جواب:

إن الله لم يقبل الموت بلاهوته، بل بجسده ولو أمكن أن يقبل الله الموت بلاهوته، لما اخذ جسداً واتحد به وصيره معه واحداً، بل كان يُباشر العمل بذاته، والحال أن الله بنعمته ذاق الموت (عب٢ :٩) أي ذاق الموت بالجسد (١بط ٤ : ١) الذي صيره معه واحداً.

سؤال: ولماذا لم نقل مات الجسد، بل الله بالجسد؟

جواب:

بالنفي لعدة أوجه:

الأول:

لئلا نخالف حكم النص كما نظرت من الشواهد الدالة على أن المائت ليس إنساناً بل إله.

✝ «وَلَكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ. لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ بِالآلاَمِ» (عب ٢ : ٩ — ١٠)

الثاني:

إننا قد تقدمنا فأثبتنا بالبرهان أن الله بجوده قد جاد على النوع البشري ببذل ذاته للموت، ولو كان بذل ذاتاً أخرى غير ذاته لما كان هذا الجود جوداً، وإذا كان الأمر ينفي الإقرار بجود الله وهبته الغير متناهية فلا يكون المائت إنساناً بل إلهاً لأن الله بنعمته ذاق الموت لأجل كل أحد.

الثالث:

خلافاً عن البرهان العقلي المسلّم بصحته أن الإنسان قد صار قاصراً عن تأدية الوفاء للعدل الإلهي، قد أوضح غاية الإيضاح النص الإلهي أن لا خلاص إلا بموت ابن الله الفادي الوحيد.

كما قال إشعياء النبي:

✞ «فَرَأَى أَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ وَتَحَيَّرَ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ شَفِيعٌ. فَخَلَّصَتْ ذِرَاعُهُ لِنَفْسِهِ وَبِرُّهُ هُوَ عَضَدَهُ» (إش ٥٩ : ١٦).

وقال هوشع النبي:

✞ «لاَ أَعُودُ أَرْحَمُ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ أَيْضاً بَلْ أَنْزِعُهُمْ نَزْعاً. وَأَمَّا بَيْتُ يَهُوذَا فَأَرْحَمُهُمْ وَأُخَلِّصُهُمْ بالرَّبِّ إِلَهِهِمْ» (هو ١ : ٦ – ٧).

وقال داود النبي:

✞ «لاَ تَتَّكِلُوا عَلَى الرُّؤَسَاءِ وَلاَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَيْثُ لاَ خَلاَصَ عِنْدَهُ» (مز ١٤٦ : ٣).

قال إرميا النبي:

✞ «مَلْعُونٌ الرَّجُلُ الَّذِي يَتَّكِلُ عَلَى الإِنْسَانِ وَيَجْعَلُ الْبَشَرَ ذِرَاعَهُ وَعَنِ الرَّبِّ يَحِيدُ قَلْبُهُ» (إر ١٧ : ٥).

سؤال: كيف كان يصرخ يسوع على الصليب قائلاً «إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي» هل يقصد بذلك انفصال لاهوته عن ناسوته؟

جواب:

حاشا وكلا، بل كما علمت سابقاً أن صلاة السيد لا تتعلق باستمداد العائد له بل لغيره.

الأول:

إذ كانت كل أعمال السيد تعليمية قولاً وفعلاً، فيُعلّم البشر انه إذا وقع أحد في أية تجربة من التجارب المتنوعة يداوم الطلب والاستغاثة ويستمد العون من الله جلَّ وعلا، حتى يرأف به ويرحمه.

ولأن الكلمة صار جسداً، أي إنساناً نائباً عن الطبيعة البشرية بأسرها قائلا لماذا يا سيد تركتنى هذا الزمان كله منذ إخراجك إياي من الفردوس، فارحم جبلة يديك الطاهرتين وأصعدني من حطة منزلتي إلى مكاني الذي خرجت منه بإغاظة حماقتي إياك أنت يا قدوس.

الثاني:

ويقصد بهذا القول تنبيهاً لأعين اليهود الغافلة حتى يوقظ ذاكرتهم إلى ما قد سبق فأنبأ به داود النبي في المزمور الثاني والعشرين المبدوء «إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي»، كأنه يقول لهم بلسان حاله فتشوا وانظروا ماذا قال نبيكم في هذا المزمور وقابلوه على صلبي وآلامي لتعلموا أنى أنا هو الذي تنبأ عنه داود.

سؤال: كيف كان موت ابن الله؟

جواب:

موته كان بمفارقة نفسه الزكية لجسده الطاهر مع ثبوت اتحاد اللاهوت واستمراره بجسده ونفسه.

سؤال: أين ذهبت النفس بعدما افترقت من الجسد؟

جواب:

إنها وهي متحدة باللاهوت الأقدس هبطت إلى الجحيم، وكسرت أبوابه، وأخرجت نفسي آدم وحواء، وجميع الأنفس المسجونة بطائلة خطيتهما، وأصعدتهم إلى فردوس النعيم.

سؤال: ما هي شهادة الوحي عن نزول السيد إلى الجحيم وصعود آدم وذريته منه؟

جواب:

هي قول داود النبي:

✞ «لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ» (مز ١٦ : ١٠).

✞ «صَعِدْتَ إِلَى الْعَلاَءِ. سَبَيْتَ سَبْياً» (مز ٦٨ : ١٨).

ففسر الرسول هذا القول قائلاً:

✞ «وَأَمَّا أَنَّهُ صَعِدَ، فَمَا هُوَ إِلاَّ إِنَّهُ نَزَلَ أَيْضاً أَوَّلاً إِلَى أَقْسَامِ الأَرْضِ السُّفْلَى» (أف ٤ : ٩).

وقول إشعياء النبي:

✞ «لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ» (إش ٤٢ : ٧).

وقول زكريا النبي:

✞ «وَأَنْتِ أَيْضاً فَإِنِّي بِدَمِ عَهْدِكِ قَدْ أَطْلَقْتُ أَسْرَاكِ مِنَ الْجُبِّ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ» (زك ٩ : ١١).

وقول بطرس الرسول:

✞ «اَلَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضاً أَوْجَاعَ الْمَوْتِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِناً أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ» (أع ٢ : ٢٤).

✞ «الَّذِي فِيهِ أَيْضاً ذَهَبَ فَكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ» (١بط ٣ : ١٩).

وقال البابا أثناسيوس الرسولي في إحدى رسائله للأريوسية:

"بوابو الجحيم نظروه فهرعوا هاربين".

سؤال: من أين علمنا أن السيد أدخل النفوس إلى الفردوس؟

جواب:

من قوله ووعده للص اليمين (الذي آمن بربوبيته وسؤدده) قائلاً:

✞ «الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» (لو ٢٣ : ٤٣).

علـى أن الفـردوس منـذ غلقـه بـسبب خطيـة آدم لم يدخلـه أحـد (تـك ٣ : ٢٤)، بـل الجميـع كـانوا تحـت يـد العـدو أبـراراً وأشـراراً إلى حـين مـوت الابـن، فـداس الموت بالموت، ودخل الجحيم وقوض أركانه وأخرج الأنفس المحبوسة، وبقوله للص «الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ» علمنا من ذلك أنه أدخل أنفس الأبرار مع نفس اللص.

سؤال: ما هو الفردوس الذي دخلته الأنفس؟

جواب:

هو الفردوس الأرضي الذي خرج منه آدم وحواء. [1]

سـؤال: ألا يمكـن للنفـوس أن تملـك الـسعادة التامـة والفـردوس الـسماوى بـدون أجسادها؟

جواب:

حاشا وكلا، لأنه لا يليق ويحسن في عدل الله أن تملك النفوس المُلك [2] الذي لا يزل معدا لقيامة الأبرار دون أجسادها. **والدليل على ذلك هو:**

---

(١) رأى خاص بالمؤلف (الناشر).

(٢) أولاً: إن النص الإلهي قد حتم حتماً شرعياً ألا يجازى أحد قبل يوم النشور وانحشار العوالم بمكان واحد وفرز الأخيار من الأشرار ومن ذلك **قول السيد للعبيد:**

• «لِئَلاَّ تَقْلَعُوا الْحِنْطَةَ مَعَ الزَّوَانِ وَأَنْتُمْ تَجْمَعُونَهُ. دَعُوهُمَا يَنْمِيَانِ كِلاَهُمَا مَعاً إِلَى الْحَصَادِ وَفِي وَقْتِ الْحَصَادِ أَقُولُ لِلْحَصَّادِينَ: اجْمَعُوا أَوَّلاً الزَّوَانَ وَاحْزِمُوهُ حُزَماً لِيُحْرَقَ وَأَمَّا الْحِنْطَةَ فَاجْمَعُوهَا إِلَى مَخْزَنِي» (مت ١٣ :٢٩ ، ٣٠).

ثم قال مفسراً ذلك:

*«اَلزَّارِعُ الزَّرْعَ الْجَيِّدَ هُوَ ابْنُ الإِنْسَانِ. وَالْحَقْلُ هُوَ الْعَالَمُ. وَالزَّرْعُ الْجَيِّدُ هُوَ بَنُو الْمَلَكُوتِ. وَالزَّوَانُ هُوَ بَنُو الشِّرِّيرِ. وَالْعَدُوُّ الَّذِي زَرَعَهُ هُوَ إِبْلِيسُ. وَالْحَصَادُ هُوَ انْقِضَاءُ الْعَالَمِ. وَالْحَصَّادُونَ هُمُ الْمَلاَئِكَةُ. فَكَمَا يُجْمَعُ الزَّوَانُ وَيُحْرَقُ بِالنَّارِ هَكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ هَذَا الْعَالَمِ: يُرْسِلُ ابْنُ الإِنْسَانِ مَلاَئِكَتَهُ فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ الْمَعَاثِرِ وَفَاعِلِي الإِثْمِ. وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ. حِينَئِذٍ يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ» (مت ١٣ : ٣٧ – ٤٣).

وقال أيضاً:

*«يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ شَبَكَةً مَطْرُوحَةً فِي الْبَحْرِ وَجَامِعَةً مِنْ كُلِّ نَوْعٍ. فَلَمَّا امْتَلأَتْ أَصْعَدُوهَا عَلَى الشَّاطِئِ وَجَلَسُوا وَجَمَعُوا الْجِيَادَ إِلَى أَوْعِيَةٍ وَأَمَّا الأَرْدِيَاءُ فَطَرَحُوهَا خَارِجاً. هَكَذَا يَكُونُ فِي انْقِضَاءِ الْعَالَمِ: يَخْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَيُفْرِزُونَ الأَشْرَارَ مِنْ بَيْنِ الأَبْرَارِ. وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ» (مت ١٣ : ٤٧ – ٥٠).

هذا ومع قوله ومناداته نحو الأبرار وقت المجازاة هاتفاً بعذوبة ألفاظه ، وبشاشة وجهه الكريم:

*«تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ» (مت ٢٥ : ٣٤).

وعكس ذلك بوجه غضوب وصوت مزعج ، ترتعد منه فرائص الجبابرة:

*«اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ» (مت ٢٥ : ٤١).

فأي برهان أجلى وأبين من هذا البرهان. لأن الحق واضح غاية الإيضاح إن ذاك الملك وذاك العذاب لم يزالا معدين لذاك اليوم وتلك الساعة، لأنه لو كان الأبرار ورثوا السعادة والأشرار وقعوا في العذاب قبل القيامة فلم يكن محل لكلام السيد. وبالتالي فكيف كان السيد يصرّح قائلاً «حِينَئِذٍ يُضِيءُ الأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ» بل وكيف كان ينبئ قائلاً: «ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ» (مت ١٦ : ٢٧).

فماذا نفهم من لفظة حينئذ. فهل يمكننا أن نفهم منها فعلاً ماضياً، ونحتسب كلام المخلص هذا كفضلة زائدة أو أن القديسين قد نالوا المجازاة من ذي قبل.

ثانياً: إن الرسل أنفسهم قد قدموا لنا البراهين الحقيقية على إنكار المجازاة قبل يوم الرب.

قال بولس الرسول:

*«لاَ بُدَّ أَنَّنَا جَمِيعاً نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْراً كَانَ أَمْ شَرّاً» (٢كو ٥ : ١٠).

*«إِذْ هُوَ عَادِلٌ عِنْدَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يُضَايِقُونَكُمْ يُجَازِيهِمْ ضِيقاً، وَإِيَّاكُمُ الَّذِينَ تَتَضَايَقُونَ رَاحَةً مَعَنَا عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلاَئِكَةِ قُوَّتِهِ، فِي نَارِ لَهِيبٍ، مُعْطِياً نَقْمَةً لِلَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ وَالَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ،الَّذِينَ سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ، مَتَى جَاءَ لِيَتَمَجَّدَ فِي قِدِّيسِيهِ وَيُتَعَجَّبَ مِنْهُ فِي جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ» (٢تس ١ : ٦ – ١٠).

وقال يوحنا في رؤياه:

*«وَغَضِبَتِ الأُمَمُ فَأَتَى غَضَبُكَ وَزَمَانُ الأَمْوَاتِ لِيُدَانُوا، وَلِتُعْطَى الأُجْرَةُ لِعَبِيدِكَ الأَنْبِيَاءِ وَالْقِدِّيسِينَ وَالْخَائِفِينَ اسْمَكَ، الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ، وَلِيُهْلَكَ الَّذِينَ كَانُوا يُهْلِكُونَ الأَرْضَ» (رؤ ١١ : ١٨).

فماذا نفهم من قوله " لاَ بُدَّ أَنَّنَا جَمِيعاً نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ» ، بل وماذا نفهم من قوله «يُجَازِيهِمْ ضِيقاً، وَإِيَّاكُمُ الَّذِينَ تَتَضَايَقُونَ رَاحَةً مَعَنَا عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ ومن قوله سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ، مَتَى جَاءَ.. الخ».

فما عسى يريد المعترض أكثر من هذه الأدلة الواضحة المبينة عدم امتلاك الأماكن الأبدية قبل يوم الرب والدينونة والمجازاة، لأن السيد لم يكلل أحباؤه بعد، **كما قال بطرس الرسول:**

*«وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى» (١بط ٥ : ٤).

وهذا الإكليل السماوى لم ينله بعد بولس الرسول:

*«وَأَخِيراً قَدْ وُضِعَ لِي اكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ ايْضاً» (٢تى ٤ : ٨).

فالظاهر مما تقدم من هذه الشواهد الإلهية أن الأبرار لا ينالون سعادتهم بالتمام إلا عند ظهور ابن الله ، غير أنهم ينالون راحة قليلة بالنسبة إلى ما ينالون بعد القيامة، كما ظهر من قول يوحنا عن الذين رقدوا بالرب:

«فَأُعْطُوا كُلُّ وَاحِدٍ ثِيَاباً بِيضاً، وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ يَسْتَرِيحُوا زَمَاناً يَسِيراً أَيْضاً حَتَّى يَكْمَلَ الْعَبِيدُ رُفَقَاؤُهُمْ، وَإِخْوَتُهُمْ أَيْضاً» (رؤ ٦ : ١١).

ولاشك أن المعترض قد يقدم بعض شواهد كقول الرسول:

*«فَإِنِّي مَحْصُورٌ مِنْ الاثْنَيْنِ: لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. ذَاكَ أَفْضَلُ جِدّاً» (فى ١ : ٢٣).

وقول السيد: «أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ» (يو ١٧ : ٢٤).

فلأجل ذلك يزعم المعترض أن الأبرار لابد أن يمتلكوا السعادة التامة قبل القيامة.

مع أن الرسول لم يُرِدْ بقوله نوال السعادة الكاملة أو الجلوس مع المسيح بالجسد فى المجد العتيد أن يظهر فى الأبرار، بل أراد الراحة العظمى التي تحصل للمنتقلين المجاهدين، حيث يتمكن رجاؤهم ويحوزون الطمأنينة من قبل كونه لا **يعود أن يقول بولس الرسول:**

*« أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ لاَ أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضاً» (١كو ٩ : ٢٧) وقوله «لَعَلِّي أَبْلُغُ إِلَى قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ. لَيْسَ أَنِّي قَدْ نِلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلاً، وَلَكِنِّي أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَدْرَكَنِي أَيْضاً الْمَسِيحُ يَسُوعُ. أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَا لَسْتُ أَحْسِبُ نَفْسِي أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُ. وَلَكِنِّي أَفْعَلُ شَيْئاً وَاحِداً: إِذْ أَنَا أَنْسَى مَا هُوَ وَرَاءُ وَأَمْتَدُّ إِلَى مَا هُوَ قُدَّامُ» (فى ٣ : ١١ – ١٣).

غير أنه ما دام في الجسد فهو متغرب عن الرب وإن تغرب عن الجسد يستوطن عند الرب (٢كو ٥ : ٦ – ٨).

وسواء كان فى الجسد أم خارج الجسد هو عند الرب والرب عنده **كقوله:**

*«قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ: أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ، وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى اللهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ، وَإِلَى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ: يَسُوعَ، وَإِلَى دَمِ رَشٍّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ» (عب ١٢ : ٢٢ – ٢٤).

*«هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ» (لو ١٧ : ٢١).

*«إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي وَيُحِبُّهُ أَبِي وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً» (يو ١٤ : ٢٣).

*«حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ» (مت ١٨ : ٢٠).

فإذاً قول الرسول لا يدل على ملك السعادة التي سيمتلكونها يوم القيامة، بل على الراحة والطمأنينة، من قبل كون الأبرار لا يخافون الوقوع فى الخطية والابتعاد عن الله، لأنهم تغربوا عن الجسد، فتغربهم عن الجسد يحسب لهم

الأول:

إنه كما اشترك الجسد والنفس معاً في الأتعاب والبلايا والأوصاب والتجارب والضيقات، هكذا يقتضى عدل الله أن يشركهما معاً في السعادة وارث الأماكن المعدة لمباركي الآب، وعكس ذلك أن الأشرار لا يرثون العذاب الأبدي إلا بعد قيامة الأجساد، ودخول النفوس بأجسادها، لأنه لا يصح لذلك الجسد الذي تمتع بملذات العالم وشهواته أن يبقى مستريحاً من العذاب، والنفس تتوجع مكانه، مكابدة عذاب نار الجحيم ودوده الذي لا يموت.

الثاني:

لو أوجبنا ملك السعادة لنفوس الأبرار، وعذاب الجحيم لنفوس الأشرار دون أجسادها لأبطلنا لزوم القيامة العامة، وانحشار العوالم بموضع واحد وفرز الأشرار من الأخيار، والعياذ بالله من هذه البدعة وقبولها.

سؤال: كيف كانت قيامة السيد المسيح؟

جواب:

إن نفسه الزكية عادت بقوة اللاهوت الأقدس إلى جسدها الطاهر، ونهض قائماً من الضريح فجر الأحد المبارك، والحراس كانوا يحرسون قياماً محافظين عليه.

استيطاناً عند الرب، لانه لن كان الذين فى الجسد يحسبون مع الله والله معهم كما نظرت، فما عسى الذين تغربوا عن الجسد، وابتعدوا عن الأسباب التي تقودهم إلى الوقوع فى الخطية والابتعاد عن الله.

فصيرورة الأبرار بعد انتقالهم مع المسيح ليس إلا ابتعادهم عن الجسد الذى هو علة بعدهم عن الله بواسطة زلاته.

أما قول السيد: «أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا» فلا يقصد بذلك إلا جلوس الرسل على اثنى عشر كرسياً ليدينوا اثنى عشر سبط اسرائيل، ومن المُسلّم أن تلك الدينونة يوم القيامة، وذلك ظاهر من قوله:

* «أَنَا أَمْضِي لِأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً. وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً» (يو ١٤ : ٢ – ٣).

سؤال: ما هي آيات قيامته؟

جواب:

هي:

١. **قام من القبر والأكفان مرتبة بنظام كترتيبها، والحجر دُحرِج عن فم القبر، والحراس واقفون بالمناوبة، بدون أن يعيق قوته شئ من ذلك.**

٢. **ملاك نوراني هبط من السماء ودحرج الحجر من على فم القبر، وزلزلة عظيمة حدثت ذاك الوقت، فارتعب منها حراس اليهود وصاروا كالموتى.**

٣. **ملاكان ظهرا للنسوة وبشرهن بقيامة الرب من الأموات.**

سؤال: هل ظهر السيد المسيح لأحد من بعد قيامته؟

جواب:



١. **ظهر لمريم المجدلية ومريم الأخرى**، وأمرهما أن تخبرا تلاميذه بذلك، وأن يذهبوا إلى الجليل ليروه هناك، فذهبوا ورأوه، وبعضهم وقع في الريبة والشك.

٢. **ظهر لاثنين كانا منطلقين إلى قرية تدعى عمواس بهيئة رجل غريب** مسافر، وإذا كانا يتحدثان في ما بينهما بهذه الأمور دنا منهما ليسمع ذلك كأنه غير عالم، فلما قصا عليه القضية أجابهما «أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ. أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟ ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ» فلم يعرفاه إلا

عند كسره الخبز، فرجعا لوقتهما إلى أورشليم وأخبرا الرسل (لو ٢٤ : ١٣ – ٣٥).

٣. **فحينئذ ظهر لهم** أيضاً وسلمهم رئاسة الكهنوت (يو ٢٠ : ١٩ – ٢٣).

٤. **وبعد ثمانية أيام ظهر لهم** والأبواب مغلقة فثبّت أمانة توما به.

٥. **وبعد ذلك ظهر لهم** على بحر طبرية (يو٢١ : ١ – ١٣) وأكل قدامهم خبزاً وسمكاً.

٦. وظهر دفعة واحدة لأكثر من **خمس مئة أخ** (١كو ١٥ : ٦).

سؤال: كم يوماً أقام السيد المسيح على الأرض من بعد قيامته؟

جواب:

أقام أربعين يوماً، وفيها كان يتردد مع خواصه الذين اصطفاهم ليكونوا شهوداً له في اليهودية وجميع المدن وقراها، وفي تمامها باركهم أجمع وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه ممجداً ومكرماً إلى الأبد.

سؤال: ماذا صار لخواصه من بعد صعوده إلى السماء؟

جواب:

بعد أن مكثوا عشرة أيام في مدينة أورشليم منتظرين موعد الآب، وفي تمام الساعة الثالثة من النهار يوم الأحد، حل عليهم الروح القدس مُقسّماً عليهم مواهبه بشبه ألسنة نارية، ففي الوقت والساعة طفقوا يتكلمون بأشهر لغات أهل العالم. فانتعشت ضمائرهم المائتة، وتقوت ركبهم المرتعدة، وتأيدوا بالقوة والحِكَم العالية، وحملوا على عاتقهم شهادة الرب يسوع، مؤيدة بالدلائل والبيّنات والجرائح والآيات، فأضحوا حينئذٍ لا يخافون من ملك ولا من مملوك ولا من رئيس ولا من مرؤوس، وصاروا دهشةً للعالم أجمع، لِما فعلوه من المعجزات الخارقة الطبع الباهرة، والعجائب الظاهرة المشهورة باسم معلمهم،

فقهروا فلاسفة هذا العالم وعلمائه ومتقدميه وحكمائه، لا بسيف ورمى النبال ولا بخدش ونكال ولا برشوة ومال، ولا بتقديم عبارات فلسفية ذات تتميق ألفاظ وأقوال، بل بقوة معلمهم الأعظم، وهذه أرومة باقي الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على صدق دعوة السيد المسيح فليتعظم اسمه بكل مجد وتسبيح.







الباب الرابع

انتشار المسيحية



الفصل الأول: حقيقة رئاسة الرسل وخلفائهم

سؤال: ماذا خول السيد لرسله قبل صعوده إلى السماء؟

جواب:

خولهم السلطة السامية، إذ جعلهم رؤساء وحكاماً على جميع الذين يؤمنون به من العالم، ورعاة ليرعوا النفوس الناطقة في مروج الديانة المسيحية، وأكارين [1] ليحرثوا الأراضي القلبية، ويزرعوا فيها بذار الإيمان الأرثوذكسي المستقيم الرأي.

فأزهرت أنوار تعاليمهم في كل فج في أقطار المسكونة بأقرب وقت، وأسرع حين، فخضعت الملوك وأرباب هذا العالم، وحكماؤه ومتقدموه ووزراؤه لمراسيم تعاليمهم، وسلبوا مُلك العدو، وجعلوه ملكاً لمعلمهم الأعظم، وربهم الأمجد الأكرم.

سؤال: ماذا باشروا بعمل بعد ذلك؟

جواب:

بعدما نشروا الكرازة في كل صقع، انتخبوا من المؤمنين رجالاً أتقياء، أطهاراً أنقياء، وأقاموهم خلفاء عنهم متسلسلين حتى يومنا هذا وهم:

أساقفة أي رؤساء كهنة، وقسوس أي كهنة وشمامسة أي خدام الإنجيل، رعاة ومدبرين ورؤساء على المسيحيين.

(١) أكَر معناه حرث وزرع، والأكارين هم الحراث (الناشر).

سؤال: ما هو الوعد الرباني بدوام السلطة في الكنيسة؟

جواب:

أولاً:

هو قوله الكريم:

✠ «هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ. آمِينَ» (مت ٢٨ : ٢٠).

✠ «وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ» (يو ١٤ : ١٦).

✠ «أَنَا اخْتَرْتُكُمْ وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ لِكَيْ يُعْطِيَكُمُ الآبُ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ بِاسْمِي» (يو ١٥ : ١٦).

وإنه لأمر واضح أن السيد لم يشر بقوله على الرسل فقط بل وعلى خلفائهم الدائمين كل الأيام، وإلى منتهي الدهر.

ثانياً:

مع قوله وفرض السُنّة على المخطئ بحقه أن يذهب بخصمه إلى الكنيسة، قد أنبأ بدوام الكنيسة أعنى المدبرين وقضاة المؤمنين.

ثالثاً:

إن المسيح رئيس الرعاة كما قال بطرس الرسول:

✠ «وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى» (١بط ٥ : ٤).

ورئيس الرعاة لا يمكن أن يكون رئيساً إلا بوجود رعاة يترأس عليهم، ومن المحال أن يكون المسيح وقتاً رئيساً وآخر لا، فثبوت رئاسة المسيح ودوامها، يستلزم ثبوت دوام الرعاة المترأس عليهم أيضاً.

رابعاً:

الرسول يدعو البيعة جسداً ذا أعضاء كثيرة مختلفة بعضها عن بعض، فكما أن الجسد لا يكون جسداً إلا حال كونه ذا أعضاء كثيرة مختلفة بعضها عن بعض، هكذا الكنيسة أيضاً لا تكون كنيسة إلا حالة كونها ذات أعضاء كثيرة وليس لتلك الأعضاء عمل واحد (١كو ١٢ : ٢٥ – ٣٠ ، رو ١٢ : ٤ – ٥). غير أنها تلتئم إلى جسد واحد أعنى تلك الأعضاء ورأسها السيد المسيح.

خامساً:

إنه على ما يتضح من روح الكتاب الإلهي أن الرسل الأطهار قد أقاموا لهم خلفاء، والخلفاء قد أقاموا لهم خلفاء، كبولس الرسول إذ أقام تيموثاوس وتيطس وغيرهما، وأولئك الأساقفة الذين أوصاهم بأن يحترزوا من الذئاب المزمعة أن تدخل على الرعية (أع ٢٠ : ٢٨). وخلفاء الخلفاء أقاموا خلفاء عنهم، كما يتضح من رسالة بولس الرسول إلى تيطس حيث ينتدبه إلى إجراء هذا العمل في كل مدينة بقوله:

✞ «مِنْ أَجْلِ هَذَا تَرَكْتُكَ فِي كِرِيتَ لِكَيْ تُكَمِّلَ تَرْتِيبَ الأُمُورِ النَّاقِصَةِ، وَتُقِيمَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ شُيُوخاً كَمَا أَوْصَيْتُكَ» (تى ١ : ٥).

وخلفاء الخلفاء أقاموا خلفاء وهلم جراً إلى ما شاء الله كما سنُبيِّن.

سؤال: كيف يكون رؤساء في الكنيسة، والرئيس واحد في السماء وهو المسيح؟

جواب:

إن المسيح له الحق بالرئاسة الممتازة:

أولاً: لأن به كل شئ، وبه صار الفداء والخلاص.

ثانياً: لأنه رأس الجسد أي المؤمنين وهم أعضاؤه.

ولكن رئاسته هذه لا تنفي وجود قيام رؤساء من أعضائه أي جسده، نواباً عنه موكلين على سرائره، متولّين إرشاد المؤمنين، ومدبرين أحوالهم المختصة بتقدم نجاحهم في الأعمال الصالحة وخلاص أنفسهم **كما أشار الرسول إلى ذلك قائلاً:**

✠ «إِذاً نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ» (٢كو ٥ : ٢٠).

✠ «هَكَذَا فَلْيَحْسِبْنَا الإِنْسَانُ كَخُدَّامِ الْمَسِيحِ وَوُكَلاَءِ سَرَائِرِ اللهِ» (١كو ٤ : ١).

✠ «يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الأُسْقُفُ بِلاَ لَوْمٍ كَوَكِيلِ اللهِ» (تى ١ : ٧).

وقول السيد:

✠ «فَمَنْ هُوَ الْوَكِيلُ الأَمِينُ الْحَكِيمُ الَّذِي يُقِيمُهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ الْعُلُوفَةَ فِي حِينِهَا؟» (لو ١٢ : ٤٢).

وقول بطرس الرسول:

✠ «أَطْلُبُ إِلَى الشُّيُوخِ الَّذِينَ بَيْنَكُمْ، أَنَا الشَّيْخَ رَفِيقَهُمْ، وَالشَّاهِدَ لآلاَمِ الْمَسِيحِ، وَشَرِيكَ الْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ، ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ نُظَّاراً، لاَ عَنِ اضْطِرَارٍ بَلْ بِالاختيار، وَلاَ لِرِبْحٍ قَبِيحٍ بَلْ بِنَشَاطٍ، وَلاَ كَمَنْ يَسُودُ عَلَى الأَنْصِبَةِ بَلْ صَائِرِينَ أَمْثِلَةً لِلرَّعِيَّةِ، وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى» (١بط ٥ : ١ – ٤).

وقول بولس موصياً الأساقفة:

✠ «اِحْتَرِزُوا إِذًا لأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً، لِتَرْعَوْا كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ» (أع ٢٠ :٢٨).

إن السيد المسيح [1] بعد أن قام من الأموات ظهر لتلاميذه ووقف في وسطهم:

✞ «فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً: سلاَمٌ لَكُمْ. كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا ، وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ» (يو٢٠ : ٢١ – ٢٣).

✞ «كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَاءِ وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ» (مت ١٨ : ١٨).

✞ «اَلَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي» (لو ١٠ : ١٦).

✞ «إِنْ كَانُوا قَدْ حَفِظُوا كلاَمِي فَسَيَحْفَظُونَ كلاَمَكُمْ» (يو ١٥ : ٢٠).

وقد جعلهم رعاة بشخص بطرس قائلاً ارع ارع ارع (يو ٢١ : ١٥ – ١٧).

وجعلهم قضاة وخلفاءهم بقوله:

✞ «وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا. إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ فَخُذْ مَعَكَ أَيْضاً وَاحِداً أَوِ اثْنَيْنِ لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ» (مت ١٨ : ١٥ – ١٧).

وقد تقدم الوحي فأنذر بسمو رئاستهم الشريفة قائلاً:

✞ «هُوَذَا بِالْعَدْلِ يَمْلِكُ مَلِكٌ وَرُؤَسَاءُ بِالْحَقِّ يَتَرَأَّسُونَ» (اش ٣٢ : ١).

✞ «بَنُوكَ تُقِيمُهُمْ رُؤَسَاءَ فِي كُلِّ الأَرْضِ» (مز ٤٥ : ١٦).

✞ «وَأُقِيمُ عَلَيْهَا رُعَاةً يَرْعُونَهَا فَلاَ تَخَافُ بَعْدُ وَلاَ تَرْتَعِدُ وَلاَ تُفْقَدُ يَقُولُ الرَّبُّ» (ار ٢٣ : ٤).

ومن ثم، كما هو غير خاف عن ذكاوة الفطين ذي القريحة الصافية الشافية، أن السيد كما تقدم عندما أراد أن يصعد إلى أبيه لم يُبقِ ذاته بدون شاهد على

(١) في الأصل هذا الجزء كان هامش ولقد رفعناه ووضعناه في النص لطوله وأهميته (الناشر).

سمو جلاله بل قد أقام له شهودا ، وهؤلاء لم يكن ممكنا لهم أن يذيعوا دعوته دون أن يخولهم سمو السلطة ليس على عمل المعجزات فقط، فتلك التي استلموها قبل موته، بل على إرشاد المؤمنين، وفرض السنن والنواميس، والوصايا حسب ما يعلمهم الروح القدس، وترك الخطايا والأوزار، تلك التي لا يمكن فعلها إلا الله تعالى، ولكن أُعطيت للإنسان بتفاضل بر الإنسان الواحد يسوع المسيح.

فالسيد إذ دُفع اليه كل سلطان في السماء وعلى الأرض، صار ذا اقتدار أن يدفع جزءاً من ذاك السلطان لرسله بواسطة الروح القدس المحيى، كقوله:

✠ «كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا ، وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمْ: اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ... »[1] موضحاً بذلك أن رئاستهم لم تكن إلا بواسطة موهبة الروح القدس. فالنتيجة من ذاك أن الرسل كل ما وضعوه من القوانين، وفرض السنن والنواميس والتقاليد الكنسية بفعل الروح القدس، فليس هم العاملين بل الروح القدس العامل بأيديهم، وهم آله له. **ويتضح زيادة من وعد السيد بحلول الروح القدس قبل آلامه قائلاً:**

✠ «وَأَمَّا الْمُعَزِّي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ» (يو ١٤ : ٢٦).

✠ «إِنَّ لِي أُمُوراً كَثِيرَةً أَيْضاً لأَقُولَ لَكُمْ وَلَكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ» (يو ١٦ : ١٢ – ١٥).

---

(١) (يو ٢٠: ٢١-٢٣) (الناشر).

فلهذا إذا احتاج الرسل، بعد صعود السيد وحلول الروح القدس عليهم، أن يخبروا المؤمنين بأمور ضرورية لازمة هتفوا بلسان واحد قائلين:

✞ «لأَنَّهُ قَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ أَنْ لاَ نَضَعَ عَلَيْكُمْ ثِقْلاً أَكْثَرَ غَيْرَ هذِهِ الأَشْيَاءِ الْوَاجِبَةِ» (أع ١٥ : ٢٨).

فلا غرو ولا ريب أن كل ما صنعه أو وضعه الرسل أو خلفاؤهم هو بفعل الروح القدس، وأن الذين يقبلون منهم ويعملون بحسب وصاياهم وتقاليدهم الخلاصية الإلهية لا يعملون فيما بعد إلا وصايا المسيح وسننه، لقوله جلَّ وعلا: «اَلَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي».[١]

فيتضح مما تقدم من الفصول السيدية أن الرسل قد حازوا بنوع خصوصي سلطة سامية على كافة المؤمنين في كل أقطار الأرض.

على أن الرسل الكرام بعد صعود معلمهم قد باشروا باستعمال هذه السلطة، ولهذا كتبوا إلى المؤمنين قائلين:

✞ «قَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ، أَنْ لاَ نَضَعَ عَلَيْكُمْ ثِقْلاً أَكْثَرَ، غَيْرَ هذِهِ الأَشْيَاءِ الْوَاجِبَةِ» (أع ١٥ :٢٨).

وفي ذلك الوقت عينه قد أنبوا ولاموا بعض الأخوة الذين عملوا بخلاف رأيهم قائلين:

✞ «إِذْ قَدْ سَمِعْنَا أَنَّ أُنَاساً خَارِجِينَ مِنْ عِنْدِنَا أَزْعَجُوكُمْ بِأَقْوَال مُقَلِّبِينَ أَنْفُسَكُمْ وَقَائِلِينَ أَنْ تَخْتَتِنُوا وَتَحْفَظُوا النَّامُوسَ الَّذِينَ نَحْنُ لَمْ نَأْمُرْهُمْ» (اع ١٥ : ٢٤).

وحكى عن بولس أنه كان يجول المدن، ويطوف القرى والبلاد حاثاً المؤمنين وآمراً إياهم أن يحفظوا أوامر الرسل والمشايخ (أع ١٦ : ٤).

---

(١) (لو ١٠:١٦) (الناشر).

وإذ أقام أساقفة على البيع والكنائس أمرهم أن يكونوا أصحاء متيقظين بقوله:

✠ «إِحْتَرِزُوا إِذاً لأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً، لِتَرْعَوْا كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ. أَنِّي أَعْلَمُ هذَا: أَنَّهُ بَعْدَ ذِهَابِي سَيَدْخُلُ بَيْنَكُمْ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ لاَ تُشْفِقُ عَلَى الرَّعِيَّةِ» (أع ٢٠: ٢٨، ٢٩).

ورسائله مفعمة من الدلائل الدالة على سمو سلطتهم وشرفها، فقال:

✠ «فَوَضَعَ اللهُ أُنَاساً فِي الْكَنِيسَةِ: أَوَّلاً رُسُلاً ثَانِياً أَنْبِيَاءَ ثَالِثاً مُعَلِّمِينَ ثُمَّ قُوَّاتٍ وَبَعْدَ ذلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ أَعْوَاناً تَدَابِيرَ وَأَنْوَاعَ أَلْسِنَةٍ. أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ رُسُلٌ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ أَنْبِيَاءُ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ مُعَلِّمُونَ؟» (١كو ١٢ : ٢٨ – ٢٩).

✠ «وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلاً، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ» (أف ٤ : ١١).

وقوله ما معناه أن في الكنيسة درجات، ووظائف مختلفة كما أن في الجسد أعضاء مختلفة وليس لجميع الأعضاء عمل واحد (رو ١٢ : ٤ – ٥).

وقوله مناشداً تلميذه أن يقوم بحسب الوظيفة التي أخذها قائلاً:

✠ «فَلِكَيْ تَعْلَمَ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي بَيْتِ اللهِ، الَّذِي هُوَ كَنِيسَةُ اللهِ الْحَيِّ، عَمُودُ الْحَقِّ وَقَاعِدَتُهُ» (١تى ٣ : ١٥).

✠ «لاَ تُهْمِلِ الْمَوْهِبَةَ الَّتِي فِيكَ الْمُعْطَاةَ لَكَ بِالنُّبُوَّةِ مَعَ وَضْعِ أَيْدِي الْمَشْيَخَةِ» (١تى ٤ : ١٤).

✠ «أَنَا أُنَاشِدُكَ إِذاً أَمَامَ اللهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الْعَتِيدِ أَنْ يَدِينَ الأَحْيَاءَ وَالأَمْوَاتَ، عِنْدَ ظُهُورِهِ وَمَلَكُوتِهِ: اكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ. اعْكُفْ عَلَى ذلِكَ فِي وَقْتٍ مُنَاسِبٍ وَغَيْرِ مُنَاسِبٍ. وَبِّخِ، انْتَهِرْ، عِظْ بِكُلِّ أَنَاةٍ وَتَعْلِيمٍ. لأَنَّهُ سَيَكُونُ وَقْتٌ لاَ يَحْتَمِلُونَ فِيهِ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، بَلْ حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحِكَّةً مَسَامِعُهُمْ، فَيَصْرِفُونَ مَسَامِعَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَيَنْحَرِفُونَ

إِلَى الْخُرَافَاتِ. وَأَمَّا أَنْتَ فَاصْحُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. احْتَمِلِ الْمَشَقَّاتِ. اعْمَلْ عَمَلَ الْمُبَشِّرِ. تَمِّمْ خِدْمَتَكَ» (٢تى ٤ : ١ – ٥).

وبهذا المعنى أيضاً قد كتب بطرس الرسول إلى المؤمنين الموظفين في الكنيسة قائلاً:

✞ «لِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ مَا أَخَذَ مَوْهِبَةً يَخْدِمُ بِهَا بَعْضُكُمْ بَعْضاً، كَوُكَلاَءَ صَالِحِينَ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ» (١بط ٤ : ١٠)

والبرهان الساطع والدليل القاطع على كون المسيحيين ليسوا متساوين في الرتب والوظائف (خلافاً لما يدعيه البعض في هذا الزمان الذين لا يحتملون فيه التعليم الصحيح المسلّم مرة واحدة للأطهار بل يريدون أن يصرفوا مسامعهم عن الحق وينحرفوا إلى استماع الخزعبلات تلك المبرأة منها كتب الله ووحيه) هو من وجهين:

الأول:

إن السيد المسيح قد سبق فأنبأ بتمييز وظائف المؤمنين بضربه ذاك المثل الذي قال فيه:

✞ «وَكَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ دَعَا عَبِيدَهُ وَسَلَّمَهُمْ أَمْوَالَهُ. فَأَعْطَى وَاحِداً خَمْسَ وَزَنَاتٍ وَآخَرَ وَزْنَتَيْنِ وَآخَرَ وَزْنَةً كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ. وَسَافَرَ لِلْوَقْتِ. فَمَضَى الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَتَاجَرَ بِهَا فَرَبِحَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ. وَهَكَذَا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ رَبِحَ أَيْضاً وَزْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ. وَأَمَّا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ فَمَضَى وَحَفَرَ فِي الأَرْضِ وَأَخْفَى فِضَّةَ سَيِّدِهِ. وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَتَى سَيِّدُ أُولَئِكَ الْعَبِيدِ وَحَاسَبَهُمْ. فَجَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَقَدَّمَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ خَمْسَ وَزَنَاتٍ سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا خَمْسُ وَزَنَاتٍ أُخَرُ رَبِحْتُهَا فَوْقَهَا. فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ. كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى

الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ. ثُمَّ جَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ وَزْنَتَيْنِ سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا وَزْنَتَانِ أُخْرَيَانِ رَبِحْتُهُمَا فَوْقَهُمَا. قَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الأَمِينُ. كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ. ثُمَّ جَاءَ أَيْضاً الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ الْوَاحِدَةَ» (مت ٢٥ : ١٤ – ٢٤).

فيتضح مما تقدم من كلام المسيح أن المسيحيين مختلفين على قدر اختلاف مواهب المسيح المعطاة لهم.[١]

الثاني:

إن فيلبس أحد المبشرين وخادمى الكلمة إذ انحدر إلى السامرة، وبشر بكلمة الله، وآمنوا بالكلمة، واعتمدوا باسم يسوع المسيح رجالاً ونساء لا سيما سيمون الساحر، إذ رأى الأعاجيب والآيات المصنوعة بيد فيلبس آمن واعتمد، غير أن هؤلاء جميعا لم ينالوا الروح القدس إلا لما أتى بطرس ويوحنا الرسولين من قبل الرسل ووضعا عليهم الأيادى فقبلوا الروح القدس، فيتضح من هذا أن درجة بطرس ويوحنا ووظيفتهما غير درجة فيلبس ووظيفته، لأنه إذ عمد أهل السامرة لم يستطيع أن يهبهم الروح القدس.

وأما بعد أن قبل وضع الأيدي من بطرس ويوحنا، وأخذ موهبة إعطاء الروح القدس، ذهب بأمر الملاك إلى خصى ملكة الحبشة فأمكنه ذلك، لأن روح الرب كان معه (أع ٨ : ٣٩).

---

(١) إن المدعين بأنهم المصلحون قد يفسرون هذه الوزنات بمعنى أن الآخذ الخمس وزنات هو الذى أُعطى معرفة خمس لغات وهلم جرا، والتجارة بها وعدمها هي التعليم وعدمه وذلك إلغاء لرئاسة الآباء ومراتب الكهنوت فعلى ذلك نجيب لا غرو أيها السادة إن أعطاء هذه الوزنات هو للمؤمنين بالمسيح المتدينين بدينه لا غيرهم، وأصحاب هذه الوزنات سيصير الفحص عن تجارتهم إن ربحت وإن خسرت، فلو كان على ما زعمتم لكنا نقول أن غير المؤمنين قد دخلوا هذه الشركة والمساهمة، فانهم يعرفون لغات كثيرة وألسنة متنوعة، فهم يحاسبون على هذه التجارة كما يحاسب المؤمنين، والحال ان هذه الوزنات معطاة للمتدينين بدين المسيح من مولاهم وأولئك لا شركة لهم في المسيح فمن ثم لا تكون الوزنات هي اللغات المشتركة بها غير المؤمنين بل درجات تختص بالمؤمنين.

والدليل على ذلك أن سيمون الذي كان مرافقاً لفيلبس إذ رأى أنه بوضع الأيدي تؤخذ موهبة إعطاء الروح القدس، تقدم إلى يوحنا وبطرس وقال:

✠ «أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضاً هَذَا السُّلْطَانَ حَتَّى أَيُّ مَنْ وَضَعْتُ عَلَيْهِ يَدَيَّ يَقْبَلُ الرُّوحَ الْقُدُسَ» (أع ٨ : ١٩).

ولو كان أُعطى موهبة إعطاء الروح القدس التي هي السلطة المختصة بالرسل بعد أن نال المعمودية ووضع أيديهما مع أهل السامرة لما أجاباه أن موهبة الله لا تُقتنى بدراهم.

أما قول المعترضين بهذا الشأن فهو أنه ليس للرؤساء سلطان أن يخضعوا المؤمنين ، ويجعلوهم تحت سلطتهم، والحال ليس الأمر كذلك، نعم لا ننكر أن الرؤساء الروحيين مجردين من السلطان الجسداني وليس لهم تعلق بالحكومة المدنية بحسب الأمر السيدى (مت ٢٦ : ٥٢) ولكن بحسب السلطان الروحي لهم أن يوبخوا الخاطئ، ويقاصّوه قصاصاً لائقاً، ويفرزوه من شركة المؤمنين بعد الهداية والإرشاد والوعظ والإنذار .

فإن القديس بولس قد سلّم هيميناوس والاسكندر إلى الشيطان لكي يؤدبا حتى لا يجدفا (اتى ١ : ٢٠).

وقوله في شأن ذلك الرجل الذي اخطأ تلك الخطيئة الفظيعة:

✠ «فَإِنِّي أَنَا كَأَنِّي غَائِبٌ بِالْجَسَدِ وَلَكِنْ حَاضِرٌ بِالرُّوحِ قَدْ حَكَمْتُ كَأَنِّي حَاضِرٌ فِي الَّذِي فَعَلَ هَذَا هَكَذَا. بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ إِذْ أَنْتُمْ وَرُوحِي مُجْتَمِعُونَ مَعَ قُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنْ يُسَلَّمَ مِثْلُ هَذَا لِلشَّيْطَانِ لِهَلاَكِ الْجَسَدِ لِكَيْ تَخْلُصَ الرُّوحُ فِي يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ» (اكو ٥ : ٣ – ٥).

وقد أرهب المؤمنين مزعجاً إياهم بقوة هذا السلطان قائلاً:

✠ «أَكْتُبُ لِلَّذِينَ أَخْطَأُوا مِنْ قَبْلُ، وَلِجَمِيعِ الْبَاقِينَ: أَنِّي إِذَا جِئْتُ أَيْضاً لاَ أُشْفِقُ» (٢كو ١٣ : ٢).

✝ «لِذَلِكَ أَكْتُبُ بِهَذَا وَأَنَا غَائِبٌ، لِكَيْ لاَ أَسْتَعْمِلَ جَزْماً وَأَنَا حَاضِرٌ، حَسَبَ السُّلْطَانِ الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهُ الرَّبُّ لِلْبُنْيَانِ لاَ لِلْهَدْمِ» (٢كو ١٣ : ١٠)

✝ «مُسْتَعِدِّينَ لأَنْ نَنْتَقِمَ عَلَى كُلِّ عِصْيَانٍ، مَتَى كَمِلَتْ طَاعَتُكُمْ» (٢كو ١٠ : ٦).

وقد حرض المؤمنين على التمسك بنظامه وترتيبه، والسلوك على مقتضى تقاليده بقوله:

✝ «ثُمَّ نُوصِيكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ تَتَجَنَّبُوا كُلَّ أَخٍ يَسْلُكُ بِلاَ تَرْتِيبٍ، وَلَيْسَ حَسَبَ التَّعْلِيمِ الَّذِي أَخَذَهُ مِنَّا» (٢تس ٣ : ٦)

✝ «وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُطِيعُ كَلاَمَنَا بِالرِّسَالَةِ، فَسِمُوا هَذَا وَلاَ تُخَالِطُوهُ لِكَيْ يَخْجَلَ» (٢تس ٣ : ١٤).

✝ «اكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ. اعْكُفْ عَلَى ذَلِكَ فِي وَقْتٍ مُنَاسِبٍ وَغَيْرِ مُنَاسِبٍ. وَبِّخِ، انْتَهِرْ، عِظْ بِكُلِّ أَنَاةٍ وَتَعْلِيمٍ» (٢تى ٤ : ٢)،(تى ١ : ٩) وأن يفصل كلمة الحق باستقامة (٢تى ٢ : ١٥).

وآخر الكل قد أمر المؤمنين بأن يخضعوا لكل من يتولى هذه السلطة ، ويقوموا بالاحترام التام له كقوله:

✝ «أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا، لأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لأَجْلِ نُفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَاباً» (عب ١٣ : ١٧).

✝ «أَمَّا الشُّيُوخُ الْمُدَبِّرُونَ حَسَناً فَلْيُحْسَبُوا أَهْلاً لِكَرَامَةٍ مُضَاعَفَةٍ، وَلاَ سِيَّمَا الَّذِينَ يَتْعَبُونَ فِي الْكَلِمَةِ وَالتَّعْلِيمِ» (١تى ٥ : ١٧).

أما ارتكان المعترضين فهو على قول السيد «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ. وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى الأَرْضِ لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلاَ تُدْعَوْا مُعَلِّمِينَ لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ» (مت ٢٣ : ٨ – ١٠).

على أن المسيح لم يقصد بهذا القول إلا أن يمنع المؤمنين من أن يدعوا أحداً أبا دون الله، ومعلماً دونه جلَّ وعلا، فنحن يجب علينا أن ندعو الله أبانا والمسيح مرشدنا إلى سبيل الحق، لكون الله خلقنا أولا، ثم ولدنا بالمعمودية ثانية، والمسيح أرشدنا إلى الحجة الموصلة إلى ملكوت السموات إرشادا لم يأت به أحد غيره. إلا أنه لا يمتنع علينا أن ندعو بعض الناس آباء لنا ومعلمين على سبيل المجاز، بمعنى أن هاتين الصفتين تستمدان لأولئك الذين أقيموا وكلاء على السرائر المقدسة من الآب الأزلي الحقيقي والمعلم الإلهي الحقيقي **وإلا فكيف يهتف الرسول قائلاً :**

«فَوَضَعَ اللّهُ أُنَاساً فِي الْكَنِيسَةِ أَوَّلاً رُسُلاً ثَانِياً أَنْبِيَاءَ ثَالِثاً مُعَلِّمِينَ».

كما رأيت من الشواهد الدالة على صدق ذلك، **وقوله الأوضح من ذلك هو:**

✞ «لَيْسَ لِكَيْ أُخَجِّلَكُمْ أَكْتُبُ بِهَذَا بَلْ كَأَوْلاَدِي الأَحِبَّاءِ أُنْذِرُكُمْ. لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ لَكُمْ رَبَوَاتٌ مِنَ الْمُرْشِدِينَ فِي الْمَسِيحِ لَكِنْ لَيْسَ آبَاءٌ كَثِيرُونَ. لأَنِّي أَنَا وَلَدْتُكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ بِالإِنْجِيلِ. فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي. لِذَلِكَ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ تِيمُوثَاوُسَ الَّذِي هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ وَالأَمِينُ فِي الرَّبِّ» (١كو ٤ : ١٤ – ١٧).

ودعا تيموثاوس مراراً ابناً له، ودعا ذاته معلماً (١تي ٢ : ٧). فحماقة عظيمة من تيموثاوس والأمم والكورنثيين إذا لم يدعوا بولس أباً ومعلماً لهم، بعد ما دعاهم أولاده وتلاميذه.

تنبيه: في دحض ما يقوله المعترضون بأن الرسل لم يأخذوا سلطاناً متساوياً أنه يضيق بنا المجال والخوض في بحر هذا الميدان الذي تألفت بشأنه مؤلفات كثيرة ومجلدات كبيرة، ولذلك الحق لا يدعنا أن نذعن ونقبل خرافة أسندها لاهوتيو هذا الزمان على أدلة وهمية لا حق فيها. إذ هي كأنها أضغاث أحلام [1] ملفقة

(١) أضغاث أحلام بمعنى أحلام مختلطة ملتبسة لا يصح تأويلها لإختلاطها (الناشر).

الكلام. فهذا الإدعاء الفارغ الذي هو محض افتراء من مبتدعيه في حق من له الرئاسة عامة على الكنيسة التي هي جسده وهو رأسها الوحيد (كو١ :١٨، أف ١ :٢٢) لا يدعنا النور الإنجيلي نصمت عن إذاعة تفنيده ولو بأدلة قليلة مبنية على عبارات حقيقية وأمور يقينية،

فالمدعى بأن بطرس هو الرأس المطلق على كافة كنائس العالم شرقاً وغرباً ينبغي أن يقدم لذلك إثباتات كافية وبراهين شافية وأما إن كانت تلك البراهين يبنيها على أوهام عقله وفصاحة لسانه وحلاوة ألفاظه فمثل هذه مبرأة منها التعاليم الدينية. والحال أن براهينه ظاهرة السفسطة فلا يقبلها ذو الرأي الصائب السديد. فالأدلة التي نقدمها لإقناع المعترض هي هذه:

أولاً:

من المعلوم أن المسيح قد رفع هذا الوهم، إذ كان يخطر على أفكار تلاميذه في شأن من يكون المتقدم والرئيس فيهم بقوله: «الأَصْغَرَ فِيكُمْ جَمِيعاً هُوَ يَكُونُ عَظِيماً» (لو ٩ : ٤٦ – ٤٨).

✞ «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ وَالْعُظَمَاءَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلاَ يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيماً فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِماً. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْداً» (مت ٢٠ :٢٥ – ٢٧).

ولعل المعترض يحول قصد السيد ومراده ، كما ننظر في بعض الأحيان فما عساه يجيب عن قوله لهم: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ» (مت ٢٣ : ٨).

فهل يستفاد من قوله هذا أنتم جميعا إخوة أن بطرس رئيسهم أو يوحنا أو يعقوب أو غيره.

ثانياً:

إن الرسول بولس قد قال إن المؤمنين:

✝ «مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ» (أف ٢ : ٢٠).

فالكنيسة إذاً مبنية على ذلك الأساس الذي هو الرسل، وبطرس لا غيرهم بل من ضمنهم، والمؤمنون والأساس ينضمون إلى حجر واحد هو يسوع المسيح. فلو كان بطرس خارجاً عن ذلك الأساس أو غيره، وليس من ضمنه أو هو حجر الزاوية أو الصخرة، فما كان يصح لذاك المصباح النوراني واللسان الناطق بالحقائق الإلهية الخالي من الهفوات، أن يهتك حرمة سؤدد بطرس ويغلط في حقه وينكر وظيفته كما هو المعهود به.

ثالثاً:



إن كون بطرس بيده المفاتيح ليس شيئاً غير معنى الحل والربط، ولعل هذا السلطان لم ينله التلاميذ وهذا من المحال، وإذ كان سلطان بطرس هو الحل والربط فهل أحد يشك في أن ما يربطه بطرس لا يقدر يوحنا أن يحله أو يعقوب أو متياس أو غيره. وإذ كان يستلزم أن ما يربطه بطرس يقدر أن يحله يوحنا، بحسب وعد السيد بقوة تلك الكلمة (مهما حللتموه) فما هو ذاك السلطان الذي امتاز به بطرس عن باقي الرسل، إن كان ما بيد بطرس هو بعينه بيد يوحنا ويعقوب.

<u>**وهنا ملحوظة**</u> في أن الكنيسة البطرسية المبنية على أساس القديس بطرس هل تسلم ببقاء سلطان الحل والربط مع باقي أساقفة الكنيسة الأرثوذكسية أم لا، فإن سلّمت لا ملامة لها عليهم، إذ يكونوا بقوة سلطانهم قد حلوا ما ربطته هي لأن لفظة (كل ما حللتموه) لا يحتمل منها الاستثناء. وإن قالت لا تسلّم لهم بهذا

لكونهم قطعوا من السلطان بمخالفتهم تعاليمها. فحينئذ نعتذر لهم بعدم استماع مراسيم باباواتها الذين تخلفوا عن أسلاف غرقوا في بحر الهرطقات، مثل: ليبيريوس [1] الذي تبع رأي أريوس، وفورموسوس [2]، وأوجينيوس [3] المقررة هرطقته في مجمع باسيليا (في قانون ٣٤، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩) وأقيم بدله فيليكس الخامس [4] بسبب ذلك. وإن احتججت بأن هؤلاء لم يهرطقوا لكونهم خلفاء بطرس وخلفاء بطرس مبررون من الغلط.

فنجيب على فرض أننا سلّمنا لكم بذلك، ولكن ماذا تجيبون عن أساقفة أنطاكية المتخلفين عن بطرس هل غلطوا أم لم يغلطوا، أو لعلكم تتنصلون من إثبات كون أساقفة أنطاكية خلفاء بطرس، لا وجه لكم، فيكون أساقفة أنطاكية تحل بقوة سلطانهم كل رباط.

<u>ملحوظ آخر:</u> إن البابا أونوريوس [5] قد اعتقد لا ريب باعتقاد كنيستنا، طبيعة واحدة ومشيئة واحدة للكلمة المتجسد، وعندنا لذلك استشهاد كافة الكنائس، فنقول إن كان ذلك فإما أن تقروا بصحة اعتقاده، وذلك لا يمكنكم، وإما أن تقروا بغلطه وحيث ذاك أين عصمة الخلفاء التي تدعونها؟ [6]

---

(١) Liberius البابا ٣٨ من باباوات روما (٣٥٢ – ٣٦٦م) (الناشر).

(٢) Formosus البابا ١١١ من باباوات روما (٨٩١ – ٨٩٦ م) (الناشر).

(٣) Eugenius IV أوجينيوس الرابع البابا ٢٠٧ من باباوات روما (١٤٣١ – ١٤٤٧م) (الناشر).

(٤) Felix V (١٤٤٠ – ١٤٤٩م) (الناشر).

(٥) Honorius I هونوريوس الأول البابا ٧٠ من باباوات روما (٦٢٥ – ٦٣٨م) (الناشر).

(٦) إن بدعة العصمة مخالفة لتعليم الكتاب غاية المخالفة. فإن يوحنا الرسول كتب قائلاً: «إِنْ قُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا» (ايو ١ : ٨).

وإن قيل أن هذه العصمة ليست من جهة الخطأ الفعلي بل من جهة الخطأ في التعليم والوعظ مما يتعلق بالإيمان. نُجيب ولا ذلك يوافق الكتاب أيضاً، فإن يعقوب الرسول كتب أيضاً قائلاً: «لاَ تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ كَثِيرِينَ يَا إِخْوَتِي، عَالِمِينَ أَنَّنَا نَأْخُذُ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ! لأَنَّنَا فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ نَعْثُرُ جَمِيعُنَا» (يع ٣ : ١ – ٢).

رابعاً:

إن المعترض قد يقدم لنا اعتراضاً وهو قول المسيح لبطرس عندما اعترف به: «أَنْتَ بُطْرُسُ وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا» (مت ١٦ : ١٨). فيقول لأجل ذلك إن بطرس هو الصخرة التي بنى الرب عليها بيعته. والحال أن الرب لم يقصد بناء بيعته على نفس بطرس وذاته، بل على الإيمان المسيحي الذي اعترف به بطرس، والدليل على ذلك من عدة أوجه:

الأول:

لو أن قصد السيد ومراده البناء على ذات الشخص المومئ إليه جاعلاً إياه أساساً وحيداً، ورأسا فريداً، لأجاب سؤال تلاميذه عندما خطر هذا الوهم على بالهم بالإيجاب لا بالسلب، والحال أنه أجاب مفنداً هذا الرأي قائلاً:

✞ «لأَنَّ الأَصْغَرَ فِيكُمْ جَمِيعاً هُوَ يَكُونُ عَظِيماً»[١]، «وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ».[٢]

فكلمة السيد فعالة وأمضى من سيف ذى حدين، وهي لا تكذب إذ هي خارجة من ينبوع الصدق والحق دائمة إلى الأبد، كما أن السموات والأرض دائمة بها إلى الأبد، لأنه هو عين الحق وبالحق يتكلم فكلمته حق.

الثاني:

إن السيد قد فسر قوله، أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، بقوله التالي «وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا» فلو نظرنا نظراً مدققاً لوجدنا أن قوله التالي هذا لا يختص ببطرس، بل بإيمان بطرس أعنى الاعتراف بالسيد المسيح والإيمان به كما قال: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى

---

(١) (لو ٩:٤٨) (الناشر).

(٢) (مت ٢٣:٨) (الناشر).

الْحَيَاةِ» (يو ٥ : ٢٤).

وكما قال يوحنا المعمدان:

✞ «اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِالاِبْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالاِبْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ» (يو ٣ : ٣٦).

وقيل أيضاً:

✞ «مُبَارَكٌ وَمُقَدَّسٌ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي الْقِيَامَةِ الأُولَى. هَؤُلاَءِ لَيْسَ لِلْمَوْتِ الثَّانِي سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ، بَلْ سَيَكُونُونَ كَهَنَةً لِلَّهِ وَالْمَسِيحِ، وَسَيَمْلِكُونَ مَعَهُ أَلْفَ سَنَةٍ» (رؤ ٢٠ : ٦).

وإلا فتلك الصخرة على الزعم الأول قد تفتتت وتدكدكت وملك عليها الجحيم مراراً (مت ١٦ : ٢٣، مت ٢٦ : ٧٤، غل ٢ : ١١ ، ١٢).

الثالث:

إن رسم السيد ورسله قد سبق رمزه في الشريعة القديمة بالصخرة التي كانت تتبع بنى إسرائيل في البرية وانفجر منها الماء لسقى الشعب الظامئ وليس نهر واحد أخذ مبتدأه من تلك الصخرة (مز ٧٨ : ١٦).

وتوزعت منه الأعين كما يزعم المعترض، ولهذا هتف السعيد بولس قائلاً:

✞ «وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَاباً وَاحِداً رُوحِيّاً لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيحَ» (١كو ١٠ : ٤).

فعلى مقتضى رأي الرسول يكون بطرس عيناً وليس بصخرة، بل الصخرة الحقيقية، التي عليها كل البناء يتركب وينمو هيكلاً مقدساً بالروح القدس، هي المسيح الذي خرج منه اثنا عشر ينبوعا هم الرسل وسقت الشعوب الظامئة.

الرابع:

إن الوحي الإلهي قد سبق فأعلن بالروح القدس مساواتهم في الرئاسة بقوله:

✞ «فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ» (مز ١٩ : ٤).

✞ «بَنُوكَ تُقِيمُهُمْ رُؤَسَاءَ فِي كُلِّ الأَرْضِ» (مز ٤٥ : ١٦).

✞ «وَأُقِيمُ عَلَيْهَا رُعَاةً يَرْعُونَهَا فَلاَ تَخَافُ بَعْدُ وَلاَ تَرْتَعِدُ وَلاَ تُفْقَدُ يَقُولُ الرَّبُّ» (ار ٢٣ : ٤).

✞ «هُوَذَا بِالْعَدْلِ يَمْلِكُ مَلِكٌ وَرُؤَسَاءُ بِالْحَقِّ يَتَرَأَّسُونَ» (اش ٣٢ : ١).

ولهذا عندما شرف مقامهم بقوله لهم:

✞ «مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيّاً تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاِثْنَيْ عَشَرَ» (مت ١٩ : ٢٨).

لم يجعل لبطرس كرسياً أعلى من كرسي يوحنا، أو من كرسي يعقوب، كما نرى برفع كرسي الأسقف الروماني على كراسي إخوته في هذا الوقت المخالف لزمن الرسل. كما يعلمنا الابركسيس كيف أن الرسل أرسلوا من طرفهم بطرس ويوحنا إلى السامرة (أع ٨ : ١٤) فمن ذلك يتضح بأجلى بيان أن الرسل كانوا متساوين في الرتبة والوظيفة، ولهذا عندما نفخ (يسوع) في وجوههم الروح القدس لم يضاعف نفخة بطرس، أو يقل له خذ الروح القدس مضاعفا، وإن قيل إن عادة الأطباء إذا عجزوا عن إبراء عليل لا ريب أنهم يقدمون الأكبر فيهم والأفقه لعلاجه، لذلك إن الرسل إذ أرسلوا بطرس إلى السامرة لم يحسب هذا نقصاً لرئاسته المطلقة عليهم فأجيب أن هذا القياس لا يوافق حال أهل السامرة وقتئذ، فإنهم كانوا مؤمنين بالمسيح ومعتمدين باسم الرب يسوع من يد الشماس فيلبس وما ينقصهم سوى حلول الروح القدس. وذلك أياً كان منهم يمكنه أن يتم هذا العمل، والحال لو كان هذا القياس يصح لكانوا



بولس وبرنابا.

الخامس:

من الأمر الواضح أن بطرس أقيم لكرازة أهل الختان، وبولس لكرازة أهل الغرلة، كما يظهر من قول بولس:

✞ «وَأَمَّا الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ شَيْءٌ، مَهْمَا كَانُوا، لاَ فَرْقَ عِنْدِي: اللهُ لاَ يَأْخُذُ بِوَجْهِ إِنْسَانٍ فَإِنَّ هَؤُلاَءِ الْمُعْتَبَرِينَ لَمْ يُشِيرُوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ. بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ (من قبل المسيح) كَمَا بُطْرُسُ عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ. فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بُطْرُسَ لِرِسَالَةِ الْخِتَانِ عَمِلَ فِيَّ أَيْضاً لِلأُمَمِ. فَإِذْ عَلِمَ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي يَعْقُوبُ وَصَفَا وَيُوحَنَّا، (أما كان يكفي صفا) الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ أَعْمِدَةٌ، أَعْطَوْنِي وَبَرْنَابَا يَمِينَ الشَّرِكَةِ لِنَكُونَ نَحْنُ لِلأُمَمِ وَأَمَّا هُمْ فَلِلْخِتَانِ» (غل ٢ : ٦ – ٩)

فإن اعتبرنا كلام الرسول وأخذناه بوجه القبول حينئذ ينتج لنا من كلامه أمران:

١. إنه لا فرق بين بولس وبطرس في الوظيفة.
٢. حيث أن بولس أقيم لأهل الغرلة ينبغي أن نخصص روما له، لكونها ليست يهودية، لا سيما أن تبشير بولس بها واضح غاية ما يكون من أعمال الرسل.

وقاطبة الكتب المحكوم على صحتها لا تصرح بذهاب بطرس إلى روما، إلا إذا كانت روما هي بابل المذكورة في رؤيا يوحنا التي ذكرها بطرس بقوله:

✞ «تُسَلِّمُ عَلَيْكُمُ الَّتِي فِي بَابِلَ الْمُخْتَارَةُ مَعَكُمْ» (١بط ٥ : ١٣)

ومع هذا نسلّم للتقليد بذهاب بطرس إلى روما، وقبوله الشهادة، وتجرعه كأس الحِمام هناك.

السادس:

على فرض أن نسلّم للإخوة ما يزعمون، من أن بطرس هو رأس الكنيسة وأساسها وصخرتها، ولهذا لا تحق هذه الرئاسة المطلقة إلا للبابا المتخلف عنه، فماذا عسى يجيبون عن بطريرك أنطاكية ، وكونه تخلف فيها قبل روما وبكر بطرس الرسول، فهو الأحق بالرئاسة من البطريرك الروماني، لاسيما أن ذهابه إلى روما لا يثبت كونه نصب كرسيه فيها ، لأنه إذا كان مستتبا على كرسي أنطاكية، فما الضرورة التي دعته إلى أن يتخلى عن كرسيه ويهجره ويذهب إلى روما ليقيم هناك كرسيه.

فإن قيل إنما ذهب إلى روما لا ليقيم كرسيه فيها، بل إما أن أهلها تخالفوا في بعض امور مهمة، أو أن الكفار قاموا عليه فاضطره الأمر إلى أن يهجر ويفر هارباً، كما حدث له بأورشليم، ولبولس بدمشق، فاتفق انه قبل الشهادة بروما.

فنجيب:

إن هذا الأمر لا يحسب منه ثبوت وضع كرسيه في روما ، فلاحظ لها بالخلافة إذ كان لم يزل كرسيه منصوباً بأنطاكية، ولا خفاك يا صاح أن بطاركة عديدة ماتت منفية عن كراسيها ظلماً ، فهل نسلّم لذلك أن مكان موتهم تثبتت الخلافة لمن بعدهم.

إن قيل بالصواب إن الخلافة تحق لمن تخلفه في مكان موته فحينئذٍ يبطل ادعاء هذا الادعاء من أصله بإثبات كون المسيح مات بأورشليم ملكاً على اليهود وبني إسرائيل، وتخلفه فيها يعقوب الرسول، فيكون هو الخليفة الصحيح، لا سيما أن رئاسته كانت ظاهرة في زمن الرسل، وهو الذي تقدم في

مجمعهم، وابرز الحكم بحضور بطرس، ووضع ما يجب حمله على عوالق المؤمنين.

ولنختم هذا التنبيه بملحوظة: وهو أن الحجة التي يوردها لاهوتيو هذا الزمان لوجوب وجود رئاسة مطلقة على كافة الكنائس هي قولهم إن الكنيسة لها رأسان أحدهما منظور وهو خليفة بطرس، والآخر غير منظور وهو المسيح إذ كان يحتاج إلى رئيس يقوم بدله لأنه لا يأتي إلا في آخر الزمان ليدين الأحياء والأموات. فإذاً يا ترى عندما يموت أحد هؤلاء الخلفاء الذي هو الرأس المنظور، ويتأخر قيام غيره سنة أو سنتين أو أكثر أو أقل كما قد جرى مثل هذا مراراً عديدة، فمن يكون الرأس المنظور ليسوس الكنيسة في هذا الزمان الخالي من قيام خليفة لمار بطرس، فلم يكن لهم إلا أن يجيبوا بأحد وجهين وهما: إما المسيح يسوسها وإما مجمع الأساقفة:

- **فإن قالوا الأول:** نجيبهم إذا كان المسيح يقدر على سياسة كنيسته عندما لا يوجد بابا أفما يقدر أن يسوسها دائماً.
- **وإن قالوا الثاني:** نجيبهم أيضاً إذا كان يقدر مجمع الأساقفة على تدبيرها انتفي وجوب الرأس المنظور، ويكون إذاً أساقفة الكنائس كافية للسياسة والتدبير.

وعلى كل حال لا يكون احتياج لهذا الرأس الذي يموت.

واعلم أنه كانت إحدى الكنائس في زمن الرسل مرضت وأصابها هذا الداء العضال، إلا أن الحكيم الطبيب الحاذق في معرفة إعطاء الأدوية الشافية النافعة قد تلافاه سريعا بواسطة إمداده لها بالمراهم والأدوية العقلية، فنهضت من سرير مرضها متعافية من دائها العضال. **وتلك الأدوية هي هذه:**

✝ «وَلَكِنَّنِي أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنْ تَقُولُوا جَمِيعُكُمْ قَوْلاً وَاحِداً وَلاَ يَكُونَ بَيْنَكُمُ انْشِقَاقَاتٌ بَلْ كُونُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ. لأَنِّي أُخْبِرْتُ عَنْكُمْ يَا إِخْوَتِي مِنْ أَهْلِ خُلُوِي أَنَّ بَيْنَكُمْ خُصُومَاتٍ. فَأَنَا أَعْنِي هَذَا: أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَقُولُ: أَنَا لِبُولُسَ وَأَنَا لأَبُلُّوسَ وَأَنَا لِصَفَا وَأَنَا لِلْمَسِيحِ. هَلِ انْقَسَمَ الْمَسِيحُ؟ أَلَعَلَّ بُولُسَ صُلِبَ لأَجْلِكُمْ أَمْ بِاسْمِ بُولُسَ اعْتَمَدْتُمْ؟» (١كو١ : ١٠ – ١٣).

✝ «وَأَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيِّينَ بَلْ كَجَسَدِيِّينَ كَأَطْفَالٍ فِي الْمَسِيحِ. سَقَيْتُكُمْ لَبَناً لاَ طَعَاماً لأَنَّكُمْ لَمْ تَكُونُوا بَعْدُ تَسْتَطِيعُونَ بَلِ الآنَ أَيْضاً لاَ تَسْتَطِيعُونَ. لأَنَّكُمْ بَعْدُ جَسَدِيُّونَ. فَإِنَّهُ إِذْ فِيكُمْ حَسَدٌ وَخِصَامٌ وَانْشِقَاقٌ أَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ وَتَسْلُكُونَ بِحَسَبِ الْبَشَرِ؟ لأَنَّهُ مَتَى قَالَ وَاحِدٌ: أَنَا لِبُولُسَ وَآخَرُ: أَنَا لأَبُلُّوسَ أَفَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ؟. فَمَنْ هُوَ بُولُسُ وَمَنْ هُوَ أَبُلُّوسُ؟ بَلْ خَادِمَانِ آمَنْتُمْ بِوَاسِطَتِهِمَا وَكَمَا أَعْطَى الرَّبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ: أَنَا غَرَسْتُ وَأَبُلُّوسُ سَقَى لَكِنَّ اللهَ كَانَ يُنْمِي. إِذاً لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئاً وَلاَ السَّاقِي بَلِ اللهُ الَّذِي يُنْمِي. وَالْغَارِسُ وَالسَّاقِي هُمَا وَاحِدٌ وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَأْخُذُ أُجْرَتَهُ بِحَسَبِ تَعَبِهِ. فَإِنَّنَا نَحْنُ عَامِلاَنِ مَعَ اللهِ وَأَنْتُمْ فَلاَحَةُ اللهِ بِنَاءُ اللهِ. حَسَبَ نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لِي كَبَنَّاءٍ حَكِيمٍ قَدْ وَضَعْتُ أَسَاساً (الإيمان) وَآخَرُ يَبْنِي عَلَيْهِ. وَلَكِنْ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ. فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاساً آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (١كو ٣ : ١ – ١١).

والكلام كثير في هذا المطلب مبسوط في المطولات وعلى ذلك نختصر.

سؤال: هل اودع الرسل وصايا وتقاليد خارجة عما دون في كتبهم!

جواب:

حقاً، فإن مار بولس قد بعث يحرض تلميذه تيموثاوس لا بتسليم ما كتب به إليه للمؤمنين، بل ما استلمه منه دون كتابة بقوله:

✞ «وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدِعْهُ أُنَاساً أُمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءً أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضاً» (٢تى ٢ : ٢).

واما للتسالونيكيين فأرسل أن يحتفظوا بهذا وذاك أي ما استلموه من فيه دون واسطة الكتابة، وما استلموه بالكتابة بقوله:

✞ «فَاثْبُتُوا إِذاً أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَتَمَسَّكُوا بِالتَّعَالِيمِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا، سَوَاءٌ كَانَ بِالْكَلاَمِ أَمْ بِرِسَالَتِنَا» (٢تس ٢ : ١٥).

ثم وبعد ان اودع بعض تقاليد كتابة وشفاها لأهل كورنثوس بقوله لهم:

✞ «فَأَمْدَحُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ عَلَى أَنَّكُمْ تَذْكُرُونَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ وَتَحْفَظُونَ التَّعَالِيمَ كَمَا سَلَّمْتُهَا إِلَيْكُمْ» (١كو ١١ : ٢).

ووعدهم بإتمامها عند حضوره بقوله:

✞ «وَأَمَّا الأُمُورُ الْبَاقِيَةُ فَعِنْدَمَا أَجِيءُ أُرَتِّبُهَا» (١كو ١١ : ٣٤).

ومن المعلوم أن أهم الأمور كانت تسلّم للمؤمنين وتترتب لهم بحضور الأشخاص لا بالكتابة، وذلك مفهوم من وصية بولس الرسول لتيطس بقوله:

✞ «مِنْ أَجْلِ هَذَا تَرَكْتُكَ فِي كِرِيتَ لِكَيْ تُكَمِّلَ تَرْتِيبَ الأُمُورِ النَّاقِصَةِ، وَتُقِيمَ (من ضمن إكمالك لها) فِي كُلِّ مَدِينَةٍ شُيُوخاً كَمَا أَوْصَيْتُكَ» (تى ١ : ٥).

وبهذا المعنى قوله لأهل فيلبى:

✞ «وَمَا تَعَلَّمْتُمُوهُ [1] وَتَسَلَّمْتُمُوهُ، وَسَمِعْتُمُوهُ، وَرَأَيْتُمُوهُ فِيَّ، فَهَذَا افْعَلُوا» (فى ٤ : ٩).

(١) إن المعترض قد يعرقل أولاد طائفتنا ويرميهم في أحابيل الشك بآية نبوية قيلت على الشعب الاسرائيلي وهي قول الوحي «يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هَذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً. وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ» (مت ١٥ : ٨ – ٩).

فنجاوب على ذلك قائلين:

لا غرو أن هذا الكلام بالاطلاق العام لا يختص بتقاليد الكنيسة ودليل ذلك أنه ينفى التسليمات الباطلة أو المخالفة لوصايا الله التي كان الفريسيون يدخلونها ويعلمون الناس اياها، وكان المخلص يؤنبهم عليها لوجهين:

الأول:

لكونها مخالفة البعض منها لوصايا الله، مثل تعليمهم أن يقدم الأولاد للهيكل ما كان يلزم تقديمه لوالديهم ولذلك هتف موبخاً لهم قائلاً: «أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ!» (مت ١٥ : ٦). ومن هذا القبيل تأنيبه لهم على ما فرضوه من غسل كؤوس وقُصَع وتعشير النعنع والشذاب، مما لا فائدة فيه ولا طائل تحته.

والثاني:

لأنهم كانوا يفضلون وصاياهم على وصايا الله ويعتبرونها بزيادة، وبهذا المعنى قال لهم كان يجب أن تصنعوا هذه ولا تتركوا تلك.

والأمر ظاهر وبيّن غاية البيان لكل من طالع الكتاب المقدس، وتوغل فى معرفة معناه، وتفاسير جُمله المعضله، ووصايا الله المدرجة فيه، أن لا وصية من وصايا الكنيسة تخالف وصية ما من وصايا الله أو تفضُل عليها.

واذا انتفى هذان النوعان فتكون وصايا الكنيسة وتقاليدها مقدسة وطاهرة، لاسيما أنها موضوعة باستئذان وأمر الروح القدس، الذى وعد السيد أنه يرشد الرسل، ويخبرهم بأمور آتية ويعلمهم أموراً كثيرة لبنيان جسد المسيح لأنه يأخذ مما للمسيح ويخبرهم، لكى ما تكون الوصايا الموضوعة بيدهم بأمر الروح وارشاده هي وصايا المسيح، ويتم قوله من سمع منكم فقد سمع منى.

وحينئذ يرجع ذات الاعتراض على لافظيه وقائليه لكونهم رفضوا التقليد الموضوع بارشاد الروح القدس وسلطة السيد المسلمة بأيديهم، كل ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء، فيزعمون أنهم يكرمون الآب بالشفاه فقط، لكنهم يهينونه بتعاليم بشرية وهي كونهم يقوضون أركان مبانى التقاليد الموضوعة من المسيح والروح الكلى طهره، بواسطة الذين دعاهم ومجدهم وسلمهم رعاية خرافه، وأطلعهم على كنة أسراره وجعلهم وكلاء عليها.

ولنفرض فرضاً ان الرسل القديسين قد أمروا بوجوب الصوم فى أوقات معينة، والصلاة في أوقات معينة وبوجوب الأعمال القدسية التي لا يرى أحد الله دونها، وأن العمالين سيأخذون أجرة تعبهم (اكو ٣ : ٨).

وأن الخبز والخمر الذين سلمهما السيد لهم، هما جسده الأقدس ودمه الزكى الكريم، وأن المعمودية ضرورية لدخول ملكوت الله، إلى غير ذلك مما يتعلق بالنواميس الكنسية الإلهية الموضوعة بارشاد الروح القدس، فالناقض لها والمعلم بعدم لزومها، وإنها لا طائل تحتها، ولا فائدة فيها إما يكون نقضه لها هو تعليماً بشرياً مخالفا لوصية الروح القدس،



ويا للعجب كيف كان الرسل يفضلون التقاليد شفاهية على التقاليد كتابة

ودليلنا قول يوحنا في رسائله:

✝ «إِذْ كَانَ لِي كَثِيرٌ لأَكْتُبَ إِلَيْكُمْ، لَمْ أُرِدْ أَنْ يَكُونَ بِوَرَقٍ وَحِبْرٍ، لأَنِّي أَرْجُو أَنْ آتِيَ إِلَيْكُمْ وَأَتَكَلَّمَ فَماً لِفَمٍ، لِكَيْ يَكُونَ فَرَحُنَا كَامِلاً» (٢يو ١٢) (٣يو ١٣).





وتقليداً مخالفاً لوصايا الله مبطلاً بها جميع فرائضه، فلمثل هذا يترتب توبيخ المسيح القائل، أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم، الموضوع بتعليم روح البشر المخالف لمقصود الله جلَّ وعلا.

حاشية

وعدا ما تقدم من الدلائل الكتابية المشيرة إلى إثبات وجوب التقاليد وحقيقتها نزيد على ذلك برهاناً صادقاً وأملنا من المعترض أن لا يأبى القبول، وذلك من عدة أوجه:

الأول:

لا خفي فطنة ذي الفطانة أنه من أيام آدم إلى أيام موسى كان في العالم جماعة يعبدون الله بالإيمان والرجاء والمحبة، وكانوا متمسكين بطقوس كما يظهر من سفر التكوين في كلامه على آدم وهابيل وشيث وأنوش ونوح وإبراهيم وملكي صادق وغيرهم، من الأنام والأبرار وعلى عبادتهم لله وتقدماتهم له، والحال إنه لم يكن كتاب إلهي قبل موسى كما هو مسلّم بأن موسى هو أول من كتب سفراً مقدساً مع وجود تلك الكتب. قد وجد كثيرون من القبائل الأخرى أنهم يعرفون الدين الحقيقي والإيمان بمجرد التقليد الغير المكتوب، كما هو ظاهر في أيوب وأصدقائه، هذا وإن كان اليهود عندهم الأسفار المقدسة فكانوا كثيراً ما يستعملون التقليد، كما يتضح لك أيها الأخ الودود من نص الكتاب المقدس بآيات عديدة وهي تخبر ابنك في ذاك اليوم قائلاً هذا ما صنعه الرب (خر ١٣ : ١٤).

- ♰ «اسْأَلْ أَبَاكَ فَيُخْبِرَكَ وَشُيُوخَكَ فَيَقُولُوا لكَ» (تث ٣٢ : ٧).
- ♰ «اِسْأَلِ الْقُرُونَ الأُولَى وَتَأَكَّدْ مَبَاحِثَ آبَائِهِمْ» (اى ٨ : ٨).
- ♰ «اَللهُمَّ بِآذَانِنَا قَدْ سَمِعْنَا. آبَاؤُنَا أَخْبَرُونَا بِعَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي أَيَّامِهِمْ فِي أَيَّامِ الْقِدَمِ» (مز ٤٤ : ١).
- ♰ «أَقَامَ شَهَادَةً فِي يَعْقُوبَ وَوَضَعَ شَرِيعَةً فِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَوْصَى آبَاءَنَا أَنْ يُعَرِّفُوا بِهَا أَبْنَاءَهُمْ. لِكَيْ يَعْلَمَ الْجِيلُ الآخِرُ. بَنُونَ يُولَدُونَ فَيَقُومُونَ وَيُخْبِرُونَ

أَبْنَاءَهُمْ» (مز ٧٨ : ٥ — ٦).

ويزيد ذلك بياناً تلك الصيامات التي لم يُذكر وضعها في الكتب المقدسة، بل كانت تقاليد تتعاطها اليهود حتى أن الرب ذكرها بفم زكريا مثبّتاً إياها (زك ٨ : ١٩) وعيد التجديد الذي سنّه اليهود بعد رجوعهم من السبي كان تقليداً، ناهيك عن باقي التقاليد.

الثاني:

ولك دليل آخر بهذا المعنى أيضاً أن من بعد مجئ المسيح لبثت كنيسته سنين كثيرة بدون وحي مكتوب، سائرة على مقتضى التقليد.

فإن أول سفر كُتِب هو إنجيل متى وذلك بعد ٤ سنين لصعود المسيح إلى السماء على رأي، وفي السابعة على رأي آخر، وإنجيل مرقس كتب في سنة ١٢ أو ١٥، ويوحنا سنة ٩٦ أو ٩٨، ورسائل مار بولس كتبت من سنة ٢٠ إلى ٣٣ بعد الصعود وهلم جرا في باقي الأسفار المقدسة.

وقد كانت أمم كثيرة مسيحية في بادئ الجيل الأول والثاني والثالث سائرة سيرة حسنة، ولم يكن عندها أسفار مقدسة، بل على مجرد التقليد لا غير. ومن هنا يتضح أن الرسل لم يكن قصدهم أولاً الكتابة بل التبشير، وما حملهم على الكتابة إلا دواع ضرورية حصلت للمؤمنين فإن:

- متى الرسول ما حمله على الكتابة إلا إلحاح اليهود لما أراد أن ينتقل من عندهم إلى تبشير الأمم.
- وكذلك مرقس الرسول حمله على كتابة إنجيله طلب المؤمنين.
- ولوقا البشير حمله على الكتابة ما رآه من أن كثيرين أرادوا أن يكتبوا سيرة المخلص كما هو ظاهر من ابتدأ إنجيله «إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا»

- ويوحنا داهمه الهرَم وهو يبشر في آسيا الصغرى، وفي هذه المدة كلها لم يكتب شيئاً، غير أن أساقفة تلك الأقاليم طلبوا منه أخيراً أن يكتب ما يقاوم به الهراطقة، ففرض صوماً على المؤمنين.
- وكذا لم يكتب باقي الرسل رسائلهم إلا لدواعٍ حصلت في أيامهم.

ومن كل ما ذُكِر يظهر أن مقصد الرسل لم يكن قاصراً على الكتابة بل على التبشير، ولو قصدوا كتابة تعاليمهم مجرداً لألفوا كتاباً واحداً على أسلوب كتاب التعليم المسيحي، لكنهم كتبوا إما تاريخاً كالأناجيل، أو لدواع حصلت كباقي الرسائل.

ولم يتكلموا على العقائد غالباً إلا استطراداً وبالعَرَض، ولو كانت ضرورية لا يُستغنى عنها لكتب كل واحد من الرسل تعليماً إنجيلياً، إذ كان لكل منهم الاهتمام بإقليم، أو لاجتمعوا معاً على الأقل قبل تفرقهم إلى الآفاق وكتبوا كتاباً.

الثالث:

إما أن الأسفار المقدسة برمتها تحوى كل الحقائق وهي لذلك كافية، وإما أن كل سفر منها كاف بذاته فلا يمكن لأخصام الكنيسة أن يقولوا كل سفر يحوى كل الحقائق وهو كافٍ. لأننا نرى كلاً من الأناجيل لا يحوى كل الحقائق كما هو ظاهر، فيُصرِّحون إذاً أن الأسفار المقدسة برمتها لازمة لتحوى تعليماً كافياً فهذا لا يمكنهم أيضاً إثباته لأن أسفاراً كثيرة فُقِدَت من الأسفار المقدسة القانونية ولم تبلغ إلينا، وذلك ظاهر جلي من ذات الأسفار المقدسة، **فإنه قيل في سفر الأيام الأول:**

✞ «وَأُمُورُ دَاوُدَ الْمَلِكِ الأُولَى وَالأَخِيرَةُ مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ صَمُوئِيلَ الرَّائِي، وَأَخْبَارِ نَاثَانَ النَّبِيِّ، وَأَخْبَارِ جَادَ الرَّائِي» (١اى ٢٩ : ٢٩).

✞ «وَبَقِيَّةُ أُمُورِ سُلَيْمَانَ الأُولَى وَالأَخِيرَةِ مَكْتُوبَةٌ فِي أَخْبَارِ نَاثَانَ النَّبِيِّ وَفِي نُبُوَّةِ أَخِيَّا الشِّيلُونِيِّ وَفِي رُؤَى يَعْدُو الرَّائِي عَلَى يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ» (٢اى ٩ : ٢٩).

وقيل عن سليمان:

✞ «وَتَكَلَّمَ بِثَلاَثَةِ آلاَفِ مَثَلٍ، وَكَانَتْ نَشَائِدُهُ أَلْفاً وَخَمْساً» (١مل ٤ : ٣٢).

ومن المؤكد أن من العهد الجديد **فقدت رسالة لبولس كان قد أرسلها إلى أهل لاودكية**، وأشار إليها بقوله:

✞ «وَمَتَى قُرِئَتْ عِنْدَكُمْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ فَاجْعَلُوهَا تُقْرَأُ أَيْضاً فِي كَنِيسَةِ اللاَّوُدِكِيِّينَ، وَالَّتِي مِنْ لاَوُدِكِيَّةَ تَقْرَأُونَهَا انْتُمْ أَيْضاً» (كو ٤ : ١٦).

فعلى موجب رأيهم تكون تعاليم شتى وأمور كثيرة فُقِدَت بفقدان هذه النصوص، وما السبيل إلى معرفتها.

الرابع:

إن تحقيق كون الكتب مقدسة موحى بها من الله إنما يُعرف من التقليد:

لأنه وإن قال الكتاب إن أسفار الأنبياء وكتب الرسل إلهية، ولكن كيف يمكننا أن نعتقد بأن الكتاب الشاهد إلهي إلا بالتقليد، فإذاً التقليد ضروري ولازم. ولأجل ذلك ملأ البروتستانت كتبهم من التقليد لإثبات حقيقة الكتاب المقدس كما هو ظاهر من كتاب خلاصة الأدلة السنية على صدق أصول الديانة المسيحية (صفحة ٢٦ إلى ٤٥ ، ٧٣ إلى ٨٠).

فهذا دليل صادق على أن البروتستانت أنفسهم لا يمكنهم أن يخلوا بشرف التقليد ويستغنوا عنه، فما بالهم يطعنون فيه.

لأنه ظاهر الأمر أننا لا يمكننا أن نعرف أي الكتاب هو الكتاب الإلهي، فكيف نقدر أن نميز أن إنجيل مرقس ولوقا هما كلام الله، وإنجيل توما وبرثولماوس ليسا من كلامه.

مع أن العقل يرشد أن الكتاب المعنون باسم رسول يوثق به أكثر من المعنون بغير اسم رسول ومن أين أعرف أن رسالة روما لبولس حقيقة ورسالة لاودكية ليست له مع إن كلتاهما معنونتان باسم بولس فما الحيلة لتوكيد تلك ونفي هذه إلا من التقليد. وإن قيل إن الكتاب المقدس يمتاز عن غيره كما يمتاز النور من الظلام، والحلو من المر.

فأجيب:

إن كان الأمر كذلك لما احتاج البروتستانت إلى تصديق الكتاب المقدس من التقليد، ولما كان وقع الاختلاف والارتياب على بعض الأسفار.

ولما حكم رئيس الإصلاح لوثاروس [1] بأن رسالة مار يعقوب غير مقدسة، وكلوينوس أنها مقدسة.

ولما وقع الاختلاف بين الآباء، فالبعض زعم أن رؤيا يوحنا ليست مقدسة، والبعض أنها مقدسة، والبعض حكم أن سفر طوبيت ويهوديت وحكمة سليمان وحكمة بن سيراخ ونبوة باروخ والمكابيين وبعض إضافات إلى سفر أستير ودانيال، قانونية والبعض أنها غير قانونية.

الخامس:

ولماذا المعترضون يهجمون على نفي التقليد مع أنه لا يمكنهم الاستغناء عنه زمناً قصيراً، بل ولا يقدرون أن يستغنوا عنه أيضاً.

قل لي يا صاح:

- من أين يثبتون حقيقة معمودية الأطفال إلا من التقليد.
- ومن أين يثبتون حقيقة وجوب حفظ الأحد وحفظ أعياد سيدية دون باقي الأيام إلا من التقليد.
- ومن أين يوجبون اتخاذ امرأة واحدة لا اثنتين أو ثلاث إلا من التقليد.

---

(١) مارتن لوثر مؤسس الكنيسة البروتستانتية، ولد سنة ١٤٨٣، وتوفى سنة ١٥٤٦م. (الناشر).

❖ ومن أين يثبتون وضع صلاتهم ووعظهم وتعليمهم وترتيب كنيستهم ونظامها على الإطلاق إلا من التقليد، سواء كان قديماً أو حديثاً.

فمن جميع هذه البراهين الصادقة لا وجه للمعترض أن ينفي وجوب التقليد والتمسك به، ولو لم تُصرّح به الكتب المقدسة أو تشير إليه أو أشارت إليه إشارة رمزية. لأنه كما يتضح من النشرة الأسبوعية (١٨٨٧ ع٣، ٤، ٥) [١] ومما قدمه صاحب النشرة من الشواهد والأدلة والبراهين على وجوب حفظ الأحد، كلها لا تتعلق إلا بحفظ السبت دون الأحد بل دون باقي الأيام مرتكنا على آيات الوحي بهذا الصدد، فما بال المعترض لا ينظر نظراً مستقيماً ولمَ يعترضنا على تمسكنا بتقاليد وصلت إلينا من الرسل الأطهار وخلفائهم زاعماً أنها قش. فيريد على زعمه أن ينشلها من أعيننا، وليته خالٍ من تلك الأخشاب التي وصلت إليه من آبائه أصحاب الإصلاح فكفي إذا تبديداً، ونحن لا يمكن أن تزعزعنا عواصفه لعلمنا ممن تعلمنا موقنين أن ما بأيدينا موضوع بإرشاد الروح القدس من أولئك الذين لم يسلكوا حسب الجسد، بل كانوا يتدبرون بروح الله (رو ٨ : ٩ — ١٤).



(١) جريدة «النشرة الأسبوعية» أصدرها المرسلين الأمريكيين عام ١٨٧١م في بيروت وتعتبر امتداد «للنشرة الشهرية» التي أنشأها د.كرنيليوس فان دايك في بيروت عام ١٨٦٦م.

سهيل الملاذي، «بدايات الصحافة الأدبية في سورية» في *مجلة الموقف الأدبي* (مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق) العدد ٢٨٠ (آب ١٩٩٤) (الناشر).



الفصل الثاني: وصايا الرسل

سؤال: كم هي وصايا الرسل، وما هي؟

جواب:

هي كثيرة، ولكن نذكر لك الأكثر شهرة، وهي ست:

١. حفظ الأحد.

٢. احتفال الأعياد السيدية.

٣. الاعتراف بالذنوب والخطايا.

٤. مناولة جسد المسيح ودمه.

٥. استعمال صوم الأربعين المقدس، وصوم جمعة الآلام.

٦. صوم يومي الأربعاء والجمعة.

سؤال: لماذا أمرنا الرسل بحفظ الأحد، دون باقي الأيام؟

جواب:

لكون السيد قام فيه من القبر، وفيه أرسل الروح القدس على رسله الأطهار وخواصه الأبرار يوم العنصرة، وقد دُعي يوم الرب دوناً عن باقي الأيام (رؤ ١ : ١٠).

سؤال: ما هي الأعياد التي تحتفل فيها الكنسية؟

جواب: هي:

- عيد البشارة.
- عيد الميلاد المجيد.
- عيد الظهور الإلهي الشريف أي عيد الغطاس.
- عيد الشعانين ذى الفرح والابتهاج.
- عيد القيامة المخلّصي.
- عيد الصعود المجيد.
- عيد حلول الروح القدس على التلاميذ.

فهذه الأعياد الشريفة وُضِعت تذكاراً للمِنح الإلهية والهبات الربانية المعطاة فيها، لكي نكون على الدوام متذكرين إنعام السيد، ونصرفها في العبادة فرحين مسرورين.

سؤال: هل يوجد أيام تحتفل فيها الكنيسة غير هذه؟

جواب:

حقا يوجد أيام مخصصة لتذكار السيدة العذراء، وتذكار جهاد الشهداء والقديسين إكراماً لهم، واشتراكاً في تعبهم والتجاءً إليهم عند وقوع الشدائد والمصائب.

إن المعترضين [1] لا يُسلّمون لنا بإكرام مختارى الله مدّعين أن إكرام المخلوق يهين المولى جلّ وعلا مع أن إكرام المخلوق المقصود به تمجيد الله لا يحط درجة مقام الخالق بل يزيده علواً وإكراماً زائداً والدليل على ذلك أننا لسنا نكرم الشهداء والمجاهدين والأبرار والقديسين إلا لكونهم أخلة المسيح وأحبته.

(١) في الأصل هذا الجزء كان هامش ولقد رفعناه ووضعناه في النص لطوله وأهميته (الناشر).

فلا أظن أن ذكر هؤلاء يشق على المسيح الذين أحبوه وجاهدوا على اسمه الكريم بل بخلاف ذلك فإن الكنيسة لتفويض المسيح لها بإكرام مجاهديه، هي ملتزمة أن تحتفل بأيام جهاد الشهداء والقديسين. ونذكر ما كابدوه من الأتعاب والأوصاب والدفاع عن الإيمان المستقيم والصبر على احتمال الأمور الشاقة. فتفويض السيد لكنيسته أن تقوم باحتفال جهادهم هو في أمر تلك المرأة التي تقدمت ماسحة قدميه بقوله للحاضرين «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضًا بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ، تَذْكَارًا لَهَا» (مر١٤: ٩)

ومع ما تقدم نزيدك يا صاح دليلين نقلياً وعقلياً:

١. **فالنقلي:** إن الكلية الطوبى السيدة مريم قد تنبأت على **احتفال إكرام مختارى الله وذكرهم**، سيما ذاتها بقولها:

✞ «تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ. وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي. لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَتِهِ. فَهُوَذَا مُنْذُ الآنَ جَمِيعُ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي» (لو ١ : ٤٦ — ٤٨).

ولقد أشار السيد إلى غبطة محتفلى أعياد القديسين بقوله له المجد:

✞ «مَنْ يَقْبَلُ نَبِيّاً بِاسْمِ نَبِيٍّ فَأَجْرَ نَبِيٍّ يَأْخُذُ وَمَنْ يَقْبَلُ بَارّاً بِاسْمِ بَارٍّ فَأَجْرَ بَارٍّ يَأْخُذُ. وَمَنْ سَقَى أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تِلْمِيذٍ فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ» (مت ١٠ : ٤١ — ٤٢).

ولقد سبق النبي فأشار بحفظه قائلاً:

✞ «لأَنَّهُ لاَ يَتَزَعْزَعُ إِلَى الدَّهْرِ. الصِّدِّيقُ يَكُونُ لِذِكْرٍ أَبَدِيٍّ» (مز ١١٢ : ٦).

ولا يمكن أن تتم هذه النبوة إلا بنوع احتفالي، وقول سليمان ابن داود:

✞ «ذِكْرُ الصِّدِّيقِ لِلْبَرَكَةِ» (ام ١٠ : ٧)

فمن ذلك يتضح جليا أن احتفال الكنيسة لتذكار القديسين قد وافق الوحي غاية الموافقة، وهو صالح ومفيد، كيف لا وهذه العادة الحميدة لم يتركها السعيد بولس، بل قد رفع شأن أولئك الآباء الأبرار بذكره إياهم في الإصحاح الحادي عشر من رسالته إلى العبرانيين [1] وتعداده مناقبهم السامية وأطوارهم ومآثره م المجيدة الرفيعة، التي من شأن ذكرها أن يولد فرحاً داخلياً واتساع قلب، بابتهاج وسرور وانشراح صدر.

٢. **والعقلي:**

❖ **أولاً**: إننا إذا أمعنا النظر جيداً، وخطر على بالنا ذكر إكرام أعوان ومختارى الملك ومتقدميه ووزرائه، ودققنا ببساطة قلب وخلع كل غاية بشرية، نجد أنه ما من أحد أكرم أخلة الملك ومتقدمي مملكته وأحبته قد رُذل أو أُهين أو نالت الملك إهانة من قِبل ذلك، أو أخذته الغيرة والحسد أو شق عليه.

والحال بخلاف ذلك، فإن ملوك الأرض قد تفرح وتسر بإكرام من تقدم عندها، ولعل ذلك لكونهم يهانون بواسطة هذا الإكرام المتقدم إلى أعوانهم. حاشا، بل لكونهم يزدادون شرفاً وقدراً، فإن كان ملوك الأرض تشاء وتسر بإكرام من تقدم عندها، فما عسى الملك السماوي (على أننا لم نعرف بإلهنا الحسد)، أفما يشاء ويريد إكرام من سفك دمه لأجل كلمته (رؤ ٦ : ٩).

❖ **ثانياً**: إن العادة قد سوغت أن يعاد ذكر الفلاسفة والمعلمين الذين تقدموا بالمعارف والعلوم، وتبحروا في امتلاك حكمة هذا الدهر

(١) «وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقاً لَهُمْ. تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ» (عب ١١ : ٣٨) (الناشر).

المتلاشى وفنونه، كأرسطو وأفلاطون وأبقراط وشيشرون [١]، وقاطبة المشتهرين بهذه الفنون الفلسفية وسائر ما يتعلق بعلوم الأرض.

وخلا ذلك أولئك الذين اشتهروا بالبسالة في فنون الحروب والمعارك، واقتحام الصفوف المنتظمة، والغلبة على الأبطال الكاسرة قد يكاد أن لا يمحى اسم واحد منهم. بل من جيل إلى جيل يُعاد ذكر شجاعتهم وانتصارهم في المكافحة وضروب الحروب، ويضرب بهم المثل على الدوام، فإن كان هؤلاء الذين فضلهم لا يكاد يسمى فضلاً بالنسبة لغيرهم، فكم بالحرى أولئك الذين قدموا ذواتهم ذبيحة وكرسوا ذواتهم لله، وسلكوا المنهج الإلهي، وأقاموا نصرة الدين بواسطة بث علمهم وفضلهم كالنور بين أقطار المسكونة قاطبة، أفما يستحقون ذكر فضلهم وسيرتهم ذات الرائحة العطرية، وحُسن مناقبهم ونقاوة أطوارهم المستطابة الفاضلة، أهكذا يقتضى العدل الإلهي أن نشهر أعمال أولئك وذكر أعمالهم وهؤلاء نُخفي، حاشا.



الصف الأول من اليسار. د. كرنيليوس فان دايك. القس دانيال بلس رئيس الكلية. د. يوحنا ورتبات. الصف الثاني من اليسار: د.ديفيد ستيوارت. د. جورج بوست. د. ادون لويس. د. هارفى بورتر

ويا للعجب أن المعترضين ينكرون هذه الحقيقة مع أنهم يتعاطونها بذكر مشاهيرهم. ودونك ما تدون في النشرة الأسبوعية بهذا اللفظ:

"ثم تلا جناب النطاسي الدكتور بوست خطاباً نيابة عن الفاضل الدكتور ادى، تذكاراً للمرحوم المبرور الفاضل المعلم ميخائيل عرمان معلم تلك المدرسة منذ

(١) هو ماركوس توليوس شيشرون Marcus Tullius Cicero الكاتب الروماني وخطيب روما المميز، ولد سنة ١٠٦ ق.م، صاحب إنتاج ضخم يعتبر نموذجا مرجعيا للتعبير اللاتيني الكلاسيكي، وهو بحق يعتبر أب الفلسفة السياسية في روما والكاتب السياسي الأول فيها، توفى سنة ٤٣ ق.م (الناشر).

تأسيسها إلى أن توفاه الله منذ ثلاث سنين فكان لذكره عرف طيب" (ع١٥ من سنة ١٨٨٧) [1] فحسبنا دليلاً لصحة وحقيقة وجوب ذكر جهاد الشهداء والقديسين.

ومع هذا إن إكرام القديسين وتخصيص أيام احتفالية كان في الكنيسة منذ الجيل الأول ودليل ذلك هو أن البروتستانت أنفسهم لا يمكنهم أن ينكروا هذه الحقيقة كما هو مقرر في **كتاب ريحانة النفوس في** أصل الاعتقادات والطقوس تأليف بنيامين شنيدر المطبوع سنة ١٨٥٤ للمسيح، **فقال عن عيد القيامة والعنصرة:**

"قد جمعنا هذين العيدين لأن الظاهر أن ابتدائهما كان في زمان واحد، فالأول منهما تذكار لموت المسيح وقيامته، والثاني لحلول الروح القدس على الرسل، وبيان أنهما قد حُفظا قديماً جداً، حتى أنه يوجد برهان على أنهما كانا في الجيل الأول وربما في أيام الرسل" (ص٩) وقال " ثم أن المسيحيين الأولين كانوا يعيدون عيد الفصح باحتفال عظيم بسبب اعتبارهم الكلى لقيامة المسيح، فقد كانت القيامة حسب رأيهم وحسب تعليم بولس الرسول بمنزلة حجر زاوية في الديانة المسيحية المقدسة، لأن إيمانهم ورجاءهم كانا مؤسسين على صحة هذا الحادث، وبه ظهر المسيح منتصراً على الموت، والجحيم، والشيطان وجميع جنود الظلمة، وبه أيضاً تم عمل الفداء العظيم، ولأجل هذا اعتبروا هذا اليوم بهذا المقدار، حتى أن غريغوريوس النزينزى يسميه ملك الأيام

---

(١) الدكتور جورج بوست (هو صاحب فهرس الكتاب المقدس) والدكتور وليم ادى من أعضاء الإرسالية السورية (المبشرون الأميركان) وأيضاً من أساتذة الكلية السورية الإنجيلية، والمعلم ميخائيل عرمان أحد تلامذة مدرسة الدكتور (طمسن) في بيروت، وقد تعلم اللغة العربية على يديه الدكتور كرنيليوس فان دايك الذي ترجم بعدئذ الكتاب المقدس إلى اللغة العربية.

يولا فرحات «كرنيليوس فان دايك» في *رسالة الكلمة* (تصدرها كنيسة لبنان المعمدانية الإنجيلية) السنة الأولى – العدد ١ (أيار ٢٠٠٥)، ٤.(الناشر).

وعيد الأعياد، وفم الذهب يدعوه إكليل الأعياد وأعظم جميع الأعياد ويوم الرب العظيم وأعظم الأيام" (ص١١).

وحيث ما أمكنه أن يعرف وقت دخول جمعة الآلام ولكن قد أقر أنها كانت في الأجيال الأولى للكنيسة، وعيد الميلاد كان في الجيل الثالث ولكن ما أمكنه أن يقرر وقت تقريره وترتيبه في الكنيسة فهذا هو دليل كونه من أيام الرسل (ص١٣، ١٦)، **وقال عن تذكار الشهداء:** "بما أن الشهداء كانوا مكرمين جداً لأجل ثباتهم في الإيمان، وتقديم حياتهم لأجل المسيح وإنجيله، نجد أخباراً عن أيام مكرسة لأجل تذكار استشهادهم وأقدمها كان لتذكار بوليكاربوس (تلميذ يوحنا) الذي مات شهيداً، وربما يوم تذكار موته ابتدأ من ذلك الوقت سنة ١٦٧م، ثم حفظت بعد ذلك أعياد لغيره من الشهداء، وهذه الأيام كانت تُحفظ حول مدافن الشهداء، إذ كانت تُقرأ هناك قصصهم، وتقدم لهم المدائح، وتجرى فرائض العبادة، ويُصنع سر الافخارستيا، ويولم الأغنياء ولائم "(ص٢١).

وورد في تاريخ كنيسة الانجليز المطبوع في مالطة في (فصل ٤ قسم ٢ ع٥) بهذه الألفاظ أن:

"الأعياد التي كانوا يمارسونها فهي الفصح والعنصرة والتجلي والميلاد، وكانوا يكرمون الشهداء ويعبرون عن ذكر يوم مكابدتهم، ويعيدون الأعياد عند قبورهم بغاية السرور والمحبة والإحسان".

فهذه الأمور سردها المؤرخ من جملة الأعمال الحسنى التي كان أهل تلك الأجيال الأولى يمارسونها.

ولقد قرر ذهبي الفم ذلك في كثير من مقالاته فمنها قال:

"نحن الآن نكمل تذكار الشهداء، ها تذكار الشهداء موجود وأنت متكاسل، وقد كان ينبغي لك أن تحضر إلى هذا الميدان الروحاني لتنظر الشيطان كيف هو مغلوب والقديس غالب" (مقالة ٣)،

وقال: ''وُهِبت رِجلين لتسعى بهما في طريق الأعمال الصالحة، أعنى في زيارة المرضى والمسجونين، والكنائس في تذكار الأبرار'' (م٢٦).

وبهذا نكتفي لأن شهادة الخصم أولى من شهادة الحبيب، وهنا ملحوظة ينبغي أن نذكره لجل إتمام الفائدة وهو إما أن يكون احتفال تذكار الشهداء والقديسين أمراً حميداً ومفيداً وصالحاً، وهذا لا يسلّم به الخصم، أو أن يكون مضراً ونتيجته غير صالحة وفعله غير حميد وهذا هو قصد الخصم، وعلى ذلك يترتب أن تكون الكنيسة منذ تركها المسيح وصعد وجلس عن يمين العظمة قد توغلت في الغلط والأعمال الغير الصالحة، ولا أظن أن يسلّم الخصم بذلك أعنى أن الأجيال الأولى، الأول والثاني والثالث والرابع قد حادت عن الطريق المستقيم ومحجة الحق، فإذاً احتفالها للأعياد هو حق ومفيد وصالح.

سؤال: ماذا يجب أن تتلو من الصلوات في مثل هذه الأيام؟

جواب:

أولاً: يجب أن نقدم سر الافخارستيا، ثم نطوب ونغبط الشهداء والقديسين الذين فازوا بالمجد، ونعطيهم السعادة والإكرام والاحترام الواجبين واللائقين بمقامهم، ليقع في قلوب المؤمنين الغيرة الروحية، ونمارس معا بعض فضائلهم وثباتهم على الإيمان الأرثوذكسي، ونشترك في الأجر معهم.

ثانياً: يجب أن نقدم واسطتهم ونتشفع بهم لدى منبر السيد المسيح للمعونة على عمل الصلاح، ودفع التجارب والتخلص منها.

ولنأخذ [1] في تثبيت الشفاعة بالقديسين، فنقول إن الشفاعة واحدة لا تتجزأ، إنما بحسب المضافة إليه تنقسم إلى قسمين:

الأول: ما يلاحظ بالقاطنين على الأرض أي الأحياء.

والثاني: ما يلاحظ بالسمائيين أي الأبرار المنتقلين والملائكة القديسين.

فالأول:

أن الله قد أوعز إلينا مراراً بواسطة وحيه، أن نلتجئ إلى من اصطفاهم واختارهم وبالأكثر عند وقوعنا في التجارب المتنوعة والأوصاب المختلفة، ليرفعوا عنا صلوات وطلبات إلى عزة جلاله، **فمن ذلك قوله لأبيمالك:**

✞ «فَالآنَ رُدَّ امْرَأَةَ الرَّجُلِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ فَيُصَلِّيَ لأَجْلِكَ فَتَحْيَا» (تك ٢٠ : ٧).

وقوله لأصحاب أيوب:

✞ «وَالآنَ فَخُذُوا لأَنْفُسِكُمْ سَبْعَةَ ثِيرَانٍ وَسَبْعَةَ كِبَاشٍ وَاذْهَبُوا إِلَى عَبْدِي أَيُّوبَ وَأَصْعِدُوا مُحْرَقَةً لأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ وَعَبْدِي أَيُّوبُ يُصَلِّي مِنْ أَجْلِكُمْ» (اى ٤٢ : ٨).

ومثل هذا قول بنى إسرائيل لصموئيل:

✞ «لاَ تَكُفَّ عَنِ الصُّرَاخِ مِنْ أَجْلِنَا إِلَى الرَّبِّ إِلهِنَا فَيُخَلِّصَنَا مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ» (١صم ٧ : ٨).

ومثل هذا كثير في رسائل بولس الرسول منها قوله:

✞ «فَأَطْلُبُ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ تُقَامَ طِلْبَاتٌ وَصَلَوَاتٌ وَابْتِهَالاَتٌ وَتَشَكُّرَاتٌ لأَجْلِ جَمِيعِ النَّاسِ، لأَجْلِ الْمُلُوكِ وَجَمِيعِ الَّذِينَ هُمْ فِي مَنْصِبٍ» (اتى ٢ : ١ – ٢).

✞ «فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَبِمَحَبَّةِ الرُّوحِ أَنْ تُجَاهِدُوا مَعِي فِي الصَّلَوَاتِ مِنْ أَجْلِي إِلَى اللهِ» (رو ١٥ : ٣٠).

(١) في الأصل هذا الجزء كان هامش ولقد رفعناه ووضعناه في النص لطوله وأهميته (الناشر).

✞ «وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ. مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهَذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُواظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ» (أف ٦ : ١٧ – ١٨).

✞ «وَاظِبُوا عَلَى الصَّلاَةِ سَاهِرِينَ فِيهَا بِالشُّكْرِ، مُصَلِّينَ فِي ذَلِكَ لأَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضاً، لِيَفْتَحَ الرَّبُّ لَنَا بَاباً لِلْكَلاَمِ، لِنَتَكَلَّمَ بِسِرِّ الْمَسِيحِ» (كو ٤ : ٢ – ٣).

✞ «وَأَنْتُمْ أَيْضاً مُسَاعِدُونَ بِالصَّلاَةِ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يُؤَدَّى شُكْرٌ لأَجْلِنَا مِنْ أَشْخَاصٍ كَثِيرِينَ، عَلَى مَا وُهِبَ لَنَا بِوَاسِطَةِ كَثِيرِينَ» (٢كو ١ : ١١).

وقال يوحنا الرسول:

✞ «إِنْ رَأَى أَحَدٌ أَخَاهُ يُخْطِئُ خَطِيَّةً لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ، يَطْلُبُ، فَيُعْطِيهِ حَيَاةً لِلَّذِينَ يُخْطِئُونَ لَيْسَ لِلْمَوْتِ» (ايو ٥ : ١٦).

الثاني:

فإذ قد ثبت الأول لا مناص من المعترض من الإقرار بحقيقة الثاني، لأنه لا فرق بين هذا وذاك، لأنه إن كان هؤلاء الكائنون معنا والمشاركون لنا في الآلام الجسدية ووقوع التجارب والمصائب ولم يصلوا بعد إلى حد الكمال، قد يسمع الله منهم ما يقدمونه من الصلوات والطلبات لجلاله لأجلنا. فكيف لا يسمع الله من أولئك الذين كتبت أسمائهم في سفر الحياة، وختم على جباههم شهادة يسوع، وصاروا ملوكا وكهنة لله أبيه، وهو يُسر بهم وهم يُسرون برؤياه، والتمتع ببشاشة وجهه الكريم.

أما البراهين الكتابية فهي هذه:

أولاً:

قيل عن يهوذا المكابى إنه قص رؤيا على أصحابه كان نظرها:

✠ «هذهْ هِيَ الرُّؤْيَا قَالَ رَأَيتُ أُونيَّا الْكَاهِنَ الأعظَمَ رَجُلَ الْخَيْرِ وَالصَّلاحِ المُهِيبَ المَنْظَرِ الحَلِيمَ الأَخْلَاقِ صَاحِبَ الأَقْوالِ الرَّائِعَةِ المُوَاظِبَ مُنْذُ صَبَآئِهِ عَلَى جَمِيعِ ضُرُوبِ الفَضَائِلِ بَاسِطاً يَدَيْهِ وَمُصَلّياً لأَجْلِ جَمَاعَةِ اليَهُودِ بِأَسْرِهَا، ثُمَّ تَرآءَى لِي رَجُل كَرِيمُ الشَّيْبَةِ أَغَرُّ البَهَآءِ عَلَيْهِ جَلالَة عَجِيبَة سَامِيَة، فَأَجَابَ أُونيَّا وَقَالَ هَذَا مُحِبُّ الإِخْوَةِ المُكْثِرُ مِنَ الصَّلَوَاتِ لأَجْلِ الشَّعْبِ والْمَدِينَةِ المُقدَّسَةِ إرمِيَا نَبِيُّ اللَّهِ» (٢مك ١٥ : ١٢ – ١٤).

وقد قال دانيال ورفقته:

✠ «لاَ تَصْرِفْ رَحْمَتَكَ عَنَّا لِأَجْلِ إِبْرَاهِيم خَلِيلِكَ وَإِسْحقَ عَبْدِكَ وَإِسْرَائِيلَ قِدِّيسِكَ» (دا ٣ : ٣٥).

وإن احتج المعترض بعدم الثقة بهذين النصين كونهما ليسا كزعمه من النصوص الموحى بها من الله فماذا عساه يحتج عن قول الله:

✠ «وَأُحَامِي عَنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ لِأُخَلِّصَهَا مِنْ أَجْلِ نَفْسِي وَمِنْ أَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي» (٢مل ١٩ : ٣٤).

وفي هذا الصدد صلى موسى واستشفع بالآباء قائلاً:

✠ «أُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ» (خر ٣٢ : ١٣).

وسليمان بدأ يصلى ويطلب واسطة أبيه قائلاً:

✠ «مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِكَ لاَ تَرُدَّ وَجْهَ مَسِيحِكَ» (مز ١٣٢ : ١٠).

ثانيا:

إن ملاك الرب قد شوهد مصلياً عن شعب الله وأورشليم قائلاً:

✞ «يَا رَبَّ الْجُنُودِ إِلَى مَتَى أَنْتَ لاَ تَرْحَمُ أُورُشَلِيمَ وَمُدُنَ يَهُوذَا الَّتِي غَضِبْتَ عَلَيْهَا هَذِهِ السَّبْعِينَ سَنَةً؟» (زك ١ : ١٢).

وقد أجاب الله طلبة الملاك قائلاً:

✞ «قَدْ رَجَعْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ بِالْمَرَاحِمِ فَبَيْتِي يُبْنَى فِيهَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ» (زك ١ : ١٦).

✞ «وَلَمَّا أَخَذَ السِّفْرَ خَرَّتِ الأَرْبَعَةُ الْحَيَوَانَاتُ وَالأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخاً أَمَامَ الْحَمَلِ، وَلَهُمْ كُلِّ وَاحِدٍ قِيثَارَاتٌ وَجَامَاتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوَّةٌ بَخُوراً هِيَ صَلَوَاتُ الْقِدِّيسِينَ» (رؤ ٥ : ٨).

✞ «وَجَاءَ مَلاَكٌ آخَرُ وَوَقَفَ عِنْدَ الْمَذْبَحِ، وَمَعَهُ مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَأُعْطِيَ بَخُوراً كَثِيراً لِكَيْ يُقَدِّمَهُ مَعَ صَلَوَاتِ الْقِدِّيسِينَ جَمِيعِهِمْ عَلَى مَذْبَحِ الذَّهَبِ الَّذِي أَمَامَ الْعَرْشِ» (رؤ ٨ : ٣).

ثالثاً:

إن يوحنا اللاهوتي قد استشفع بالسبعة الأرواح قائلاً:

✞ «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ الْكَائِنِ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، وَمِنَ السَّبْعَةِ الأَرْوَاحِ الَّتِي أَمَامَ عَرْشِهِ» (رؤ ١ : ٤).

و أليفاز التيمانى قد أثبت أن القديسين لهم المساعدة بقوله لأيوب:

✞ «اُدْعُ الآنَ. فَهَلْ لَكَ مِنْ مُجِيبٍ! وَإِلَى أَيِّ الْقِدِّيسِينَ تَلْتَفِتُ؟» (اى ٥ : ١).

وقد أجاد اليهو بن برخئيل بقوله:

✞ «إِنْ وُجِدَ عِنْدَهُ مُرْسَلٌ وَسِيطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ لِيُعْلِنَ لِلإِنْسَانِ اسْتِقَامَتَهُ. يَتَرَأَّفُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: أُطْلِقُهُ عَنِ الْهُبُوطِ إِلَى الْحُفْرَةِ قَدْ وَجَدْتُ فِدْيَةً. يَصِيرُ لَحْمُهُ أَنْضَرَ مِنْ لَحْمِ الصَّبِيِّ وَيَعُودُ إِلَى أَيَّامِ شَبَابِهِ. يُصَلِّي إِلَى اللهِ فَيَرْضَى عَنْهُ

وَيُعَايِنُ وَجْهَهُ بِهُتَافٍ فَيَرُدُّ عَلَى الإِنْسَانِ بِرَّهُ. يُغَنِّي بَيْنَ النَّاسِ فَيَقُولُ: قَدْ أَخْطَأْتُ وَعَوَّجْتُ الْمُسْتَقِيمَ وَلَمْ أُجَازَ عَلَيْهِ. فَدَى نَفْسِي مِنَ الْعُبُورِ إِلَى الْحُفْرَةِ فَتَرَى حَيَاتِيَ النُّورَ» (اى ٣٣ : ٢٣ – ٢٨).

سؤال: أورد لي قليلاً من التقليد و الآباء المعتبرين؟

جواب:

قال ذهبي الفم [١] في كتاب الدر المنتخب:

"الملائكة القديسون في حال ذبيحة القداس الإلهي، فعوض أغصان الزيتون يقدمون هذا الجسد السيدي الكلى قدسه بعينه ويرونه سيدنا وإلهنا يسوع المسيح، ويتوسلون إليه من أجل الطبيعة البشرية" (م٣) **وقال أيضاً**: "شاهدت إنساناً يتوسل إلى الله والقديسين أن يساعدوا صفيه، ثم بعد ذلك طلب لأجل ذاته" (م١٣) **وقال**: "وذلك أنه متى فُقِد الصديقون من هذه الحياة، وعدمنا توسلهم عنا في صفح خطايانا، فان الله يقبل أيضاً من هؤلاء القديسين بعد انتقالهم، **كما قال البارئ تعالى**: «وَأُحَامِي عَنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ لِأُخَلِّصَهَا مِنْ أَجْلِ نَفْسِي وَمِنْ أَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي» (٢مل١٩ :٣٤)، ذلك الذي قد توفى وعفاه الرَمَس [٢] منه زماناً قديماً، ألاحظت الآن مقدار هذه الفضيلة التي كانت لأولئك القديسين الأصفياء، لأنه لا يكفي أن أقاويلهم وأجسامهم مكرمة فقط، بل أسماءهم وملابسهم التي يلبسونها، فها وشاح إيليا قد شق الأردن وشطره، وأحذية الفتية قد وطئت سعير نار الآتون وأخمدت لهيبها، وقضيب إليشع النبي قد حوّل الماء وغيرها، وعصا موسى الزعيم قد شقت البحر الأحمر، وحين ضرب بها الصخرة تفجرت المياه وأزالت أوام [٣] الشعب الظامئ إلى الماء،

---

(١) John I Chrysostom وهو القديس يوحنا البابا ٣٦ من بطاركة القسطنطينية (٣٩٨-٤٠٤) (الناشر).

(٢) الرَمَس هو القبر أو اللحد، وعفاه الرَمَس تعنى لإزالة القبر (الناشر).

(٣) الأوام هو حرارة العطش (الناشر).

وملابس بولس الرسول صحح الله بها الأمراض وشفاها، وظل بطرس حجز ورود الموت نفسه، ورماد أعضاء الشهداء القديسين طرد الأبالسة وقواتها" (م١٧).

ومثل ذلك كثير من أقوال الآباء المعتبرين لاحظ (م١٥، ٢٥) من قول مار إفرام السرياني[1]. وجزء أول فصل ١٩ وجزء ثالث فصل ٥٩ من كتاب الاقتداء بالمسيح.

ولقد شهد صاحب كتاب ريحانة النفوس في أصل العوائد والطقوس:

"إن آباء الكنيسة قديماً كانوا يستمدون المعونة من الشهداء والقديسين في الجيل الثاني والثالث، ومنهم باسيلسوس الكبير في موعظته ٩ للأربعين شهيداً فصل ٨، وغريغوريوس النيصي في عيد الشهيد ثيودوروس، وغريغوريوس النزينزى في خطاب ١٨عن كبريانوس، وذهبى الفم وغيرهم ابتدأوا يخاطبون الشهداء في مواعظهم ويطلبون شفاعتهم كما يتضح من مطالعة تصانيفهم" (ص٥١، ٥٢).

أما اعتراض المعترض بهذا الخصوص فهو: [2]

أولاً:

إن الاستشفاع صالح ومفيد غير أنه للأحياء لا للموتى، لأن القديسين الذين انتقلوا من هذه الحياة لا يعلمون ما يجرى على الأرض، وبالتالي فلا يقدرون أن ينصتوا لطلبات من يقدم إليهم ولا يسمعون لمن يدعوهم، فلا منفعة لمن يرجو منهم مساعدة.

(١) قديس وراهب سوري ملقب بقيثارة الروح القدس وُلد حوالى سنة ٣٠٦م في مدينة نصيبين شمال شرق سوريا وتنيح سنة ٣٧٣م في مدينة الرها (الناشر).

(٢) في الأصل هذا الجزء كان هامش ولقد رفعناه ووضعناه في النص لطوله وأهميته (الناشر).

ثانياً:

قول النص الإلهي:

✞ «فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ» (١يو ٢ : ١).

✞ «لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (١تى ٢ : ٥).

فهذان **الاعتراضان** اللذان يقدمهما المعترض ضد الشفاعة غير أن الأول يقصد به ضد المنتقلين والثاني ضد المنتقلين وغيرهم من الأحياء.

فالرد على الاعتراض الأول وتفنيده هو من الكتاب المقدس فإنه ينقض دعوى المدعى بكون الأبرار لا يعلموا من بعد وفاتهم ما يجرى على الأرض، **قال السيد:**

✞ «أَقُولُ لَكُمْ يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ» (لو ١٥ : ١٠).

فهل يمكن أن تفرح الملائكة من غير ما تعرف ما يجرى على الأرض من صلاح أو طلاح كلا، **ولذلك إبراهيم قد عرف جيداً بحالة الغنى ولعازر إذ قال للغنى:**

✞ «فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا ابْنِي اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ وَكَذَلِكَ لِعَازَرُ الْبَلاَيَا» (لو ١٦ : ٢٥).

وبولس الرسول قد قال:

✞ «لأَنَّنَا صِرْنَا مَنْظَراً لِلْعَالَمِ لِلْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ» (١كو ٤ : ٩).

وزاد هذا المعنى في خطابه للشعب الإسرائيلي المؤمنين قائلاً:

✞ «قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ: أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ، وَكَنِيسَةِ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى اللهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ» (عب ١٢ : ٢٢ — ٢٣).

فقد تشترك الكنيسة المجاهدة اي التي في هذا العالم مع الكنيسة المنتصرة اي التي تركت عنها هذا العمر في السموات والتسبيح والتمجيد للعزة الإلهية (رؤ ٥ :٨ ، ٨ : ٣).

ولهذا السيد قد دعاها حية غير مائتة بجوابه المفحم لليهود:

✞ «أَنَا إِلَهُ إِبْراهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ. لَيْسَ اللَّهُ إِلَهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلَهُ أَحْيَاءٍ» (مت ٢٢ : ٣٢).

وأما الاعتراض الثاني فمردود من عدة أوجه:

الأول:

كان يجب علينا أن نأتى به دليلاً لإثبات ما قررناه من أمر الاستشفاع، وهو من المسلّم أن الله الكلمة مساوٍ لأبيه في الجوهر، وليس في الأقانيم من له الامتياز على الآخر. أعنى ليس في الأقانيم عبودية ومعبودية إذ هم متساوون في قاطبة الكمالات الإلهية.

فعلى هذا البناء لا يحسن أن نقول إن المسيح شفيع أو وسيط من حيث أنه إله، لأن ذلك يوجب عدم المساواة ما بين الأقانيم، فمن حيث أنه صار إنساناً وفي صيرورته إنساناً لم يدع شيئاً ما للإنسان ولم يأخذه، بل شارك الطبيعة البشرية في جميع ما يختص بها من الأسماء والنعوت والأوصاف والوظائف حالة كونه غنيا عن هذه بالجملة.

فما للطبيعة البشرية (اتّصاف الكل بما للجزء) كالنبوة، والرسالة، والكهنوت، والإرشاد، والهداية، والرعاية، والتعليم، والوعظ، والصلاح، والقداسة، وغير ذلك، وقد اتصف بجميع هذه الأوصاف، ومن ضمن أوصافنا نحن البشريين الشفاعة والوساطة، فصار شفيعاً ووسيطاً، فشفاعته ووساطته هما البرهان على ثبوت شفاعة ووساطة البشريين، فهو إذاً وسيط وشفيع لا من

حيث انه إله بل من حيث أنه إله متأنس صار إنساناً ومشارك الطبيعة البشرية، فكان الاعتراض هو البرهان.

الثاني:

إن الشفاعة قد يقصد بها الإجابة وعدمها أي أن تقبل وأن لا تقبل، وحيث أنه من المحال أن تكون واسطة المسيح وشفاعته على هذا الأسلوب، إذ يستحيل عدم قبول ما يطلب ويسأل، فيكون إذاً وساطة المسيح وشفاعته ليسا من قبيل وضعهما، بل قد تحولا عن موضوع مفهومهما واستعملا له استعمالاً مجازياً فوساطة البشريين وشفاعتهم حقيقتان.

الثالث:

إن الشفاعة والوساطة هما مجرد الطلب والترجى لأجل الغير وعن الغير، فيكون إما أن اعتراض المعترض مفنّد ومدحوض أو أنه أوجد في النصوص المناقضة أي نص يثبت وآخر ينفي ما ثبته ذاك وقد سبق لنا ببراهين تغنى عن إعادتها أن النص الإلهي مجرد عن قبول النفي والإثبات، وحيث قد أعلمنا الوحي الإلهي بآيات وشواهد عديدة أنه صالح ومفيد طلب الشفاعة من القديسين سواء كانوا أحياء أو أموات.

وإن قيل ماذا ينتفع الإنسان إذا كان خاطئاً، أيمكن أن تخلصه شفاعة مار بطرس أو مار بولس.

فهذا الاعتراض مردود على قائليه بهذا القول ذاته ماذا يستفاد الإنسان إذا كان خاطئاً غير تائب، أيمكن أن تخلصه شفاعة المسيح، أو الله يمكن أن يخالف عدله، فلا يقاصصه ما لم يتب.

فيكون الجواب على كلا الاعتراضين أن الإنسان ما دام غارقاً في بحر الضلالة والجهل غير منتبه إلى تثقيف حاله وإصلاح ذاته، لا يستفيد من قديس ولا غير

قديس، ما لم يتب ويرجع عن غيه وضلال طريقه، كما نظرت كيف لما تابت أورشليم ورجعت إلى الرب خلصت بواسطة شفاعة الملاك (زك ١ : ١٢).

سؤال: هل أظهر الله إكرام أثارات قديسيه؟

جواب:

حقا إنه في مواضع كثيرة، قد أجرى منها مثلما أجرى من نفس القديسين، وما ذلك إلا دليل واضح لاحترام وتوقير آثارهم المقدسة، ومن ذلك قوم كان معهم جنازة ميت يريدون دفنه فلما رأوا الغزاة طرحوا الرجل في قبر إليشع، فلما نزل الرجل ومس عظام أليشع عاش وقام على رجليه (٢مل ١٣ : ٢٠ – ٢١).

أنظرت الآن كيف يريد الله احترام قديسي الله (مت ٢٣ : ٢٩). وذلك من أزمنة مستطيلة بدليل ما حدث من أمر الملك الذي أتى من اليهودية إلى السامرة وحرق عظام جميع الموتى، ما خلا عظام القديس والنبي (٢مل ٢٣ : ١٧ – ١٨).

أفليس ذلك دليلاً على احترام وتوقير أثارات مختارى الله وصورهم وأيقوناتهم.

قد يتخذ المعترض [1] وسيلة كبرى لإلقاء طائفتنا في بحر الشك وحيدانهم عن موضوع ديانتهم بتلك الآية السيدية وهي «لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتاً وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ.لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلَهَكَ» (خر ٢٠ : ٤ – ٥).

(١) في الأصل هذا الجزء كان هامش ولقد رفعناه ووضعناه في النص لطوله وأهميته (الناشر).

والحال أن الله قد قال أيضاً لموسى:

✝ «وَتَصْنَعُ كَرُوبَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ. صَنْعَةَ خِرَاطَةٍ تَصْنَعُهُمَا عَلَى طَرَفَيِ الْغِطَاءِ. فَاصْنَعْ كَرُوباً وَاحِداً عَلَى الطَّرَفِ مِنْ هُنَا وَكَرُوباً آخَرَ عَلَى الطَّرَفِ مِنْ هُنَاكَ. مِنَ الْغِطَاءِ تَصْنَعُونَ الْكَرُوبَيْنِ عَلَى طَرَفَيْهِ. وَيَكُونُ الْكَرُوبَانِ بَاسِطَيْنِ أَجْنِحَتَهُمَا إِلَى فَوْقُ مُظَلِّلَيْنِ بِأَجْنِحَتِهِمَا عَلَى الْغِطَاءِ وَوَجْهَاهُمَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى الآخَرِ. نَحْوَ الْغِطَاءِ يَكُونُ وَجْهَا الْكَرُوبَيْنِ. وَتَجْعَلُ الْغِطَاءَ عَلَى التَّابُوتِ مِنْ فَوْقُ. وَفِي التَّابُوتِ تَضَعُ الشَّهَادَةَ الَّتِي أُعْطِيكَ. وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ بِكُلِّ مَا أُوصِيكَ بِهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» (خر ٢٥ : ١٨ - ٢٢).

فالاعتراض وجوابه كلاهما وحي من فم الله:

غير أنه على مقتضى رأي المعترض وفهمه القاصر ينبغي أن توجد المناقضة والمضادة. وكلام الله مبرأ من ذلك. لأنه تبارك وتعالى لا يقول قولاً ويخلف به. أما الرأي الصحيح أن هذين النصين صادقان وليس فيهما تضاد أو اختلاف لأن لكل منهما معنى لا ينبغي أن يتناوله الآخر. ولذا من مسك النص الأول دون الآخر وفهمه خلاف ما يقتضيه موضوع معناه أي أنه ينفي اتخاذ صور على وجه الإطلاق، فهذا هو دليل إيجاده المضادة والتناقض بين النصين، وعلى حسب رأيه القاصر وغرضه يفتح عليه باباً عسراً ويقيم حجة لأعداء الديانة المسيحية قوية جداً لا تطاق مقاومتها. **لأن البارئ أخلف ما قال أولاً بما قال ثانياً:**

✝ «فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِساً لأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ. بِحَسَبِ جَمِيعِ مَا أَنَا أُرِيكَ مِنْ مِثَالِ الْمَسْكَنِ وَمِثَالِ جَمِيعِ آنِيَتِهِ هَكَذَا تَصْنَعُونَ» (خر ٢٥ : ٨ – ٩). وكما نظرت من مثال الكاروبين.

لكن على حسب الرأي الصحيح والمعنى الصادق لا مضادة بين كلا النصين، بل كل له معنى غير الآخر، **فمعنى النص الأول هو:** ألا نتخذ صور ما

في السماء أي صور الشمس والقمر وباقي الكواكب والنجوم، وما في الأرض أي صور الوحوش والحشرات والبهائم، وما في الماء من تحت الأرض أي صور الأسماك والطيور وباقي الحيوانات البحرية، هذه جميعها التي كانت تعبدها الأمم، وقد فسرها الرب بعد ذلك بقليل بقوله:

✠ «لِئَلا تَفْسُدُوا وَتَعْمَلُوا لأَنْفُسِكُمْ تِمْثَالاً مَنْحُوتاً صُورَةَ مِثَالٍ مَا شِبْهَ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى. شِبْهَ بَهِيمَةٍ مَا مِمَّا عَلَى الأَرْضِ شِبْهَ طَيْرٍ مَا ذِي جَنَاحٍ مِمَّا يَطِيرُ فِي السَّمَاءِ. شِبْهَ دَبِيبٍ مَا عَلَى الأَرْضِ شِبْهَ سَمَكٍ مَا مِمَّا فِي المَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. وَلِئَلا تَرْفَعَ عَيْنَيْكَ إِلى السَّمَاءِ وَتَنْظُرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ كُلَّ جُنْدِ السَّمَاءِ التِي قَسَمَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ التِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ فَتَغْتَرَّ وَتَسْجُدَ لهَا وَتَعْبُدَهَا» (تث ٤ : ١٦ – ١٩).

وأما الثانية فمعناها: أن نأخذ أمثلة ما في السموات من الملائكة ومن التابوت والهيكل (رؤ ١١ : ١٩) والمذبح والمبخرة (رؤ ٨ : ٣). مصرحا لموسى بقوله: «انْظُرْ أَنْ تَصْنَعَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ الْمِثَالِ الَّذِي أُظْهِرَ لَكَ فِي الْجَبَلِ» (عب ٨ : ٥). وهذا الأمر قد صار سُنّة وفريضة وناموساً لبيت الله، لأن سليمان لما بنى الهيكل ملأه من أمثلة ما في السموات من كروبيم ومذابح (امل ٦ : ٢٣، ٢اي ٣ : ١٤). إذاً لا مانع أن نتخذ أمثلة وصور ما في السماء من الملائكة والقديسين [1] حيث لا ينبغي لنا أن نمسك وصية من فم البارئ ونقصد بها خلاف

(١) إن صور وأمثلة المسيح كانت تتداول أمام الأنبياء والأبرار قبل وروده بزمن طويل:

- ❖ إن إبراهيم قد نظر يوم الرب وصلبوته في جبل المرايا (تك ٢٢ : ٢ – ١٧، يو ٨ : ٥٦).
- ❖ ويعقوب قد نظر المسيح (تك ٣٢ : ٢٤) وتصارع معه حتى طلوع الفجر.
- ❖ ودانيال رآه لابسا الجسد (دا ٧ : ١٣).
- ❖ وحزقيال وإشعياء نظراه جالساً على كرسي (حز ١ : ٢٦، اش ٦ : ١).
- ❖ وبالاختصار إن الله خاطب آبائنا بأنواع كثيرة وطرق شتى (عب ١ : ١).

فمثال بروز الأمر قبل وقوع حقيقته دليل على وجوب وجود مثاله بعد وقوع حقيقته.

قصدها حالة وجود أخرى تنفي ذلك القصد المقصود به الأولى. لئلا تُمسك علينا حجة قوية بارتفاع حقيقة الوحي. لأن الله ليس بضد لذاته، وعلى الأخوة الأخصام حجة قوية لا تُحل، وشناعة كبيرة لعدم تمييزهم ما بين هذين النصين الموحى بهما من قبل الله عز وجلَّ. إذ يمسكون الأولى ويقوضون بتفسيرهم لها مباني الأخرى ومن ذلك قوله أيضاً إن الصور عديمة الحركة وصنعة أيدي البشر فكيف تستحق الإكرام.

فنقول أن إكرامنا للصور ليس من حيث ذاتها، بل من حيث انتسابها للمسيح أو القديسين، فإكرامنا إذاً ليس هو للخشب أو للدهون بل لمن صورت على اسمه. وأما قولك إنها عديمة الحركة فحقاً لأننا لسنا كأصحاب الوثن نعتقد أن فيها روحاً. فلهذا نحن نجعلها ذكراً لوقائع وحوادث المسيح أو القديسين، فلسنا نتوكل عليها أو نرجو منها شيئا، بل نتوكل على المسيح ونرجو منه مغفرة الخطايا وترك المآثم.

أما قولك إنها صنعة الأيدي فلا بأس من ذلك، فإن يشوع بن نون قد سقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب إلى المساء هو وشيوخ إسرائيل (يش ٧ : ٦).

وداود أمر أن نسجد للهيكل والمذبح (مز ٥ : ٧ ، ٩٩ : ٥ ، ١٣٢ : ٧ ، ١٣٨ : ٢).

لأنه كما أنهم كانوا ينظرون شبه الأشياء وأمثلتها لا ذاتها، لاق أيضاً بالذين وجدوا بعد وقوعها أن ينظروا أمثلتها، حتى كلا الطرفين لا يحرمان من فرح ابراهيم عندما نظر صلبوت المسيح (يو ٨ : ٥٦)، ولقد نظر يوحنا فى جليانه مثال المسيح (رؤ ١ : ١٣).

ثانياً: إن الرسول بقوله: «أَنْتُمُ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَصْلُوباً» (غل ٣ : ١).

قد أوضح غاية الايضاح أنهم كانوا يرسمون صلبوت المسيح فيما بينهم كما هو ظاهر .

وإن قيل ليس المعنى أنهم اتخذوا صورة صلبوت المسيح بل ان المسيح حال كونه على الصليب قد ارتسم بعقولهم من وقوفهم على حكاية الصلب وحادثته التي كان الرسول قد قصها عليهم.

فأجيب: مسلماً بذلك غير أنه لا فرق بين أن تكون الصورة مرتسمة قبالة الأعين العقلية أو الأعين الحسية.

فإذا جاز أن تكون الصورة مرتسمة داخلاً في القوى العقلية جاز أن تكون مرتسمة ومصورة تجاه الأعين النظرية، ولا غرو أن مثال الصليب المقدس قد اتخذ منذ الأجيال الأولى، ودليل ذلك شهادة (ريحانة النفوس فى أصل العوائد والطقوس) ص٦٥ وما يلي ذلك، ولقد قال: "إن الصور كانت اتخذت لمعرفة التواريخ" (ص٥٧).

فلا فرق بين هذه وتلك، لأن هذه مصنوعات أيد وتلك مصنوعات أيدٍ أيضاً.
فهل أن التابوت هو الله أو الهيكل والمذبح هما الله، حاشا وكلا، فالنتيجة أن جميع الأشياء المكرسة ينبغي لها الإكرام والتوقير والاحترام.

سؤال: قد عرفت ذلك جميعه فما هي الثالثة من وصايا الرسل؟

جواب:

هي الاعتراف والإقرار بالذنوب، على يد كاهن شرعي مؤتمن ذي سر غير مفشٍ.

سؤال: هل أمر السيد بالاعتراف؟

جواب:

حقاً، قد أمر بصريح أقواله العسجدية [1] السامية بقوله لتلاميذه إذ سلمهم السلطان:

✠ «مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ» (يو ٢٠ : ٢٣).

فكيف يمكن الطبيب أن يشرع بإعطاء العلاج والدواء قبل وقوفه على حقيقة المرض والداء، وكيف التلاميذ يمكنهم غفران الخطايا إن لم يشعروا بها ويقفوا على كنة حقيقتها، فهذا الأمر الساطع الواضح من فم السيد لخواصه الأطهار.



(١) العسجدية أى الذهبية (الناشر).

سؤال: هل شهدت النصوص الإلهية الإسرائيلية عن حقيقة سر الاعتراف؟

جواب:

أى نعم إن الله قال لموسى:

✠ «وَإِذَا أَخْطَأَ أَحَدٌ وَسَمِعَ صَوْتَ حَلْفٍ وَهُوَ شَاهِدٌ يُبْصِرُ أَوْ يَعْرِفُ فَإِنْ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ حَمَلَ ذَنْبَهُ» (لا ٥ :١).

✠ «أَوْ إِذَا حَلَفَ أَحَدٌ مُفْتَرِطاً بِشَفَتَيْهِ لِلإِسَاءَةِ أَوْ لِلإِحْسَانِ مِنْ جَمِيعِ مَا يَفْتَرِطُ بِهِ الإِنْسَانُ فِي الْيَمِينِ وَأُخْفِيَ عَنْهُ ثُمَّ عُلِمَ فَهُوَ مُذْنِبٌ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. فَإِنْ كَانَ يُذْنِبُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ يُقِرُّ بِمَا قَدْ أَخْطَأَ بِهِ» (لا ٥ : ٤ — ٥).

✠ «إِذَا عَمِلَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ شَيْئاً مِنْ جَمِيعِ خَطَايَا الإِنْسَانِ وَخَانَ خِيَانَةً بِالرَّبِّ فَقَدْ أَذْنَبَتْ تِلْكَ النَّفْسُ. فَلْتُقِرَّ بِخَطِيَّتِهَا الَّتِي عَمِلَتْ» (عد ٥ : ٦ — ٧).

وقال سليمان:

✠ «مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لاَ يَنْجَحُ وَمَنْ يُقِرُّ بِهَا وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ» (أم ٢٨ : ١٣).

وقال الإنجيل المقدس:

✠ «وَاعْتَمَدُوا مِنْهُ (يوحنا) فِي الأُرْدُنِّ مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ» (مت ٣ : ٦).

سؤال: هل الكنيسة منذ الأجيال الأولى كانت مستعملة سر الاعتراف؟

جواب:

حقا، إن الرسل أنفسهم كانوا يمارسون استعماله، ودليل ذلك مما كتب لوقا البشير عن المؤمنين قائلاً:

✠ «وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَأْتُونَ مُقِرِّينَ وَمُخْبِرِينَ بِأَفْعَالِهِمْ (والنسخة السريانية بخطاياهم)» (أع ١٩ : ١٨).

وقد أيد ذلك يعقوب الرسول بقوله:

✠ «أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ، وَصَلاَةُ الإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ

خَطِيَّةً تُغْفَرُ لَهُ. إِعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ لِكَيْ تُشْفَوْا. طِلْبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيراً فِي فِعْلِهَا» (يع ٥ : ١٤ – ١٦).

فهذا هو أمر يعقوب الرسول الواضح القادح غير أنه لا تدهمك الأوهام وتخطر على بالك الأفكار فتفتكر على مقتضى تفسير المعوجين أنه يجوز الاعتراف على كل من الناس، فتقع في الريبة والحيرة وتخبطك الأوهام والشكوك. لأنه ليس قصد الرسول أن نعترف على أي كان من الناس بل على قسيس مخصوص، كما هو ظاهر من عبارته أمريض أحد بينكم فليدعُ قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب، فكما أنه خصص قسوس الكنيسة بأن يصلوا على الواقع في خطرات المرض الحسي كذلك لا يجوز لأيٍ كان من الناس أن يصلي على الواقع في خطرات المرض العقلي وإن قيل إن قوله اعترفوا بعضكم لبعض لا يحتمل هذا التعبير، فالجواب أن قوله هذا تسمية للكل بما للجزء لأن الجزء داخل في حقيقة الكل، فلا مانع أن يتناول الكل ما تناوله الجزء، أعنى أن الجسد واحد وأجزاؤه كثيرة وهي أعضاء بعضها بعض، وتلك الأعضاء ليست خارجة عن الجسد بل بعض الجسد، ولقد علمنا مما مر أن تلك الأعضاء هي واحدة من جهة لاجتماعها بجسد واحد ومختلفة من جهة أخرى لاختلاف عمل كل واحد منها عن الآخر (رو١٢:٤).

إن البرهان المحقق [1] ثبوت الاعتراف خلا ما تقدم وأنه لا يجوز أن يكون إلا على واحد مخصوص هو:

أولاً:

أن السيد جعل الأسرار لتلافي احتياجات الحياة الروحية وأشبه بما الحياة العالمية، فجعل:

(١) في الأصل هذا الجزء كان هامش ولقد رفعناه ووضعناه في النص لطوله وأهميته (الناشر).

- المعمودية مولداً.
- والميرون تقوية وتثبيتاً.
- وجسده ودمه الكريمين قوتاً وغذاءً.
- ووضع اليد سياسة ورعاية.
- والزواج حفظاً للنوع للحياة الروحية.

فلا يكون باقياً إلا تلافي احتياج الإنسان في هذه الحياة لطبيب يعالجه إذا مرض بالخطايا، ويرده إلى طريق هذه الحياة إذ ضل عنها، ويتوسط الصلح بينه وبين مانح هذه الحياة وهو الله، وكما أن تلك الأسرار لا تعطى إلا بواسطة كهنة معينين، كذلك لا يكون الاعتراف إلا على أناس مخصوصين.

ثانياً:

أيما هو الأحسن للإنسان الأعرج أن يمشى منفردا، أو أن يتوكأ على الآخر، وللأعمى الخابط في دياجيره (ظلماته) أن يمشى وحده أو أن يكون له مرشد، وللساقط هل أن يترك ليقوم وحده أو أن يمد آخر يده ويقيمه.

ولا غرو أن الإنسان أعرج وأعمى في طريق الفضيلة، وسقوطه متواتر، وكثيراً ما يعمل شراً يحتسبه خيراً، فكيف يحسن أن نقول إن المسيح ترك الإنسان في مثل هذه الحالة مع احتياجه دون قائد ومرشد وقاض وطبيب يعالج جروحه ونكاله، وحسبنا ما أشهر السيد ذلك بالواقع بين اللصوص، إذ سلمه لصاحب الفندق من بعد إعطائه الدينارين وأمره أن يهتم به ومهما أنفق عليه أكثر فعند رجوعه يوفيه (لو ١٠ : ٣٥).

ولقد مر رمز ذلك في داود وخطيئته وغفرانها على يد يوناثان النبي وإذ اعترف بخطيئته هتف النبي:

♰ «الرَّبُّ أَيْضاً قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيَّتَكَ. لاَ تَمُوتُ» (٢صم ١٢ : ١٣).

ثالثاً:

إن الاعتراف هو قديم في الكنيسة لوضع السيد له وأمر الرسل بممارسته.
والدليل على ذلك أن الطوائف المنشقة على كنيستنا الأرثوذكسية مدة (١٤٠٠) كالنساطرة والكاثوليك والروم الملكية وغيرهم لم يزالوا محافظين على هذا السر الأقدس.
فلو فرضنا على حسب زعم الأخصام أن الاعتراف مستجد فكيف كانت تقبل ذلك الكنائس المفترقة من بعضها، لا سيما مع شدة التنافر الحاصل ما بينها والتحزب ومسك أدنى علة على بعضها.

رابعاً:

كان ينبغي لنا أن نؤيد هذا السر بشهادة معلمي الكنيسة، غير أنه يضيق بنا المجال أن نذكرها، فنكتفي أن نورد **شهادة علماء البروتستانت** ومشترعي مذهبهم.
أن مارتن لوثر قد اعترف بحقانية الاعتراف في كتابه سبي بابل (في التوبة) بقوله:

"إن الاعتراف السري كما يصنع يعجبني كثيرا، وهو نافع بل لازم".

وصورة الإيمان التي سنها البروتستانت في اغوسطا قالوا فيها:

"إن الاعتراف في الكنائس لم يبطل عندنا".

ولوثر نفسه حكى عنه أنه كان يعترف في وتمبرج (منبع البروتستنانت) بهذا القول:

"وفيما لوثر جالس يوماً في كرسي الاعتراف في وتمبرج، أتى على التوالى كثيرون من أهل المدينة معترفين بذنوب فظيعة، كالزنا والدعارة والرشوة والأرباح المحرمة، فهذه الذنوب التي تقر بها أمام خادم الكلمة، تلك

النفوس التي يعطى عنها حسابا يوم الدين، فأنب وقوّم وأرشد" (جزء أول من تاريخ الإصلاح ص ١٧٨) ولاحظ الفصل الخامس من قصته (ص٥٨).

أما كلوينوس ففي (ك ٣ من رسومه رأس ٣) أقر بأن استعمال الاعتراف قديم جدا وفي رأس (٤ع٣) قال "من كان ضميره معرقلاً جنى من الاعتراف أحسن ثمره".

فمن ذلك يتضح جلياً أن البروتستانت في أول منشئهم كانوا يستعملون هذا السر، ونحن لم نستشهد من علمائهم واثقين بأقوالهم أنها صحيحة، لا سمح الله، بل فقط نبين للخصم أن علماءهم ما أمكنهم أن ينكروا ذلك.

سؤال: ماذا يشترط لإتمام هذا السر؟

جواب:

يشترط لإتمامه ثلاثة شروط المادة والصورة والنيه.

- **فالمادة:** هي اعتراف المعترف.
- **والصورة:** هي وعد السيد بالنعمة بكلمات التقديس لمحو الخطايا «كُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ، مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ».
- **والنية:** هي الكاهن المتوسط ما بين المعترف والله جلَّ وعز.

سؤال: ماذا يجب على المعترف؟

جواب:

يجب عليه قبل دنوه من الاعتراف:

١. أن يصفي ضميره، ويفحص نيته، وبقدر ما أمكن يفتش جميع حواسه، ويقف على جميع ما أجترمه من الخطايا والآفات البدنية.

٢. أن **يكشف عوار نفسه** بالتمام، وجميع علله وأمراضه وجروحه ونكاله، أعني أن يقر بكل ما هفا به وأذنب من الخطايا والزلات والعيوب والآفات ليستحق علاجاً حقيقياً، ودواءً روحانياً ينقيانه منها، ويقطعان أصولها.

٣. أن **يصمم رأيه**، ويؤكد ويحقق **ألا يعود** مرة أخرى **إلى الخطية** بالأصالة.

٤. أن **يؤمن** بعد إقراره بها، وأخذه الحل من أبيه الكاهن، **أن خطاياه قد غُفرت** لا محالة، فيشكر إنعام المولى ويمجد عظمته «الَّذِي أَعْطَى النَّاسَ سُلْطَاناً مِثْلَ هَذَا» (مت ٩ : ٨).

سؤال: ما الرابعة من وصايا الرسل؟

جواب:

هي تناول جسد المسيح الأقدس، ودمه الزكي باستحقاق، وسنذكر لك ما يتعلق بهذا السر في الأسرار السبعة.

سؤال: وما الخامسة والسادسة من وصايا الرسل؟

جواب:

هي:

- صوم الأربعين المقدس، وصوم جمعة آلام المخلص.
- وصوم يومي الأربعاء والجمعة على الدوام، ماعدا أيام الخمسين المقدسة التي تلي عيد القيامة.

سؤال: هل الكنيسة فرضت غير هذه الصيامات؟

جواب:

حقاً، فرضت صوم الرسل وصوم العذراء وصوم الميلاد المجيد، وصوم مدينة نينوى.

سؤال: ما معنى الصوم؟

جواب:

معناه تذلل الجسد بالكف عن الطعام والشراب أوقاتاً معينة، وبعد ذلك يحل بمأكول زُهدي خالٍ من اللحوم وكافة الدسومات.

كما أخذت الكنيسة نموذجاً من دانيال الرجل المحبوب، إذ قال:

✠ «فِي تِلْكَ الأَيَّامِ أَنَا دَانِيآلَ كُنْتُ نَائِحاً ثَلاَثَةَ أَسَابِيعِ أَيَّامٍ. لَمْ آكُلْ طَعَاماً شَهِيّاً وَلَمْ يَدْخُلْ فِي فَمِي لَحْمٌ وَلاَ خَمْرٌ وَلَمْ أَدَّهِنْ حَتَّى تَمَّتْ ثَلاَثَةُ أَسَابِيعِ أَيَّامٍ» (دا ١٠ : ٢ – ٣).

وبواسطة هذا الصيام المقدس الذي صامه قد أخذ الغبطة والمدح من الملاك، إذ قال له:

✠ «لاَ تَخَفْ يَا دَانِيآلُ لأَنَّهُ مِنَ الْيَوْمِ الأَوَّلِ الَّذِي فِيهِ جَعَلْتَ قَلْبَكَ لِلْفَهْمِ وَلإِذْلاَلِ نَفْسِكَ قُدَّامَ إِلَهِكَ سُمِعَ كَلاَمُكَ وَأَنَا أَتَيْتُ لأَجْلِ كَلاَمِكَ» (دا ١٠ : ١٢).

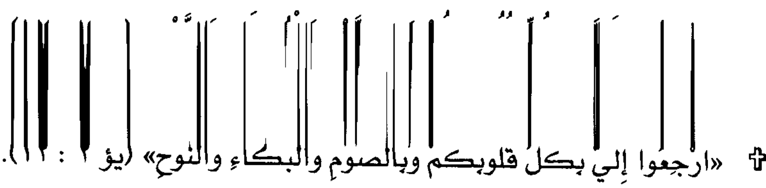
إن البرهان المحقق وجوب الصوم هو: (١)

أولاً:

أمر الله الصادر من فيه الكريم القائل:

✠ «إِنَّ صَوْمَ الشَّهْرِ الرَّابِعِ وَصَوْمَ الْخَامِسِ وَصَوْمَ السَّابِعِ وَصَوْمَ الْعَاشِرِ يَكُونُ لِبَيْتِ يَهُوذَا ابْتِهَاجاً وَفَرَحاً وَأَعْيَاداً طَيِّبَةً» (زك ٨ : ١٩).

(١) في الأصل هذا الجزء كان هامش ولقد رفعناه ووضعناه في النص لطوله وأهميته (الناشر).



✠ «ارجعوا إلي بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح» (يؤ ٢ : ١٢).

✠ «قدّسُوا صَوْماً. نادُوا باعْتِكَافٍ» (يؤ ٢ : ١٥).

وقول السيد:

✠ «وَمَتَى صُمْتُمْ فَلاَ تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمُرَائِينَ فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ. وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صُمْتَ فَادْهُنْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ. لِكَيْ لاَ تَظْهَرَ لِلنَّاسِ صَائِماً بَلْ لأَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً» (مت ٦ : ١٦ – ١٨).

وقال الإنجيل:

✠ «وَكَانَ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا وَالْفَرِّيسِيِّينَ يَصُومُونَ فَجَاءُوا وَقَالُوا لَهُ: لِمَاذَا يَصُومُ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا وَالْفَرِّيسِيِّينَ وَأَمَّا تَلاَمِيذُكَ فَلاَ يَصُومُونَ؟ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَصُومُوا وَالْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصُومُوا. وَلَكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. لَيْسَ أَحَدٌ يَخِيطُ رُقْعَةً مِنْ قِطْعَةٍ جَدِيدَةٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيقٍ وَإِلاَّ فَالْمِلْءُ الْجَدِيدُ يَأْخُذُ مِنَ الْعَتِيقِ فَيَصِيرُ الْخَرْقُ أَرْدَأَ. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ لِئَلاَّ تَشُقَّ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ الزِّقَاقَ فَالْخَمْرُ تَنْصَبُّ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ. بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ» (مر ٢ : ١٨ – ٢٢).

ثانياً:

إن السيد ذاته القابل الصيامات والذي قال تعلموا منى، قد صام أربعين يوماً، ومن المسلم أن السيد لم يصم احتياجاً بل تعليماً للطبيعة التي هبطت إلى درجات الذل بواسطة الأكل.

ثالثاً:

أمر تلاميذه القاطع الساطع الذي من خالفه فقد خالف لا ريب أمر رب المجد لأنه قال لهم «اَلَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي»، وهو بذاته قد وضع فرض الصوم بواسطتهم في أمر تلاميذ يوحنا والفريسيين، إذ أظهر أنه بعد قليل ستُسن سُنة الصوم، بقوله:

✠ «هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَصُومُوا وَالْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصُومُوا. وَلَكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ» (مر ٢ : ١٩ — ٢٠).

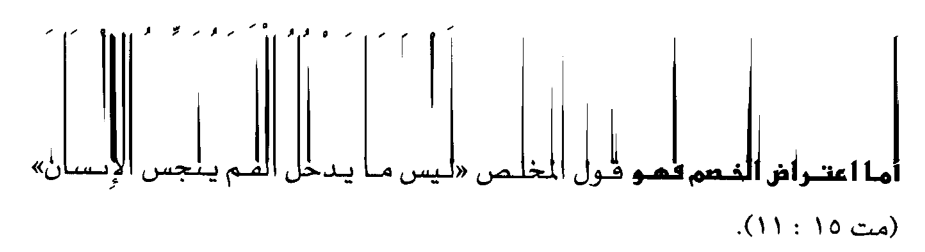
ولكن هذا الصوم لا يليق أن يكون متعلقاً بهذا العهد الذي كان عتق وشاخ وقرب من الاضمحلال، ولهذا لا يجب على الرسل أن يصوموا صوماً يختص بعهد بلى، بل أن يصوموا صوماً يختص بعهد تجدد لأنه لا يليق أن يجعلوا «خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ».

فظاهر الأمر أن كلام السيد يختص بسُنة الصوم التي ستُفرض على المؤمنين الذين لا علاقة لهم بسُنة موسى التي هي رمز للسُنة الكاملة، فلعمري أي وجه للخصم أن يتعرض للصوم مع إنباء المسيح وتصريحه لرسله بفرضه.

رابعاً:

صوم الطوائف على الإطلاق واعتبارهم له، لا سيما أن طائفة الانجليز لا تنكر حقيقة الصوم، وإن المؤمنين في الأجيال الأولى كانوا يمارسونه ممارسة فرضية واجبة .على كلٍ انظر (فصل ٤ قسم ٢ ع ٥ من تاريخهم المطبوع في مالطة) حيث يقول إن:

"الأصوام التي كان المؤمنون يصومونها كانت سنوياً وأسبوعياً، فالسنوي صوم الأربعين، والأسبوعي صوم الأربعاء والجمعة".



أما اعتراض الخصم فهو قول المخلص «ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان» (مت ١٥ : ١١).

والجواب:

إن هذا الكلام لا يتعلق بشئ من الصوم على الإطلاق ولا يناقض له بالأصالة:

- إذ هو تقليد يهودي لا طائل تحته ولا منفعة فيه، وهو أن اليهود كانوا يظنون أن الأكل بدون غسل أيد مُنجِس للإنسان، فهذا وجه اعتقادهم، أما السيد فقد رفع عن أعينهم هذا الوهم بهذا القول ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل الذي يخرج منه، أي الأكل بغسل أيد أو بغير غسل أيد على حدٍ سواء لا ينجس ولا يطهر.
- إن معشر المسيحيين قاطبة لا يحتسبون الأكل نجساً، ولا يعتقدون بنجاسة لحم، أو دنس طعام، وإنما ينقطعون عنه أياما مخصوصة لا لنجاسته، بل عبادة ونسكاً وتعففاً، آخذين هذا المثال من دانيال النبي فرضاً رسولياً.
- إن المعترض لا وجه له بإلقاء مثل هذا الاعتراض وارتكانه على قصبة مرضوضه فكان يجب عليه بدلاً من ذلك أن يمعن نظره ويتأمل بعقله في تلك المجادلة التي حدثت من جهة الصوم، وينظر ماذا أجاب المسيح إن إيجاباً وإن سلباً ومن ثم يقوم بالحجة علينا، ولكن هذا الكلام لا علاقة له بالصوم، فظهرت مغالطته وبهتانه.

والاعتراض الثاني قوله: لا يجوز أن يكون الصوم محتوماً على عموم المسيحيين، بل تحت الاختيار، ولا يجوز أن يكون في أيام مخصوصة، ولا أن يكون ظاهراً.

والجواب إن هذا الاعتراض منقوض من عدة أوجه:

الأول:

إن التقليد يلزم المؤمنين أن يكونوا على هذه الحالة، ولا يُخفي علم الفطين أن التقليد من الرسل، والرسل أخذوا هذا التصرف السامي من السيد الذي بيديه الطاهرتين كل سلطان في السماء وعلى الأرض القائل لهم ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، ومن سمع منكم فقد سمع مني. فيكون وضع الصوم على هذه الحالة من المسيح لا غيره، لتسليمه لرسله سلطة فرض الوصايا والشرائع.

وأما قوله أنه لا يكون حتماً بل تحت الاختبار فهذا باطل، فإن المسيحيين ملتزمون بالخضوع لمراسيم الرسل ووصاياهم، وذلك ظاهر من حث الرسول للمؤمنين قائلاً:

- ✝ «نُوصِيكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ تَتَجَنَّبُوا كُلَّ أَخٍ يَسْلُكُ بِلاَ تَرْتِيبٍ، وَلَيْسَ حَسَبَ التَّعْلِيمِ الَّذِي أَخَذَهُ مِنَّا» (٢تس ٣ : ٦).
- ✝ «وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُطِيعُ كَلاَمَنَا بِالرِّسَالَةِ، فَسِمُوا هَذَا وَلاَ تُخَالِطُوهُ لِكَيْ يَخْجَلَ» (٢تس ٣ : ١٤).

وإن كان كلٌّ ماشياً تبع رأيه، وسالكاً على مقتضى هواه، فأين تكون الوحدة التي أشار إليها السيد (يو ١٧ : ٢١ – ٢٣). والضمير الواحد والفم الواحد والنفس الواحدة (رو ١٥ : ٦ ، أف ٤ : ٣ – ٦). فلا يصح أن يكون كل واحد من المؤمنين ماشياً على طريقة دون طريقة الآخر.

الثاني:

إن المعترض باعتراضه هذا قد أدخل على ذاته أوهاماً وأموراً مشكلة وهو لا يشعر بها ولا يدرى، أما كان يشعر أن هذا الاعتراض يقوض ويهدم أركان مباني ترتيب كنيسته وهي أن الخصم قد يوجد عنده عدة أشياء تنتقض

بمثل هذا الاعتراض الذي أثبتته كتبه ومؤلفاته ومن ضمن ذلك الصلاة، فإن فرض كنيسته يوجب أن تكون واجبة على عموم وخصوص شعبه، وتأمر أن تقام وتحتفل بأيام دون أيام، وأوقات دون أوقات، وفي تلك الأيام والأوقات عينها تكرر على الدوام ولمَ يعترض على الصوم بأنه غير واجب ولا يعين وقته، ولا يعترض على الصلاة بمثل ذلك، وغيرها من التقاليد الواجبة على عموم وخصوص أمته، وعلى كل حال ظهرت سفسطة هذا الاعتراض.

الثالث:

قوله ولِمَا يمتنع عن بعض الأطعمة في مدة الصوم؟

الجواب: ما عدا التقليد:

- نوجهه إلى النص الإلهي، فان الله قد أمر آدم وحواء أن يكفا عن بعض الأطعمة، أفما كان ذلك ضرباً من الصوم، ودانيال النبي قد انقطع عن أكل اللحم والدسم مدة صومه.
- لما كانت نتيجة الصوم هي قمع الجسد، وتذلله، وتنسكه، فما كان يتأتى هذا الأمر إلا من قِبل كون الإنسان ينقطع عما يضاد قمعه وتذلله كاللحم وغيره، ولو كان الأمر موقوفاً على مجرد انقطاع الإنسان عن الأكل مطلقا مدة معلومة، ثم بعد ذلك يقدم له كما اشتهت عيناه من اللحوم والدسومات المضادة لعفته، لكان ذلك الانقطاع ليس صوماً، بل مجرد تأهب واستعداد لملاقات استتمام الملذات البدنية، والتنعمات الجسدية، فمثل هذا الصوم لا يعد صوما، لأن نتيجته قاصرة على ملذة الجسد وهيجانه وتنعمه وعصيانه، فإن الله لم يدعنا إلى الأكل والشرب:

✠ «لأَنْ لَيْسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلاً وَشُرْباً بَلْ هُوَ بِرٌّ وَسَلاَمٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ» (رو ١٤ : ١٧).

ولهذا يجب على كل منا أن لا يعمل «لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي» (يو ٦ : ٢٧) لأن «الطَّعَامَ لاَ يُقَدِّمُنَا إِلَى اللهِ» (١كو ٨ : ٨).

فإياكم أن تضلوا «بِتَعَالِيمَ مُتَنَوِّعَةٍ وَغَرِيبَةٍ، لأَنَّهُ حَسَنٌ أَنْ يُثَبَّتَ الْقَلْبُ بِالنِّعْمَةِ، لاَ بِأَطْعِمَةٍ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا الَّذِينَ تَعَاطَوْهَا» (عب ١٣ : ٩).

- «وَالَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَعْمِلُونَهُ. لأَنَّ هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ تَزُولُ» (١كو ٧ : ٣١) (١يو ٢: ١٥- ١٧)
- «وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تُلاَحِظُوا الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الشِّقَاقَاتِ وَالْعَثَرَاتِ خِلاَفاً لِلتَّعْلِيمِ الَّذِي تَعَلَّمْتُمُوهُ وَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ. لأَنَّ مِثْلَ هَؤُلاَءِ لاَ يَخْدِمُونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ بَلْ بُطُونَهُمْ» (رو ١٦ : ١٧ — ١٨).







سؤال: ما هي أسرار البيعة؟

جواب:

هي منح إلهية، وصلات ذات فوائد سنية، وعطايا مملوءة نعما سمائية، موضوعة من سيدنا يسوع المسيح بحر الجود، وكنز الخيرات والنعم، مؤيدة باستحقاقات موته الزكى، ليتمتع بها المؤمنون إعانة لهم في هذا العالم للحياة الأبدية، والتمتع بالأنوار الإلهية، وهي سبعة:

- المعمودية.
- الميرون.
- وجسده الأقدس ودمه الزكي.
- والكهنوت الشريف.
- والاعتراف.
- والزيجة.
- ومسحة المرضى.

سؤال: ما هي المعمودية؟

جواب:

هي سر التجديد أي الميلاد الثاني بالماء والروح القدس.

قال السيد:

✞ «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللّهِ» (يو ٣ : ٥).

وقال الرسول:

✥ «كُنَّا نَحْنُ أَيْضاً قَبْلاً أَغْبِيَاءَ، غَيْرَ طَائِعِينَ، ضَالِّينَ، مُسْتَعْبَدِينَ لِشَهَوَاتٍ وَلَذَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، عَائِشِينَ فِي الْخُبْثِ وَالْحَسَدِ، مَمْقُوتِينَ، مُبْغِضِينَ بَعْضُنَا بَعْضاً. وَلَكِنْ حِينَ ظَهَرَ لُطْفُ مُخَلِّصِنَا اللهِ وَإِحْسَانُهُ لاَ بِأَعْمَالٍ فِي بِرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِغَسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (تى٣ : ٣- ٥).

✥ «أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّراً إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ» (أف ٥ : ٢٥ – ٢٦).

سؤال: ما فائدة المعمودية، ونتيجتها؟

جواب:

فائدتها عظيمة جداً.

أولاً:

إننا نتجدد بخلع جسم الخطية وعبوديتها، وحينئذ نتبدل من ولادة الجسد التي صيرتنا جسديين إلى ولادة الروح لنكون روحيين، خالعين عنا الإنسان العتيق وكل سيرته (يو ٣ : ٦، أف ٤ : ٢٢ – ٢٤، كو ٣ : ٩ – ١٠) مخلصين بغسل الميلاد الثاني.

ثانياً:

نصير أولاداً لله بالنعمة، وشركاء في الميراث مع المسيح الذي أحبنا وبذل ذاته عنا (أف ٥ : ٢٥ – ٢٦).

ثالثاً:

ننال غفران الخطايا الجدية والشخصية، ونصير أبراراً لا بأعمال، بل بالنعمة المفاضة مجاناً (أع ٢ : ٣٨ ، تى ٣ : ٣ – ٥).

سؤال: أي مثال نتحصل عليه بواسطة المعمودية؟

جواب:

إنه بتغطيسنا في الماء ثلاث دفعات، نأخذ مثال صلبوت المسيح، فنُصلب ونموت ونُدفن ونقوم.

- ❖ فنُصلب ليُصلب جسد الخطية.
- ❖ ونموت لنميته عنها.
- ❖ ونُدفن ليُندفن الإنسان القديم.
- ❖ ونقوم ونصعد لابسين الإنسان الجديد، مولودين لا من زرع يفسد بل بكلمة الله الفعالة والروح.

قال الرسول:

☩ «فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الآبِ هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ» (رو ٦ : ٤).

☩ «وَبِهِ أَيْضاً خُتِنْتُمْ خِتَاناً غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ. مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (كو ٢ : ١١ ، ١٢).

سؤال: ما هو سر تقديس المعمودية؟

جواب:

هو الكلام الجوهري المسلّم من السيد المأمور به منه، وهو باسم الآب والابن والروح القدس.

سؤال: أما وردت النبوة عليه بفم أحد الأنبياء؟

جواب:

حقاً فإن حزقيال هتف بالروح القدس قائلاً:

✞ «وَأَرُشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِراً فَتُطَهَّرُونَ. مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أُطَهِّرُكُمْ. وَأُعْطِيكُمْ قَلْباً جَدِيداً، وَأَجْعَلُ رُوحاً جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ. وَأَجْعَلُ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ» (حز ٣٦ : ٢٥ – ٢٧).

وقد كانت معمودية بني إسرائيل، ومعمودية يوحنا بن زكريا إشارة ورمزاً لها.

سؤال: كيف يجب أن يكون التعميد؟

جواب:

يجب أن يكون بتغطيس كل المعتمد، ودليل ذلك كون الرسول يدعوه الدفن، والدفن محال أن يكون إلا بتغطية الماء للمعتمد، وخلاف ذلك ابتداع مبتدعين لا حقيقة له ولا صحة.

سؤال: لماذا الكنيسة عينت عماد الأطفال؟

جواب:

الكنيسة منذ نشأتها وامتدادها بين أقطار المسكونة قد فرضت هذا الفرض خوفاً من أن يموت الطفل قبل امتلاكه المعمودية.

لأن السيد يحتم بعدم امتلاك الحياة لمن لم يعتمد، بقوله:

✞ «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللّٰهِ» (يو ٣ : ٥).

سؤال: ما هو سر الميرون؟

جواب:

هو مسحة مقدسة بسر الروح الكلى قدسه:

- بها يُمسح المعتمد ظاهراً، فيكتسى بالروح القدس داخلاً لثباته على الإيمان المقدس.
- وبها تتقدس الهياكل، والمذابح، والأواني المقدسة.

إن النص الإلهي [1] يشير إشارة واضحة على سر الميرون، وذلك أنه يدلنا على أمرين:

المعمودية ووضع الأيدي، لأن الرسل كانوا بعد العماد يضعون أيديهم على المعتمد فينال الروح القدس، وهذا واضح من النص أن فيلبس لما طاف في مدينة السامرة آمنوا واعتمدوا باسم الرب يسوع غير أنهم لم يقبلوا عطية الروح القدس إلا لما أتاهم بطرس ويوحنا ووضعا عليهم الأيدي فحينئذ حل عليهم الروح القدس (أع ٨).

وبولس إذ وجد التلاميذ قال لهم:

✞ «هَلْ قَبِلْتُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمَّا آمَنْتُمْ؟ قَالُوا لَهُ: وَلاَ سَمِعْنَا أَنَّهُ يُوجَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ، فَسَأَلَهُمْ: فَبِمَاذَا اعْتَمَدْتُمْ؟ فَقَالُوا: بِمَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا. فَقَالَ بُولُسُ: إِنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ قَائِلاً لِلشَّعْبِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالَّذِي يَأْتِي بَعْدَهُ أَيْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. فَلَمَّا سَمِعُوا اعْتَمَدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ. وَلَمَّا وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ» (أع ١٩ : ٢ – ٦) (عب٦:٢).

فكان وضع الأيدي من ضمن الأسرار الجوهرية على المعتمدين لينالوا موهبة الروح الكلى قدسه، لثباتهم على وديعة الإيمان الأرثوذكسي من بعد اعتمادهم.

---

(١) في الأصل هذا الجزء كان هامش ولقد رفعناه ووضعناه في النص لطوله وأهميته (الناشر).

فأئمة المسيحيين قد وجدوا أن وضع الأيدي ضروري، ومن المحال أن يحل الروح القدس دون ذلك. ونظروا أنه من المحال أن يحل أيضاً دون وضع أيدي الرؤساء كبطرس ويوحنا، ومن المحال أن يقدر رؤساء الكهنة أن يطوفوا في كل موضع ليضعوا أيديهم على الداخلين في حضن الكنيسة الأرثوذكسية، فمن ثم استصوبوا صنع هذا الميرون عبارة عن وضع أيدي الرؤساء، لينال المعتمد قوة الروح القدس.

كما وأنهم قد وجدوا الإشارة والرمز إليه في العهد القديم بإعلان الرب لموسى قائلاً له:

✠ «وَأَنْتَ تَأْخُذُ لَكَ أَفْخَرَ الأَطْيَابِ. مُرّاً قَاطِراً خَمْسَ مِئَةِ شَاقِلٍ وَقِرْفَةً عَطِرَةً نِصْفَ ذَلِكَ: مِئَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَقَصَبَ الذَّرِيرَةِ مِئَتَيْنِ وَخَمْسِينَ. وَسَلِيخَةً خَمْسَ مِئَةٍ بِشَاقِلِ الْقُدْسِ وَمِنْ زَيْتِ الزَّيْتُونِ هِيناً. وَتَصْنَعُهُ دُهْناً مُقَدَّساً لِلْمَسْحَةِ. عِطْرَ عِطَارَةٍ صَنْعَةَ الْعَطَّارِ. دُهْناً مُقَدَّساً لِلْمَسْحَةِ يَكُونُ. وَتَمْسَحُ بِهِ خَيْمَةَ الاجتماع وَتَابُوتَ الشَّهَادَةِ. وَالْمَائِدَةَ وَكُلَّ آنِيَتِهَا وَالْمَنَارَةَ وَآنِيَتَهَا وَمَذْبَحَ الْبَخُورِ. وَمَذْبَحَ الْمُحْرَقَةِ وَكُلَّ آنِيَتِهِ وَالْمِرْحَضَةَ وَقَاعِدَتَهَا. وَتُقَدِّسُهَا فَتَكُونُ قُدْسَ أَقْدَاسٍ. كُلُّ مَا مَسَّهَا يَكُونُ مُقَدَّساً. وَتَمْسَحُ هَارُونَ وَبَنِيهِ وَتُقَدِّسُهُمْ لِيَكْهَنُوا لِي» (خر ٣٠ : ٢٣ – ٣٠).

ولهذا درجت [1] في أيام الرسل، وأخذ المؤمنون يتعاطوها ودعوها مسحة مقدسة، كما كتب الرسول:

---

(١) مبدأ صنع هذا الميرون المقدس من الرسل الأطهار، وذلك أن الرسل بعد قيامة السيد من الأموات وصعوده إلى السموات، وحلول الروح القدس عليهم، شرعوا بذلك. فأخذ التلاميذ المائة رطل والصبر الذى حُنط به جسد الرب مع باقى الطيب الذى اشترته النسوة، فدقوه معاً وأضافوا عليه من زيت الزيتون الصافى، وصلوا عليه، وقدسوه فى العُليّة، وصيروه مسحة مقدسة خاتماً للمعمودية، ثم عندما أرادوا أن يجولوا فى الأرض لِبث البشارة وزعوه بعضهم على بعض، وأمروا خلفائهم أن يكون مسحة مقدسة للمعتمدين على الدوام.

وهكذا إذا أُنفِد مرقس الرسول إلى الديار المصرية، حمل معه مقداراً ما وسلمه لأنيانوس، وهكذا بالتسلسل من بطريرك الى آخر، إلى حد أثناسيوس الرسولى العشرون من عدد الآباء البطاركة، ففى أيامه إذ نفذ الميرون من كل مكان، ولم

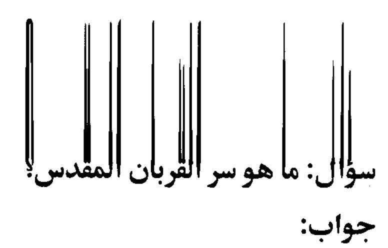
✞ «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُّوسِ وَتَعْلَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ... وَأَمَّا أَنْتُمْ فَالْمَسْحَةُ الَّتِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَلاَ حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ، بَلْ كَمَا تُعَلِّمُكُمْ هَذِهِ الْمَسْحَةُ عَيْنُهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهِيَ حَقٌّ وَلَيْسَتْ كَذِباً. كَمَا عَلَّمَتْكُمْ تَثْبُتُونَ فِيهِ» (١يو ٢ : ٢٠ – ٢٧).

وقول بولس الرسول:

✞ «وَلَكِنَّ الَّذِي يُثَبِّتُنَا مَعَكُمْ فِي الْمَسِيحِ، وَقَدْ مَسَحَنَا، هُوَ اللهُ. الَّذِي خَتَمَنَا أَيْضاً، وَأَعْطَى عَرْبُونَ الرُّوحِ فِي قُلُوبِنَا» (٢كو ١ : ٢١ – ٢٢).

فهذه المسحة المقدسة التي هي عبارة عن وضع الأيدي تُقدس بأصوام، وصلوات متواترة، وتقاديس باجتماع الكهنة ورؤساء الكهنة والإكليروس في الصوم الأربعيني الرسولي.

يبقى إلا عنده وكانوا استعملوا بدله زيت الزيتون لمسح المعتمدين، فحين سمع باقى البطاركة أن من الذخيرة الأصلية تبقى عند الأب أثناسيوس شئ قليل أرسلوا يطلبون منه أن يرسل لهم منها، أما هو فأجابهم قائلاً إن ما عندى لا يكفيني وإياكم. ولكن إن أردتم أن لا تنقطع الذخيرة الرسولية هلم بنا نتخذ الأفاوى[او الأفاوية ومفردها فوه بضم الفاء وسكون الواو وهي في الاصطلاح الطقسي تعني أصناف التوابل والنباتات العطرية التي تدخل في طبخ زيت الميرون المقدس بواسطة البابا البطريرك وبمشاركة الآباء الأساقفة/ن] التي أمر الله بها موسى مقدام الأنبياء، ونصنعها مسحة مقدسة بواسطة الصوم والصلوات والتضرعات الإلهية، وقراءة العهدين معاً ليلاً ونهاراً، ففرحوا فرحاً زائداً، وأرسلوا من طرفهم كهنة ورؤساء كهنة للعمل، فلما وصلوا أحضر البطريرك ما يحتاج إليه من الأدوات والأفاوى وجمع أساقفة مصر وابتدأ بالطبخ فاستدام مدة ثلاثة أيام بلياليها، والبيعة مثابرة على تلاوة الكتب الإلهية والصلوات الربانية، ولما أكملها طبخاً كما يجب، قدسها بالصلوات والطلبات، وبعد ذلك أضافوا عليها ما تأخر من المسحة الرسولية، ووزع البطريرك مقداراً على الرسل وأرسل معهم صورة العمل إلى الآباء.ويُقال أن ديوناسيوس الأريوباجى أول من عمله، وأشار إلى هذا العمل بهذه الكيفية. وترتليانوس الذي توفى سنة ٢٢٠ أشار إليها فى المعمودية (رأس ٧).وكبريانوس وامبروسيوس وأغسطينوس وكيرلس (أنظر ص ١٥٧،١٥٨)، من كتاب ريحانة النفوس تأليف البروتستانت.



سؤال: ما هو سر القربان المقدس؟

جواب:

هـو جسـد المسـيح ودمـه الأقدسـان اللـذان مُنِحـا مـن السـيد للمـؤمنين بواسطة شكلى الخبز والخمر.

ولنأخذن [1] في بيان شرف هذا السر الأقدس فنقول إن السيد الفائق القدرة، الكلى الجود، وضع هذا السر السامي، وجعله دواءً شافياً، وعلاجاً وافياً كافياً للمؤمنين به، المتدينين بدينه ومنصوبين للمخاطر والمصائب والأهوال والمتاعب، ليشفي به الخاطئ من كل مرض تبديه الخطية وسمومها القتالة. فالفادى الرحوم الذي اقتضى حبه وجوده الفائقان الحد، أن يتنازل من مقامه العالي الشريف، ومكانه الرفيع السامي بالمجد اللطيف، ويحل رباطات الموت عن رقاب عباده، ويشتريهم بواسطة إراقة دمه كفارة عنهم، وبذل جسده على عود الصليب محواً لجرائمهم، قد جاد بجود - ويا له من جود لا يعبَّر عنه - وهو أن يمتع مؤمنيه بذاك الجسد والدم اللذين قدمهما ضحية على عود الصليب، تحت أعراض الخبز والخمر. فجعل هذا السر واسطة للعهد الجديد بدل العهد القديم، الذي تقرر بواسطة إراقة الدم، وهو يكون أيضاً للخاطئ الراجع عن وصمة خطاياه، التائب عن ذنوبه، واسطة لتجديد العهد بينه وبين الله، بواسطة تناوله منه باستحقاق.

فوضع هذا السر قوتاً روحياً وغفراناً، ولذلك قبل أن يسلمه لخواصه الأطهار قد وعد بإعطائه، وأظهر قوة فاعليته وتأثيره، والفائدة الناتجة من تناوله.

(١) في الأصل هذا الجزء كان هامش ولقد رفعناه ووضعناه في النص لطوله وأهميته (الناشر).

فقال مجاهراً على مسامع الشعب الإسرائيلي:

✞ «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. آبَاؤُكُمْ أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَاتُوا. هَذَا هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الإِنْسَانُ وَلاَ يَمُوتَ. أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ. فَخَاصَمَ الْيَهُودُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً قَائِلِينَ: كَيْفَ يَقْدِرُ هَذَا أَنْ يُعْطِيَنَا جَسَدَهُ لِنَأْكُلَ؟ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ. لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي. هَذَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. لَيْسَ كَمَا أَكَلَ آبَاؤُكُمُ الْمَنَّ وَمَاتُوا. مَنْ يَأْكُلْ هَذَا الْخُبْزَ فَإِنَّهُ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ» (يو ٦ : ٤٨ — ٥٨).

✞ «فَقَالَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ إِذْ سَمِعُوا: إِنَّ هَذَا الْكَلاَمَ صَعْبٌ! مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ؟ فَعَلِمَ يَسُوعُ فِي نَفْسِهِ أَنَّ تَلاَمِيذَهُ يَتَذَمَّرُونَ عَلَى هَذَا فَقَالَ لَهُمْ: أَهَذَا يُعْثِرُكُمْ؟. فَإِنْ رَأَيْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ صَاعِداً إِلَى حَيْثُ كَانَ أَوَّلاً!. اَلرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فَلاَ يُفِيدُ شَيْئاً. اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ. وَلَكِنْ مِنْكُمْ قَوْمٌ لاَ يُؤْمِنُونَ لأَنَّ يَسُوعَ مِنَ الْبَدْءِ عَلِمَ مَنْ هُمُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَمَنْ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُهُ. فَقَالَ: لِهَذَا قُلْتُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يُعْطَ مِنْ أَبِي مِنْ هَذَا الْوَقْتِ رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ وَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ. فَقَالَ يَسُوعُ لِلاثْنَيْ عَشَرَ: أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً تُرِيدُونَ أَنْ تَمْضُوا؟ فَأَجَابَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: يَا رَبُّ إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ. وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ» (يو ٦ : ٦٠ — ٦٩).

وحيث أنه بعد تذمر تلاميذه، وجدال اليهود المتواتر لم يعقب هذا الكلام بتأويل أو قول آخر، بل حتم شرعياً وأكد تحقيقاً حتى أنه آل الأمر إلى إخلاء التلاميذ عنه وتركهم إياه، وهو لم يزل عن خطابه ولو زالت السماء والأرض، فالتزم التلاميذ أن يؤمنوا على وعده، ويصدقوا بما أشار إليه من ضرورية الحصول على هذا الجسد والدم، لتوقف مدار إدراك الحياة على تناولهما، فبقى التلاميذ على انتظار إتمام وعد السيد بتسليم هذه الأسرار (يو ٦:٦٨).

وإذ كمل الوقت الذي فيه ينبغي أن يبذل نفسه فداء عن العالم، ويقدم ذاته ذبيحة لله أبيه، ففي تلك الليلة التي فيها أراد أن يقدم على الصليب، بعد أكل الفصح الذي كان رمزاً وإشارة عن المسيح الفصح الحقيقي الذي ذُبح نيابة عن العالم.

✞ «أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ وَقَالَ: خُذُوا كُلُوا. هَذَا هُوَ جَسَدِي. وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ. لأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا» (مت ٢٦ : ٢٦ – ٢٨) (مر١٤ : ٢٢- ٢٤، لو٢٢ : ١٩، ٢٠).

ففي هذا الوقت عينه أتم ما رمز إليه ملكي صادق بتقدمته الخبز والخمر اللذين كانا يدلان على الخبز والخمر الحقيقيين اللذين هما جسد المسيح ودم المسيح، اللذين قدمهما كاهناً على ترتيب ملكي صاداق الحبر، فتمت حينئذ نبوة داود النبي القائلة:

✞ «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ» (مز ١١٠ : ٤).

فيا ترى ما هي **رتبة ملكي صادق** حتى أن المسيح ترتب كهنوته على رتبة ملكي صادق وليس على رتبة هرون، أليس لعلم النبي بالروح القدس أن كهنوته لم يكن بتقدمة دم خرفان وجداء وتيوس وثيران، بل بتقدمة خبز وخمر.

هذين النوعين الذين قدمهما المسيح وصيرهما جسده ودمه الكريمين، فسلم السيد هذا الترتيب لرسله ليكون كاهناً إلى الأبد، ومن ثم الرسل أخذوا يتعاطون هذا الترتيب.

وعند انتشار الدعوة المسيحية في أقطار الأرض كلها سلمت هذه الوديعة بأيدي الكهنة ورؤساء الكهنة، ليتمموا ترتيب ملكي صادق، ويدوم كهنوت المسيح بتقدمة جسده ودمه تحت أعراض الخبز والخمر الذين هما على ترتيب ملكي صادق ذاك الذي كان يقدم الخبز والخمر لأنه كان كاهناً لله العلي (تك١٤ : ١٨ـ٢٠).

كما يتضح من قول بولس الرسول في رسالته إلى أهل كورنثوس الأولى:

✠ «لأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضاً: إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا أَخَذَ خُبْزاً. وَشَكَرَ فَكَسَّرَ وَقَالَ: خُذُوا كُلُوا هَذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لأَجْلِكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي، كَذَلِكَ الْكَأْسَ أَيْضاً بَعْدَمَا تَعَشَّوْا قَائِلاً: هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هَذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ. إِذاً أَيُّ مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزَ أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ. وَلَكِنْ لِيَمْتَحِنِ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَهَكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ. لأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ. مِنْ أَجْلِ هَذَا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضُعَفَاءُ وَمَرْضَى وَكَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ. لأَنَّنَا لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَا حُكِمَ عَلَيْنَا. وَلَكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا نُؤَدَّبُ مِنَ الرَّبِّ لِكَيْ لاَ نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ» (١كو ١١ : ٢٣ – ٣٢).

وقال أيضا:

✞ «أَقُولُ كَمَا لِلْحُكَمَاءِ: احْكُمُوا أَنْتُمْ فِي مَا أَقُولُ. كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟» (١كو١٠: ١٥، ١٦).

فهذا السر المقدس بعد أن صنعه يسوع أمر تلاميذه أن يصنعوه بقوله «اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي» والتلاميذ قبلوا من معلمهم ببساطة قلوبهم النقية غير متشككين بما فعله، بل صدقوا كل التصديق بأن سيدهم له القدرة أن يحيل هذا الخبز والخمر بكلمته الفعالة التي هي «أَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ» (عب ٤ : ١٢) والقائمة بها السماء والأرض (٢بط ٣ : ٧).

والرسل كما سلمهم المسيح، سلموا المؤمنين به، ولم يزيدوا عليه ولم ينقصوا منه، بل ما سلمهم أن هذا الخبز هو جسدي وهذا الخمر هو دمي للعهد الجديد سلموا المؤمنين على هذا المنوال أن هذا الخبز هو جسد المسيح وهذا الخمر هو دم المسيح.

كما نظرت كيف هتف مصباح البيعة بولس السعيد:

✞ «لأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضاً: إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا أَخَذَ خُبْزاً. وَشَكَرَ فَكَسَّرَ وَقَالَ: خُذُوا كُلُوا هَذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لأَجْلِكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي»

فالمسيحيون قبلوا هذا السر الإلهي معتقدين حقانية إحالته بالتقديس والتبريك والشكر إلى جسد ودم المسيح الأقدسين، لأن المخلص شكر وبارك ثم قال هذا هو جسدى وهذا هو دمي، **وقول السعيد بولس:**

✞ «كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟ فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ جَسَدٌ وَاحِدٌ لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ» (١كو ١٠ : ١٦ - ١٧).

وقوله عن القادم إلى الاشتراك بدون استحقاق أنه:

✞ «يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ.... يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ» (١كو ١١ : ٢٧ – ٢٩).

أما المعترضون فلا غرو أنهم ينصبون الشباك ليصيدوا بها المؤمنين بهذه الأقاويل الفارغة المعترضين بها:

فاعتراضهم الأول هو: أن الخبز والخمر هما لم يزالا خبزاً وخمراً قبل التقديس وبعده، غير أنهما يمثلان و يرمزان إلى الجسد الحقيقي والدم الحقيقي الذين قُدما على الصليب.

والثاني: أن الخبز والخمر وضعهما المسيح مجرداً لتذكار موته وقيامته، كقوله اصنعوا هذا لذكرى، وكقول الرسول: «فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ» (١كو ١١ : ٢٦).

والثالث: أنه لا يستفاد من قوله هذا هو جسدي أنه صار جسده حقاً كما أنه لا يستفاد من قوله أنا هو الباب والطريق والكرمة والحمل، أنه باب وطريق وكرمة وحمل. أو كما لا يستفاد من قوله لهيرودس ثعلب ولبطرس صخرة ولرسله ملح وللأبرار خراف وللخطاة جداء وغير ذلك. ولهذا لا يستفاد من نص يوحنا (ص٦) عن أكل جسده حقاً وشرب دمه حقاً بل للإيمان به لا غير، فيتصرف كل ألفاظه بهذا الشأن بطريق المجاز لا بطريق الحق.

والرابع: يستندون على قول المخلص «اَلرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فَلاَ يُفِيدُ شَيْئاً. اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ» (يو ٦ : ٦٣).

وعلى قول بولس الرسول:

✞ «كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ» فيغشون به ويشككون بسطاء القلوب، والويل لمن تأتي من قبله الشكوك.

فنجاوب على هذه الأقاويل قائلين:

إن الاعتراض الأول الذي هو أن الخبز والخمر هما لم يزالا خبزاً وخمراً قبل التقديس وبعده، غير أنهما يمثلان ويرمزان إلى الجسد الحقيقي والدم الزكي الذين قدما على الصليب.

فالرد عليه أن المثل والرمز لا يكونان كالممثل له والمرموز عليه من كل جهة، بل يكون بين المثل والممثول، والرمز والمرموز إليه، تناسب ما يبنى عليه تمثيل احدهما بالآخر، فمثال المثل والممثول هو:

- ❖ تمثيل الواعظ والموعوظ بالزارع والأرض القابلة الزرع (مت ١٢ : ٣ – ٢٣).
- ❖ وتمثيل انتشار الدعوة المسيحية وقيام من لا يسير بحقها كالواجب، والهراطقة والذين يرتدون عن الإيمان بالذي يبذر البذار فيخرج فيه زوان يستوجب الحرق والقلع.
- ❖ وتمثيل نمو وانتشار الإيمان بحبة خردل وخميرة (مت ١٣ : ٣١ – ٣٣).
- ❖ وتمثيل الدعوة الملكوتية بصاحب العرس والمدعوين (مت ٢٢ : ٢ – ١٤).
- ❖ وخدمة الكلمة بفعلة الكرم (مت ٢٠ : ١ – ٢).

وهكذا باقي الأمثال التي أوردها السيد المسيح الموجود فيها تناسب وعلاقة يوجبان التماثل ما بين المثل والممثول.

أما في الخبز والخمر على رأي الزاعم أنهما لا يمثلان جسد ودم المسيح لا يوجد مماثلة ما ولا انتساب ولا علاقة، إذ يبتعد كل منهما عن الآخر بعداً لا يستقصى ولا يحد، ولا يوجد أدنى تماثل لا في الصورة ولا الجوهر ولا في العرض ولا في الفعل ولا في المعنى.

فبدعة مماثلة الخبز والخمر لجسد المسيح ودمه كاذبة لا حقيقة لها. إذ أن الخبز والخمر هما جسد المسيح ودمه على رأي أصحاب الفرز والحكمة الذين يشتركون في الجسد والدم حقيقة اشتراكا جوهريا كقول الرسول:

«أَقُولُ كَمَا لِلْحُكَمَاءِ: احْكُمُوا أَنْتُمْ فِي مَا أَقُولُ. كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟» (١كو١٠: ١٥، ١٦).

والآكل الخبز والشارب الكأس بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه (١كو ١١ : ٢٧) لأنه يأكل إذ ذاك ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب (١كو ١١ :٢٩). والرمز يُشترط فيه أن يكون مناسباً للمثل من وجه ويختلف عنه من وجه آخر. **فوجه الاختلاف ما بين الرمز والمثل هو أن:**

الرمز يكون مرموزاً به على أشياء يستحيل وجودها مع الرمز الرامز عليها، بل تظهر بعد ذلك وفي ظهورها يستحيل وجود الرامز عليها بل يبطل بظهورها.

المثال على ذلك، الرموز التي كان الرب يبديها على أيدي أنبيائه الرامزة على أشياء مزمعة الظهور مثل:

- **أخذ إرميا للإبريق وكسره** له في وادى ابن هنوم، الرامز على كسر شعب اليهود بحيث لا يمكن جبره بعد (ار ١٩ : ١ – ١١).
- وكذا **ضرب الملك للسهام ثلاث مرات** بأمر النبي، الرامز على كسرة أعدائه ثلاث مرات (٢مل ١٣ : ١٨).
- وعلى ذلك **ذبح إبراهيم لابنه إسحق** وتقدمته له ضحية، وطوع إسحق في ذلك لأبيه، الرامز على بذل الآب الأزلي لابنه الوحيد وتقدمته إياه ضحية على عود الصليب، وإطاعة السيد له، كما قال الرسول: «وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ» (في ٢ : ٨).
- وكذلك **ذبح خروف الفصح الذي لا عيب فيه**، الذي بواسطة ذبحه قد نجى إسرائيل من ضربة ملاك الموت (خر ١٢ : ١٢ – ١٤) الرامز على

ذبح الخروف الحقيقي الذي نجى به العالم وانعتق من عبودية العدو والموت (عب ٢ : ١٤).

وهكذا باقي رموز الآباء والأنبياء الذين رمزوا برموز متغايرة عن السيد المسيح، فتلك الرموز كما قد قلنا غير المرموزة إليه وقد بطلت جميعها عند مجئ المرموز إليه، **كما قال الرسول:**

✞ «اَللّهُ بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيماً، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثاً لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضاً عَمِلَ الْعَالَمِينَ» (عب ١ : ١ — ٢).

ومن جميع ما تقدم لا نجد للمعترض سبيلاً للإدعاء بأن الخبز والخمر يرمزان إلى الجسد والدم لا من جهة الوضع و لا من جهة المعنى:

- **فمن جهة الوضع:** لا احتياج إلى رمز بعد أن أتى المرموز إليه وأكمل جميع الرموز وجميع النبوات والأمثلة الواردة عليه.
- **ومن جهة المعنى:** لا نسبة ولا علاقة ما بين الخبز والخمر البسيطين وبين جسد ودم المسيح.

وبهذا عدم تصريح السيد وقوله لتلاميذه عندما أعطاهم هذا السر مثال جسدى ومثال دمى، وظهور عدم لياقة المثل والرمز بعد ما كملت الرموز بإتيان المرموز إليه، فدعوى المعترض باطلة من دون ريب.

الاعتراض الثاني: قول المعترض إن الخبز والخمر وضعهما السيد المسيح لتذكار موته وقيامته، كقوله اصنعوا هذا لذكرى.

والجواب عن ذلك بعد ما نفينا ودحضنا بالبرهان العقلي أن قول السيد هذا هو جسدي وهذا هو دمي يفهم منه قول مثلي أو رمزى، فمن ثم لو لم يقصد السيد أن يجعل الخبز والخمر عين جسده ودمه ذكراً لعين جسده ودمه اللذين

مُدًّا على خشبة الصليب، لما كان ينطق تلك الكلمة الفعالة «هذا هو جسدي وهذا هو دمي» نعم فإن هذا الخبز وهذا الخمر هما ذكراً لموت الرب إلى الأبد إلى أن يأتي ولكن هما عين جسد ودم المسيح الأقدسين.

والدليل على ذلك هو أنه كما أن المسيح سلم الرسل بأن هذا الخبز هو جسدي وهذا الخمر هو دمي وهما يصنعان لذكري، فهكذا والرسل لم يتخذوا كلام المسيح إلا بالحق والصواب. ولذلك لم يذهبوا هذا المذهب أن الخبز والخمر هما مجرد تذكار وليسا جسد المسيح ودمه. بل تحققوا بأكثر تحقيق أن هذا السر هو جسد المسيح ودمه وُضعا تذكاراً لموت الرب وقيامته، وكما استلموا من معلمهم الأعظم سلموا البيعة المقدسة **كما نظرت قول الرسول**:

✠ «لأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضاً: إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا أَخَذَ خُبْزاً. وَشَكَرَ فَكَسَّرَ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا هَذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لأَجْلِكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي» و «كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟» وشتان ما بين رأي المعترض ورأي الرسول ومن استلم منه.

وإن قيل إن الشئ لا يكون تذكار لنفسه، فالخبز والخمر هما ذكر لجسد المسيح ودمه، وليس هما جسد ودم المسيح.

فنجيب على هذا قائلين:

إن التذكار يكون بأحد أربعة أوجه:

١. **إما خبراً بالوقائع والحوادث:**

❖ كما فعل مؤرخو وقائع المسيح وأعماله.

❖ وكما حكى لوقا البشير عما فعله الرسل.

❖ وموسى النبي إذ قص على بنى إسرائيل جميع ما صار على يديه.

٢. **وإما صورة أو مثالا:**

❖ كالكروبيم الذين وضعهما موسى في قبة الشهادة (خر ٢٥ : ١٨ – ٢٢).

٣. **وإما أثراً:**

❖ كالحجارة التي أخذها يشوع من أرض الأردن ذكراً لعبورهم في اليابسة من وسط النهر (يش ٤ : ٣ – ٩).

٤. **وإما ذاتياً: أي من ذات الشئ، ومن جوهره ذكراً له.**

❖ كالمن الذي أمر الله موسى بحفظه في قسط من ذهب، ذكرا للمن الذي أنزله على بنى إسرائيل في البرية (خر ١٦ : ٣٢ – ٣٣).

وعلى ذلك يلزم أن يكون ذكر موت المسيح بأحد هذه الأربعة المذكورة:

١. إما بخبره كالوارد في الأناجيل.
٢. وإما بصورته كرسم الهيئة الواقعة.
٣. وإما بأثره كالصليب والحربة والمسامير والقصبة والاسفنجة والخمر.
٤. وإما من ذات جسمه، وهذا هو قصد السيد المخلص أن الشئ الموضوع ذكراً لذاته من ذاته.

وإذ قد انتفي أن هذا الذكر ليس بآلة من آلاته ولا بصورته ولا بخبره فيكون من ذاته، ولهذا أن السيد لما أخذ الخبز والخمر لم يقل لخواصه هذا الخبز وهذا الخمر ذكراً لي خذوه احفظوه عندكم بل قال لهم «هذا هو جسدى وهذا هو دمى اصنعوه لذكرى» ومن الواضح أن لفظة (اصنعوه) تدل دلالة سرية على تحويل جوهر الأشكال تحويلاً سرياً.

الاعتراض الثالث: قول المعترض إنه لا يستفاد من قول المسيح هذا هو جسدي، أنه صار جسده حقا بل مجازاً، كما أنه لا يستفاد من قوله أنا هو الباب والطريق والكرمة والراعي، أنه باب وطريق وكرمة وراع ..الخ.

والجواب:

أن الأقوال المجازية التي قالها المسيح جميعها ظاهرة من نفس نصها وظهورها بآلة تدل على مجازيتها أو بألفاظ أخرى مفسرة مجازيتها أو معنى موقع الكلام.

❖ **فالآلة المفسرة الدالة على المجاز في كلام السيد هي(مثل، وشبه، وكـ) كما في قوله:**

✟ «فَكَلَّمَهُمْ كَثِيراً بِأَمْثَالٍ قَائِلاً» (مت ١٣ : ٣).

✟ «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَاناً زَرَعَ زَرْعاً جَيِّداً فِي حَقْلِهِ» (مت ١٣ : ٢٤).

✟ «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ» (مت ١٣ : ٣١).

✟ «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيقٍ» (مت ١٣ : ٣٣).

✟ «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ كَنْزاً مُخْفىً فِي حَقْلٍ وَجَدَهُ إِنْسَانٌ» (مت ١٣ : ٤٤).

✟ «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَاناً تَاجِراً يَطْلُبُ لَآلِئَ حَسَنَةً» (مت ١٣ : ٤٥).

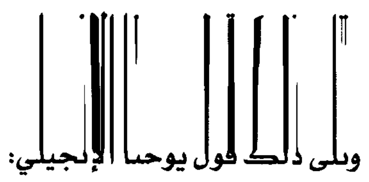
✟ «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ شَبَكَةً مَطْرُوحَةً فِي الْبَحْرِ وَجَامِعَةً مِنْ كُلِّ نَوْعٍ» (مت ١٣ : ٤٧).

✟ «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَاناً مَلِكاً صَنَعَ عُرْساً لابْنِهِ» (مت ٢٢ : ٢).

✟ «وَأَنْتُمْ مِثْلُ أُنَاسٍ يَنْتَظِرُونَ سَيِّدَهُمْ» (لو١٢ :٣٦) وإلى غير ذلك ...

❖ **والتي بألفاظ أخرى تدل على مجازيتها، كقوله:**

✟ «مَنْ آمَنَ بِي كَمَا قَالَ الْكِتَابُ تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ» (يو ٧ : ٣٨).



وعلى ذلك قول يوحنا الإنجيلي:

✟ «قَالَ هَذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ» (يو ٧ : ٣٩).

وقوله لتلاميذه:

✟ «أَنَا لِي طَعَامٌ لِآكُلَ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ أَنْتُمْ» (يو ٤ : ٣٢).

مفسراً قوله التالي:

✟ «قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ» (يو ٤ : ٣٤).

وقس على ذلك تسمية ذاته بباب مفسرة بقوله:

✟ «إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ» (يو ١٠ : ٩).

وبطريق مفسرة بقوله:

✟ «لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي» (يو ١٤ : ٦).

وبكرمة مفسرة بالأقوال الأخرى:

✟ «كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ. أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هَذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجاً كَالْغُصْنِ فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ فَيَحْتَرِقُ» (يو١٥ :٤ـ٦). **وإلى غير ذلك.**

❖ **والتي تعرف من موقع استدلال ألفاظه:**

- كقوله عن هيرودس ثعلب: لِما كان معروفاً به من الخديعة والحيلة والمكر المتصف بها الثعلب.
- كما في قولنا عن بطرس أسد للشجاعة والقوة اللتين هما صفتا الأسد.

- ومثل ذلك قوله عن الرسل ملح لفاعليتهم في الناس كفاعلية الملح في الطعام، فاتصفوا بالملح للعلاقة المرتبطة بين كلاهما والمعنى الداخل في حكم كل منهما.
- أما في قوله هذا هو جسدي عن الخبز، وهذا هو دمي عن الخمر، فلا يدخلان في أحكام المجاز، لأنه ميثاق عاهد به تلاميذه عهداً جديداً.
- ووضع له شروطاً وأحكاماً شرعية مؤكدة ثابتة لا تقبل تقولاً ولا تأويلاً ولا تدخل في شبهة كونها مجازية لا من قبيل الآت تدل على مجازيتها ولا بألفاظ تظهر معنى آخر لها ولا بموقع استدلال ألفاظها فإذ قال اليهود كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل، أجابهم بشرط حقيقي، وفرض واجب، ولفظ يفهم على حرفيته وظاهره:

✞ «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ. لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَقٌّ وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ. كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي. هَذَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. لَيْسَ كَمَا أَكَلَ آبَاؤُكُمُ الْمَنَّ وَمَاتُوا. مَنْ يَأْكُلْ هَذَا الْخُبْزَ فَإِنَّهُ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ» (يو٦:٥٣-٥٨).

فهذه الشروط والأحكام التي فرضها ووضعها لحقيقة جسده ودمه الأقدسين اللذين سلمهما قوتاً للمؤمنين وعوناً وثباتاً لهم، ما داموا يتناولون منهما بواجب لا يحتمل من تلك الشروط تفسيراً ولا تأويلاً.

ولإثبات حقيقتها ولكونها حقيقة لا مجازية ولا يدخل فيها تأويل آخر انظر كيف أن السيد يقيم أدلة وبراهين وأمثلة ويؤكد أقواله بتكرارات تدحض قول كل قائل بالمجاز فيصرح السيد ببراهينه أن هذا السر حق، كما

أن إرساله من الآب حق، وهذا هو تحقيق إتمام هذا السر المقرون بتحقيق إرساليته من الآب وحياته به، فكما أن إرساله من الآب لا مجاز فيه، كذلك هذا السر أكل حقيقي من جسده وشرب حقيقي من دمه لا مجاز فيهما،

وانظر كيف ذكّر اليهود بالمن الذي أكله آباؤهم في البرية، ليبرهن شرف وفاعلية هذا السر بأنها غير قاصرة على حياتهم الحاضرة بل والباقية، بخلاف المن ما كان يفيدهم إلا لحياتهم الوقتية. فالمناسبة والمشابهة والمقايسة التي أقامها السيد بالمن الذي أعطاه موسى لبنى إسرائيل تحقق أن إعطاء جسده ودمه حقيقي لا مجازي، ويتضح لك ذلك زيادة من قوله لهم جسدي مأكل حق ودمى مشرب حق. أي لا تتوهموا وتخطر على بالكم الظنون والأفكار بأنى أقصد قصداً آخر غير ما أنا قاصده إن إعطاء جسدي ودمى بمعنى الإيمان بي. لا لست أقصد ذلك، ولو كنت أقصد هذا القصد لما كنت أحتاج إلى تعب تكرار ألفاظ وأقوال مستطيلة. وقد كنت أكتفي بآية واحدة ظاهرة، لا يتشكل معناها على أحد من سامعيها، والحال أن أكل جسدي أكل حقيقي وشرب دمي شرب حقيقي. ولقد كنت أقتصر بمثل هذا اللفظ من آمن وأعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن (مر١٦:١٦) ولا لزوم إشكال فهم معنى كلامى واضطراب سامعيه حتى آل الأمر إلى تزعزع خواصي وهجرهم إياي مع أنى أريد أن جميع الناس يخلصون.

والحق واضح غاية الإيضاح، إنه لو كان السيد قاصداً بأقواله هذه الإيمان به، لما كان يعدهم بإعطاء هذا الطعام في زمان مستقبل، لأن طلب الإيمان به من تلك الساعة، فلو كان كلامه عن الإيمان به لما كان لهذا الوعد محل، لأن الإيمان به مطلوب من تلك الساعة، ولا يمكن أن يؤجل ويوعد به لإمكان وقوعه وضروريته في الوقت والحال ولولا كان يتكلم أيضاً عن أكل جسده بالحقيقة وشرب دمه بالحقيقة لكان في الوقت والحال فسر ما تعسر فهمه على

سامعي أقواله، لأن تذمر اليهود وتلاميذه وجدالهم يدلان جلياً على أنهم فهموا كلامه على المعنى الظاهر الحرفي.

ومن المعلوم أن السيد كان من عادته أن يفسر أقواله إذا فُهمت على ظاهرها وبخلاف مطلوبة، إلا أنه بدلاً عن أن يؤول كلامه ويقربه إلى مفهومهم كرره وأكده حتى يثبته في أفهام سامعيه على الظاهر أنه طعام حقيقي لا مجاز فيه، حتى أن تلاميذه استعظموا هذا الكلام وتزعزعت قلوبهم وخامرتهم الأفكار الشكّية من جهته، ومع ذلك لم يرجع عما قاله، على أنه لو كان هذا الكلام له معنى آخر وتأويل آخر، لما كان يدع تلاميذه يطوفون في طريق التذمر بل كان يفسر هذا الكلام لتلاميذه الذين أُودِعوا معرفة أسرار ملكوت السموات. كما كان يفسر تلك الأقوال العسرة التي كان يتعسر فهمها عليهم فإذ تعسر على تلاميذه فهم مثل الزارع فسره لهم حالاً (مت ١٣ : ١٠ - ٢٣) وإذ تعسر أيضاً عليهم مثل الزارع الزرع الجيد وخروج النبت الردئ فيه فسره لهم ولم يخفِ عنهم منه شيئاً (مت ١٣ : ٣٦ – ٤٢).

وقس على هذا قوله لهم:

✠ «أَنْظُرُوا وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ» ولما خالجتهم الأفكار من جهة عدم الخبز أجابهم قائلاً: «كَيْفَ لاَ تَفْهَمُونَ أَنِّي لَيْسَ عَنِ الْخُبْزِ قُلْتُ لَكُمْ أَنْ تَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ؟ حِينَئِذٍ فَهِمُوا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَنْ يَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْخُبْزِ بَلْ مِنْ تَعْلِيمِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ» (مت ١٦ : ١١ – ١٢).

إلا أنه في هذا المحل بدلاً من أن يفسر كلامه قد أطلق العنان لتلاميذه أن يتركوه ويذهبوا عنه إن كانوا لا يستطيعون أن يؤمنوا به أنه قادر أن يعطى جسده مأكلاً حقيقياً ودمه مشرباً حقيقياً وأن كلامه لا يحتمل تأويلاً آخر، ولاحظ أيها الحبيب كيف يقدم براهين ترفع الشك من قلوبهم قائلاً: «أَهَذَا يُعْثِرُكُمْ؟ فَإِنْ رَأَيْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ صَاعِداً إِلَى حَيْثُ كَانَ أَوَّلاً!»

(يو ٦ : ٦١ ، ٦٢). كأنه تعالى بقوله لهم أتشكون في ما أنا قائله كأني لست قادراً على إتمام ما وعدتكم به من أن أعطيكم جسدي مأكلاً ودمي مشرباً بالحقيقة. فماذا تقولون إذا رأيتموني صاعداً بقدرتي إلى حيث كنت أولاً، فكما أن لي استطاعة أن أصعد إلى أبي بما لي من القدرة، كذلك لي استطاعة أن أفيكم بوعدى بما لي من القدرة. وعلى مقتضى هذا البرهان الحقيقي الذي لا ريب فيه وباقي تلك الأقوال المحققة والمؤكدة إعطاء جسده ودمه، قد قبل الرسل من معلمهم الأقدس، ولذلك إذ فحص قلوبهم علام الأسرار هتفوا بلسان بطرس الرسول قائلين:

✞ «يَا رَبُّ إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ. وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ» (يو ٦ : ٦٨ – ٦٩).

فالرسل الأطهار إذ قد قبلوا هذا الوعد بعد التعب الشاق الذي حدث لسيدهم حتى مكن هذه العقيدة في عقولهم، **ظلوا منتظرين إتمام إعطاء هذا السر: ففي الليلة التي أُسلِم فيها:**

✞ «أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ وَقَالَ: خُذُوا كُلُوا. هَذَا هُوَ جَسَدِي وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ» (مت ٢٦ : ٢٦ – ٢٧).

ولم يشك التلاميذ في قول سيدهم ولم يتوانوا ويتهاملوا في ما أمرهم به سيدهم ومعلمهم، بل تمموه بتسليمهم إياه للمؤمنين حتى أن الذين استلموه من الرسل ومن خلفائهم قد تحقق استلامهم له من الرب يسوع، **والدليل على ذلك ما شهد به بولس الرسول إذ قال:**

✞ «لأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضاً: إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا أَخَذَ خُبْزاً. وَشَكَرَ فَكَسَّرَ وَقَالَ: خُذُوا كُلُوا هَذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لأَجْلِكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي ...الخ»

فلاحظ يا صاح مقدار شرف هذا السر العظيم الذي يُسلّم لأيدي الكهنة من يد السيد المسيح بواسطة خلفاء الرسل.

فمما مر يتضح جلياً أن كلام المسيح لم يكن بوجه من وجه المجاز البتة، نعم أنه قد قال أقوالاً أخرى كثيرة بطريق المجاز غير أنه لم يدع كلمة واحدة منها غامضة المعنى على سامعيه. وتكلم أقوالاً أخرى كثيرة حقيقية لا تقبل تأويلاً ولم يفسرها خلاف مفهومها لكونه لم يقصد خلاف ظاهرها.

وحيث أن سامعى مقاله ارتابوا وعثروا باصطدام حجر الشك، فلم يقتصر على القول الأول لئلا يتأول كلامه بغير قصده وظاهر حرفيته. بل كرره وأكده وأنذر بالوعد والوعيد. ولينفي عنه كل تقول وتأول، قال جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه، كما أرسلنى الآب الحي وأنا حي بالآب فمن يأكلنى فهو يحيا بي، **والعجب أن الحقائق التي كان يتكلم فيها السيد كان:**

- <u>إذا قُبلت:</u> لا يعقبها بتكرار وتأكيد، بل يقتصر على لفظها مرة واحدة كقوله: «مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ» (مر ١٦ : ١٦).
- <u>وإن لم تُقبل:</u> كان يكررها ويؤكدها، كما فعل مع نيقوديموس إذ قال:

✞ «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ» (يو ٣ : ٣).

فإذا تعسر فهم هذه الآيه على نيقوديموس، لم يعدل عنها المسيح بل أكدها بقوله التالي:

✞ «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ. اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. لاَ تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ. اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا لَكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هَكَذَا كُلُّ

مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ» (يو ٣ : ٥ - ٨) .. الخ.

وهكذا إذ اعترف بحقيقة لاهوته ونفر اليهود منه وتناولوا الحجارة ليرجموه، ولكنه لم يعدل عما قاله إلى تفسير آخر، بل أقام الحجة والدليل على صدق ذلك (يو ١٠ : ٣٠).

لعمري هل يبقى أدنى ريب في أن ما قاله المسيح لم يكن بطريق المجاز. فهذا وقد نرى أن السعيد بولس منارة البيعة قد سلك سبيل معلمه ولم يعرف تلك المعرفة التي عرفها المعترض، بل كما استلم من سيده سلم غيره. وهكذا بالتسلسل إلى أن بلغ التسليم إلى أيامنا هذه وزيادة على ذلك كما أن السيد شدد وهدد على وجوب التناول منه. كذلك الرسول حرض وأنذر المتقدمين إلى هذا السر بدون استحقاق وكم من العقاب والقصاص والعذاب ينالون إذا لم ينقوا ذواتهم ويطهروا نياتهم. ويؤمنوا إيماناً حقيقياً غير مرتابين في حقيقة هذا السر. وهل من عاقل يقول في إن مثل هذه التهديدات والتوعدات والتحديدات الهائلة هي لأجل أكل خبز وشرب خمر. أفعدل الله يقتضى هكذا أن يرمى خليقته في الدينونة والشجب والقصاص لأجل أكل الخبز وشرب الخمر. أفيجعلنا مساويين للصالبين ويعادل دينونة الخبز والخمر بدينونة من صلبوه. وهل يعطينا الله حصاة ويطالبنا بلؤلؤة.

(١) إن الأحكام التي وضعها السيد المسيح المضاهية لوضعه هذا السر الأقدس سواء كان بالوعد والوعيد كما في سر المعمودية في مخاطبته لنيقوديموس أو غير ذلك كما في قوله: «مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ» (مر ١٦:١٦) و «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يو ١٠:٣٠) و«صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ» (يو ١٤:١١) و«اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يو ١٤:٩) وشهادة الآب عنه القائل «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (متى٣:١٧) والأحكام التي وضعها من جهة القيامة والدينونة والقصاص والجزاء وخلود العذاب ودوام الراحة، فإذا كان الأمر الصريح في وضعه سر جسده ودمه الأقدس بالتهديد تارة وطوراً بالترغيب. وما آل به الأمر إلى إخلاء التلاميذ إياه ونقمتهم عليه واضطرابهم. وهو مع عدم تنازله عن حقيقة كلامه وتصريحه لهم بتركهم إياه إن كانوا لا يقبلون، يكون ذلك مجازياً لا حقيقة له، فعلى ذلك تكون كل تلك الأوامر والأحكام بطريق المجاز (حاشا لله من ذلك).

فالمسألة صارت تحت أمرين:

١- **إما أن يكون الخبز جسد المسيح الطاهر والخمر دمه الأقدس:** وحين ذاك يكون موقع التهديدات الرهيبة والتحذيرات المخيفة للمتقدمين لمناولتهما في محلها لأنهم بدون الواجب والاستحقاق يجلبون على أنفسهم دينونة، لأنهم يجرمون في جسد المسيح غير مميزينه عن جوهر الخبز والخمر اللذين كانا قبل التقديس والتبريك.

٢- **وإما أن يكون الخبز لم يزل خبزاً والخمر خمراً على بساطتهما:** فعدل الله لا يقتضى أن يشجب مؤمنيه ويوقعهم في دينونة القصاص لأجل خبز وخمر، والحال أن الخبز الذي باركه وأشبع منه ألوفاً مراراً لم يشجب آكليه، وما ذاك إلا لكونه لم يزل خبزاً بسيطاً، أما في هذا الخبز الذي هو جسد المسيح فينذر المؤمنين أن لا حياة لمن يتناوله.

فانتبه يا صاح ولا تغرنك التمويهات ويغلب الهوى عليك. ولقد نظرت يا حبيبي أن كلام السيد لم يكن بطريق المجاز لما مر من أدلة سيدك القاطعة وبراهينه الساطعة التي تراه يوردها تحقيقاً لإثبات أكل جسده وشرب دمه.

الاعتراض الرابع: استناد المعترض على قول السيد «اَلرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فَلاَ يُفِيدُ شَيْئاً. اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ» (يو ٦ : ٦٣).

والجواب:

إن قوله الروح هو الذي يحيى أما الجسد فلا يفيد شيئاً مفسر بقوله التالي: «اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ» ولذلك لا يدرك إلا بالروح، فليس يدرك بالحواس الجسدية، ومن تصوره تصوراً جسدياً فلا يستفاد منه شيئاً، فالإنسان الجسدانى المائل إلى الشهوات الأرضية (كاليهود الذين أبوا القبول) لا يستطيع أن يقبل كلام السيد الذي هو روح وحياة، لأنه لا يصغى

روحيا بل لحميا، وحيث أن هذين الجسد والدم الأقدسين هما روح وحياة وسامعي كلام السيد جسديون لا روحيون فلا يستفيدون شيئاً. إذ ليس هذا السر موضوعاً تحت الأحكام الجسدية والتصورات الطبيعية، لأن كل أفكارهم في الأمور الجسدية، وهذا السر مرتفع وشريف وعال وسامٍ وإلهي فلا ينزّل منزلة الأمور الجسدية التي لا طائل تحتها. فلذلك لا يقبله إلا الذين في الروح ويحكمون فيه أنه روح وحياة. فتصير الروحيات مقرونة بالروحيين ويحيون بالروح والحياة.

وكون كلام السيد روحاً وحياة ذلك لا يوجب انتقاله من الحقيقة إلى المجاز، **ها السيد في غير هذا المحل يدعو الإنسان روحاً كقوله:**

✞ «اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ» (يو ٣ : ٦).

وبولس يدعو الطعام الحقيقي والشراب الحقيقي روحيين بقوله:

✞ «وَجَمِيعَهُمْ أَكَلُوا طَعَاماً وَاحِداً رُوحِيّاً. وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَاباً وَاحِداً رُوحِيّاً لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيحَ» (١كو ١٠ : ٣ ، ٤).

ألعل ذاك الطعام وذاك الشراب لم يكونا حقيقيين، وبهذه الأدلة يتضح أن قول السيد كلامي روح وحياة أي فعالاً، كما قال السعيد بولس:

✞ «كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ» (عب ٤ : ١٢).

أما استناد المعترض الثاني على قول بولس الرسول:

✞ «كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟»

فجوابنا عن ذلك نقول:

لعمري أليس أن هذه الآية هي صريحة بهذا المقدار. كما أنها برهان واضح من الروح القدس ضد أولئك المتقولين بالرمز والمثال والمجاز والتذكار.

فالمعترض الذي يبدل حق الله بأكاذيب فكره وأوهام ظنه. قد قطع كمالة هذه الآية وهي **قول الرسول التالي:**

✞ «فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ جَسَدٌ وَاحِدٌ لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ» (١كو ١٠ : ١٧).

فهذا الكلام وما بعده قد فسر قصد الرسول بقوله «كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟» (أي أننا جميعاً نشترك في الشرب من دم المسيح).

✞ «الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟» (أي أننا نشترك في الأكل من جسد المسيح)، وأن هذا الخبز الواحد جسد واحد للمسيح، فنشترك فيه جميعنا ونصير جسداً واحداً،

وبهذا المعنى يردف القول:

✞ «انْظُرُوا إِسْرَائِيلَ حَسَبَ الْجَسَدِ. أَلَيْسَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الذَّبَائِحَ هُمْ شُرَكَاءَ الْمَذْبَحِ؟ فَمَاذَا أَقُولُ؟ أَإِنَّ الْوَثَنَ شَيْءٌ أَوْ إِنَّ مَا ذُبِحَ لِلْوَثَنِ شَيْءٌ؟ بَلْ إِنَّ مَا يَذْبَحُهُ الأُمَمُ فَإِنَّمَا يَذْبَحُونَهُ لِلشَّيَاطِينِ لاَ لِلَّهِ. فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ شُرَكَاءَ الشَّيَاطِينِ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْرَبُوا كَأْسَ الرَّبِّ وَكَأْسَ شَيَاطِينَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْتَرِكُوا فِي مَائِدَةِ الرَّبِّ وَفِي مَائِدَةِ شَيَاطِينَ» (١كو ١٠ : ١٨ – ٢١).

ولو كان الاشتراك في الشئ لا يحصل على ذات الشئ المشترك فيه لكان يصير أولئك الذين دعوا شركاء المذبح غير متحصلين على ذات الذبيحة بل على مثالها أو رمزها. وذلك محال.

فهذه الأدلة التي نطق بها الروح القدس على لسان السعيد بولس قد نفت الأقوال الابتداعية ضد هذه الأسرار المكنونة الإلهية ودحضت كل قول مجازى أو مثالي أو رمزي. وناهيك عن هذه الأدلة التي سلك بها منهج معلمه إذ قال بعد قليل: لأننى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها

أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري. فأردف هذا القول بتلك الأقوال التي شجبت المتقدمين بدون استحقاق ورمتهم في دينونة القصاص لقدومهم وهم في حالة يُرثى لها إلى ذاك الجسد الأقدس وذاك الدم السامي الذي هتف عنه الرسول في موضع آخر قائلاً:

✠ «فَكَمْ عِقَاباً أَشَرَّ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقّاً مَنْ دَاسَ ابْنَ اللهِ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِساً، وَازْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ؟» (عب١٠ :٢٩).

فالشركة الحقيقية في جسد ودم ابن الله الوحيد لا تقبل تأويلاً ولا تقولاً قد حققت حصول ثبوت الجسد والدم الحقيقيين بأعراض الخبز والخمر. كما أن تلك الشركة حققت حصول تلك الذبائح للمشتركين فيها، وكما قد حققت الطبع الناسوتى بالتجسد المجيد (عب ٢ : ١٤).

وخذ لك يا صاح برهاناً لثبوت حقيقة هذا الجسد وهذا الدم من قول الرسول إذاً أي من أكل هذا الخبز ويشرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه. ولأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب. لعمري هل يبقى أدنى عذر للمعترض في عدم قبوله حقيقة هذا السر الأقدس. فاقبل يا صاح من سيدك والروح القدس الناطق بفم رسوله ولا تعاند أمر ربك وخالقك.

ومع ما تقدم من الرد على هذه الاعتراضات فنزيدك شهادة البيعة المقدسة وعلمائها.

فمن ذلك ما قاله ذهبي الفم:

"بالحقيقة إن أسرار الكنيسة لمريعة، بالحقيقة إن مذبحها لرهيب مريع، قد طلع لعمري من الجنة ينبوع أفاض أنهاراً محسوسة .ومن هذه المائدة

تطلع عين فائضة أنهارا روحانية، حول هذه العين ليس شجر صفصاف مغروسة خائبة من أن توجد مثمرة، لكن حولها أشجار واصلة إلى السماء بعينها، وحاوية ثمراً بالغاً قد عدم أن يذبل طرياً دائماً، فمن يضويه الحر فليحضر عند هذه العين وليبرد حرارته، لأنها تحل قشب القحط وتعزى الغروس المحترقة كلها، ليس المحترقة من الشمس لكن المحترقة من النبل المُحمى. هذه العين تقف حولها قوات الملائكة فوق ناظرين إلى حسن مجاريها، لأن تلك القوات تبصر أبين مما نبصر نحن قوة القرابين الموضوعة وشعاعتها التي يمتنع الدنو منها وقال ولئن كان الذين يوسخون ديباجة الملك البنفسجى لونها يعاقبون كما يعاقب الذين يمزقونها بالسواء. فليس منكراً أن يتكبد الذين يقتبلون جسد ربنا بسريرة نجسة عقوبة الذين فزروه بالمسامير بعينها" (عظة ٦٤ من تفسيره لبشارة يوحنا).

و قال البابا أثناسيوس:

"إن الخبز والخمر هما قبل الدعاء والتقديس خبز وخمر، فإذا تم عليهم التقديس والدعاء والابتهال، نقلتهم موهبة الله الكلمة الذي دعى التقديس باسمه إلى جسده ودمه".

وقال البابا كيرلس الإسكندري:

"كما أن الطير إذا افترش على البيض يحول حرارته على ذلك البيض فيكون منه حيوان ويخرج فرخ له لحم وعظم وريش ويطير كالطائر، كذلك إذا دعا القس وابتهل إلى الكلمة، وسأله بعث روح قدسه على الخبز الذي بين يديه، فتقلب حرارة الروح القدس ذلك الخبز إلى جسد الله الكلمة".

وقال القديس غريغوريوس:

"فبحق أن هذا الخبز الذي يُقسَّم باسم الله الكلمة، نؤمن أنه يتحول فيصير جسده لأن به كان قوامه، وكما أن ذلك الخبز الذي كان يتغذى به

جسده يتحول فيصير جسده، وتحل فيه قوة الله الكلمة المتحدة به، كذلك القياس أن بتلك القوة والإيمان به والاعتراف له، والقبول لقوله الذي قاله لتلاميذه حين أعطاهم الخبز، فقال لهم إنه جسده، وإن موهبة الله الكلمة التي طهرت ذلك الخبز هناك وصيرته جسداً، هي أيضاً في هذا الموضع تطهر هذا الخبز بكلمته وقوته والإيمان به وحسن اليقين بقوله، فيصير جسده الطاهر المقدس".

وهذه الشواهد الكنسية أتت موافقة غاية الموافقة لما رمزت به النصوص الإلهية الوحييه. ومن ذلك أن قربان ملكي صادق الخبز والخمر كانا رمزاً لجسد المسيح ودمه الأقدسين، ولهذا دُعِى المسيح رئيس الكهنة على رتبة ملكي صادق. فإنه وإن يكون بينهما مساواة في الظاهر واتفاق في الخارج إلا أنهما يختلفان في بعض الوجوه، وذلك من الواجب لا شرط المثل ألا يكون كالممثول من جميع الجهات. ولو كان ذلك فلا عبرة في أن يكون المثل عين الممثول. فوجه الاتفاق في الشكل والصورة والطعم. ووجه الاختلاف في القوة والجوهر والفعل. وهذا ما يحقق حقيقة الجسد والدم بأعراض الخبز والخمر. وإشعياء النبي رمَز إلى قوة مفعول هذا السر وتأثيره بقوله إذ رأى رب الجنود جالساً في البيت: «فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ. وَمَسَّ بِهَا فَمِي وَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ فَانْتُزِعَ إِثْمُكَ وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيَّتِكَ» (اش٦: ٦، ٧)

ورمز ملاخي النبي إلى تقريبها في كل مكان بقوله:

✠ «لَيْسَتْ لِي مَسَرَّةٌ بِكُمْ قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ وَلاَ أَقْبَلُ تَقْدِمَةً مِنْ يَدِكُمْ (لماذا) لأَنَّهُ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا اسْمِي عَظِيمٌ بَيْنَ الأُمَمِ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يُقَرَّبُ لاِسْمِي بَخُورٌ وَتَقْدِمَةٌ طَاهِرَةٌ لأَنَّ اسْمِي عَظِيمٌ بَيْنَ الأُمَمِ» (مل ١ : ١٠ — ١١).

فهذه النبوة الصادقة من فم ملاخى خاتم الأنبياء هي على الأسرار الإلهية، كما شهد الآباء القديسون كيوحنا ذهبى الفم والقديس أغسطينوس وغيرهما، ودليل صدقها أنها على الأسرار هي أن هذه التقدمة التي أشار إليها النبي لا يصح أن تحمل على التقدمة الروحية كما يزعم بعض المعترضين من الصلوات والأعمال الصالحة وغير ذلك، لأن ظاهر كلام النبي ومقتضاه أن هذه التقدمة مجهولة غير معهودة عند بني إسرائيل، وأنها مغايرة لجميع تقدماتهم، مع أن التقدمة الروحية ما برحت ممارسة ومستعمله عند اليهود، فتعين بذلك أن تكون التقدمة حقيقية، وهي هذا أيضاً لا يصح أن تُحمل على تقدمة الصليب، لأن مقتضاها أن تقدم في كل مكان، والحال أن تقدمة الصليب لم تقدم إلا في مكان واحد، فلم يبقى إلا أنها تقدمة القداس الإلهي.

سؤال: ما هو سر الكهنوت؟

جواب:

هو موهبة تتم بوضع أيدي رؤساء الكهنة، وقوة الروح الكلى قدسه، وبهذا السر يُكمِّل الكهنة أسرار الكنيسة، وخدمتها الروحية من تقديس، وتعميد، وحل التائبين، وإقامة الصلوات العامة، وإرشاد المؤمنين ورعايتهم.

في إثبات سر الكهنوت [1] ينبغي لك يا صاح أن تعتبر كون المسيح كاهناً على رتبة ملكي صادق الكاهن المكهن بتقدمة الخبز والخمر **كما ورد:**

✠ «وَمَلْكِي صَادِقُ مَلِكُ شَالِيمَ أَخْرَجَ خُبْزاً وَخَمْراً. وَكَانَ كَاهِناً لِلَّهِ الْعَلِيِّ. وَبَارَكَهُ وَقَالَ: "مُبَارَكٌ أَبْرَامُ مِنَ اللهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. وَمُبَارَكٌ اللهُ الْعَلِيُّ الَّذِي أَسْلَمَ أَعْدَاءَكَ فِي يَدِكَ". فَأَعْطَاهُ عُشْراً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» (تك ١٤ : ١٨ — ٢٠).

(١) في الأصل هذا الجزء كان هامش ولقد رفعناه ووضعناه في النص لطوله وأهميته (الناشر).

وتنبأ النبي أن كهنوت السيد المسيح على نسق كهنوت ملكي صادق ونظامه بقوله:

✠ «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ» (مز ١١٠ : ٤).

وزاد الرسول شرحاً على ذلك:

✠ «وَإِذْ كُمِّلَ (المسيح) صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ، مَدْعُوّاً مِنَ اللهِ رَئِيسَ كَهَنَةٍ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ» (عب ٥ : ٩ ، ١٠).

✠ «الَّذِي هُوَ لَنَا كَمِرْسَاةٍ لِلنَّفْسِ مُؤْتَمَنَةٍ وَثَابِتَةٍ، تَدْخُلُ إِلَى مَا دَاخِلَ الْحِجَابِ، حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لأَجْلِنَا ، صَائِراً عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ، رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى الأَبَدِ» (عب ٦ : ١٩ ، ٢٠).

✠ «فَلَوْ كَانَ بِالْكَهَنُوتِ اللاَّوِيِّ كَمَالٌ إِذِ الشَّعْبُ أَخَذَ النَّامُوسَ عَلَيْهِ مَاذَا كَانَتِ الْحَاجَةُ بَعْدُ إِلَى أَنْ يَقُومَ كَاهِنٌ آخَرُ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ، وَلاَ يُقَالُ عَلَى رُتْبَةِ هَارُونَ؟ لأَنَّهُ إِنْ تَغَيَّرَ الْكَهَنُوتُ فَبِالضَّرُورَةِ يَصِيرُ تَغَيُّرٌ لِلنَّامُوسِ أَيْضاً. لأَنَّ الَّذِي يُقَالُ عَنْهُ هَذَا كَانَ شَرِيكاً فِي سِبْطٍ آخَرَ لَمْ يُلاَزِمْ أَحَدٌ مِنْهُ الْمَذْبَحَ. فَإِنَّهُ وَاضِحٌ أَنَّ رَبَّنَا قَدْ طَلَعَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا ، الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْهُ مُوسَى شَيْئاً مِنْ جِهَةِ الْكَهَنُوتِ. وَذَلِكَ أَكْثَرُ وُضُوحاً أَيْضاً إِنْ كَانَ عَلَى شِبْهِ مَلْكِي صَادِقَ يَقُومُ كَاهِنٌ آخَرُ، قَدْ صَارَ لَيْسَ بِحَسَبِ نَامُوسِ وَصِيَّةٍ جَسَدِيَّةٍ، بَلْ بِحَسَبِ قُوَّةِ حَيَاةٍ لاَ تَزُولُ. لأَنَّهُ يَشْهَدُ أَنَّكَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ» (عب ٧ : ١١ – ١٧).

✠ «لأَنَّ أُولَئِكَ بِدُونِ قَسَمٍ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً ، وَأَمَّا هَذَا فَبِقَسَمٍ مِنَ الْقَائِلِ لَهُ: أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ، أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ قَدْ صَارَ يَسُوعُ ضَامِناً لِعَهْدٍ أَفْضَلَ» (عب ٧ : ٢١ – ٢٢).

فالسيد المسيح قد صار كاهناً لا على رتبة هرون الذي كان كهنوته مترتباً بتقدمة دماء الحيوانات بل على رتبة ملكي صادق الذي قدم قربانه خبزاً وخمراً.

والسيد المسيح أخذ هذا النظام جاعلاً الخبز جسده والخمر دمه إذ:

✞ «فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا أَخَذَ خُبْزاً. وَشَكَرَ فَكَسَّرَ وَقَالَ: خُذُوا كُلُوا هَذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لأَجْلِكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي كَذَلِكَ الْكَأْسَ أَيْضاً بَعْدَمَا تَعَشَّوْا قَائِلاً: هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هَذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي» (اكو ١١ : ٢٣ — ٢٥).

وبقوله اصنعوا هذا لذكرى سلمهم ترتيب كهنوت ملكي صادق، **ولما قام من الأموات سلمهم الكهنوت تماما بقوله:**

✞ «كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا» (يو ٢٠ : ٢١).

فما كان قاصداً شيئاً آخر إلا تسليمهم سلطة الكهنوت المتسلسلة بنفخة الروح القدس ووضع الأيدي.

ويشترط في الكهنوت شرطان: أحدهما تقدمة القرابين، والثاني التكفير عن الخطايا. والرسل وخلفاؤهم قد حووا هذين الشرطين.

فالأول:

قد سلمهم تقدمة جسده ودمه وأمرهم بها على الدوام بقوله «اِصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي»، **وقد تثبت عهده الجديد بواسطة إراقة دمه بقوله:**

✞ «هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ» (مت ٢٦ : ٢٨).

كما تثبت العهد القديم بواسطة إراقة الدم بعمل موسى:

✞ «وَأَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ: هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الأَقْوَالِ» (خر ٢٤ : ٨).

وعن تخصيص العهد الجديد بدم المسيح سبق الوحي **فأنذر بفم زكريا:**

✞ «وَأَنْتِ أَيْضاً فَإِنِّي بِدَمِ عَهْدِكِ قَدْ أَطْلَقْتُ أَسْرَاكِ مِنَ الْجُبِّ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ» (زك ٩ : ١١).

وقال الرسول:

✝ «فَكَمْ عِقَاباً أَشَرَّ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقّاً مَنْ دَاسَ ابْنَ اللهِ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِساً» (عب ١٠ : ٢٩).

فمن تسلم التصرف بتقدمة دم المسيح قد تثبت كهنوته.

والثاني:

إن المسيح قد خول رسله سؤدد سلطة غفران الخطايا قائلاً:

✝ «كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطاً فِي السَّمَاءِ وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ» (مت ١٨ : ١٨).

✝ «مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ» (يو ٢٠ : ٢٣).

فثبت بتقدمة جسد ودم المسيح الكهنوت المسلّم من السيد لرسله وخلفائهم، **ومن أجل ذلك سبق النبي فأعلن بحقيقته بقوله عن الأمم الداخلة في حضن الكنيسة:**

✝ «وَأَتَّخِذُ أَيْضاً مِنْهُمْ كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ قَالَ الرَّبُّ» (اش ٦٦ : ٢١).

✝ «أَمَّا أَنْتُمْ فَتُدْعَوْنَ كَهَنَةَ الرَّبِّ تُسَمُّونَ خُدَّامَ إِلَهِنَا. تَأْكُلُونَ ثَرْوَةَ الأُمَمِ وَعَلَى مَجْدِهِمْ تَتَأَمَّرُونَ» (إش ٦١ : ٦).

وهكذا إرميا قال عن دوام الكهنوت من الأمم:

✝ «وَلاَ يَنْقَطِعُ لِلْكَهَنَةِ اللاَّوِيِّينَ إِنْسَانٌ مِنْ أَمَامِي يُصْعِدُ مُحْرَقَةً وَيُحْرِقُ تَقْدِمَةً وَيُهَيِّئُ ذَبِيحَةً كُلَّ الأَيَّامِ» (إر ٣٣ : ١٨).

وعن طهارة الكهنة وخدمتهم المقدسة قال ملاخي:

✝ «وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟ لأَنَّهُ مِثْلُ نَارِ الْمُمَحِّصِ وَمِثْلُ أَشْنَانِ الْقَصَّارِ. فَيَجْلِسُ مُمَحِّصاً وَمُنَقِّياً لِلْفِضَّةِ.

فَيُنَقِّي بَنِي لاَوِي وَيُصَفِّيهِمْ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لِيَكُونُوا مُقَرِّبِينَ لِلرَّبِّ تَقْدِمَةً بِالْبِرِّ» (مل ٣ : ١ – ٣).

وهتف الوحي على لسان النبي شاهداً على شرف هذا الكهنوت:

✝ «هَذِهِ هِيَ رَاحَتِي إِلَى الأَبَدِ. هَهُنَا أَسْكُنُ لأَنِّي اشْتَهَيْتُهَا. طَعَامَهَا أُبَارِكُ بَرَكَةً. مَسَاكِينَهَا أُشْبِعُ خُبْزاً. كَهَنَتَهَا أُلْبِسُ خَلاَصاً وَأَتْقِيَاؤُهَا يَهْتِفُونَ هُتَافاً» (مز ١٣٢ : ١٤ – ١٦).

ولذلك السعيد بولس قد بعث يحرض تلميذه ليقوم بأعباء هذه الوظيفة المعطاة بوضع الأيدي قائلاً:

✝ «لاَ تُهْمِلِ الْمَوْهِبَةَ الَّتِي فِيكَ الْمُعْطَاةَ لَكَ بِالنُّبُوَّةِ مَعَ وَضْعِ أَيْدِي الْمَشْيَخَةِ» (١تى ٤ : ١٤).

✝ «اذَكِّرُكَ أَنْ تُضْرِمَ أَيْضاً مَوْهِبَةَ اللهِ الَّتِي فِيكَ بِوَضْعِ يَدَيَّ» (٢تى ١ : ٦).

ومما لا أحد يرتاب فيه أن الرسل كانوا يخولون هذه الموهبة بواسطة وضع اليد.

إن السبعة المنتخبين للقسمة «الَّذِينَ أَقَامُوهُمْ أَمَامَ الرُّسُلِ فَصَلُّوا وَوَضَعُوا عَلَيْهِمِ الأَيَادِيَ» (أع ٦ : ٦).

وعن إعطاء كهنوت بولس وبرنابا أيضاً قيل أن الرسل:

✝ «صَامُوا حِينَئِذٍ وَصَلُّوا وَوَضَعُوا عَلَيْهِمَا الأَيَادِيَ» (أع ١٣ : ٣).

واعلم أن المعترضين قد ينكرون وجود مذبح في العهد الجديد، والحال بناء على ما صرحت النصوص الإلهية ينبغي أن لا ينكروا حقيقة وجود مذبح تتقدم عليه ذبيحة جسد ودم المسيح الكريمين، ومن ذلك قول السيد له المجد:

✝ «فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ. فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ» (مت ٥ : ٢٣ – ٢٤).[١]

---

(١) إن قيل أن كلام السيد هنا موجه على مذبح اليهود وقربانه، نجيب أن السيد كلامه هنا موجه لمذبح المسيحيين وقربانهم، ودليل ذلك أنه في سياق وصايا العهد الجديد كما هو ظاهر من تتميمه السنة بقوله:

وقد ذكر بولس الرسول هذا المذبح قائلاً:

✠ «لَنَا مَذْبَحٌ لاَ سُلْطَانَ لِلَّذِينَ يَخْدِمُونَ الْمَسْكَنَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهُ» (عب ١٣ : ١٠).

وقد ذكر هذا المذبح برسالته الأولى إلى أهل كورنثوس قائلاً:

✠ «انْظُرُوا إِسْرَائِيلَ حَسَبَ الْجَسَدِ. أَلَيْسَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الذَّبَائِحَ هُمْ شُرَكَاءَ الْمَذْبَحِ؟ فَمَاذَا أَقُولُ؟ أَإِنَّ الْوَثَنَ شَيْءٌ أَوْ إِنَّ مَا ذُبِحَ لِلْوَثَنِ شَيْءٌ؟ بَلْ إِنَّ مَا يَذْبَحُهُ الأُمَمُ فَإِنَّمَا يَذْبَحُونَهُ لِلشَّيَاطِينِ لاَ لِلَّهِ. فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ شُرَكَاءَ الشَّيَاطِينِ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْرَبُوا كَأْسَ الرَّبِّ وَكَأْسَ شَيَاطِينَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْتَرِكُوا فِي مَائِدَةِ الرَّبِّ وَفِي مَائِدَةِ شَيَاطِينَ» (١كو ١٠ : ١٨ – ٢١).

فهذا ظاهر لكل من يريد أن يتمسك بعرى الحق أن الرسول المغتبط أخذ يتكلم عما يكون فرقاً بين ذبيحة الشياطين وذبيحة الرب، ومذبح الشياطين ومذبح الرب، لأنه لا فرق بين المذبح والمائدة، كما اتضح لك من المقارنة التي جعلها الرسول بين ما يختص بالشياطين وما يختص بالرب.

ولنزدك بياناً، أن النبي قد نظر بعين الروح إلى هذا المذبح الحقيقي قال:

✠ «فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ. وَمَسَّ بِهَا فَمِي وَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ فَانْتُزِعَ إِثْمُكَ وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيَّتِكَ» (إش ٦ : ٦ ، ٧).

وتنبأ عن تشييد مذبح الرب في أرض مصر قائلاً:

✠ «فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِي وَسَطِ أَرْضِ مِصْرَ وَعَمُودٌ لِلرَّبِّ عِنْدَ

«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ. فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ. فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ .. الخ»

تُخُمِهَا. فَيَكُونُ عَلاَمَةً وَشَهَادَةً لِرَبِّ الْجُنُودِ فِي أَرْضِ مِصْرَ. لأَنَّهُمْ يَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ بِسَبَبِ الْمُضَايِقِينَ فَيُرْسِلُ لَهُمْ مُخَلِّصاً وَمُحَامِياً وَيُنْقِذُهُمْ. فَيُعْرَفُ الرَّبُّ فِي مِصْرَ وَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ الرَّبَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَيُقَدِّمُونَ ذَبِيحَةً وَتَقْدِمَةً وَيَنْذُرُونَ لِلرَّبِّ نَذْراً وَيُوفُونَ بِهِ» (إش ١٩ : ١٩ – ٢١).

وآخر ما يتفوه المعترض هو قول بطرس الرسول:

✞ «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ» (١بط ٢ : ٩).

فطبقاً لظاهر هذه الآية يزعم المعترض أن كل واحد من المؤمنين على السواء كاهن.

وجواب هذا الاعتراض:

أولاً:

من النص ذاته الموحى به من الله أن الرسول بطرس بهذا القول قد وافق ما أوحى به إلى موسى حيث قيل له:

✞ «وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً» (خر ١٩ : ٦).

فظاهر الوحي إن كل واحد من بنى إسرائيل كان كاهنا كما أنه ملك، والحال ليس كذلك.

- فإذا أرتفع قوم من بنى إسرائيل على موسى وهم قورح وداثان وابيرام وأون مع المئتين والخمسين وقدموا بخورا على زعمهم أنهم كهنة بادوا (عد ١٦ : ٣٠ –٣٥).
- وشاول إذ تجاسر على تقدمة الذبائح، جرده الله من الملك (١صم ١٣ : ٩ – ١٤).
- وهكذا الملك عزيا تبرص إذ دخل ليكهن (٢أى ٢٦ : ١٩ – ٢١).

فليقل لنا المعترض على أي نوع ينصرف معنى قول الله وأنتم تكونون لي مملكة وكهنة حيث ظهر من مواضع أخرى أن الكهنوت اللاوى كان مختصاً بأناس مميزين مفروزين، لا يتعدى أحد عليهم في إتمام وظيفتهم وإكمال خدمتهم.

فإن قال إن معنى ذلك ينصرف بطريق المجاز أي كل أحد من بنى إسرائيل يأخذ اسم الكاهن لا بطريق الحق بل بطريق المجاز **حينئذ نقول** قول الرسول أنتم جنس مختار كهنوت ملوكي لا يختص بكل أحد على طريق الحق بل بطريق المجاز وهي ليست مخلة بكهنة العهد الجديد.

ثانياً:

إن النبي قد تنبأ على كهنوت العهد الجديد بمعنى خصوصي بقوله:

✠ «وَأَتَّخِذُ أَيْضاً مِنْهُمْ كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ قَالَ الرَّبُّ» (إش ٦٦ : ٢١).

فمن كان ذا بصيرة وحنكة وله إلمام ما بمعرفته اللغة (من معاني) فليميز بقريحته وليقتنع من أقرب وقت وأسرع حين إذ لا يحتمل من قول النبي منهم (أي الأمم)، اتخذ كهنة ولاويين أن كل المؤمنين بالسوية كهنة. وانظر يا صاح **كيف يدعو النبي بالروح كهنة معروفين مميزين مفروزين مشاراً إليهم دون غيرهم بقوله:**

✠ «أَمَّا أَنْتُمْ فَتُدْعَوْنَ كَهَنَةَ الرَّبِّ تُسَمَّوْنَ خُدَّامَ إِلَهِنَا. تَأْكُلُونَ ثَرْوَةَ الأُمَمِ وَعَلَى مَجْدِهِمْ تَتَأَمَّرُونَ» (إش ٦١ : ٦).

ولا خفاك يا صاح أن قول من شأنه أن يكون مثل هذا لا يصح أن يقيد بالعموم ولاحظ كيف أن الرب يقيم أناسا مخصوصين أطهاراً أبراراً بلا عيب ولا دنس ليقدموا تقدمة طاهرة على الدوام (مل ٣ : ٣). وإن هذه التقدمة ليست كتقدمة ذبائح بنى إسرائيل بمكان واحد مخصوص، بل في كل مكان ومن مشارق الشمس إلى مغاربها (مل ١ :١١).

ولا خفي ذاكرتك الصائبة وفطنتك الغير خائبة أن السيد المسيح إذ سلم جسده ودمه الأقدسين للرسل وأمرهم أن يصنعوه لذكره، لم يأمر عموم المسيحيين أن يقدموا هذه الذبيحة الغير الدموية بل الرسل وخلفائهم الذين تولوا هذه الدرجة بواسطة وضع الأيدي.

ثالثاً:

إن السيد كما هو غير خافٍ أنه رئيس الرعاة، كما دعاه بطرس بقوله:

✞ «وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ» (١بط ٥ : ٤).

ورئيس كهنة كما قال بولس الرسول:

✞ «رَسُولَ اعْتِرَافِنَا وَرَئِيسَ كَهَنَتِهِ الْمَسِيحَ يَسُوعَ» (عب ٣ : ١) وقوله «حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لأَجْلِنَا، صَائِراً عَلَى رُتْبَةِ .. » (عب٦:٢٠). [1]

---

(١) إن الفرق ما بين كهنوت ملكى صادق وكهنوت هارون من وجهين يصدر عنهما برهانان:

الأول: وهو الفرق الأعظم:

اختلاف الشكل الظاهر بين كل من ذبيحة ملكيصادق وذبيحة هارون:

حيث كانت الذبائح الهارونية دموية تقدم تحت أشكال الحيوانات وهي كانت رمزاً لذبيحة الصليب، وذبيحة ملكى صادق غير دموية كانت تحت شكلى الخبز والخمر وهي كانت ظلاً ورمزاً للذبيحة الحقيقية المقدمة تحت أعراض الخبز والخمر أعنى جسد ودم المسيح. على أن الرمز من كلا الذبيحتين الدموية والغير دموية إنما يشير إلى شئ واحد وهو المسيح المذبوح على الصليب فهما متفقتان بالمعنى والمرموز إليه ولو اختلفتا فى الشكل والنوع.

فنقول لما كان المسيح كاهناً على رتبة ملكى صادق لا على رتبة هارون لم يكن إتمام كهنوته إلا بتقديمه ذبيحة غير دموية موافقة فى الشكل لذبيحة ملكى صادق، ولو اختلفت عنها في الجوهر لأن ذبيحة ملكى صادق كانت رمزا لذبيحة جسد ودم المسيح.

<u>ومن المسلّم أن الرمز يختلف عن المرموز إليه بأمور ويتفق معه بأمور:</u>

فوجه الاختلاف أن ذبيحة ملكى صادق كانت خبزا بسيطاً وخمراً بسيطاً، وذبيحة المسيح خبزاً سماوياً وخمراً إلهياً، أعنى جسد ودم المسيح الموضوعين تحت أشكال الخبز والخمر.

ووجه الاتفاق أن ذبيحة ملكى صادق كانت خبزاً وخمراً وذبيحة المسيح خبزاً وخمراً، فكهنوت المسيح على رتبة ملكيصادق مستمدين هذا الكهنوت من ملء كهنوت السيد المسيح.

الثاني:

أن كهنوت ملكى صادق كان فى رجل واحد ولم يتعد إلى خلف رجل بعده، وكهنوت هارون كان بالتسلسل من سلف إلى خلف.

ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد (عب٦: ٢٠) وقوله «وَإِذْ كُمِّلَ صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ، مَدْعُوّاً مِنَ اللهِ رَئِيسَ كَهَنَةٍ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ» (عب٥: ٩، ١٠).

وإذا كان السيد رئيس كهنة كما أنه رئيس رعاة ونحن قد علمنا أنه رئيس رعاة لوجود أولئك الرعاة الكائنة رئاسته عليهم (أع ٢٠ : ٢٨).

والآن لا يصح أن يكون رئيس كهنة بدون وجود كهنة تحت رئاسته، ولا يمكن أن يكون جميع المؤمنين بالسوية كهنة كما أنه لا يمكن أن يكون جميعهم رعاة. وكفي به دليلاً صادقاً.



وحيث قيل إن كهنوت المسيح يدوم إلى الأبد والحال أن ذبيحة الصليب إنما قدمت مرة واحدة ولا سبيل إلى تكرارها من بعد أن المسيح لا يموت ولا يسود عليه الموت مرة أخرى، لم يكن بُد والحالة هذه من ذبيحة تقدم على الدوام لئلا يبقى كهنوت المسيح معطلاً، وإلا فكيف يصح أن يسمى كاهناً إلى الأبد وهو لا يقدم ذبيحة.

فمن ثم وضع له المجد ذبيحة الصليب تحت شكلي الخبز والخمر كما هتف قائلاً إذ بارك الخبز وكسره (هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم) أى هذا هو جسدي الذى ترونه باكراً معلقاً على الصليب لغفران خطايا العالم.

سؤال: ما هو سر الاعتراف؟

جواب:

هو توبة الخاطئ، ورجوعه إلى البارئ باعترافه بخطاياه على يد كاهن شرعى، ليحل منها بقوة سر سلطان الكهنوت الممنوح من المسيح لكهنته. وقد مر بك تحقيق الاعتراف ووجوبه في وصايا الرسل.

سؤال: ما هو سر الزيجة؟

جواب:

هو ارتباط شرعى ما بين العريس وعروسته، مقدس بنعمة الروح القدس للحصول على الفوائد، أعنى طلب الذرية الطاهرة والتعاون على المعيشة باتفاق واحد.

سؤال: ما عِظم هذا السر؟

جواب:

عِظمُه لاختصاصه بالمسيحيين، ومشابهته بالمسيح والكنيسة، أعنى كما أن المسيح أحب الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نسائهم، وكما أن المسيح رأس الكنيسة كذلك الرجل رأس المرأة، وكما تخضع الكنيسة للمسيح تخضع المرأة لرجلها، وكما أن المسيح والكنيسة واحد كذلك المرأة والرجل جسد واحد (أف ٥ : ٢٢– ٣٢).

سؤال: ما أفضل الزواج أم التبتل؟

جواب:

إن سر الزواج عظيم وفاضل لوضع السيد له، ومضجع الزواج طاهر ونقى غير أن التبتل أفضل (١كو ٧ : ٣٨).

والدليل على ذلك ما قاله الرسول:

☩ «غَيْرُ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِي امْرَأَتَهُ. إِنَّ بَيْنَ الزَّوْجَةِ وَالْعَذْرَاءِ فَرْقاً: غَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَداً وَرُوحاً. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجَةُ فَتَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ تُرْضِي رَجُلَهَا» (١كو ٧ : ٣٢ – ٣٤).

سؤال: ما هو سر مسحة المرضى؟

جواب:

هو مسح المؤمن المريض بزيت مقدس بنعمة الروح القدس، بواسطة الكهنة لاستمداد شفائه الجسدي والروحاني (يع ٥ : ١٤ ، ١٥، مر ٦ : ١٣).





الباب الخامس

واجبات الإنسان

سؤال: قد عرفت ما يتعلق بأمر الإيمان، وباقي الأسرار الإلهية، والآن أريد أن أعرف ماذا يجب على المتدين بهذه الديانة؟

جواب:

يجب على المتدين بهذه الديانة أن يعمل الأعمال التي ترضى الله والتي أمر بها، ويبتعد عن الأعمال التي لا يُسر بها وقد نهي عنها، أي أن يعمل البر والصلاح، ويتجنب الشر والطلاح، لينال السعادة الأبدية والأجر السماوي إذا ظهر السيد المسيح مُجازياً كل أحد كحسب صنيعه، **قال بطرس الرسول:**

✞ «وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى» (١بط ٥ : ٤).

وقال يعقوب الرسول:

✞ «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (يع ١ : ١٢).

وقال بولس الرسول:

✞ «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يَرْكُضُونَ فِي الْمَيْدَانِ جَمِيعُهُمْ يَرْكُضُونَ وَلَكِنَّ وَاحِداً يَأْخُذُ الْجَعَالَةَ؟ هَكَذَا ارْكُضُوا لِكَيْ تَنَالُوا. وَكُلُّ مَنْ يُجَاهِدُ يَضْبُطُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَمَّا أُولَئِكَ فَلِكَيْ يَأْخُذُوا إِكْلِيلاً يَفْنَى وَأَمَّا نَحْنُ فَإِكْلِيلاً لاَ يَفْنَى» (١كو ٩ : ٢٤ – ٢٥).

وقوله لتيموثاوس:

✞ «وَرَوِّضْ نَفْسَكَ لِلتَّقْوَى. لأَنَّ الرِّيَاضَةَ الْجَسَدِيَّةَ نَافِعَةٌ لِقَلِيلٍ، وَلَكِنَّ التَّقْوَى نَافِعَةٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، إِذْ لَهَا مَوْعِدُ الْحَيَاةِ الْحَاضِرَةِ وَالْعَتِيدَةِ» (١تى ٤ : ٧ ، ٨).

ونبوته عن انحلال هذا العالم قائلاً:

✞ «قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيراً قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضاً» (٢تى ٤ : ٧ ، ٨).

ولوجوب [1] ممارسة الأعمال ينبغي لنا أن ننظر لأقوال الوحي ونصوصه، **فإن مار يعقوب قد شرح شرحاً زائداً وأسهب عبارته في هذا المعنى قائلاً:**

✟ «مَا الْمَنْفَعَةُ يَا إِخْوَتِي إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَاناً وَلَكِنْ لَيسَ لَهُ أَعْمَالٌ؟ هَلْ يَقْدِرُ الإِيمَانُ أَنْ يُخَلِّصَهُ؟ إِنْ كَانَ أَخٌ وَأُخْتٌ عُرْيَانَيْنِ وَمُعْتَازَيْنِ لِلْقُوتِ الْيَوْمِيِّ، فَقَالَ لَهُمَا أَحَدُكُمْ: امْضِيَا بِسَلاَمٍ، اسْتَدْفِئَا وَاشْبَعَا وَلَكِنْ لَمْ تُعْطُوهُمَا حَاجَاتِ الْجَسَدِ، فَمَا الْمَنْفَعَةُ؟ هَكَذَا الإِيمَانُ أَيْضاً، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْمَالٌ، مَيِّتٌ فِي ذَاتِهِ. لَكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ: أَنْتَ لَكَ إِيمَانٌ، وَأَنَا لِي أَعْمَالٌ! أَرِنِي إِيمَانَكَ بِدُونِ أَعْمَالِكَ، وَأَنَا أُرِيكَ بِأَعْمَالِي إِيمَانِي. أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ. حَسَناً تَفْعَلُ. وَالشَّيَاطِينُ يُؤْمِنُونَ وَيَقْشَعِرُّونَ! وَلَكِنْ هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الْبَاطِلُ أَنَّ الإِيمَانَ بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ؟ أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا بِالأَعْمَالِ، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ؟ فَتَرَى أَنَّ الإِيمَانَ عَمِلَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَبِالأَعْمَالِ أُكْمِلَ الإِيمَانُ. . وَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرّاً وَدُعِيَ خَلِيلَ اللَّهِ. تَرَوْنَ إِذاً أَنَّهُ بِالأَعْمَالِ يَتَبَرَّرُ الإِنْسَانُ، لاَ بِالإِيمَانِ وَحْدَهُ. كَذَلِكَ رَاحَابُ الزَّانِيَةُ أَيْضاً، أَمَا تَبَرَّرَتْ بِالأَعْمَالِ، إِذْ قَبِلَتِ الرُّسُلَ وَأَخْرَجَتْهُمْ فِي طَرِيقٍ آخَرَ؟ لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بِدُونِ رُوحٍ مَيِّتٌ، هَكَذَا الإِيمَانُ أَيْضاً بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ» (يع ٢ : ١٤ – ٢٦) ...الخ.

وقال:

✟ «فَاقْبَلُوا بِوَدَاعَةٍ الْكَلِمَةَ الْمَغْرُوسَةَ الْقَادِرَةَ أَنْ تُخَلِّصَ نُفُوسَكُمْ. وَلَكِنْ كُونُوا عَامِلِينَ بِالْكَلِمَةِ، لاَ سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نُفُوسَكُمْ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ سَامِعاً لِلْكَلِمَةِ وَلَيْسَ عَامِلاً، فَذَاكَ يُشْبِهُ رَجُلاً نَاظِراً وَجْهَ خِلْقَتِهِ فِي مِرْآةٍ، . فَإِنَّهُ نَظَرَ ذَاتَهُ وَمَضَى، وَلِلْوَقْتِ نَسِيَ مَا هُوَ. وَلَكِنْ مَنِ اطَّلَعَ عَلَى

(١) في الأصل هذا الجزء كان هامش ولقد رفعناه ووضعناه في النص لطوله وأهميته (الناشر).

النَّامُوسِ الْكَامِلِ نَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ وَثَبَتَ، وَصَارَ لَيْسَ سَامِعاً نَاسِياً بَلْ عَامِلاً بِالْكَلِمَةِ، فَهَذَا يَكُونُ مَغْبُوطاً فِي عَمَلِهِ» (يع ١ : ٢١ – ٢٥).

وقال السيد المسيح:

✠ «إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ» (مت ٥ : ٢٠).

✠ «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ» (يو ١٤ : ١٥).

فعلى مقتضى هذه النصوص الإلهية إن مجرد الإيمان ليس فيه كفاية لنوال الحياة الأبدية، بل مع الإيمان ينبغي أن نقدم أعمالاً مرضية.

وعلى ما تقدم من فرض السيد المسيح أن من يحبه ينبغي أن يحفظ وصاياه والاشتراط في أنه إن لم يزد بر الإنسان على الكتبة والفريسيين لا يدخل الملكوت.

فعلى ما تقرر ينبغي لنا أن نعلم علماً يقيناً غير مرتابين أن نوال الحياة بعد الإيمان يتوقف على العمل بوصايا السيد المسيح. وذلك خلافاً من الذين خالفوا التعليم المسيحي أن الإيمان كاف للخلاص.

وإن قيل إننا قد تحررنا من الناموس فكيف نتعبد له ثانياً.

فأجيب على ذلك:

إن الناموس بحسب وضعه من الله ينقسم إلى قسمين: ناموس جوهرى أبدي و ناموس رمزي وقتي. فالجوهري الأبدي لم نتحرر منه. والرمزي الوقتي أبطله المسيح واستبدله بالمرموز إليه.

ومن أجل ذلك قال السيد المسيح:

✠ «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا

الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ فَهَذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ (لاحظ كمالة الناموس على الترتيب)» (مت ٥ : ١٧ – ١٩).

فظاهر الأمر لكل من كان خالياً من أهواء وأمراض العالم أن لا أحد ينال الخلاص بمجرد الإيمان، **ولاحظ يا صاح كيف أن السيد يحث على العمل، ويظهر كمية شرف العاملين بقوله:**

✠ «فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ وَوَقَعَتْ عَلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّساً عَلَى الصَّخْرِ. وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا يُشَبَّهُ بِرَجُلٍ جَاهِلٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ» (مت ٧ : ٢٤ – ٢٦).

وقد شهد بولس الرسول أن الإنسان يتفاضل بأعماله بقوله:

✠ «أَهُمْ خُدَّامُ الْمَسِيحِ؟ أَقُولُ كَمُخْتَلِّ الْعَقْلِ: فَأَنَا أَفْضَلُ. فِي الأَتْعَابِ أَكْثَرُ... فِي السُّجُونِ أَكْثَرُ ... فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ. فِي أَسْهَارٍ مِرَاراً كَثِيرَةً. فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ. فِي أَصْوَامٍ مِرَاراً كَثِيرَةً. فِي بَرْدٍ وَعُرْيٍ» (٢كو ١١ : ٢٣ – ٢٧).

فإن كنا نفتكر في أن الرسول لا يكذب، **نعتبر أن الأعمال لضرورية بهذا المقدار.** وكفانا ما **حتم به السيد المسيح قائلاً** «إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ»

وعلى هذا السبيل سلك أخوه قائلاً:

✠ «لأَنَّ الْحُكْمَ هُوَ بِلاَ رَحْمَةٍ لِمَنْ لَمْ يَعْمَلْ رَحْمَةً، وَالرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ» (يع ٢ : ١٣).

وبدون ريب أن المخالف لهذا التعليم الذي أثبتته أصوات النصوص الإلهية، وعلّم بضده **أفما يكون هذا هو التعليم الذي قال عنه السيد موبخاً الفريسيين:**

✞ «أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ!»[1]

وهذا هو التقليد الذي أبطل الوصايا السيدية والعمل بها. ولقد تبلبلت أفكار المعترضين وانعكست ضمائرهم بالآية السيدية القائلة:

«مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ. لأَنَّنَا إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا» (لو ١٧ : ١٠).

على أن السيد لم يقصد بهذه الآية:

- أن ينفي وجوب الأعمال.
- أو أنها لا تفيد للخلاص.
- أو أن الإنسان بمجرد الإيمان يخلص.

بل إنما يقصد بذلك اتضاع الرسل وعلى الإطلاق جميع المؤمنين، واعترافهم دائماً بأنهم غير قائمين بواجباتهم ومقصرين بأفعالهم المأمورين بها. لما ظهر من ذلك الفريسي الذي اعتماده كان على أعماله وتكبره أحدراه من ذروة الفضيلة ومراتب الكمال إلى الذلة والنقص.

ودليل ذلك أن السيد لم يقل إن الأعمال باطلة، بل العمالين بطالون. وحاشا للسيد أن ينقض ما قد بناه ويقوض ما قد أسسه، إذ بقوله:

✞ «لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت ٧ : ٢١).

✞ «لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً فِي السَّمَاءِ حَيْثُ لاَ

---

(١) (مت١٥: ٦) (الناشر).

يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدأٌ وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ» (مت ٦ : ١٩ ، ٢٠).

✞ «قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي» (مت ١٩ : ٢١).

ومع ما علمنا من تشبيه ملكوت السموات بالعشر عذارى، وأولئك اللواتي عدمن الحياة وملذة الدهر الآتي لفراغهن من الأعمال الصالحة (مت ٢٥ : ١).

ومع ما قاله الرسول:

✞ «كُلُّ وَاحِدٍ سَيَأْخُذُ أُجْرَتَهُ بِحَسَبِ تَعَبِهِ» (١كو ٣ : ٨).

ومع ما اتضح لنا من حقيقة عدل الله ومجازاته العالم على حسب عمل كل إنسان ، **يتبين لنا أن الأعمال الصالحة يجب على كل أحد ممارستها بعد** الإيمان بالسيد المسيح.

ولعل المعترض يزعم أن إبراهيم قد تبرر بالإيمان.

فنجيبه:

إننا لا ننكر أن إبراهيم تبرر بالإيمان، ولكننا ننكر كون إيمانه كان خالياً من الأعمال **على ما قاله الرسول:**

✞ «أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا بِالأَعْمَالِ، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ؟» (يع ٢ : ٢١).

وقول الرسول بولس:

✞ «بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَهُ» (عب ١١ : ١٧).

سؤال: أما كان يكفي الإيمان للخلاص؟

جواب:

حاشا وكلا، لأن الإيمان مجرداً عن الأعمال ميت وبالعكس، لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت، هكذا الإيمان بدون أعمال ميت (يع٢: ٢٠، ٢٦).

سؤال: ما هي الأعمال التي يجب على الإنسان فعلها؟

جواب:

هي المدرجة في الوصايا العشر [١] والمحبة للغريب والقريب، والإحسان حسياً وعقلياً والصلاة والصوم المفروض والذي يقدمه الإنسان من ذات خاطرة، مع ما يتعلق بباقي الواجبات المسيحية.

---

(١) الوصايا العشر هي التي خاطب الله بها قديماً موسى على جبل سيناء، وهي بعد قوله له أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية قال:

١. «لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي».
٢. «لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلَهَكَ إِلَهٌ غَيُورٌ أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ. وَأَصْنَعُ إِحْسَاناً إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ».
٣. «لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِكَ بَاطِلاً لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً».
٤. «اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ. وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ. لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذَلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ».
٥. «أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِتَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ».
٦. «لاَ تَقْتُلْ».
٧. «لاَ تَزْنِ».
٨. «لاَ تَسْرِقْ».
٩. «لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ».
١٠. «لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ وَلاَ عَبْدَهُ وَلاَ أَمَتَهُ وَلاَ ثَوْرَهُ وَلاَ حِمَارَهُ وَلاَ شَيْئاً مِمَّا لِقَرِيبِكَ» (خر ٢٠ : ٢ – ١٧).

إن الصلاة [1] معناها مخاطبة المؤمن لمولاه بأقوال روحية وتنقسم الصلاة إلى حقيقية ومادية وضعية:

❖ **فحقيقة الصلاة:**

1. كما يعلمنا الإنجيل أن لا تكون موجهة لطلب المراتب الأرضية ولذّات هذا العالم الفانية وغناه البائد وما أشبه، بل تكون موجهة لطلب الأمور العتيدة، ولذّات الدهر الآتي، والخلود في دار السعادة، وامتلاك الحياة الأبدية (مت ٦ : ٣٣).
2. أن تكون بتواضع قلب وانكسار نفس، لا بتكبر قلب وطلب المدح من الغير أو التفاخر على عبيد الله والاستهزاء بهم (لو ١٨ : ٩ –١٤، ايو ١ : ١٠).
3. أن لا نفشل إذا لم تُستجب صلاتنا، بل ندعو الله ونداوم الاستغاثة ولا نمل، لأن الله يقبل من مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً (لو ١٨ :٧ ، ١١ : ٩). [2]

❖ **ومادة الصلاة: عقلية وحسية:**

1. **فالعقلية:** هي أن يجمع الإنسان وقت الصلاة أفكاره من تشتتها وتخبطها بمتعلقات هذا العالم وأموره وأحواله، لأنه وقتئذ يخاطب إله السموات والأرض، ويشترك مع ملائكة السماء في التسبيح والتمجيد لربه وخالقه، فلا يليق به أن يقيم العالميات مقامه.
2. **والحسية:** أن يصلى بصوت مسموع بألفاظ ظاهرة بائنة مفهومة، وذلك ليُمكّن العقل بواسطة ذلك أن يقتبس منها فينتعش الإدراك وتحيا

---

(١) في الأصل هذا الجزء كان هامش ولقد رفعناه ووضعناه في النص لطوله وأهميته (الناشر).

(٢) وبهذا يبطل إدعاء المعترض المرتكن على صوت السيد القائل لا تكثروا الكلام باطلاً كالأمم (مت٦:٧) وشتان ما بين قصد المسيح بهذه الآية وقصد المعترض المتكئ على قصبة مرضوضة.

وتقوى الروح، لتأمل حقيقة الصلاة ولذتها وتأديتها كما يجب.

❖ **ووضع الصلاة: تمجيدية وتشكرية وطلبية:**

١. **فالتمجيدية:** هي أن نمجده ونسبحه إذا ما تأملنا إلى زخرفة صناعته ونظام مبدعاته السامية، وعنايته بها على الدوام.

٢. **والتشكرية:** هي أن نشكره على فيض مراحمه الغزيرة، وإنعامه الكثيرة، التي عمنا بها، أولاً لكونه أبدعنا من العدم وجعلنا بهذه الهيئة الظريفة والقامة اللطيفة، وثانياً لكونه استعادنا من قِبل تهاملنا وخضوعنا للخطية، قد حررنا من هذه العبودية وابتاعنا بثمن غال لا تقدر قيمته، دم ابنه الوحيد ربنا وإلهنا وسيدنا يسوع المسيح.

٣. **والطلبية:** هي أن نطلب من جوده وكرمه أن يساعدنا على مرضاته، ويسهل حياتنا للعمل بوصاياه، وترك نواهيه، وينجينا من كل تجربة تقودنا إلى الوقوع في الخطية، وأن لا يجربنا فوق ما نطيق، وأن يجعل لنا مع التجربة عزاء.

سؤال: ما ابتداء الصلاة؟

جواب:

أولاً يرسم المصلى علامة الصليب [1] على وجهه، ويقول باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، يارب ارحم يارب ارحم، يارب بارك آمين، المجد للآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

---

(١) إن المسيحيين اتخذوا علامة الصليب لكونها علامة السيد المسيح.
حسبما قرر ذلك قائلاً: «حِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ» (مت ٢٤ : ٣٠).
ومن المسلّم عند علماء البيعة كيوحنا ذهبى الفم والبابا كيرلس وأبى الفرج وغيرهم أن هذه العلامة هي الصليب. ودليل ذلك أنه لابد أن تكون هذه العلامة مشهورة فى أقطار المسكونة ومعروفة عند عاميها وخاصيها أنها تنتسب لابن الإنسان، حتى إذا ظهرت يعرفها العالم بالبديهة أنها علامة ابن الإنسان، وليس في العالم علامة لابن الإنسان أكثر شهرة من الصليب. فالعلامة التي سوف تظهر هي الصليب.ولكونها علامة المسيح فمن الأمور الواجبة على كل جندى متجند أن يحمل علامة سيده.

أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، واغفر لنا خطايانا كما نحن نغفر لمن أخطأ إلينا، ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير، بالمسيح يسوع ربنا، لأن لك المُلك والقوة والمجد إلى الأبد آمين.

سؤال: قل الثلاثة تقديسات؟ (١)

جواب:

قدوس الله قدوس القوى قدوس الذي لا يموت، يا من ولدت من العذراء ارحمنا، قدوس الله قدوس القوى قدوس الذي لا يموت، يا من صلبت عنا ارحمنا، قدوس الله قدوس القوى قدوس الذي لا يموت، يا من قمت من الأموات وصعدت إلى السموات ارحمنا.

فالمسيحيون منذ العصور الأولى قد اتخذوا علامة الصليب، وذلك قبل قسطنطين الملك البار بزمن طويل (الذى نظر علامة الصليب فى السماء ولأجل ذلك رسمها على بنوده وأعلامه وسائر أدوات سلاحه) ودليل ذلك ما شهد به كتاب ريحانة النفوس فى أصل الاعتقادات والطقوس قال:

"وأما استعمال رسم الصليب فكان هكذا: إن الكنيسة القديمة كانت تعتبر جداً التعليم العظيم الموجود فى الإنجيل أن الخلاص بجملته إنما هو بدم المسيح المسفوك على الصليب فقط، وكان هذا التعليم دائماً أمام عيونهم، ويفتشون على رمز مناسب يشير إلى جميع البركات المسبغة علينا بواسطة موت المسيح، فاتخذوا إشارة الصليب". وقال أيضاً "كانوا يستعملون هذه الإشارة مراراً كثيرة جداً فى جميع أعمالهم الاعتيادية، أى عند النوم والقيام، والأكل واللبس، وإضاءة السرج فى الصلاة وبالإجمال فى كل حركة، قاصدين أن يدلوا بذلك على أن الديانة الإنجيلية يجب أن تدخل فى جميع أعمال الناس".

(١) إن الثلاثة تقديسات نوجهها لأقنوم الله الكلمة المتجسد. وذلك من الواجب والأمر الذي لا يعتريه ريب. فإن الابن هو الذى وُلد، وصُلب، ومات، وقام، وهو الإله القوى الذى لا يموت أيضاً، حسب ما نطقت الكتب من تواضعه وارتفاعه، فقد بطل ما زعم أتباع لاون أننا نوجه هذه التقديسات للثالوث القدوس بادعائهم علينا أننا نزعم أن الثالوث قد تألم ومات، فالكنيسة عينت هذه التقديسات للابن المتجسد ذاهبة مذهب الرسول القائل: «قَدِّسُوا الرَّبَّ الإِلَهَ فِي قُلُوبِكُمْ» (ابط ٣ : ١٥). وإلا لو كان قصد الكنيسة اتجاهها للثالوث القدوس لاكتفت بتلك التسابيح المثلثة التي رتل بها السيرافيم قائلين قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس، فأتت تلك التقدسات بغاية الموافقة للابن المتجسد لاسيما لتلاوتها قبل قراءة العهد الجديد دالة على بركاته المفاضة علينا بواسطة موت الابن المتجسد فلا سبيل للإدعاء علينا بأننا نعتقد بآلام الثالوث القدوس.

سؤال: هل يجوز أن نسجد لغير الله؟

جواب:

نعم يجوز أن نسجد [1] للآباء الروحيين أو لبعضنا البعض، وذلك من قِبل أن الكلام يشترك في اللفظ ويتميز في معناه.

- كالإكرام، فإننا نكرم الله ونكرم الناس، فهل إكرامنا للناس هو عين إكرامنا لله.
- وكالمحبة، فإننا نحب الله ونحب الناس، فلا تكون محبتنا لله هي عين محبتنا للناس، وكقول النبي «أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ» (مز ٨٢ : ٦).

فتأله هؤلاء لا يتعين أن يكون عين تأله الله ولو اشتركا في اللفظ.

وقول الرسول عن المسيح رأس الكنيسة والرجل هو رأس المرأة (أف ٥ : ٢٣). وقوله أيضاً عن الأبرار (إياهم مجد) (رو ٨ : ٣٠). فإن موقع تمجيد الأبرار لا يتعين أن يكون عين تمجيد الله، وهكذا في السجود. فإنه فرق عظيم بين سجودنا لله وسجودنا لأحد الناس فذاك عبادة وهذا احترام وإكرام.



(١) ولقد أثبت ذلك الوحي الإلهي:

- فإنه ورد في سفر التكوين أن ملاكين جاءا إلى سدوم وكان لوط جالساً في باب سدوم فلما رآهما لوط قام لإستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض (تك ١٩ : ١).
- وعندما كان بلعام سائراً في الطريق وهو راكب أتانه قابله ملاك فحين نظره النبي العراف سجد له (عد ٢٢ : ٣١)
- ويشوع بن نون نظر رئيس جند الرب فبادر مسرعاً وسجد له (يش ٥ : ١٤).
- وللقديسين أن عوبديا سجد لإيليا (١مل ١٨ : ٧).
- ورئيس الخمسين سجد له (٢مل ١ : ١٣).
- وأبناء الأنبياء سجدوا لإليشع (٢مل ٢ : ١٥).
- والمرأة الشونمية سجدت له (٢مل ٤ : ٣٦ – ٣٧).
- ومثل هذا كثير أنظر (تك ٢٣ : ٧ – ١٢، ٣٣ : ٣ ، ٤٨ : ١٢).

ناهيك عن شهادة السيد المسيح المثبت ذلك من فمه الكريم، قال مخاطباً أسقف فيلادلفيا: «هَأَنَذَا أَجْعَلُ الَّذِينَ مِنْ مَجْمَعِ الشَّيْطَانِ، مِنَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ يَهُودٌ وَلَيْسُوا يَهُوداً، بَلْ يَكْذِبُونَ: هَأَنَذَا أُصَيِّرُهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَ رِجْلَيْكَ، وَيَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا أَحْبَبْتُكَ» (رؤ ٣ : ٩).



الباب السادس

الخاتمة في نهاية كل إنسان

سؤال: ما هي نهاية كل إنسان؟

جواب:

هي الموت، والقيامة، والمحاكمة، والمجازاة الأبدية.

سؤال: ما هو الموت؟

جواب:

هو انفصال النفس عن الجسد، وذهابها:

- إن كانت مؤمنة مبررة إلى راحة.
- وإن كانت كافرة أو مؤمنة خاطئة إلى عذاب ما، محفوظة بأماكن إلى يوم المحاكمة والمجازاة.

وأما الجسد فمهما كان يتلاشى ويرجع إلى التراب الذي أُخذ منه.

سؤال: هل تنتفع الأنفس بعد فراقها الجسد، بالصلوات وفعل الخير ؟

جواب:

حقا، إن صلوات البيعة وتقدمة القربان المقدس وفعل الإحسان تنتفع بها الأنفس المنتقلة ببعض خطأ، منفعة جزيلة.

وهذه القضية كانت كنيسة إسرائيل تعتبرها، فإن يهوذا المكابى رئيس جيش اليهود قد قدم ذبائح ومحرقات عن الجنود المائتين (٢مك ١٢ : ٤٢ – ٤٦).

سؤال: أقرر آباء الكنيسة ذلك؟

جواب:

حقاً فإن ديوناسيوس الأريوباجي [1] قاضى اثناس قال في كتابه الموسوم في الميمر الثاني: " إن الموتى تنتفع بالصلوات والقرابين عنهم منفعة فاضلة ".

---

(١) وهو القديس ديونسيوس الأريوباغى الذي آمن على يد بولس الرسول (أع١٧:٣٤) وُلد في القرن الأول الميلادى حوالى سنة ٨م، وكان عضو في مجمع أثينا الذي ينعقد في مكان يسمى (أريوس باغوس) لذلك كان يلقب القديس

وقد قرر ذلك أيضاً ذهبى الفم في مقالة (٢١) وزاد أن هذه القضية مسلّمة من الرسل بقوله:

"كما ذكر الرسل في تذكار الأموات، وحث النائحين على موتاهم أن يقدموا قرابين وصلوات عنهم، عوضا عن النحيب والبكاء" (عظة٦٢) من تفسيره لإنجيل يوحنا.

وأفرام السرياني وغريغوريوس النزينزى وباسيليوس وغيرهم قد قرروا ذلك، انظر ص١١٠ من كتاب ريحانة النفوس تأليف البروتستانت، المقرر فيه أن الصلوات لأجل الموتى والإحسان قد ابتدأ منذ الأجيال الأولى.

سؤال: ما هي القيامة؟

جواب:

هي عودة الأنفس إلى أجسادها بأمر خالقها، وقدرته السامية، فتتحد بها ويقوم كلا النوعين إنساناً واحداً بكل لطافة متأهباً للمحاكمة والمجازة.

إننا [١] على حسب ما وعدنا سابقاً عن إثبات **القيامة** نورد لك بعض من براهين يا صاح:

البرهان الأول:

إن الله من الأمر الواضح قد خلق بنى البشر للراحة والسعادة لا للتعب والشقاء، وذلك مؤيد بكون الله صالحاً وجواداً ورحوماً وعادلاً.

فلا يكون البارئ علة للشقاء والتعب ولا يمكن أن يكون خلقهم لا للتعب ولا للراحة حالة كونهم موجودين، فإذاً خِلقتهم للراحة.

بالأريوباغى، وأقامه بولس الرسول أسقفاً على أثينا بعد تعميده بثلاث سنوات، نال إكليل الشهادة وله من العمر ١٠٢ سنة (الناشر).

(١) في الأصل هذا الجزء كان هامش ولقد رفعناه ووضعناه في النص لطوله وأهميته (الناشر).

وإذا كان الأمر كذلك إلا أننا نجد في هذا العالم أناساً مرضى وفقراء والبعض أذلاء ومضنوكين بالأتعاب والمشاق ومبتلين بالأوجاع والأحزان والمتاعب والمصائب والشدائد وضروب البلايا والتجارب، وما يظنه المرء في هذا العالم لذة إنما هو دفع ألم، كالأكل فإنه دفع ألم الجوع، ونحو ذلك..

وإذا فرضنا وجود لذة جسمانية في هذا العالم فقد تكون قليلة جداً، ومنتهية، ولقوم دون قوم، وفي وقت دون وقت.

فمثل هذه الراحة الغير المستمرة لا تعد راحة، وجَود الله لا يطيق ولا يحتمل خلقة صورته ومثاله لأجل لذة وقتية، بل إنما خلقه لأجل الراحة الدائمة والنعيم المخلد، واللذة التي لا نهاية لحيزها وامتلاكها. وحيث تقرر أن ذلك غير حاصل في العالم، **فمن ذلك نستدل على وجود عالم آخر بعد هذه الحياة الوقتية للنعيم الدائم واللذة الغير الزائلة.**

البرهان الثاني:

إننا نرى في هذا العالم صدّيقاً وخاطئاً، أعنى من يعمل الخير والصلاح ومن يتبع الشر والطلاح، وكل منهما يموت دون مجازاة الخير وعقاب الشر، فإن لم يتبع ذلك قيامة وحياة جديدة في عالم آخر، فيه تُثاب فضيلة الفاضل ويعاقب إثم الأثيم، كان سعى الصالحين والعلماء السالكين طريق الحق باطلاً لا فائدة فيه، وتحقق بطلان الوعد والوعيد، وكان الأشرار هم السعداء بما يفعلونه من التلذذ والتنعم وإتباع أهواء الجسد ومشيئته،

وخالق هذا الوجود لا يقتضى عدله أن يرضى بالرذيلة ولا يرضى بالفضيلة. فمن لازم الضرورة أن تكون حياة أخرى ينتقم فيها الله من الآثام لمقته لها، ويثيب الفضائل لمسرته ورضائه بها. وإلا لكان عدم الوجود لكثيرين أحسن من الوجود. والحال إذا لم تكن حياة أخرى بعد الانحلال من الجسد حيث ينال ثواب الفضيلة وعقاب الرذيلة، فيكون عدم وجود كثيرين من الناس كأولئك

القديسين الذين عانوا الاستشهاد، والنساك الذين قمعوا أجسادهم، والأتقياء الذين عانوا نوازل ومحناً وأتعابا في حفظ شرائع الله أحسن من وجودهم، إذ يكون العامل بها والمخالف لها معاملاً بالتساوى، فجود الله لا يطيق ذلك. **فمن ذلك يلزم وجود حياة أخرى يثاب الصالحون بأفعالهم الصالحة ويعاقب الطالحون بأفعالهم الطالحة.**

البرهان الثالث:

لو لم تكن حياة أخرى للإنسان، لكانت البهائم أحسن حظاً منه، وأكثر راحة وهذا أيضاً لا تحتمله حكمة الله وجوده. فإن البهائم ترغب في الخير المحسوس فقط، ولا تحتاج كثيراً وما تحتاج إليه تدركه بسهولة، لأن الطبيعة تهيئه لها من الأعشاب وغيره فتشبع كل الشبع.

وأما الإنسان ناهيك عن رغبته في الخير المحسوس فقط، وعدم امتلاكه بالمشاق والمتاعب والبلايا والمصائب وكل نازلة، فيطلب خيرات أسمى منه كالشرف والمراتب والعلم والفضيلة والخير والذكر الصالح، وبالجملة يشتهي سعادة كاملة من كل وجه، وهذه السعادة لا يدركها في هذه الحياة، وإن أدرك منها شيئاً فلا يكون إلا بمتاعب وبلايا ومصاعب وكل ألم ووجع، وعلى فرض أن صار الإنسان ملكاً أو حاز غنى العالم جميعه لا يروى قلبه، بل يبقى طالباً أمور أخرى ويرغب في أشياء عالية على الدوام. فإذا لم تكن حياة أخرى كانت البهائم أحسن حظاً من الإنسان.

ثم أن البهائم لا تعرف حالة أحسن مما هي عليه، فلا تأسف على شر مضى، ولا تهتم للمستقبل، ولا تخاف الموت قبل وقته، فتعيش دون هم وغم وعناية وطمع وحسد. أما الإنسان فيقابل أبداً الخير الذي يتمناه بالمصائب النازلة به، ويتبصر في ما لغيره وفي ما يخلو هو منه، ويتأمل في ما يستحقه وفي ما هو حاصل عليه،

ويحزن لتذكره إهانات سالفة ويعذبه شوقه إلى أمور ينتظرها، ويقلقه الخوف ويغتم لأهله وعائلته وأصدقائه ووطنه، ويرتعد لتفكره في ورود الموت إليه، وبالاختصار يقضى أكثر أوقاته معذباً منكداً ولا شئ من ذلك في البهائم، فلو لم تكن حياة أخرى، لكان أقل حظاً وراحة وتنعماً من البهائم، وهل يتحمل الله الحكيم والجوّاد هذا، فإذاً لابد للإنسان من حياة أخرى.

البرهان الرابع :

إن جميع القبائل اعتقدت على الدوام بوجود حياة أخرى، ولم تكن ديانة إلا وكان هذا سندها، حتى ولو بعض الفلاسفة أنكر هذه العقيدة، فلا يمكن أن يطمئن ويستريح ضميرهم إلى الاعتماد على إنكارهم، **لأن الرغبة في عدم الميتوتة مَلَكَة في طبع البشر أوجدها البارئ تعالى.**

ولذلك اهتمامهم في عدم ملاشاة جسم الميت وتحنيطه ووضعه في أماكن محصنة، وإقامة المدافن وغيرها برهان جلى على أن القدماء (أقول المختلفي الأجناس) قد كانوا يرجون قيامة أخرى.

وهاك شهادة الوحي الإلهي، قال حزقيال النبي:

✞ «كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ فَأَخْرَجَنِي بِرُوحِ الرَّبِّ وَأَنْزَلَنِي فِي وَسَطِ الْبُقْعَةِ، وَهِيَ مَلآنَةٌ عِظَاماً. وَأَمَرَّنِي عَلَيْهَا مِنْ حَوْلِهَا وَإِذَا هِيَ كَثِيرَةٌ جِدّاً عَلَى وَجْهِ الْبُقْعَةِ، وَإِذَا هِيَ يَابِسَةٌ جِدّاً. فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ آدَمَ، أَتَحْيَا هَذِهِ الْعِظَامُ؟» فَقُلْتُ: يَا سَيِّدُ الرَّبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ». فَقَالَ لِي: تَنَبَّأْ عَلَى هَذِهِ الْعِظَامِ وَقُلْ لَهَا: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْيَابِسَةُ، اسْمَعِي كَلِمَةَ الرَّبِّ. هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِهَذِهِ الْعِظَامِ: هَأَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحاً فَتَحْيَوْنَ. وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَباً وَأَكْسِيكُمْ لَحْماً وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْداً وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحاً فَتَحْيُونَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ... » (حز ٣٧ : ١ — ١٤).

وقال السيد المسيح :

✞ «فَيُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ بِبُوقٍ عَظِيمِ الصَّوْتِ فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا» (مت ٢٤ : ٣١)

✞ «وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ. فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ» (مت ٢٥ : ٣١ – ٣٣)

وقال الرسول:

✞ «هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا وَلَكِنَّنَا كُلَّنَا نَتَغَيَّرُ. فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. لأَنَّ هَذَا الْفَاسِدَ لاَ بُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ وَهَذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ. وَمَتَى لَبِسَ هَذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ وَلَبِسَ هَذَا الْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ» (١كو ١٥ : ٥١ - ٥٤).

✞ «لَكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ: كَيْفَ يُقَامُ الأَمْوَاتُ وَبِأَيِّ جِسْمٍ يَأْتُونَ؟ يَا غَبِيُّ! الَّذِي تَزْرَعُهُ لاَ يُحْيَا إِنْ لَمْ يَمُتْ. وَالَّذِي تَزْرَعُهُ لَسْتَ تَزْرَعُ الْجِسْمَ الَّذِي سَوْفَ يَصِيرُ بَلْ حَبَّةً مُجَرَّدَةً رُبَّمَا مِنْ حِنْطَةٍ أَوْ أَحَدِ الْبَوَاقِي» (١كو ١٥ : ٣٥ – ٣٧).

✞ «هَكَذَا أَيْضاً قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ: يُزْرَعُ فِي فَسَادٍ وَيُقَامُ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي ضُعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ. يُزْرَعُ جِسْماً حَيَوَانِيّاً وَيُقَامُ جِسْماً رُوحَانِيّاً. يُوجَدُ جِسْمٌ حَيَوَانِيٌّ وَيُوجَدُ جِسْمٌ رُوحَانِيٌّ» (١كو ١٥ : ٤٢ – ٤٤).

(اعتراض) قد يُقال إن الجسم إذا استحال، يصير منه جسم آخر وحيوان آخر، فجسم هذا الإنسان إذا أكله السبع فانه يصير جسم السبع، والسبع إذا مات فيصير تراباً، والتراب يصير منه نباتاً، والنبات يصير غذاء جسم آخر، ففي القيامة يلزم أن جسما يقوم والآخر لا يقوم، وذلك من أكبر الشناعات في حق المولى، فعلى ذلك عدم القيامة أحسن من الاعتقاد بوجودها؟

الجواب:

إن الذي تركب منه الإنسان إليه ينحل، فالتركيب الذي في الإنسان هو من الإستقصات الأربع، فبطرس وبولس وغيرهما ليس هم إلا طبائع متقومة من الإستقصات الأربع ، فإذاً بانحلال جسم بطرس يعود كل عنصر اجتمع في تركيبه إلى أصله، فتلك الأجزاء معلومة عند البارئ، وفي القيامة بقدرته التي لا تحد يعيد كل جزء من أجزائه التي في الإستقصات ويجمعها، فيقوم بطرس وبولس وتسقط مراعاة موادهما وكيف تصرفت بها الأحوال إذ كان مصيرها ثانياً على خلاف التصرف بها أولاً.

سؤال: ما هي المحاكمة والمجازاة؟

جواب:

١. المحاكمة:

هي وقوف كل منا بالجسد بعد القيامة قدام منبر السيد المسيح.

فيقيم الخراف أي الصالحين عن يمينه، والجداء أي الطالحين عن يساره، فيكشف خفايا القلوب، ومكتومات الضمائر، ويقضى بالعدل والإنصاف على حسب عمل كل إنسان إن خيراً وإن شراً، فيتكلل الأبرار بالرفعة والمجد والبهاء، والأشرار يشملهم العار والخزي.

٢. **المجازاة:**

هـي أن يجازى الرب كل إنسان بما صنع من الأعمال إن كانت صالحة وإن كانت طالحة، فالأبرار يكللون عوض أتعابهم بأكاليل المجد والخلود في دار الحياة الأبدية ومخادع النور، والأشرار تعاقب بإرث نار الجحيم وعذابه الدائم الأليم (مت ٢٥ : ٤٦، رو ١٤ : ١٢، ٢كو ٥ : ١) والمجد لله الدائم البقاء.

فحمداً لنعمته ومجداً لقدرته وسجوداً لعظمته آمين.

تم الجزء الأول من هذا الكتاب بنعمة وتفاضل الملك الوهاب.







تنبيه

يقول مؤلفه الراهب البرموسي إنه بناء على طلب كثيرين ورغبتهم في مطالعة الحوادث التاريخية، واشتياقهم للوقوف على ما جرى في البيعة المسيحية، وطرأ على الإيمان الأرثوذكسي من البدع والخرافات والتعاليم النافلة والزيادات، فقد جبرتنا المحبة الأخوية والغيرة الروحية المسيحية أن نجيب طلبهم ونلبى دعوتهم.

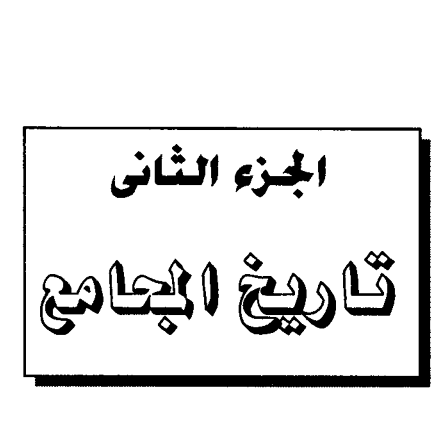
ولذا ألفنا جزءاً آخر وذيلنا به هذا الكتاب الشريف المستطاب محتوياً على تاريخ الحوادث التي صارت في البيعة من سنة ٣٠٠ إلى سنة ٥٨٠ بوجه التقريب، أعنى وقت البدع والهرطقات وقيام المجامع المسكونية لأجلها والاضطهاد الذي صار بسببها.

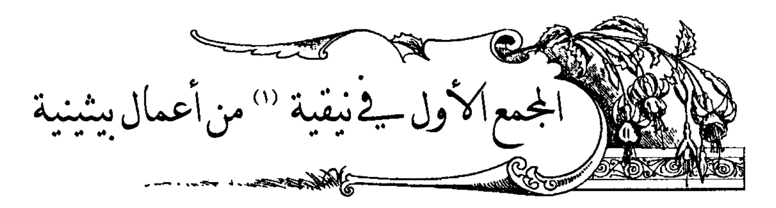
ومع إنه ماشٍ على نمط تاريخي فلم نُخلِه من بعض تعاليم دينية مفندة التعاليم الجديدة التي دخلت حديثاً في البيعة سواء كانت منا كدحض تعاليم انبثاق الروح القدس من الابن أيضاً، أو من غيرنا كرسائل القديس كيرلس الإسكندري وفصوله الاثنى عشر المعتبرة لدى جميع الطوائف، الدالة دلالة بليغة على وحدانية الابن المتجسد.

وتلك الحواشى التي كتبناها أيضاً رداً على حكم مجمع خلقدونية وقضائه الجائر، وتفنيد الحجج الفارغة التي طُرِد بسببها البطريرك الإسكندري مع باقي الأساقفة المناصرين للحق.

هذا ونحن مؤملون إن إقرارنا بقصورنا، وحلم القراء الواسع، يشفعان بنا لديهم، ويتكرمون على غلطاتنا بالصفح، وهفواتنا بغض الطرف، لأن عدم الملام من شئون الكرام والسلام.

✣ ✣ ✣


الجزء الثانى
تاريخ المجامع



المجمع الأول في نيقية [1] من أعمال بيثينية

إن سبب اجتماع مجمع نيقية هو القس أريوس الذي من ليبيا ، فهذا الشقى كان ماهراً عالماً ، ولكثرة علمه رُسم قساً في كنيسة الإسكندرية ، وعُين مفسراً للكتب الإلهية. ففي أثناء خطابه وتفسيره في الكتاب المقدس ابتدع بدعة في الثالوث القدوس، وقال:

"إن ابن الله مخلوق، أي أن الآب خلق ابنه وفوض لابنه السلطان فخلق جميع الأشياء المرئية والغير المرئية".

فإذا طنطنت هذه البدعة المخالفة لروح الوحي بأذني البابا بطرس الإسكندري خاتم الشهداء[2] فقطعه ونزله من مقامه وشلحه من كهنوته ، وطرده من شركة الكنيسة.

وكان يومئذ دقلديانوس [3] قد كفر بالمسيح وأمر بعبادة الأوثان ، فكان البابا بطرس يراسل الكنائس في كل موضع ، ويُشنّع بالأصنام وعبادتها ، مثبّتاً المؤمنين على عبادة السيد المسيح ، فحنق الملك دقلديانوس وغضب غضباً شديداً وأرسل جنوده إلى أرض مصر ليقتلوا أنصارها وأسقفها ،

---

(١) كانت نيقية مدينة تجارية، سهل الوصول إليها، ولها علاقات مع كل المدن وهى ثاني المدن في بيثينيا بعد نيقوميديا مقر الإمبراطور. تقع نيقية (وتدعى اليوم ايزنيك Isnik وهى قرية في تركيا) في الطرف الشرقي لبحيرة اسكانيوس، في السهل الصغير إلى شمالي – شرقي بروس وجبل الأولمب في بيثينيا. تأسست في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد على يد انتيغون ابن فيلبس، وسماها على اسمه انتيغونيا، وعندما احتلها ملك مقدونيا المسمى ليزيماك أراد اعطاءها أهمية أكبر، فأسكن فيها عدداً كبيراً من الشعب وأهداها لزوجته وسماها باسمها نيقية، تمت الاجتماعات فيها في كنيسة نيقية الكبرى وفي **القصر** الملوكي. (الناشر).

(٢) Peter I بطرس الأول البابا ١٧ من باباوات الإسكندرية (٣٠٠ – ٣١١م) (الناشر).

(٣) Diocletian الامبراطور دقلديانوس واسمه الحقيقى ديوقليز (٢٨٤-٣٠٥م) (الناشر).

فوصل جنوده إلى الإسكندرية، وفي الحال قبضوا على البطريرك واعتقلوه ووضعوه في السجن. فخشى أريوس أن يبقى مقطوعاً بعد موت البطريرك، فاستأجر بعضاً من الشعب واستغاث بهم لدى البطريرك، فلم يقبل بل زاده حروماً، ووصى تلميذيه أرشلاوس والكسندروس ألا يقبلا أريوس من بعد موته.

فغب أن استشهد البابا بطرس وقام أرشلاوس [1] تلميذه متخلفاً على الكرسي البطريركي قبل أريوس وأدخله في شركة الكنيسة، فمكث أرشلاوس ستة أشهر ومات، وقام بعده البابا الكسندروس [2] وطرد أريوس، وسبب ذلك أن البطريرك الكسندروس [3] كان يوماً يعظ عن الثالوث القدوس وقال: "إن الابن هو مولود من الآب"

فرد عليه أريوس قائلاً: "إن كان الآب قد ولد الابن فمن الواضح أن الابن له ابتدأ وجود، ومن لازم الضرورة أن ابتداء وجوده هذا كان من العدم، وحاجج أن الابن كُوِن من العدم فليس هو مساوياً للآب في الجوهر، بل طبيعته قابلة الاستحالة والتغيير كجميع الكائنات الناطقة، وإن الآب قد صنعه لكي يخلقنا به كما بآلة".

---

(١) Achillas أرشلاوس الأول أو أخيلاس البابا ١٨ من باباوات الإسكندرية (٣١٢م) (الناشر).

(٢) صورة رسالة الكسندروس إلى اسكندر من بيزنتيوم المسماة بعد ذلك قسطنطينية:

"إننا نؤمن كما تؤمن الكنيسة الرسولية بالآب الوحيد غير المولود، الواجب الوجود، وهو عديم التغيير والزوال، هو هو وبغاية الكمال لا يشوبه زيادة ولا نقصان، معطى الشريعة والأنبياء والأناجيل، رب الآباء والرسل وكل القديسيين، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، ليس مولوداً من العدم بل من الآب الحي، وليس حسب الجسد الهيولي بتفريق وفيضان الأجزاء كما زعم سابيليوس وفالنتيان، بل بنوع لا يدرك ولا يعبر عنه حسب المعتقد الذي ذكرناه سابقاً، فمن يخبر بجيله لأن وجوده غير مدرك عند كل الكائنات المائتة كما أن الآب غير مدرك، لأن العقول المخلوقة لا تقدر أن تفهم هذه الولادة الإلهية من الآب. لا أحد يعرف من هو الآب الا الابن ولا أحد يعرف من هو الابن إلا الآب، فإنه غير متغير كما أن الآب غير متغير، لا ينقص عن الآب شيئا سوى أنه ليس غير مولود، فهو الابن الكامل وصورة الآب التامة. لهذا يجب أن تحفظ للآب غير المولود العظمة اللائقة، وللابن يجب أن تقدم أيضا الكرامة اللائقة بانتدابنا له الولادة الأزلية من الآب".

(٣) Alexander I الكسندروس البابا ١٩ من باباوات الإسكندرية (٣١٣-٣٢٨) (الناشر).

فلما رأى الأب أن هذه البدعة أخذت تمتد، وتسبب اضطراباً وشغباً وانشقاقاً عظيماً في الكنيسة، حاول أن ينشل أريوس منها باستعمال النصائح، وإذا لم يجد من ذلك نفعاً عقد مجمعاً اجتمع فيه نحو مائة أسقف من أساقفة مصر وليبيا، وحرم أريوس وأتباعه وأفرزهم من شركة المؤمنين.

وكان يومئذ قد دخل قسطنطين [١] بن قسطنديوس في دين المسيحيين، وسبب دخوله هو أن أم هذا الملك كانت من بلد الرها (على نهر الفرات) سريانية الجنس، وكانت تلقنت التعاليم الدينية المسيحية من يد أسقف ذلك البلد، ولما مر قسطنديوس صاحب شرطة دقلديانوس ببلدها ونظرها فأعجبته فأخذها وتزوجها، حملها صحبته إلى بزنطية مدينته، فولدت له قسطنطين وكان جميلاً، فأنذر دقلديانوس منجموه قائلين له:

"إن هذا الغلام قسطنطين سيملك على الروم ويبدل دينهم"

فأراد قتله ففر منه إلى الرها بلد أمه، ودرس فيها الحكمة اليونانية، ومكث هناك حتى مات دقلديانوس، فعاد إلى بزنطية بلد أبيه فسلمها له أبوه ومات.

ولما تبوأ مملكة الغرب حصل اتفاق بينه وبين لكينيوس [٢] (خليفة دقلديانوس) على المحاماة عن المسيحيين، فكان مكسنتيوس ابن مكسيميانوس [٣] عدواً له الذي كان ملكاً في روما، فلما سمع أهل روما المسيحيين منهم بقيام هذا الملك ومحاماته عن المسيحيين استدعوه لينشلهم من اضطهاد مكسنتيوس. وإذا

---

(١) Constantius I أول الأباطرة البيزنطيين، اعتبر حكمه نقطة تحول أساسية في مسار الإمبراطورية الرومانية للإمبراطورية البيزنطية، كذلك كان نقطة تحول في تاريخ المسيحية. حيث أصدر مرسوم ميلانو عام ٣١٣ الذي أعلن فيه إلغاء العقوبات المفروضة على من يعتنق المسيحية وبذلك أنهى فترة اضطهاد المسيحيين (٣٠٧-٣٣٧م) (الناشر).

(٢) Licinius (٣٠٨-٣٢٤م) (الناشر).

(٣) Maximian الإمبراطور مكسيميانوس هرموليوس (مكسيميان) شريك دقلديانوس في حكم الغرب (٢٨٦-٣٠٥) (الناشر).

كان آخذاً في تجهيز الحرب وتدبير سيره رأى في السماء شكل الصليب وكتابة حوله: " قسطنطين بهذا تغلب"

فقص رؤياه على أعوانه ووضع شكل الصليب على أعلامه وبنوده وسائر أدوات حربه، وزحف بجيش عظيم إلى روما وحارب مكسنتيوس وفاز عليه وظفر به بغلبة بهية، وفيما كان مكسنتيوس منهزماً من أمامه سقط الجسر فاختنق في نهر تيبر، فدخل قسطنطين إلى روما ظافراً ونصب علامة الصليب في إحدى أسواقها، وأذن للمؤمنين بإجراء أمور دينهم بلا حرج، ولما آمن أبطل عبادة الأوثان وهدم البرابى [1]، وبنى البيع والكنائس، فاستراحت البيعة من الاضطهاد. ولما قطع أريوس من الأب الكسندروس استنجد [2] بأوسابيوس أسقف نيقوميديا وبثيوغنيس أسقف نيقية ومايس أسقف خلقيدون، وهكذا

(١) معابد الأوثان (الناشر).

(٢) صورة رسالة أريوس إلى الأسقف أوسابيوس أسقف نيقوميديا:[هى الوثيقة الأقدم في النزاع الأريوسي، وجهها أريوس إلى أوسابيوس أسقف نيقوميديا زميله في الدراسة عند لوكيانوس الأنطاكى، والذي سيصير مسانده الأكبر/ن] "يسلم بالرب أريوس المضطهد من الأسقف الكسندروس لسبب الحق الذى يعلو على الجميع، الذى أنت تحامى عنه أيضاً، بما أن امونيوس[على الأرجح هو أحد الرهبان/ن] منطلق إلى نيقوميديا رأيت لائقاً أن أكتب لك معه، وأخبر المحبة الوطنية والمودة اللتين تمارسهما للأخوة لأجل الله ومسيحه أن الأسقف يضطهدنا كثيراً ويضايقنا ويهيج الجميع علينا، حتى يطردنا من المدينة كأننا كافرون بالله، لأننا لا نتفق معه فى إعلانه الجهارى بأن الله أزلي والابن أزلي، وبأن الابن دائماً ابن، وأن الابن من الله ذاته.

وبما أن أخاك يوسابيوس القيصرى وثيودتوس [أسقف اللاذقية/ن] وبولينوس [أسقف صور/ن] وأثناسيوس [أسقف عين زربة/ن] وغريغوريوس [أسقف بيروت/ن] وايتيوس [أسقف ليدا /ن] وكل أهل الشرق يقولون أن 'الله كان قبل الابن وبدون بداية' فهم محرمون إلا فيلوغونيوس [الأنطاكى/ن] وهيللانيكوس [أسقف طرابلس(فينيقيا)/ن] ومكاريوس [أسقف أورشليم/ن] الأُمّيون الهراطقة الذين يقول أحدهم، إن الابن ضياء الآب، والآخر إنه أشعة منه، والآخر إنه مساوٍ للآب فى كونه غير مولود، فهذا الكفر لا تطيق آذاننا سماعه، ولو هددنا الهراطقة بألف ميتة، ما نقوله نحن ونعتقد به، وقد علمناه ولا نزال نعلمه أن ' الابن ليس غير مولود، ولا هو جزء من غير المولود بنوع ما، ولا صنع من مادة دون، بل بالإرادة والقصد وُجد قبل كل الدهور وقبل كل العالمين، إله تام، المولود الوحيد غير المتغير، وأنه قبل أن وُلد أو خُلق أو قُصد به أو تثبت لم يكن له وجود، لأنه لم يكن غير مولود قط ' إننا نقول إن للابن بداية ونضطهد أيضا لأننا نقول إنه من العدم، وهذا نقوله لأنه ليس جزءاً من الله ولا صُنع من مادة دون، فعلى هذا نُضطهد، وأنت تعلم البقية أستودعك الله".

أخـذت تمتـد شـيعته شـيئاً فـشيئاً، فـذهب أريـوس بهـم إلى الملـك قـسطنطين واستغاثوا به، وشكوا له من الكسندروس وأنه قطع أريوس ظلما بدون جناية، وإذا لم يـرد أن يقبـل منهم سـريعاً ويوجـب اللائمـة علـى البطريـرك، أرسـل طلبـه للحضور، فلم يأب البابا الكسندروس بل وجه عزمه قاصداً مدينـة الملك، فلما وصل مثل بين يدي الملك فأُخذ بالإكرام والاحترام التام.

واستخبر الملك عن حال أريوس من البطريـرك فقص عليـه حكايتـه ومـا بضميره مـن الاعتقـاد الفاسـد، وكيـف أن البابـا بطـرس خـاتم الـشهداء قطعـه وحرمـه وأوصى ألا يقبله أحد، فأراد الملك أن يحضر أئمـة المسيحيين وينظـروا في إيمـان أريوس فيتضح له الحق وينتفي عنه الباطل والكذب فأحضر:

أوسطاثيوس أسقف أنطاكية [١]، **ومقاريوس أسقف أورشليم** [٢] هذا الذي كان على يده العثور على الصليب المقدس

وأرسل في طلب **سيلفسترُس أسقف روما** [٣] فلم يحضر لشيخوخته وكبر سنه بـل أرسل قسين من قبله وهما فيكتور وفينشنزو.

وكذلك **مطروفانوس أسقف القسطنطينية** [٤] إذ كان مريضا أرسـل نائبـاً عنـه قسا اسمه الكسندروس [٥].

وأما الذي كان متقدما في هذا المجمع فهو **البابا الكسندروس**، فلما اجتمع الآباء مع بعضهم والأساقفة والقسوس.

---

(١) Eustathius أوسطاثيوس البطريرك ٢٣ من بطاركة أنطاكية (٣٢٥-٣٣٠) (الناشر).

(٢) Macarius I مقاريوس الأول البطريرك ٤٠ من بطاركة أورشليم (٣١٤-٣٣٣) (الناشر).

(٣) Silvester I سيلفسترس الأول البابا ٣٣ من باباوات روما (٣١٤-٣٣٥) (الناشر).

(٤) Metrophanes مطروفانوس البطريرك ٢٦ من بطاركة القسطنطينية (٣٠٦-٣٢٥) (الناشر).

(٥) Alexander صار الكسندروس فيما بعد البطريرك ٢٧ من بطاركة القسطنطينية (٣٢٥ - ٣٣٧) (الناشر).

ابتدأ أريوس يلقى مقالته على مسامع الآباء قائلاً:

كان الآب إذ لم يكن الابن، ثم أحدث الابن فصار كلمة له، فهو مُحدَث مخلوق كمثل كل أحد، ففوض الآب إليه كل شئ من السلطان، فخلق الابن المسمى بالكلمة كل شئ من السموات وما فيها والأرض وما فيها، فكان هو الخالق أعنى الابن بما أُعطى من السلطان. ثم أن تلك الكلمة أعنى الابن المخلوق تجسد من مريم العذراء والروح القدس فصار مسيحاً، فإذن المسيح معنيان فهو جوهران وهما جميعاً مخلوقان.

ثم جاويه البابا الكسندروس مقدام الأساقفة سائلاً إياه:

قل لي أيهما أوجب، عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا.

فقال أريوس:

عبادة من خلقنا أوجب.

فقال له البابا الكسندروس:

إن كان الابن خلقنا كما عَبّرت، وهو مخلوق فعبادته أوجب من عبادة الآب الذي ليس بمخلوق فتكون عبادة الخالق كفراً لأنه مخلوق، وهذا يبين فساد إيمانك وقبح معتقدك.

فلما أُفحم أريوس بهذا البرهان الثاقب تعجب الملك من حسن إجابته فاستصوب رأيه. وحرم الأب أريوس وكتب الملك بخط يده حرمه، وسأل البابا الكسندروس الملك أن يجمع مجمع أساقفة، فأمر أن يحضر الأساقفة من كافة الأقطار والجهات والأمصار، فتقاطرت إليه جماهير الأساقفة من كل مكان حتى بلغ عدد الأساقفة ما ينوف عن٢٠٠٠ أسقف، وكان منهم من كان على رأي بولس السيمساطى، وغيرهم من كان على رأي سابليوس ومانى وأوريجانوس وغيرهم من أصحاب البدع والخرافات، وقيل أن عدد البدع بلغ ٧٢ بدعة، فلما رأى الملك اختلاف البدع والخرافات المتنوعة رأى رأياً من الصواب

وهو أن يجعل هؤلاء جميعهم مدة من الزمان يتناظرون مع بعضهم، فأنزلهم في أماكن وأعد لهم الأطعمة وأمرهم أن يتناظروا في الإيمان وكان كذلك، واستمروا على الجدال والبحث مدة ستة أشهر.

- ❖ **وكان البعض من كان على رأي المسبتية:** وهؤلاء هم اليهود الذين دخلوا في الديانة المسيحية بقلوب مغشوشة، وكانوا يوقرون يوم السبت بدلاً من يوم الأحد، ويأمرون بأن تحفظ سُنة التوراة.
- ❖ **والبعض على رأي سيمون الساحر:** وهذا كان يدعو ذاته أنه ابن الله وقوته، وكان يُحدث عجائب بسحره حتى أنه عمل مركبة من شياطين وكان يطير عليها في الهواء، وأصحابه كانوا يعلقون في أعناقهم قلائد من خيوط حُمر عهداً ما بينهم وبين الشياطين، وكانوا يضفرون شعرهم كضفائر أحبار اليهود.
- ❖ **والبعض من كان على رأي مرقيون:** وهؤلاء الذين كانوا يؤمنون بثلاثة آلهة، صالح وطالح وعدل بينهما، وهؤلاء كانوا قد غيروا في الكتب المقدسة وزادوا في الإنجيل والرسائل، ورفضوا كتاب أعمال الرسل، وكتبوا بدله كتاباً وسموه كتاب الغاية والنهاية، وكانوا يزعمون أن مرقيون هو رئيس الرسل، وكانوا يصلون بمزامير غير مزامير داود كانوا قد استحدثوها، وأنكروا القيامة.
- ❖ **والبعض من كان على رأي أصحاب التناسخ وهم يدعون السفطائية:** وكانوا يقولون بأن أرواح البشر تدخل في البهائم، وأن الناس كالنبات لا حساب عليهم ولا قيامة لهم، وأجرهم يستوفونه في دنياهم.
- ❖ **والبعض كانوا على رأي ماني:** وهذا الشقي كان يؤمن بإلهين صالح وطالح، وأن الصالح خلق النور والخير، والطالح خلق الظلمة والشر

والأجساد. وكانوا يحرمون أكل اللحمة والزواج، وكانوا يعتقدون بالسحر والتنجيم.

- **والبعض كان على رأي بولس السيمساطى (بطريرك أنطاكية)**: وهذا كان يؤمن بأن الله جوهر واحد وأقنوم واحد، وما كان يعترف بالكلمة أنه مخلص، ولا بالروح القدس المحيى، وكان يقول عن المسيح إنه إنسان خُلق من اللاهوت مثل آدم وباقي بنى البشر، وإن الابن مبتدئ من مريم، وإنه اصطُفي بالموهبة ليكون مخلصاً للجوهر البشرى، وأصحابه قد غيروا في الإنجيل المقدس وباقي الكتب الإلهية على ما يوافق رأيهم.
- **والبعض كان على رأي الفودانية**: وهؤلاء هم الذين كانوا يؤمنون بأن الأقانيم مركبة، وكانوا يصومون ويصلون ويأوون الغرباء، ويدمنون البكاء والنحيب طول الليل والنهار، ويلبسون السواد، ومن كان لم يتبع رأيهم ويسلك مسلكهم يخرجونه من وسطهم.
- **والبعض من كان على رأي الفوقانية**: وهم الذين يتنجسون من الموتى، وكان إذا مات عندهم ميت، يؤجرون له أجيراً ليدفنه، وكانوا يبيحون الزنا، ويتجنبون من كان فيه عاهة ردية كالجرب والجذام والبرص، وقد غيروا كتب الحديثة وكتبوا إنجيلاً باسم الرسل جميعهم.
- **والبعض من كان على رأي الدميصانية**: وهم الذين كانوا يلبسون لباساً أبيض، محتجّين بأن من لبس لباساً أبيض كان من نصيب إله النور، وعكس ذلك من لبس لباساً أسود.
- **والبعض من كان على رأي المريمية**: وهم الذين كانوا يتخذون مريم العذراء إلهة ويعبدونها، وكانوا يصومون على مدار السنة أربعة أصوام، وكل منها أربعين يوم.

- ❖ **والبعض من كان على رأي الطيماتية:** وهؤلاء كانوا متفقين مع المؤمنين في كل شئ ماعدا أنهم كانوا يرذلون الأغنياء، محتجين بقول المسيح كونوا مثل طيور السماء التي لا تزرع و لا تحصد، وما يتلوه بقوله لا تتخذوا قنية.
- ❖ **والبعض من كان على رأي البربرانية:** وهم كالمريمية قائلين إن المسيح ومريم إلهان.
- ❖ **والبعض من كان على رأي باسيليوس:** وهم الذين يقولون بأن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار فلم تنقص.
- ❖ **والبعض من كان على رأي العابادانية:** يسمون الأتقياء، وهؤلاء كانوا يستعملون كثرة الصوم والغسل من كل الأشياء، ولم يبدلوا الإيمان ولا حرفوا الكتب، وكانوا يرذلون الخطاة، ويقولون إنه لا توبة لمن أخطأ، ومن أخطأ منهم أخرجوه من وسطهم.

وقيل إن البدع بلغت سبعين بدعة، ولم يزل الآباء مجتهدين حتى أطفأوها بالكلية، والذين استقرت آرائهم حسب الوحي الإلهي هم **الثلاثمائة والثمانية عشر**، فقبل إيمانهم، ورفضت كل بدع باقي الأساقفة، **وهذا منطوق لسانهم في الإيمان:**

نؤمن بإله واحد [1]

✠ «لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أخرى أَمَامِي» (خر ٢٠ : ٣).

✠ «الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ» (تث ٦ : ٤).

✠ «الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَعَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ. ليْسَ سِوَاهُ» (تث ٤ : ٣٩).

✠ «أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. لاَ إِلَهَ سِوَايَ... أَنَا الرَّبُّ وَلاَ إِلَهَ آخَرَ غَيْرِي؟ إِلَهٌ بَارٌّ وَمُخَلِّصٌ. لَيْسَ سِوَايَ» (اش ٤٥ : ٥ ، ٢١).

✠ «وَأَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَإِلَهاً سِوَايَ لَسْتَ تَعْرِفُ وَلاَ مُخَلِّصَ غَيْرِي» (هو ١٣ : ٤).

---

(١) إن السند الكتابي لقانون الإيمان كان في أصله هامشاً وقد رفعناه وأرفقناه بالآيات لأهميته.

لاحظنا أن قوانين الإيمان في القرون الثلاثة الأولى بنوع خاص، تعتمد غالبيتها صيغة المتكلم بالجمع أى «نؤمن» وليس «أؤمن» باستثناء اعتراف الإيمان، الذي يتلوه الموعوظ لدى اعتماده. ومن الملاحظ أن بعض الترجمات اللاتينية للنص الأصلي اليونانى استبدلت في الترجمة صيغة الجمع بصيغة المفرد. وتعبر صيغة المتكلم بالجمع عن انتساب المؤمن إلى الجماعة وعن إيمانه داخل إطار الكنيسة، فصحيح أن الإيمان أمر فردي، ولكنه أيضاً جماعي، فلا إيمان خارج الجماعة. أضف إلى أن صيغة الجمع تتضمن على صيغة المفرد، أى الأنا ضمن الـ نحن. فلا يجوز، لا منطقياً وعلمياً، أن نترجم اليوم صيغ الجمع بالمفرد ونستخدمها وكأن النصوص الأصلية موضوعة هكذا. كما أن دستور إيمان نيقية الأول والقسطنطينية الأول، الذي نتلوه في كنائسنا، كما هو جلي في نصه، يستعمل صيغة الجمع.

ويبدو لنا ألا التباس ولا غموض في هدف الآباء من استخدام صيغة الجمع: فأولاً: إننا نؤمن الإيمان ذاته، أي أن هناك إيمان واحد لدى الجميع، وثانياً: إن هذا الإيمان الواحد تحدّد صحته الكنيسة (وبالتأكيد السلطة فيها هى المخوّلة بهذا) فنحن إذاً في قانون الإيمان نعترف جميعاً بالإيمان عينه. وثالثاً: إن اعتراف الإيمان الذي نتلوه خصوصاً أثناء القداس الإلهي، إنما نعلنه ضمن خدمة كنسية، أي ضمن ومع الجماعة، وهذه الليتورجيا المقدسة مليئة بعبارات الـ «نحن» فالقداس هو عمل جماعة، وهو ليس مجرد أفراد مجتمعين جنباً إلى جنب، لا يربط بينهم أى رابط، لأننا نكوّن هنا فعلياً الكنيسة، فمن الأولى أن نصرّح عن إيماننا سوياً ومعاً، كما أننا نشترك في هذه الخدمة جماعياً، ونتناول الجسد والدم الأقدسين نفسيهما. ورابعاً: يختلف اعتراف الإيمان في القداس عنه في خدمة سر المعمودية المقدس، ففي المعمودية يستفسر خادم السر المتقدم منه عن إيمانه، فيجيبه ذاك مفصحاً عن إيمانه الشخصي. وإذا ما كان إيمانه موافقاً الإيمان الكنسي، يُكمل الكاهن السر. (الناشر).

✞ «لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ» (مت ١٩ : ١٧).

✞ «لأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ» (رو ٣ : ٣٠).

✞ «الْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلَهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟» (يو ٥ : ٤٤).

✞ «لَيْسَ إِلَهٌ آخَرُ إِلاَّ وَاحِداً... لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ» (١كو ٨ : ٤ ، ٦).

الآب ضابط الكل

✞ «تَقَلَّدْ سَيْفَكَ عَلَى فَخْذِكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ جَلاَلَكَ وَبَهَاءَكَ» (مز ٤٥ : ٣).

✞ «أَبُو الْيَتَامَى وَقَاضِي الأَرَامِلِ اللهُ فِي مَسْكَنِ قُدْسِهِ» (مز ٦٨ : ٥).

✞ «لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ» (١كو ٨ : ٦).

✞ «رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلَهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ» (أف ٤ : ٥ ، ٦).

✞ «بُولُسُ رَسُولٌ لاَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ بِإِنْسَانٍ، بَلْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللهِ الآبِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ .. نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ الآبِ، وَمِنْ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (غل ١ : ١ ، ٣).

خالق السماء والأرض ما يُرى وما لا يُرى

✞ «فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا» (خر ٢٠ : ١١).

✞ «أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ وَحْدَكَ. أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاوَاتِ وَسَمَاءَ السَّمَاوَاتِ وَكُلَّ جُنْدِهَا وَالأَرْضَ وَكُلَّ مَا عَلَيْهَا وَالْبِحَارَ وَكُلَّ مَا فِيهَا وَأَنْتَ تُحْيِيهَا كُلَّهَا» (نح ٩ : ٦).

✞ «أَقْسَمَ بِالْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ، الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَمَا فِيهَا وَالأَرْضَ وَمَا فِيهَا وَالْبَحْرَ وَمَا فِيهِ» (رؤ ١٠ : ٦).

✞ «فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشاً أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ» (كو ١ : ١٦).

ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور

✞ «أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ» (مز ٢ : ٧).

✞ «إِنَّ اللهَ قَدْ أَكْمَلَ هَذَا لَنَا نَحْنُ أَوْلاَدَهُمْ إِذْ أَقَامَ يَسُوعَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَيْضاً فِي الْمَزْمُورِ الثَّانِي: أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ» (اع ١٣ : ٣٣).

✞ «لأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ: أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ؟ وَأَيْضاً: أَنَا أَكُونُ لَهُ أَباً وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْناً؟» (عب ١ : ٥).

✞ «أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ» (عب ٥ : ٥).

- ✞ «لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً إِلَهاً قَدِيراً أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ» (اش ٩ : ٦).
- ✞ «فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطاً عَلَى إِسْرَائِيلَ وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ» (مى ٥ : ٢).
- ✞ «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً... اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ» (يو ١ : ١٤ ، ١٨).
- ✞ «لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو٣ : ١٦).
- ✞ «لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ» (١كو ٨ : ٦).
- ✞ «رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ» (أف ٤ : ٥).
- ✞ «وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللَّهِ الآبِ» (فى ٢ : ١١).
- ✞ «إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ فَبِالأَوْلَى كَثِيراً الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رو ٥ : ١٧).
- ✞ «اَلإِلَهُ الْحَكِيمُ الْوَحِيدُ مُخَلِّصُنَا، لَهُ الْمَجْدُ وَالْعَظَمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ، الآنَ وَإِلَى كُلِّ الدُّهُورِ. آمِينَ» (يه ٢٥).

نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق

✞ «رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِساً عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ.... قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ» (اش ٦ : ١ ، ٣).

✞ «إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً» (يو ٣ : ١٩).

✞ «النُّورُ مَعَكُمْ زَمَاناً قَلِيلاً بَعْدُ فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلَّا يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ» (يو ١٢ : ٣٥).

✞ «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ ...لأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللهِ وَأَتَيْتُ. لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي» (يو ٨ : ١٢ ، ٤٢).

✞ «خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ وَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ وَأَيْضاً أَتْرُكُ الْعَالَمَ وَأَذْهَبُ إِلَى الآبِ» (يو ١٦ : ٢٨).

مساوٍ للآب في الجوهر

✞ «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ» (يو ١ : ١).

✞ «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يو ١٠ : ٣٠).

✞ «كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي» (يو ١٦ : ١٥).

✞ «إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ

الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ» (يو ١٠ : ٣٨).

✝ «يَا سَيِّدُ أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا ... اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ أَرِنَا الآبَ؟ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ. صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا» (يو ١٤ : ٨ - ١١).

✝ «أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ ... لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ» (يو ١٧ : ٢١ ، ٢٢).

الذى به كان كل شئ

✝ «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ» (يو ١ : ٣).

✝ «السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (أف ٣ : ٩).

✝ «فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشاً امْ سِيَادَاتٍ امْ رِيَاسَاتٍ امْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ» (كو ١ : ١٦).

✝ «كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثاً لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضاً عَمِلَ الْعَالَمِينَ» (عب ١ : ٢).

✝ «أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ» (رؤ ٤ : ١١).

✝ «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَبِنَسَمَةِ فَمِهِ كُلُّ جُنُودِهَا» (مز ٣٣ : ٦).

الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا

✠ «لأَنَّ الْمَسِيحَ إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لأَجْلِ الْفُجَّارِ... وَلَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا» (رو ٥ : ٦ ، ٨).

✠ «فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا ، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ ، مُمَاتاً فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ» (١بط ٣ : ١٨).

✠ «فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا ، تَارِكاً لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُواتِهِ» (١بط ٢ : ٢١).

نزل من السماء وتجسد من الروح القدس

«لَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ» (يو ٣ : ١٣).

«لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يو ٦ : ٣٨).

«أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا : لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. ... إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً : يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (مت ١ : ١٨ — ٢٠).

ومن مريم العذراء وتأنس

✞ «هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ» (اش ٧ : ١٤).

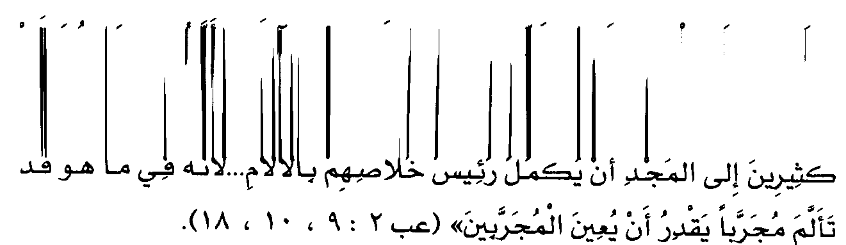
✞ «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ فَلِذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ» (لو ١ : ٣٥).

✞ «لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ» (غل ٤ : ٤).

وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى وتألم وقبر

✞ «لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْماً وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ» (اش ٥٣ : ٤ — ٩).

✞ «وَلَكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ. لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ



كثيرينَ إلى المَجْدِ أنْ يُكمِلَ رئيسَ خلاصِهِم بالآلامِ...لأنه في ما هو قد تألَّمَ مُجرَّباً يقدِرُ أنْ يُعينَ المُجرَّبينَ» (عب ٢ : ٩ ، ١٠ ، ١٨).

- «فإنَّ الْمَسيحَ أيْضاً تألَّمَ لأجْلِنَا ، تارِكاً لَنَا مِثالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُواتِهِ» (١بط ٢ : ٢١).
- «أمَّا يَسُوعُ فَجَلَدَهُ وَأَسْلَمَهُ لِيُصْلَبَ» (مت ٢٧ : ٢٦).

وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب

- «لَيْسَ هُوَ هَهُنَا لأنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ. هَلُمَّا انْظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعاً فِيهِ» (مت ٢٨ : ٦).
- «لِهَذَا مَاتَ الْمَسِيحُ وَقَامَ وَعَاشَ لِكَيْ يَسُودَ عَلَى الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ» (رو ١٤ : ٩).
- «وَأنَّهُ دُفِنَ وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ» (١كو ١٥ : ٤).
- «إنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذَلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أيْضاً مَعَهُ» (١تس ٤ : ١٤).

وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه

- «ثُمَّ إنَّ الرَّبَّ بَعْدَمَا كَلَّمَهُمُ ارْتَفَعَ إلَى السَّمَاءِ وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ» (مر ١٦ : ١٩).
- «وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمُ انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إلَى السَّمَاءِ» (لو ٢٤ : ٥١).
- «فَرَأَى مَجْدَ اللهِ وَيَسُوعَ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ» (اع ٧ : ٥٥).

وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات

- «فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ» (مت ١٦ : ٢٧).
- «لأَنَّ مَنِ اسْتَحَى بِي وَبِكَلاَمِي فَبِهَذَا يَسْتَحِي ابْنُ الإِنْسَانِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِهِ وَمَجْدِ الآبِ وَالْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ» (لو ٩ : ٢٦).
- «إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقاً إِلَى السَّمَاءِ» (اع ١ : ١١).
- «هَذَا هُوَ الْمُعَيَّنُ مِنَ اللهِ دَيَّاناً لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ» (اع ١٠ : ٤٢).
- «أَنَا أُنَاشِدُكَ إِذاً أَمَامَ اللهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الْعَتِيدِ أَنْ يَدِينَ الأَحْيَاءَ وَالأَمْوَاتَ، عِنْدَ ظُهُورِهِ وَمَلَكُوتِهِ» (٢تى ٤ : ١).
- «الَّذِينَ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَاباً لِلَّذِي هُوَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ أَنْ يَدِينَ الأَحْيَاءَ وَالأَمْوَاتَ» (١بط ٤ : ٥).

الذى ليس لملكه انقضاء

- «كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَاناً وَمَجْداً وَمَلَكُوتاً لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ» (دا ٧ : ١٣ ، ١٤).
- «وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ» (لو ١ : ٣٣).

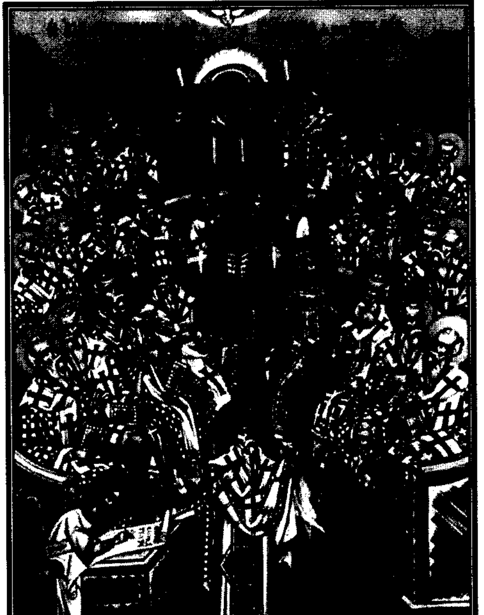
ثم عرضوها على الملك فقبلها دون جميع الاعتقادات، وحرموا من لم يؤمن بها، وحرموا أريوس وشيعته، وكل من لا يحذو حذوهم في الاعتقادات، ثم سنوا للملك سنناً، ووضعوا قوانين [1] للبيعة مثلما وفقهم الروح الكلي قدسه.

---

(١) إن المجمع النيقاوي وضع عشرين قانوناً للبيعة وقيل ثمانين، فالعشرون هي هذه:

١. يُمنع قبول رسامة كل من خصى نفسه، أو كان خصياً.
٢. يُمنع رسامة الداخلين حديثاً للإيمان حسب (اتى ٣ : ٦) غير حديث الإيمان لئلا يتصلف فيسقط في دينونة إبليس.
٣. يُمنع الاكليروس من كل رتبة، عن ادخال النساء أو مدبرات البيوت ما لم يكن من أنسبائه لحما.
٤. يأمر بأن الرسامات تكون بوجه العموم من كل أساقفة الولاية، ولا تكون أصلا من عدد أقل من ثلاثة أساقفة، ويقتضى لها تثبيت الميتروبوليت فى كل الأحوال.
٥. إذا حرم أسقف واحد اكليريكياً أو عامياً، فحُرمه صحيح رابط فى كل مكان إلى أن يفحصه ويحكم عليه مجمع الولاية، وهكذا يجب أن يلتئم مجمع لأجل هذه الغاية وغيرها من المصالح العامة مرتين فى السنة، مرة فى الخريف ومرة قبل الفصح.
٦. يُعطى بطريرك الاسكندرية كل الحقوق التي كانت له من قديم، على أساقفة مصر وليبيا والخمس المدن وكنائسها، وأيضاً يعطى بطريركا رومية وأنطاكية امتيازاتهما، وتعطى أيضاً المطرانية حق السلب فى كل الانتخابات للوظيفة الأسقفية داخل ولاياتهم الشخصية.
٧. يعطى أسقف أورشليم رتبة مطران بدون أن ينزع عن قيصرية القصبة القديمة شرفها.
٨. يسمح للأساقفة والاكليروس النوفاتيين أن يرجعوا للكنيسة، ويظلوا على رتبتهم ووظائفهم، إذ أطاعوا قوانين الكنيسة من جهة الزواج ثانية والاشتراك مع الراجعين.
٩. ١٠. يطلب أن القسوس الذين ارتدوا قبل رسامتهم، أو ارتكبوا ذنباً آخر لا يؤهلهم قانونياً لوظيفتهم المقدسة يعزلون من وظيفتهم حال ما يتأكد عدم أهليتهم.
١١. يطلب من المرتدين فى الإضطهاد الأخير فى عهد ليسينيوس أن يعملوا :
   - رياضة ثلاث سنين خارج أبواب الكنيسة.
   - رياضة ست سنين فى الرواق بين الموعوظين.
   - أن يُسمح لهم بأن يكونوا حاضرين فى ممارسة العشاء الربانى ، ولا يشتركوا فيه مدة سنتين.
١٢. يطلب من المرتدين المشطين ضلالاً أن يجرى عليهم هذا التأديب عينه، غير أنهم يجب أن يبقوا عشر سنين بين الموعوظين، وعلى الأساقفة أن يستعملوا حكمتهم فى كل المدة.
١٣. يُسمح أن يعطى العشاء الربانى لكل نادم تائب مشرف على الموت، وإن شُفى يحضر فى ممارسة العشاء بدون أن يتناول.
١٤. على الموعوظين الراجعين أن يصرفوا ثلاث سنين فى الرياضة خارج أبواب الكنيسة.
١٥. يُمنع انتقال الأساقفة والقسوس والشمامسة من كنيسة إلى أخرى.

وألحقوا صوم الأربعين بجمعة الآلام، (لأن المسيحيين كانوا سابقا يبدأون بالصوم من الغطاس) ثم دونوا الأبُقطى في البيعة، وأوصوا أن لا يعيد عيد القيامة إلا بعد عيد اليهود لا معهم ولا قبلهم، ووضعوا قانوناً أن من أشكل عليه أمر في الحساب أو المعتقد فليسأل البطريرك الإسكندري.



صورة تمثل مجمع نيقية

وهكذا انصرفوا بغاية الإكرام وانشراح صدر إلى كراسيهم ممجدين الله الذي أنعم عليهم بتوطيد أمر الإيمان الرسولى الأرثوذكسي.

ثم لما توفى الملك البار قام ابنه تبوأ سُدة المُلك وأمسك زمامه، وكان أريوس لم يزل ينفث سمه في قلب الجميع، فانتهز الفرصة ووجه عزمه ليغش الملك ويجعله أن يوافق رأيه، فشكى له من الكسندروس ليشركه مع المؤمنين، فأرسل بطلبه.

١٦. القسوس والشمامسة الذين يتركون كنائسهم ويذهبون إلى غيرها، يمنعون من الاشتراك ويرجعون، وأيضاً لا يُسمح للأساقفة بأن يرسموا أحد من رعية أساقفة آخرين بدون رضاهم.

١٧. يطلب عزل كل اكليريكى يعطى ماله بالرباء.

١٨. ينهي الشمامسة عن تقديم الخبز والخمر إلى القسوس، أو عن أن يشتركوا أمام الأسقف أو أن يجلسوا مع القسوس.

١٩. إن أتباع بولس السميساطى حين يرجعون إلى الكنيسة يجب أن تُعاد معموديتهم ورسامتهم قبل أن يمكنهم ممارسة وظيفة اكليريكى.

٢٠. ينهي الركوع فى صلاة يوم الرب، وفى الصلاة من الفصح إلى العنصرة.

وكان يومئذ عند البطريرك شماس عجيب بالفصاحة ورشاقة الألفاظ، وهذا الابن النجيب كان ابن أرملة وثنية، وقد أرادت أن تزوجه فما أمكنها ذلك، وكانت على الدوام تلح عليه ليتم مرغوبها وتحسن له الزيجة، وتريه أجمل ما يكون من البنات، فكان مع حسن منظره وجمال رؤيته وبهاء حسنه وعنفوان شبابه وحدّة صباه وطراوة عوده يأبى القبول ويصعب عليه سماع ألفاظ أمه، وبعدما عانت أتعاباً شاقة، أنذرها أحدهم بأن ابنك هذا سيتطرق بطريق الجليلى لأن إماراته ظاهرة عليه.

فأخذت تبحث عن ذلك الجليلي وما طريقه، وإذ كُشف لها النور أخذت ابنها وذهبت إلى البابا الكسندروس وقصت عليه حكايتها، فتنصرت هي وابنها، ورُسم أثناسيوس شماساً وبقى عند الأب البطريرك، فاهتم به هذا الأب ورباه مؤدباً إياه، فأنعم بالحكمة والقريحة وفصاحة اللسان ورشاقة الألفاظ البديعة، ففاق معلمه بعلوم البيعة، وصار ولداً بديعاً ذا قامة جميلة، طاهراً عفيفاً نقياً باراً، ولحسن سيرته دخل حبه في قلب الشعب المسيحي ولا سيما إذ كان على الدوام يزداد عفة وطهارة مثابراً على رضى ربه، فلما وجه البطريرك عزمه قاصداً قسطنطين وإذ كان شيخاً طاعناً في السن، أخذ صحبته هذا الابن النشيط المتغذي من لبن أمه الكنيسة الأرثوذكسية، وأقوال الآباء القديسين كبطرس الشهيد وأغناطيوس وديوناسيوس واكليمندس.

فلما وصلا إلى القسطنطينية وتقابلا مع الملك أُنزلا بمكان، وشرع أثناسيوس يحاجج أريوس وأصحابه، ويثبت لهم أزلية كلمة الله بالأدلة القاطعة والبراهين الواضحة الساطعة، ولما أتى اليوم الموعود به للاجتماع والاحتجاج حضر الفريقان، وجلس الملك مع أرباب دولته، فابتدأ أريوس يلقى مقالته، فبرز الشماس أثناسيوس بأمر معلمه لمصادمته، وهكذا دار الجدال بين أثناسيوس

وأصحاب أريوس، وإذ شعر أريوس بالظفر به وأن لا قدرة له أن يناصب أثناسيوس فسخ حكم هذا اليوم وجلسته، واستأذن من الملك أن يكون لهم يوم آخر، وهكذا ذهب كل إلى حال سبيله في ذلك اليوم، ثم أن أريوس دفع للبوابين رشوة لكي لا يدعوا أثناسيوس أن يدخل في الجلسة التالية، فلما كان اليوم المقرر، أمر الملك بإحضار كلا الطرفين، فحضروا وإذ دنا أثناسيوس أن يدخل صحبة معلمه منعه البوابون فبقى خارجاً، فجلس الملك والبطريرك بحضرته، فأخذ أريوس يتكلم وأكثر الكلام، فألتفت الأب باحثاً عن تلميذه وإذ لم يجده قال للملك إن كليمي مُنع من الدخول فليأمر الملك بإحضاره.

وإذ علم بالحيلة التي صنعها أريوس وأصحابه أمر بإحضاره فحضر، وابتدأ يفند براهين أريوس وأصحابه، وإذا أُفحم أريوس أكمد غيظه وخرج من المجمع خجلاً، فقال حينئذ الكسندروس:

"اعلم أيها الملك أن أريوس كان في المجمع النيقاوي، ولست أنا الذي قطعته وحدي، بل بقية الآباء، وأبوك نفسه قد كتب حرمه بخط يده، فلا أستطيع أن أحالله، وإلا فيكون ذلك بدعة مني".

فأطلق الكسندروس إلى كرسيه وبقى أريوس محروماً مع أصحابه، ولما تنيح الأب الكسندروس أقيم بعده أثناسيوس تلميذه على الكرسي الإسكندري. وإذا كان فشا تعليم أريوس ونما في مدينة الإسكندرية، أخرج البطريرك شيعة أريوس وقرأ حروم المجمع المقدس في البيعة على مسامع أهل الإسكندرية، وإذا سمع أصحاب أريوس أخذتهم كاظمة الغيظ وأخذوا يصنعون حيلاً، فتظاهروا بقبول دستور الإيمان المؤلف من مجمع نيقية، فنالوا الصفح والرخصة بالعودة من نفيهم، فأخذوا يستعملون إذ ذاك كل وسيلة ليهيجوا القيصر بالغضب على أثناسيوس ويبرئوا أريوس، مبلغين القيصر إنما

حكم على أريوس لعدم توضيح القضية على حقيقة الحال، وسألوا الملك أن يكتب إلى أثناسيوس ويأمره بقبول أريوس في الكنيسة.

فاقتنع القيصر، إلا أنه طلب من أريوس أن يكتب تلخيص عقائد إيمانه ويقدمه له، فأرسله القيصر إلى الأساقفة في أورشليم مع رسائل يطلب بها منهم أن يحكموا فيما يلاحظ أريوس برفق ولين، فكتب من كان فيها من أصحابه إلى أثناسيوس قائلين: إن إيمان أريوس صحيح، وإنه يجب أن يقبل في الكنيسة إتباعاً لخاطر القيصر.

فجاء أريوس إلى مصر حاملاً رسائل قيصرية ومجمعية ولكنه خاب أمله إذ لم يقبله أثناسيوس، فمن ثم شرع الأريوسيين يثلبون أثناسيوس راشقين إياه بمذمات لا تحصى، فاضطر القيصر أن يأمر بعقد مجمع في مدينة صور للفحص عما رُشق به أثناسيوس من المذمات ونُسب إليه من الذنوب، فاجتمع ستون أسقفاً وحكموا عليه، وكان هو قبل صدور الحكم عليه قد التجأ إلى القيصر إلا أن أضداده سعوا به عند الملك فنفاه إلى مدينة تريباس في فرنسا سنة ٣٣٦ م، فأقام بها مدة سنتين وأربعة أشهر.

وبعد نفيه حاول الأريوسيين أن يُنصّبوا أريوس مكانه، فمضى أريوس إلى الإسكندرية إذ لم يطق الشعب جلوسه حدث شغب واضطراب ألزما القيصر أن يأمر أريوس بالحضور إلى القسطنطينية.

وكان يومئذ على كرسي القسطنطينية شيخ جليل اسمه الكسندروس، شديد الاعتصام بإيمان مجمع نيقية، فحاول الأريوسيين أن يقنعوه بأن يقبل أريوس ليقدس ويشترك معه فلم يقبل، فسعوا في الحصول على أمر من الملك.

فدعا الملك البطريرك وقال له:

هوذا بطريرك الإسكندرية وجماعته قد امتنعوا من قبول أريوس وخالفوا أمرنا، وحيث أنى أنا أقمتك وأجلستك بطريركا فيجب عليك أن لا تخالفنا ولا تعص أمرنا كغيرك، فاقبل أريوس واشركه في الرتبة الكهنوتية.

فأجاب البطريرك الملك وقال: إن أريوس لا تقبله البيعة، فإن إيمانه مفسود، والبيعة لا تقبل إلا من كان يؤمن بإيمانها، أما هذا فقد جعل الابن مخلوقا فكيف نقبله.

فقال له الملك: ليس الأمر كذلك فان إيمان أريوس مستقيم، وهو معتقد باعتقاد البيعة، ومؤمن بالثالوث القدوس.

فقال البطريرك: إذا كان الأمر كذلك فليكتب إيمانه بخط يده.

فكتب إيمانه بخط يده وهو يضمر خلافه، ثم استحلفه البطريرك هل هذا ايمانه فحلف.

فقال البطريرك للملك:

إن أثناسيوس كان قد أخرج حروم أريوس الموضوع فيها خط أبيك وقرأها في البيعة، فمن الآن إلى ثمانية أيام إن لم يجر على أريوس مفاعيل الحروم فاقبله.

وهكذا انصرف البطريرك من عند الملك، وأمر البيعة أن تصوم ذلك الأسبوع وتبتهل إلى الله ليخلصوا من ذنب أريوس، فلما أقبل اليوم الذي كان أريوس مزمعاً أن يشترك فيه مع الأسقف، تطيب أريوس وزحف إلى البيعة مع أصحابه ودخل إلى الكنيسة وجلس مجلس أحد الكهنة متعظما، حينئذ ابتدأ البطريرك بالصلاة وأخذ يطلب من الله أن يتدارك الأمر بمعجزة، فأصاب أريوس وجع في بطنه ونزف دم وخرج خارجاً ومات بهما أشر عاقبة، ففرح حينئذ البطريرك فرحاً زائداً.

ثم إذ كان قسطنطين الكبير خلف ثلاثة بنين قسطنطين وقسطنديوس وقسطاس فاقتسموا المملكة فيما بينهم فأخذ قسطنطين [1] وهو أكبرهم أسبانيا وفرنسا وبريطانيا وقسطنديوس [2] بلاد المشرق وقسطاس [3] إيطاليا وأفريقيا وصقلية، فقسطنطين أذن لأثناسيوس بالعودة إلى الإسكندرية، فعاد راجعاً إليها، فاستقبله المسيحيين فيها بسرور عظيم، إلا أن أوسابيوس أسقف نيقوميديا، وبثيوغنيس أسقف نيقية وباقي من اعتصم ببدعة أريوس تمكنوا بواسطة أحد القسوس من اجتذاب جميع من كان في بلاط قسطنديوس الملك في القسطنطينية حتى اضطر نفس الملك إلى قبول معتقدهم الوخيم، وأخذوا يرشقون أثناسيوس بمذمات عظيمة ساعين به عند أسقف روما أيضاً، فلما بلغ أثناسيوس ذلك أرسل إلى روما رسلاً يحتجون عنه مدحضين ما لفقه الأريوسيون ضده من المذمات الكاذبة، ثم طلب الأريوسيون أن يعقد مجمع في روما، فذهب أثناسيوس إليه بها منتظراً مدة سنة و ستة أشهر، وإذ لم يحضر إليها أخصامه عاد راجعاً إلى الإسكندرية.

أما أوسابيوس فعوض أن يذهب إلى روما عقد مجمعاً في أنطاكية، وشرطن [4] أسقفاً من الأريوسيين بدل أثناسيوس يسمى غريغوريوس، فمضى غريغوريوس إلى الإسكندرية مصحوباً بجند وافر، فخاف أثناسيوس وانصرف إلى روما خفية.

---

(١) Constantine II (٣٣٧ – ٣٤٠م) (الناشر).

(٢) Constantius II (٣٣٧-٣٦١م) (الناشر).

(٣) Constans I (٣٣٧-٣٥٠م) (الناشر).

(٤) الشرطونية: هي اللفظة القبطية للكلمة اليونانية الأصل (Χειροτονι'α ـ خيروطونيا) وهى تتكون من مقطعين: (Χειρο خيرو): أي يد، (τονι'α طونيا): أي وضع. ومعناها وضع اليد ويُقصد بها السيامة (الناشر).

وكان قد جاء إليها بولس أسقف القسطنطينية [1] مطروداً من قسطنديوس الملك فأرسل يوليوس أسقف روما [2] حينئذ كلا منهما إلى ابروشيته برسائل توصية. إلا أن الملك نفي بولس بحال وصوله وأقام عوضه مقدونيوس الأريوسى، فلما بلغ أثناسيوس ما أصاب بولس هرب راجعاً إلى إيطاليا.

ثم انعقد مجمع في سردقية من أعمال ايليرية حكم برجوع بولس وأثناسيوس وثبت حقيقة مجمع نيقية، وفيما كان أثناسيوس راجعاً دخل إلى القسطنطينية فمسكه الملك ووضعه في مركب بدون أكل ولا شرب ولا مدبر، وبتوفيق الله أخذته الرياح وأوصلته في مدة ثلاثة أيام إلى الإسكندرية، فلما وصل تلقاه الشعب المسيحي بالفرح والتهليل، ودخل البيعة وأخرج شيعة أريوس وعيد عيداً للرب في ذلك اليوم. فمكثت البيعة مستريحة مدة سبع سنين وبعد ذلك تغلبت الأريوسية على بيعة الإسكندرية، فهرب أثناسيوس إلى الصعيد ومكث هناك ٦ سنين، وبعد ذلك رجع بعد موت الملك قسطنديوس وقيام ابنه وكان أرثوذكسياً.

وتوفى أثناسيوس سنة ٣٧٣ م، وقد ألف هذا الأب مقالات عديدة وأرسل رسائل كثيرة للآباء ضد أريوس المنافق، ولم تزل بدعة أريوس تتناقص شيئاً فشيئاً حتى تلاشت بالكلية.



(١) Paul I بولس الأول البطريرك ٢٨ من بطاركة القسطنطينية (٣٣٧-٣٣٩) (الناشر).

(٢) Julius I يوليوس الأول البابا ٣٥ من باباوات روما (٣٣٧ ـ ٣٥٢) (الناشر).



المجمع الثاني في مدينة القسطنطينية[1] سنة ٣٨١م

لما كان سنة ٣٨١ للتجسد الإلهي صار المجمع الثاني المسكونى في زمن ثيؤدوسيوس الكبير[2] لأجل كفر مقدونيوس بطريرك القسطنطينية.[3]

فهذا الشقي ارتقى على كرسي أسقفية القسطنطينية الرسولي جبراً بقوة أمر الملك قسطنديوس بعد تنزيل بولس القويم المعتقد. فسبب للكنيسة ضرراً عظيماً. فإنه لحصوله على دالة ووجاهة عظيمة عند الملك آثار حرباً ضد المسيحيين المستقيمي الرأي لم تكن أخف مما أثاره عليهم الملوك المَرَدة[4] وكان سبب ذلك أنه يوم أراد الوالى أن ينصبه إتباعاً لأمر الملك على الكرسي اجتمع في الكنيسة جمع غفير جداً حتى أنه لم يمكنه الدخول إليها لازدحام الناس، فظن هو والجند أن الشعب يقاوم عمداً مانعاً دخوله إليها فعزم أن ينتقم منه فيما بعد.

وأما الجنود ففي الحال قتلوا الشعب بالسيف فمات يومئذ نحو ثلاثة آلاف ومائة وخمسين نفساً بين قتيل بسيوف العساكر أو من شدة الازدحام، وغب أن جلس

(١) تأسست عام ٦٥٨ ق.م. وكانت من قبل قرية للصيادين. وتعرف باسم بيزنطة وفي عام ٣٣٥ م جعلها الإمبراطور قسطنطين عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) وأصبح يطلق عليها القسطنطينية على اسم الإمبراطور قسطنطين مؤسس الإمبراطورية وكان بها مقر بطريركية الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية كنيسة أجيا صوفيا. وكان محمد الفاتح العثماني قد فتحها عام ١٤٥٣م. ثم أطلق عليها العثمانيون الآستانة. وحاليا يطلق عليها إسطنبول (الناشر).

(٢) Theodosius I (٣٧٩ – ٣٩٥ م)(الناشر).

(٣) Macedonius I مقدونيوس البطريرك ٣٠ من بطاركة القسطنطينية (٣٤٢-٣٤٦) (الناشر).

(٤) مَرَدة: جمع مارد وهو الجبار أو الطاغية (الناشر).

مقدونيوس على الكرسي البطريركى أخذ يحارب أصحاب الرأي المستقيم المعتقدين بمساواة الابن والآب في الجوهر، وكانت رؤوس معتقداته ومبادئ تعليمه:

أولاً: الابن ليس بمساو للآب في الجوهر بل شبيه به في كل شئ.

ثانياً: إن الروح القدس مخلوق وخادم للابن.

ثالثاً: أن الإنسان مهما اعتقد وقال عن الملائكة لا يخطئ.

وقد لقب أتباعه بمكدونيين نسبة إلى زعيم هرطقتهم، وبمحاربى الروح لمحاربتهم الروح القدس، وإذ كانوا بحسب الظاهر حسنى السلوك جداً ذوى حشمة وأخلاق حميدة لطفاء في الحديث، مهذبين في جميع تصرفهم حصلوا في القسطنطينية على اعتبار عظيم، فانتشرت هرطقتهم ممتدة في ثراكى وبيثينية والبسبنطس.

فاضطربت البيعة من أجل هذه البدعة الجديدة، وإذا كان الملك يرغب أن ترتفع الشيع والخرافات والبدع أمر باجتماع هذا المجمع، فاجتمع في القسطنطينية مئة وخمسون أسقفاً وكان المتقدم فيهم **تيموثاوس البطريرك الإسكندري** [1] وكان في هذا المجمع ملاتيوس بطريرك أنطاكية [2] **وكيرلس أسقف أورشليم** [3]، وأرسل **داماسيوس أسقف روما** [4] نواباً عنه.

فلما انعقد المجمع وأحضروا مقدونيوس **وسألوه عن معتقده فأجاب**:

''**إن الروح القدس مخلوق**'' مرتكناً على صوت الكتاب: «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ» (يو ١ :٣).

---

(١) Timothy I تيموثاوس الأول البابا ٢٢ من باباوات الإسكندرية (٣٨٠-٣٨٥م) (الناشر).

(٢) Meletius ملاتيوس البطريرك ٣٢ من بطاركة أنطاكية (٣٦٠-٣٨١م) (الناشر).

(٣) Cyril I كيرلس الأول البطريرك ٤١ من بطاركة أورشليم (٣٥٠-٣٨٦م) (الناشر).

(٤) Damasus I داماسيوس الأول البابا ٣٧ من باباوات روما (٣٦٦-٣٨٤م) (الناشر).

فأجابوه قائلين:

"أيها الإنسان لا يوجد لدينا إلا روح واحد وهو روح الله، ومن المعلوم أن روح الله ليس شيئاً غير حياته، وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فعلى زعمك أنه غير حي، وإذا كان غير حي فهنالك الكفر الفظيع والرأي الشنيع، فالآن ارجع عن سوء رأيك وقبح اعتقادك وإلا حرمناك وقطعناك".

فأبى أن يرجع. فقطعوه وأنزلوه من درجة البطريركية وحرموا كل من يقول بقوله وأقاموا بدله نكتاريوس [1] أسقفاً على القسطنطينية.

ويقال أن ملاتيوس بطريرك أنطاكية مات في أثناء اجتماع هذا المجمع فأراد غريغوريوس النزينزى وهو أسقف إذ ذاك على القسطنطينية وكذلك العقلاء أن يقام بولينس خليفة له، إلا أن رأي الأضداد غلب فشرطنوا فلابيانوس أسقفاً على أنطاكية [2]. وإذا أراد أيضاً شعب القسطنطينية أن يقام عليهم غريغوريوس النزينزى بطريركاً الذي كان أسقفا بالمدينة مؤقتا فحصل اضطراب من أجله وإذا رأى ذلك غريغوريوس استعفي وأقيم بدله نكتاريوس.

وفي هذا المجمع تظاهر بعض من الناس بعقائد دينية رديئة منهم:

- **أبوليناريوس:** وكان قوله إن جسد المسيح كان خالياً من النفس الناطقة العاقلة، واللاهوت قام مقامها مرتكناً على صوت الوحي الكلمة صار جسداً، وعدا ذلك فإنه جعل في الذات العليا مراتب فقال إن الروح القدس عظيم والابن أعظم منه، والآب أفضل منهما في العظمة وإن الآب ليس بمحدود في القوة ولا بالجوهر، والابن محدود بالقوة لا بالجوهر، والروح القدس محدود بكليهما.

فرجعوه عن غيه ورأيه الفاسد فلم يصغ لهم فحرموه وحرموا كل من يقول بقوله.

---

(١) Nectarius نكتاريوس البطريرك ٣٦ من بطاركة القسطنطينية (٣٨١-٣٩٧) (الناشر).

(٢) Flavian I فلابيانوس الأول البطريرك ٣٥ من بطاركة أنطاكية (٣٨١-٤٠٤) (الناشر).

❖ سابيليوس: هذا قال إن الآب والابن والروح القدس وجه واحد فحُرم

وأكملوا قانون الإيمان قائلين:

نؤمن بالروح القدس الرب المحيى (١)

✞ «وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدِمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُونَ قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ: أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ» (اع ١٣ : ٢).

✞ «لأَنَّ الَّذِينَ اسْتُنِيرُوا مَرَّةً، وَذَاقُوا الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ وَصَارُوا شُرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّالِحَةَ وَقُوَّاتِ الدَّهْرِ الآتِي» (عب ٦ : ٤ ، ٥).

✞ «فَهَذَانِ إِذْ أُرْسِلاَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ انْحَدَرَا إِلَى سَلُوكِيَةَ وَمِنْ هُنَاكَ سَافَرَا فِي الْبَحْرِ إِلَى قُبْرُسَ» (اع ١٣ : ٤).

✞ «فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ» (مت ٩ : ٣٨).

✞ «لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللَّهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (٢بط ١ : ٢١).

✞ «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ» (٢تى ٣ : ١٦).

✞ «وَأَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ، وَحَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ» (٢كو ٣ : ١٧).

✞ «الَّتِي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضاً لاَ بِأَقْوَالٍ تُعَلِّمُهَا حِكْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ» (١كو ٢ : ١٣).

✞ «فَقَالَ بُطْرُسُ: يَا حَنَانِيَّا لِمَاذَا مَلأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلِسَ مِنْ ثَمَنِ الْحَقْلِ؟ أَلَيْسَ وَهُوَ بَاقٍ كَانَ يَبْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بِيعَ أَلَمْ

(١) إن السند الكتابي لقانون الإيمان كان في أصله هامشاً وقد رفعناه وأرفقناه بالآيات لأهميته (الناشر).

يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ؟ فَمَا بَالُكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هَذَا الأَمْرَ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللهِ» (اع ٥ : ٣ ، ٤).

✞ «اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ» (يو ٣ : ٦).

✞ «فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ» (ايو ٥ : ٧).

المنبثق من الآب

✞ «وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي» (يو ١٥ : ٢٦).

المسجود له مع الآب والابن

✞ «اَللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا» (يو ٤ : ٢٤).

✞ «فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ» (ايو ٥ : ٧).

الناطق فى الأنبياء

✠ «لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللَّهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (٢بط ١ : ٢١).

وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية

✠ «وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ» (مت ١٨ : ١٧).

✠ «وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعاً بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» (اع ٢ : ١).

✠ «لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (غل ٣ : ٢٨).

✠ «مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّباً مَعاً يَنْمُو هَيْكَلاً مُقَدَّساً فِي الرَّبِّ. الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضاً مَبْنِيُّونَ مَعاً، مَسْكَناً لِلَّهِ فِي الرُّوحِ» (أف ٢ : ٢٠ - ٢٢).

✠ «لأَنِّي أَوَّلاً حِينَ تَجْتَمِعُونَ فِي الْكَنِيسَةِ أَسْمَعُ أَنَّ بَيْنَكُمُ انْشِقَاقَاتٍ ... أَفَلَيْسَ لَكُمْ بُيُوتٌ لِتَأْكُلُوا فِيهَا وَتَشْرَبُوا؟ أَمْ تَسْتَهِينُونَ بِكَنِيسَةِ اللَّهِ» (١كو ١١ : ١٨ ، ٢٢).

ونعترف بمعمودية واحدة لغفران الخطايا

✞ «رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ» (أف ٤ : ٥).

✞ «عَرَّفْتَنِي سُبُلَ الْحَيَاةِ وَسَتَمْلأُنِي سُرُوراً مَعَ وَجْهِكَ» (اع ٢ : ٢٨).

✞ «فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الآبِ هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ» (رو ٦ : ٤).

✞ «مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (كو ٢ : ١٢).

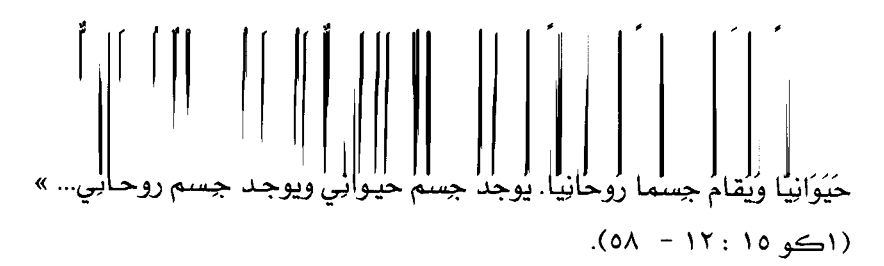
✞ «الَّذِي مِثَالُهُ يُخَلِّصُنَا نَحْنُ الآنَ، أَيِ الْمَعْمُودِيَّةُ. لاَ إِزَالَةُ وَسَخِ الْجَسَدِ، بَلْ سُؤَالُ ضَمِيرٍ صَالِحٍ عَنِ اللهِ بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١بط ٣ : ٢١).

ونترجى قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى آمين

✞ «فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ» (يو ٥ : ٢٩).

✞ «وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ» (مت ٢٥ : ٣٢).

✞ «وَلَكِنْ إِنْ كَانَ الْمَسِيحُ يُكْرَزُ بِهِ أَنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ فَكَيْفَ يَقُولُ قَوْمٌ بَيْنَكُمْ إِنْ لَيْسَ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ؟...لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمَوْتَى لاَ يَقُومُونَ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ... لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ... هَكَذَا أَيْضاً قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ: يُزْرَعُ فِي فَسَادٍ وَيُقَامُ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي ضُعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ. يُزْرَعُ جِسْماً

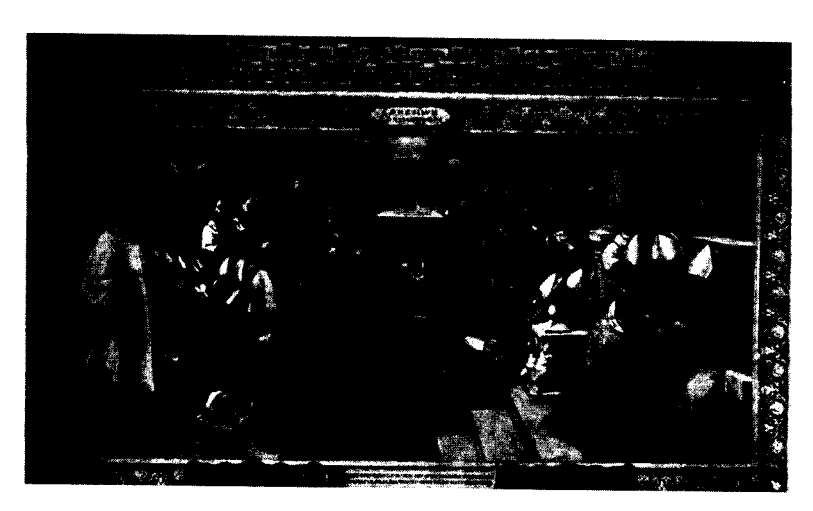


حَيَوَانِيًا وَيُقام جِسما روحانيا. يوجد جِسم حيوانِي ويوجد جِسم روحانِي... »
(١كو ١٥ : ١٢ - ٥٨).

ثم حرموا كل من يزيد على هذا الإيمان (الذي سنه آباء المجمع النيقاوى وأُكمل في هذا المجمع المقدس) شيئاً آخر أو يُنقص منه أو أحد يحد حداً خارجاً أو مضاداً لما حُدد.

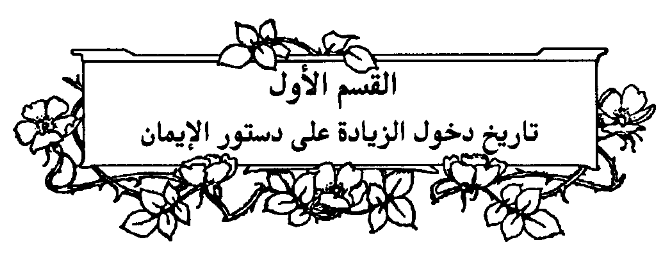
ثم قد أطلق أكل اللحم للرهبان في هذا المجمع، وذلك بسبب بدعة مانى الذي منع أصحابه أكل اللحم. وبعد انصرف كلٌ إلى وطنه شاكراً حامداً إنعام البارئ الذي نصرهم على أعدائهم.





جدرانية من المكتبة الفاتيكانية ــ أواخر القرن السادس عشر
تمثل آباء مجمع القسطنطينية الأول

مقالة في انبثاق الروح القدس



الآن ندعو من راق فكره وصفا لُبه وضميره وتجرد عن أمراض الأغراض لينظر معنا نظراً مدققاً خالياً من كل شائبة.

لا ريب أن آباء المجامع الثلاثة المسكونية المجتمعين قد ألّفوا دستور الإيمان وسلّموه للمؤمنين ولخوفهم أن يطرأ عليه تحريف أو زيادة أو نقص أمروا أن يذاع في كل مكان ويتلوه المؤمنون ليكون معروفاً عند الخاص والعام، وللاحتراس التام والمحافظة التي لا مزيد عليها حرموا وقطعوا كل من يتجاسر بأي وجه من الوجوه ويمد يديه ويغير شيئاً فيه أو ينقص أو يزيد عليه، وهكذا باتفاق الروح القدس وُضِع هذا الدستور وصار سُنة إلهية مستخرجاً من روح الكتب الوحيية.

فهذه القضية أعنى انبثاق الروح القدس قد سُنت بفم المجمع القسطنطيني الملتئم من مئة وخمسين أسقفاً شرقياً وغربياً بمقتضى تعليم الابن المتجسد لرسله الأطهار:

✠ «وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي» (يو ١٥ : ٢٦).

ولم يذكروا زيادة لفظة (والابن) كما أنه لا ينكر ذلك علينا علماء الكنيسة الغربية ومؤرخوها، حتى نفس الكنيسة الإنجليزية والاميركانية، لكن هذه الزيادة دخلت على دستور الإيمان بعد الجيل الثامن للتجسد، وأما سبب دخولها فكان في أواخر الجيل الثامن ظهر رجل مبتدع يسمى لوكيوس فهذا الإنسان ما

عدا أن أعماله تشهد له على سوء حاله زعم أن الروح القدس منبثق من (الابن) وصار بذلك يطغى الساذجين من المؤمنين، فحضر إلى بلاد فلسطين فصادره أحد الأساقفة وعاتبه وأعلن له غلطه، ولما رآه مصراً على عناد رأيه قائماً على قدم بغيه، أشهر أمره لجماعة المؤمنين وحرصهم من تعليمه، فلما رأى المبتدع أن سعيه في الشرق قد أمسى خائباً توجه إلى روما وبذر تعليمه في تلك الأقطار فأقبل عليه كثيرون وصار من المدرسين، وآل أمره أن ينتقل من هناك إلى مملكة فرنسا، فأيد فيها الطغيان وجاهر به عياناً، فالتزم الملك كارلس الكبير أن يعمل مجمعاً في بلده أكونسفوانا لكي يتبصروا في تعليمه، ولسوء الحظ كان أغلب الأساقفة الذين اجتمعوا أصدقائه ومن الذين خدعوا بمقاله، فأيدوه وأعرضوا للملك أن يأمر بوضع الزيادة في دستور الإيمان، فالملك المومئ إليه إما بإلهام إلهي أو أنه أفتكر في مجمع صور المزور الذي اجتمع على أثناسيوس الرسولي وحكم بنبذه وأيد شيعة أريوس، إذ كانت الأساقفة أريوسيين فلذلك الملك كارلس أرسل ثلاثة قصاد إلى البابا لاون الثالث [1] لكي يعرضوا عليه أعمال ذلك المجمع ويلحق الزيادة في قانون الإيمان.



لاون الثالث بابا روما

فلاون إذ استنشق رائحة هؤلاء المتجاسرين على زرع زوان هذه الزيادة في بعض أقاليم أوروبا قد أنكر قبولها وحرصاً من امتدادها وغش الإيمان القويم نقش الدستور حكم وضعه الآباء الأطهار من غير سقامة الزيادة بأحرف يونانية ولاتينية على لوحين من الفضة وعلقهما في الكنيسة في روما محل تقاطر الناس بأكثر، وذلك سنة ٨٠٩ ثم قام بعد

(١) Leo III لاون الثالث البابا ٩٦ من باباوات روما (٧٩٥ ــ ٨١٦) (الناشر).

لاون البابا افجانيوس أيدها. ورتلت كنيسة روما بها. وهذا كان مقطوعاً ونزل عن كرسيه مرة وقام بعد ذلك وجلس على الكرسي بالحيلة مرة أخرى (راجع أعمال مجمع باسيليا في قانون ٣٤، ٣٥، ٣٦ ،٣٩) كيف يعددون ذنوب هذا البابا وأنه أراتيكي.[١]

ثم بعد ذلك قام البابا يوحنا الثامن [٢] سنة ٨٧٢ وعقد مجمعاً بعد رسامته بثلاث سنين مؤلفاً من ٣٨٣ أسقفاً غربياً وأنكر قبول الزيادة، **ومن بعد أن تلا الدستور حكم مع الأساقفة بعدم الزيادة ووضع حرماً بهذه الألفاظ الآتية:**

"أي من تجاسر بأن يكتب دستوراً آخر غير هذا الدستور الطاهر الذي كمُل في المجمع المسكونى الثاني الذي قرأ علينا الآن، وتجرأ أن يسميه حد إيمان ويسلب شأن اعتراف الرجال الإلهيين، وأن يزيد في تعليم المؤمنين والراجعين إلينا من الهراطقة وذوى البدع بزيادة أو نقصان، فإن كان من ذوى الكهنوت فنحطه تحت القطع والمنع بالكلية، وإن كان من العلمانيين فنبعث به إلى اللعنة والحرمان حسبما تقدم من القضية الجازمة ممن كان قبلنا من المجامع المسكونية".

ثم بعد مدة من السنين قام البابا فورموسوس [٣] سنة ٨٩١ وهذا البابا قد شهد عنه خلفاؤه بأموره الغير اللائقة ومنهم البابا استفانوس [٤] الذي جلس سنة ٨٩٦ والبابا سرجيوس [٥] الذي جلس سنة ٩٠٤ وتأدباً لا نذكر لك أيها المطالع شيئاً من أموره بل نوجهك إلى مطالعة كتاب الجواهر الفخرية في العلة الانبثاقية في المطلب السادس من القسم السابع. والنتيجة أن هذا البابا المومئ إليه قد قال

---

(١) هرطوقي (الناشر).

(٢) John VIII يوحنا الثامن البابا ١٠٧ من باباوات روما (٨٧٢ ــ ٨٨٢) (الناشر).

(٣) Formosus فورموسوس البابا ١١١ من باباوات روما (٨٩١ ــ ٨٩٦) (الناشر).

(٤) Stephen VII استفانوس السابع البابا ١١٣ من باباوات روما (٨٩٦ ــ ٨٩٧) (الناشر).

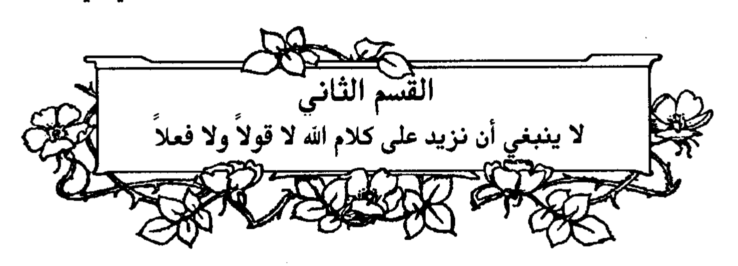
(٥) Sergius III سرجيوس الثالث البابا ١١٩ من باباوات روما (٩٠٤ ــ ٩١١) (الناشر).

بمقالة لوكيوس (الذي أنكر تعليمه لاون الثالث) وأضاف تلك الزيادة في دستور الإيمان.

ومن ذلك الحين صار اكليروس روما تارة يذيع هذه الزيادة مجاهراً بها وطوراً يكتمها حتى قام سيلفسترس [1] البابا سنة ٩٩٩ فهذا رفع القناع وجاهر علانية بالابتداع ومن ثم أخذت هذه الزيادة تمتد وتشيع في كل مكان حتى بلغت إلى كل كنائس البابا وقد أنكر قبولها البطريرك القسطنطيني هو وأساقفته ولم يزل منكراً إياها حتى يومنا هذا.



(١) Silvester II سيلفستروس الثاني البابا ١٣٩ من باباوات روما (٩٩٩ ــ ١٠٠٣) (الناشر).



القسم الثاني
لا ينبغي أن نزيد على كلام الله لا قولاً ولا فعلاً

إنه بحسب ما تقدم يتضح لنا غاية الإيضاح أن قانون المجامع المقدسة قد طرأ عليه تلك الزيادة (والابن) اللهجة الغريبة التي لم نسمعها من أفواه أعضاء الكنيسة الغربية والشرقية وذلك أن النص الإلهي ينكر قبولها **بمقتضى تعليم السيد المسيح لرسله ليلة آلامه.**

✟ «رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ» فإذ ذاك يكون تعليم انبثاق الروح القدس من الآب فقط تعليماً إلهياً، والزيادة التي دخلت على الدستور المقدس إنما دخلت زيادة باطلة والتعليم الإلهي لا يقبل الزيادة، بل وزيادة على ذلك يحتم حتماً شرعياً وينهي نهياً قاطعاً أن المتجاسر على ذلك يأخذ عقاباً أبدياً.

ويتضح ذلك من توصية الله الخصوصية لموسى قائلاً:

✟ «لا تَزِيدُوا عَلَى الْكَلامِ الذِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهِ وَلا تُنَقِّصُوا مِنْهُ لِتَحْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا» (تث ٤ : ٢).

وقول يوحنا بن زبدى:

✟ «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَزِيدُ عَلَى هَذَا يَزِيدُ اللهُ عَلَيْهِ الضَّرَبَاتِ الْمَكْتُوبَةَ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْذِفُ مِنْ أَقْوَالِ كِتَابِ هَذِهِ النُّبُوَّةِ يَحْذِفُ اللهُ نَصِيبَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَمِنَ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَمِنَ الْمَكْتُوبِ فِي هَذَا الْكِتَابِ» (رؤ ٢٢ : ١٨ ، ١٩).

فمن ذلك قد تبين غاية البيان أن النص يرفض قبول الزيادة والنقص بالإطلاق العام، ولو كان (لا سمح الله) النص أجاز ذلك لكنت ترى يا صاح

كم من معاثر وشكوك وريبات تقع على المؤمنين المتدينين بالديانة المسيحية. ولعمري كم من احتجاجات واعتراضات ومقاومات كانت تدهور أكثر المسيحيين وتلقيهم في اليأس وقطع الرجاء فالمنة لله لعلمه السابق ومعرفته ما سوف يطرأ على النص من الزيادة والنقصان قد وضع حداً إلهياً ورسماً قانونياً يرفض الزيادة والنقص.

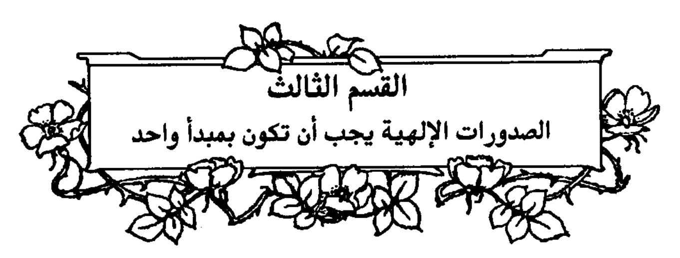
ولا يتوهم القارئ أن تلك الزيادة إنما هي تأويل، والحال أن التأويل لا مدخل له في الزيادة والنقص في النص الموحى به من الله، وإنما التأويل يجوز فيه صرف القول إذا أشكل بنقيض أو غير ذلك إلى ما يدفع إشكاله وشبهته لا الزيادة على النص ولا النقص منه.

وزيادة على ذلك أن المجمع الثاني والثالث المسكونين قد قطعا حرماً بهذا الشأن بعد أن قررا أن الروح القدس منبثق من الآب.

هذا وإن تعلل المعترض بمثل هذا القول وهو أن حروم الآباء حقيقة لهذا الموضوع غير أن الذي حمل لاهوتي الغربيين على هذه الزيادة هو ما فشا وقتئذ من التعليم بكون الروح القدس ليس بمنبثق من الابن أيضاً، فهذا التعليم اضطرهم أن يقرروا كونه منبثقاً من الابن.

فنجاوب أنه وإن قيل أيضاً إن الابن ليس مولوداً من الروح القدس بأي وقت وزمان فلسنا بملتزمين أن نحقق ولادته من الروح القدس بعد ما تعين ولادته من الآب بالوحي الإلهي ودستور الإيمان المقدس. ونخالف تعليم الآباء المحترمين. فقد تبين أن هذه الزيادة يرفضها العقل والنقل. وها نحن آخذون في تتميم هذه القضية.





القسم الثالث

الصدورات الإلهية يجب أن تكون بمبدأ واحد

إن السيد المسيح ـ لذكره السجود ـ كما علّم خواصه عن الروح القدس أنه من عند الآب ينبثق، علمهم عن صدور ذاته بقوله:

✝ «أَنِّي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجْتُ. خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ وَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ» (يو ١٦ : ٢٧ ، ٢٨).

فاتضح أن مصدر الأقنومين أعنى الابن والروح القدس هو الآب، **فالآب يتميز تميزاً أقنومياً لا جوهرياً بكونه والداً وباثقاً، وهكذا الابن يتميز بكونه مولوداً، والروح القدس بكونه منبثقاً،** ولا تتعدى خواص الأقانيم بعضها إلى بعض، فما للآب لا يكون للابن من الخواص الأقنومية بخلاف الجوهر المشاع.

مثلاً ليس للآب خاصة البنوة والانبثاق، كما أنه ليس للابن خاصة الأبوة والانبثاق، ومثل ذلك ليس للروح القدس خاصة الأبوة والبنوة.

إذ لا يقال للآب مولود ومنبثق، ولا للابن والد وباثق، ولا للروح القدس آب وابن، وهذه الخواص كما قلنا غير متعدية ولا مشاعة خلافا للجوهر الإلهي الذي هو مشاع للأقانيم الثلاثة على حدٍ سواء من دون تمييز، ومن هنا ينتج توطيد هذه القاعدة بأن في الصدورات الإلهية الأقنومية مبدأ واحداً لكون المصدر واحداً، **فلو اتحد أقنومان دون الثالث ليكونا مبدأ واحد في إصدار أقنومي لكان يلزم لهذا الاتحاد أحد أمرين:**

الأول: إما أن يكونا متحدين أقنومياً وهذا باطل شرعا فإنه يجدد تعليم ذاك الشقي المنكود الحظ سابليوس القائل بأن الأقنوم واحد كما أن الجوهر واحد. حمانا الله من هذا الاعتقاد.

الثاني: إما أن يكون موضوع هذا الاتحاد جوهرياً في إصدار الأقنوم الثالث فهذا كفر أشد من ذلك، لأنه ينفي إلوهية الأقنوم الثالث الخارج عن هذا الاتحاد من حيث تغرب عن الجوهر الإلهي وخرج عن عمومية الجوهر، أو أنه لا يكون حاصلاً على عمومية الجوهر نظيرهما.

والحال أن الروح القدس مساو للابن في الجوهر كما أنه مساو للآب أيضاً في الجوهر، فما للآب والابن هو للروح القدس.

وبهذا المعنى نكتفي بشهادة الوحي كما نظرت، **وشهادة البابا كيرلس الإسكندرى القائل**: "إن في الله علة واحدة وهي الآب، لأن هذا الآب نفسه يلد الابن ويبثق الروح القدس".

وأما لهجتهم الغريبة عن كنيسة المسيح وتعليم الآباء في هذا المعنى فهي قولهم إن الابن إذ يصدر من الآب يشترك معه في الإرادة المخصبة فيبثق الروح القدس بهذه الإرادة المخصبة الكائنة ما بين الآب والابن، فيكون الانبثاق من الآب والابن؟

فعلى ذلك نجيب وبالله نستعين:

إن هذا القول لعمري هل يخلو قائله من التجديف والافتراء على الذات الإلهية وخصوصاً على الروح القدس الذي جعله صادراً من إرادة الآب والابن، حالة كون الإرادة الإلهية لا يصدر منها إلا الأفعال الخارجة التي هي الخلائق.

كما قرر القديس أثناسيوس الرسولى بقوله أن:

"الأقنوم هو الذي يلد ويبثق، وأما الرأي والإرادة فهي التي تخلق وتبدع".

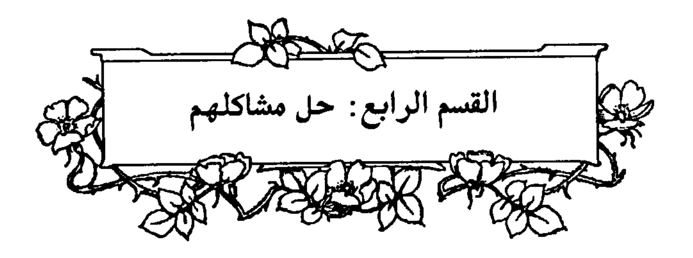
فما بال لاهوتي روميه قد قرروا قواعد خارجة عن تعليم الكنيسة مرتكنين على ضيقة أفكارهم، ثم نقول عن هذه الإرادة **هل هي مشاعة ما بين الثلاثة أقانيم أم محصورة بين الآب والابن؟**

❐ فان كانت مشاعة فيكون:

أولاً: قد أوجبوا أن الروح القدس يبثق أقنومه بأقنومه من حيث له نفس الإرادة التي هي في الآب وفيه على حدٍ سواء.

ثانياً: أن يكون الروح إذ له نفس الإرادة قد ولد الابن، فيكون الابن مولوداً من الآب والروح، كما أن الروح منبثق من الآب والابن، ولا قائل منهم بذلك.

❐ **إن كانت هذه الإرادة محصورة ما بين الآب والابن** دون الروح القدس فيكونوا قد أوجبوا صريحاً قسمة الجوهر الإلهي وامتياز كل أقنوم منه عن آخر. وهذا قول افتراء على الروح الكلي قدسه لأن ما للآب هو للابن والروح القدس كما قرر الآباء.



الأول: قولهم: «كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي» (يو ١٦ : ١٥).

فعن ذلك يقولون كما أن الآب له أن يبثق الروح القدس، فالابن له أن يبثق الروح القدس استمداداً.

ونحن نجيب عن ذلك و قبل كل شئ نقول:

أن الأفعال الإلهية بحسب صدورها تنقسم إلى قسمين:

الأفعال الطبيعية وتسمى عند اللاهوتيين الأفعال الداخلية، والأفعال الاختيارية وتسمى الأفعال الخارجية.

❖ **فالأفعال الطبيعية**: هي البثق والولادة، وتختص بالآب كونه والداً وباثقاً دون حركة وانتقال وأوان وزمان.

❖ **والأفعال الاختيارية**: هي مشاعة للثلاثة أقانيم بالسوية، فالابن له ما للآب من الأفعال الاختيارية لا الطبيعية، ولذلك يسوغ قد فسرها بقوله التالي: «لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ» (يو ١٦ : ١٥).

ولا أحد يرتاب في قول المسيح إنه لم يعن بهذا القول الإيلاد والبثق اللذين هما أقنومان خاصان بل عنى ما هو مشاع ما بين الأقانيم من العلم والقدرة والإرادة والمشيئة.

ثم نقول هل كل ما للآب هو للابن على سبيل الإطلاق أم شئ دون شئ؟

فإن قيل بالأول فهذا من المحال، لأنه يلزم منه أن يكون للابن خاصة الأبوة ليكون أباً كالآب، أو أن يكون باثق الروح القدس أصالة لا استمداداً، وذلك ممنوع بموجب وضع أهل البدع كونه منبثق استمداد لا أصالة.

وإن قيل بالثاني نقول إن مفهوم لفظة (كل ما) الدالة على العموم لا نستخرج شيئا مما للآب لا يكون للابن، وحيث أنهم أخذوها بأنها تدل على شئ دون آخر. كما أنهم لا يقدرون أن يقولوا إن الابن آب أو إنه يبثق الروح أصالة، والآية لا تصرح بأن الروح ينبثق من الابن لأنه يأخذ مما له وليس يأخذ منه أو ينبثق منه.

حينئذ إذا اعتبرنا أن الروح القدس ليس منبثقاً من الابن لا نكون دلهمنا [1] نص الآية الشريفة. وينتج أن ما توهموه من دخول الخاصات الأقنومية في عموم (كل ما) هو باطل.

ولكن بالحق أن كل ما للآب من الصفات الجوهرية هو للابن كما هو للروح القدس أيضاً من دون تمييز ولا اختلاف.

---

(١) دلهم: حالك، ودلهمنا معناها جعلناها حالكة (الناشر).

الثاني: قولهم عن تفسير: «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ» (يو ١ : ٣).

فعلى زعمهم أن الروح القدس كان بالابن الذي كان به كل شئ أعنى انبثق منه، غير أنهم حادوا عن الصواب كون هذه الآية الشريفة كانت موضوع اعتقاد مقدونيوس الذي كان يغتصب جُمل الكتب المقدسة ويغير ترتيبها الوضعى، فذاك المذكور كان يأتي بما قيل عن الريح ويزعم أنه عن الروح ليطغى الساذجين، لكون اسم الروح والريح واحداً في اللغة السريانية واللغة اليونانية.

وفي هذه الآية: «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ» أخذ يتفلسف زاعماً أن الروح إنما خلق بالابن أي الابن خلقه. ولذلك المعترضون حذوا حذوه أن الابن يبثق الروح القدس لأن كلاً به كان.

والحال أن هذه الآية إنما تشير عن خلقة الخلائق كما هو ظاهر من تاليها «وبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»

فلا تفيد شيئاً عن الصدورات الأقنومية بل عن الخلقة بالإطلاق العام.

ولذلك لا حظ للمعترضين في المعارضة بها إلا أن وافقوا ذاك المنكود الحظ مقدونيوس وقالوا بقوله.

الثالث: عن قول السيد: «وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ» (يو ١٥ : ٣٦).

يزعمون أن الابن يبثق الروح القدس. والحال أن السيد المسيح لم يرسل لرسله أقنوم الروح القدس بل موهبة الروح القدس كما أوضح ذلك بقوله:

✠ «وَهَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي. فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي» (لو٢٤ :٤٩).

وعن ذلك نروم أن نستفهم من المعترض هل يريد بما قاله المسيح عن إرسال الروح القدس أن إرساليته هذه بعينها هي صدوره من الابن أم أنها تدل على أنه صدر

من الابن؟

فالأول: محال لأن المسيح كان يتكلم في زمن محدود معلوم، وينتج من هذا أن الخليقة أقدم من الروح القدس فهذا لا أحد يتفوه به والشرح عليه عبث.

وإن كان مراد المعترض الثاني مقرراً بأن رب المجد بكلامه هذا أوضح أن الروح منبثق منه ناتج ذلك عن لفظة الإرسال، فهذا عبث أيضاً ولا يفيد فائدة في المطلب المقصود منه. لأن المسيح كان يتكلم في وقت مفرداً مع تلاميذه وما كان هناك جماهير شعوب ولا غيرهم حتى يلتزم أن يزعم لفظة الانبثاق بالإرسال. ولا خفي ذكاوة الفطين أن الوحي قد قال إن الابن يرسله الآب والروح كما هو ظاهر من نبوة إشعياء (اش ٤٨ : ١٦). فلو كان لفظ الإرسال ينتج منه الانبثاق لنتج منه الولادة أيضاً، ويكون كما أن الروح منبثق من الآب والابن كذلك الابن مولود من الآب والروح، وليس من يقول بهذا.

الرابع: زعم المعترض أن المسيح بقوله لرسله «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ» (يو ٢٠ : ٢٢). قد أوضح جلياً أن الروح منبثق من الابن أيضاً.

ولكن قد أخطأ سهمه فما أصاب الغرض فإن المسيح لم يعطيهم أقنوم الروح القدس بل موهبة الروح القدس لغفران الخطايا، ولو كان ذلك لما احتاجوا أن ينزل عليهم الروح القدس مرة ثانية يوم عيد البنديكوستى.

مع أنه بكلا الأمرين لم ينزل على الرسل أقنوم الروح القدس بل مواهب الروح القدس، لأن الكتاب يسمى موهبة الروح روحاً كما قال الوحي:

✠ «وَيَحِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ» (اش ١١ : ٢).

وفي ذلك كفاية لخالي الغرض وطالب الحق ونصرته.





المجمع الثالث في مدينة أفسس [1]

لما كان سنة ٤٣١ للتجسد الإلهي كان المجمع الثالث المسكونى، وذلك في زمن ثيؤدوسيوس الصغير [2] والبابا كيرلس البطريرك الإسكندري وكلستينوس أسقف روما [3] ويوحنا أسقف أنطاكية [4] ويوبيناليوس أسقف بيت المقدس[5].

وسبب اجتماع هذا المجمع هو هرطقة نسطور بطريرك القسطنطينية [6] وتادرس ابن أخته وثيؤدوريت معلمه.

فإن هؤلاء الأشقياء قالوا في المسيح أقوالاً غير لائقة زاعمين أن المسيح جوهران وأقنومان وفعلان. وميز نسطور بين ابن الله وابن الإنسان، وعلم تابعيه أن يميزوا بين أعمال الطبيعة الواحدة وحيثياتها وبين أعمال الثانية وحيثياتها (انظر كتاب ٢ قرن ٥ قسم ٢ فصل ٥ ص ٢١٤) من كتاب تاريخ الكنيسة للعلامة يوحنا

---

(١) هي من اعظم المدن الاغريقية القديمة في الأناضول، وتقع في منطقة ليديا (Lydia) – منطقة تاريخية في غرب الأناضول– عند نهر كيستر (Cayster River) الذي يصب في بحر ايجة (في تركيا الحالية) وكانت أفسس عاصمة آسيا التي تقع في غرب آسيا الصغرى. المدينة الأصلية كانت تقع على أرض منخفضة وقد اشتهرت المدينة بمعبد أرتميس، الذي اكتمل بناؤه عام ٥٥٠ ق.م.، وهو أحد عجائب الدنيا السبع (الناشر).

(٢) Theodosius II (٤٠٨ – ٤٥٠م) (الناشر).

(٣) Celestine I كلستينوس الأول البابا ٤٣ من باباوات روما (٤٢٢-٤٣٢م) (الناشر).

(٤) John I يوحنا الأول البطريرك ٣٩ من بطاركة أنطاكية (٤٢٨-٤٤١م) (الناشر).

(٥) Iouvenalios يوبيناليوس البطريرك ٤٤ من بطاركة أورشليم (٤٢٢ – ٤٥٨) (الناشر).

(٦) ولد نسطور Nestorius سنة ٣٨٦م في مدينة جرمانيقية (وهى الآن مرعش بشمال سوريا)، وترهّب في دير قرب أنطاكية، واشتهر بالفصاحة وأظهر نبوغاً في الدفاع عن الإيمان القويم ضد هرطقات أريوس وأبوليناريوس، فانتخبه الإمبراطور ثيئودوسيوس الصغير بطريركاً على القسطنطينية من ٤٢٨ م إلى ٤٣١ م. تم اتهامه بالهرطقة التي عرفت فيما بعد باسمه «النسطورية» حيث حرم في هذا المجمع ونفي ومات سنة ٤٥١م (الناشر).

لورنس فإن موسهيم وقال إن الاتحاد لم يكن بالذات بل بالمشيئة، وإن المولود من مريم هو المسيح وليس بإله. وإن ابن الله المولود من الآب آخر غيره، وقد كان حل في المسيح فسمى المسيح ابن الله وذلك بالموهبة والنعمة والكرامة

وقيل إن هذه البدعة كانت وجدت بكتب أسقفين بعد موتهما ولما جلس نسطور أخذ عن كتبهما هذا الاعتقاد ونشره.

وقيل إن المدارس السورية التي تعلم بها نسطور كانت تعلم هذا التعليم وتميز ما بين الإله والإنسان وأفعالهما وعلى كلٍ أن **نسطور زعزع الكنيسة** بهذا الاعتقاد وخطب به في أيام الأعياد الاحتفالية، فإنه في يوم عيد بشارة العذراء هتف **مجاهراً على مسامع الأنام قائلاً:**

"كيف يمكنني أن أؤمن بابن ثلاثة أشهر" وهذا كان بالأكثر سبب تزعزع البيعة واضطرابها، ولما اشتد القيل والقال بين شعب القسطنطينية بهذا الشأن وفشا أمره انتشر أيضاً بين البلاد المجاورة، وبعد قليل وصل هذا الخبر إلى البابا كيرلس بطريرك الإسكندرية، فالبابا كيرلس إذا كان حليم الأخلاق وحكيماً في جميع تصرفاته، أخذ يتلطف به في أول الأمر لعله يرجع عن سوء رأيه وفساد معتقده فأرسل إليه رسائل مملوءة حكمة وتعزية، وإذا رأى أنه لم ينتفع بمثل هذه التلطفات، شمر عن ساعده وبرز لميدان مصادمة الأقوال الفاسدة والبدع الخرافية، وأخذ يفند حُججه بواسطة البراهين الصادقة ويداوى علاجه بالمراهم النافعة الشافية، والأدوية الكافية الواقية، فخاطبه مراراً وإذ لم يقتنع نسطور بمثل هذه الرسائل لتكبره وتشامخه، التزم البابا كيرلس أن يجمع مجمعاً فجمع أساقفة بلاد مصر في مدينة الإسكندرية وحققوا الإيمان وثبتوه وكتبوا لنسطور يوضحون له كيفية المعتقد في المسيح، وكتب البابا كيرلس مع أساقفته اثنى عشر فصلاً بحروم لمن يتعداها.

وهذه هي الرسالة الآتية مع الفصول وأجوبتها من نسطور ومعلمه ثيؤدوريت:



نسطور

نحن نقول عن المسيح إنه هو الوحيد كلمة الله المولود من جوهر الله الآب، إله حق من إله حق، نور من نور، الذي كان كل شئ به ما في السموات وما في الأرض، نزل من أجل خلاصنا، وأفرغ ذاته وحده وصار جسداً وتأنس، وهكذا تجسد من العذراء القديسة. وحسبه أنه له وحده خاصة، ومنذ كان في البطن صبر على الولادة مثلنا. وخرج من امرأة كالإنسان، ولم يزل بلاهوته وإن كان قد شارك اللحم والدم، ولكنه هو أيضاً بحاله إله على المثال الذي كان عليه ظاهراً بطبيعة الحق.

ولا نقول عن الجسد إنه استحال عن طبيعته إلى طبيعة اللاهوت، ولا طبيعة اللاهوت الغير الموصوفة أنها استحالت إلى طبيعة الجسد، لأنه غير متألم ولا مستحيل في كل حين دائماً في حاله على ما في الكتب، وهو يُشاهد طفلاً ملفوفاً بالخرق وهو أيضاً في حضن العذراء التي ولدته، وهو الذي يملأ الخليقة كلها جالس مع أبيه باللاهوت.

فليس له عدة ولا له حد ولا يجوز أن يوصف، ونعترف بالكلمة أنه صار واحداً مع الجسد كالأقنوم، ونسجد لابن واحد ربنا يسوع المسيح (وأيضاً من هذه الرسالة) ولكننا أيضاً لسنا نسمى الكلمة المولود من الله الآب رب المسيح، لكي لا نقسم الواحد المسيح الابن الرب والإنسان ونسقط في إثم التجديف ونجعله هو رباً له وحده، لأنه واحد مع الجسد أعنى الله الكلمة كالأقنوم على مثل ما قلنا أولاً هو إله الكل بالحقيقة وهو رب الكل وليس هو عبداً له وحده ولا رباً.

وهذا هو جهل ونفاق كبير أن يُعتقد هكذا ويقال.
نقر بأن الذي ولد من الله الآب الابن الوحيد كطبيعته أيضاً غير مائت، ومات بالجسد عنا على ما في الكتب وهو باق بالجسد الذي صلب به.
هو قابل الآلام بالجسد وهو غير مائت، بنعمة الله ذاق الموت عن الكل وأسلم جسده إلى الموت.
وهو الحياة بالطبيعة وهو القيامة لكي يكون بقوة مخفية يدوس الموت كما هو في الجسد، ويكون بكر الولادة من الموتى، وبكرا للذين رقدوا.
ويرشد الطبيعة الناسوتية التي للبشر لتطلع إلى البقاء كما قلنا، والآن فبنعمة الله ذاق الموت عن الكل وقام في اليوم الثالث وسبى الجحيم حتى أنه لو قيل إن قيامة الموتى كانت من قِبل الإنسان بل نحن نفهم أن كلمة الله صار إنساناً وحل عنه الموت من جهته وهو يأتي في آخر الأزمان، كما أنه ابن واحد ورب واحد في مجد أبيه لكي يدين المسكونة بالعدل على ما هو مكتوب.
هو واجب أيضاً أن نأتى بهذا الفعل الواحد ونبشر بموت ابن الله الوحيد بالجسد الذي هو يسوع المسيح ونقر بقيامته من الموت وصعوده إلى السماء.

وهذه الاثنى عشر حرماً وأجوبتها من معلم نسطور:

قال البابا كيرلس بهذه الرسالة أيضاً والذي يجب أن تحرمهم خدمتك الإلهية قد كتبناه تحت هذه الرسالة:

الفصل الأول

من لم يعترف أن عمانوئيل هو إله حقيقي، ومن أجل هذا أن العذراء الطاهرة هي والدة الإله، كونها ولدت جسدانياً الكلمة المتجسد الذي من الله، لكون الكلمة صار جسداً، فليكن محروماً.

جاوب نسطور:

- إن كان أحد قال إن الله الكلمة هو عمانوئيل، ولم يحسن أن يقول إنه هو الله معنا، أعني أن الكلمة هو ساكن في تلك الطبيعة التي هي مشابهة لطبيعتنا، كونه اجتمع مع باقة لحمنا التي أخذها من مريم العذراء.
- ثم وإن كان دعى العذراء والدة الإله كلمة الله، وليس يحسن أن يقول أنها والدة عمانوئيل.
- ثم وإن قال إن الكلمة الله عينه صار جسداً حيث أخذ جسداً كي يظهر إلوهيته لوجد في شكل مثل الإنسان، فليكن محروماً.

الفصل الثاني

من لم يعترف بأن كلمة الله الآب صار واحداً مع الجسد كالأقنوم، وأن المسيح واحد فقط مع جسده، وهو إله وهو إنسان، فليكن محروماً.

جاوب نسطور:

إن كان أحد قال في حين اتصال الكلمة مع الجسد حينئذ أن الذات الإلهية تحول من موضع إلى موضع، وأن الجسد قابل طبيعة غير محدودة وغير متناهٍ أنه اتسع وقبل الجسد والإنسان، فليكن محروماً.

الفصل الثالث

من فرق من بعد الاتحاد المسيح الواحد إلى أقنومين، وطابقهما في بعضهما بعض بالمصاحبة فقط أم بالعظمة أم بالقدرة أم بالسلطان، ولم يحسن أن يتحدهما (أي يوحدهما) بوحدانية طبيعية، فليكن محروماً.

جاوب نسطور:

إن كان أحد نطق بأن المسيح الذي هو عمانوئيل أنه هو واحد، ولم يعترف باتصال الطبيعتين إلى ابن واحد، أعنى باجتماع طبيعة الإنسان المتخذة من الكلمة اللتين نحفظهما نحن في ذلك الاتصال غير مختلطتين، ويعترف أنه كاتحاد طبيعي، فليكن محروماً.

الفصل الرابع

من ميز تلك الأصوات المذكورة في كتب الإنجيليين، أو في رسائل الرسل، أو نطق بها الآباء القديسين، أو قالها المسيح على ذاته وفرزها إلى أقنومين أو إلى اثنين كل قائم بذاته، ويفهم أن البعض منها هي لائقة لإنسان خصوصي وحده فقط: كأنه غريب عن كلمة الله، وإن البعض منها ملائمة لله فهو يخصها لكلمة الآب وحده فقط، فليكن محروماً.

جاوب نسطور:

إن كان أحد يفهم أن تصلح لطبيعة واحدة تلك الأصوات الواجبة للمسيح الموجودة في الأناجيل أو المذكورة في رسائل الرسل، وتجاسر ونسب الآلام إلى كلمة الله أعنى خصها إلى العظمة كما وضعها إلى الجسد، فليكن محروماً.

الفصل الخامس

من تجاسر وقال إن المسيح الذي يستعمل السلطان الإلهي أنه إنسان ساذج، ولم يحسن أن يقول أنه إله بالحقيقة، وابن واحد بالطبيعة، الذي

كالاتحاد الأقنومى اشترك معنا في اللحم والدم، لكون الكلمة صار جسداً على ما في الكتب، فليكن محروماً.

جاوب نسطور:

إن كان أحد تجاسر وقال بعد اقتبال الإنسان من الكلمة إن عمانوئيل هو ابن واحد لله بالطبيعة، فليكن محروماً.

الفصل السادس

من قال إن كلمة الله الآب هو إله أو رب المسيح، وليس يحسن الاعتراف بأن المسيح هو نفسه إله وهو إنسان لكون الكلمة صار جسداً على ما في الكتب، فليكن محروماً.

جاوب نسطور :

إن كان أحد بعد التجسد قال إن الله الكلمة هو عمانوئيل وتجاسر قائلاً: إن صورة العبد ليس لها ابتداء من الله الكلمة وإنها غير مخلوقة مثله، ولم يحسن الاعتراف بأنها مخلوقة من الله الكلمة، كونها هي طبيعة وخليقة الله الذي وعد لها أنها بذاتها وقدرتها تقوم من بين الأموات قائلاً: انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه، فليكن محروماً.

الفصل السابع

من قال إن الله الكلمة كان يفعل في الإنسان يسوع وإن عزة ابن الله الوحيد اتصلت به كأنه آخر غير الكلمة، فليكن محروماً.

جاوب نسطور:

إن كان أحد قال إن ذلك الإنسان الذي خلق من دم العذراء من حشاها أنه هو ابن الآب الوحيد المولود من البطن قبل كوكب الفجر، ولم يحسن الاعتراف بأنه يدعى ابناً وحيداً لكونه بواسطة الاتصال صار مشتركا مع كلمة الآب ابنه الوحيد الطبيعي، ثم وإن قال أيضاً أن يسوع هو آخر دون عمانوئيل الذي هو الله معنا، فليكن محروماً.

الفصل الثامن

من تجاسر وقال ينبغي أن يسجد للإنسان الذي أُصعد إلى السماء مع الله، وأن يمجد معه، أو يسمى معه إلهاً كأن واحداً مع آخر، وهو يضطر أن يعترف أن زيادة في كل حين ولا يمجد عمانوئيل بسجدة واحدة ويوصل إليه هذا المجد فقط لكون الكلمة صار جسداً، فليكن محروماً.

جاوب نسطور:

إن كان أحد قال إنه ينبغي لصورة العبد السجود من ذاتها كصواب طبيعتها وكأنها سيدة الكل، ولم يحسن القول أنه ينبغي السجود لها بالصحبة التي بها هي ملتحمة مع طبيعة الوحيد التي من ذاتها هي سيدة الجميع، فليكن محروماً.

الفصل التاسع

من قال إن ربنا يسوع المسيح الوحيد أنه كان ممجداً من قبل الروح القدس بقدرة غريبة منه، وإنه بنعمة الروح كان يستعمل تلك القدرة والسلطان

على خروج الأرواح النجسة، وبه يتم الآيات اللاهوتية في البشرية، ولا يقول إن الروح خاصة له وإنه كان يفعل به آيات اللاهوت، فليكن محروماً.

جاوب نسطور:

إن كان أحد قال إن الروح القدس مساوٍ في الجوهر لصورة العبد، وليس يحسن القول إنه صار لتلك الصورة في حين حبلها التحام إلى كلمة الله بواسطة الروح القدس، وهو كان يعمل العجائب وأكثر الأوقات يبرئ معجباً أناساً كثيرين سقماء بأمراض مختلفة، فليكن محروماً.

الفصل العاشر

إن الكتاب المقدس يقول إن المسيح صار رسولاً وعظيم أحبار إيماننا، وأنه قرب نفسه لله لأجلنا ولأجل خلاصنا بخوراً طيباً لله الآب، فأما من قال إن كلمة الله ليس هو الذي صار رسولاً ورئيساً للكهنوت وتجسد وصار إنساناً مثلنا، بل أنه أخذ جسداً خارجاً عنه وهو إنسان فقط من امرأة دون الكلمة.
ثم ومن قال أيضاً إن المسيح قرب نفسه لله الآب لأجل نفسه ولم يحسن القول إنه قرب نفسه لأجل خلاصنا نحن البشر فقط لأنه لا يحتاج إلى قربان إذ لم يعرف خطية، فليكن محروماً.

جاوب نسطور:

إن كان أحد قال إن الله الكلمة الذي ليس لذاته ابتداء إنه قد صار حبراً ورسولاً لإيماننا، وإنه كان رسولاً عمانوئيل. ثم أيضاً وإذ لم يفرز القربان ويوجب حقه للكلمة الذي جمع وللإنسان المجتمع إلى جماعة ابن واحد، أعنى إن لم يخص ما لله لله وما للإنسان ينسبه للإنسان [1]، فليكن محروماً.

(١) قال لاون البابا الروماني: "الكلمة يفعل ما يختص به الكلمة، واللحم يفعل ما يختص به اللحم، فالواحد من

الفصل الحادي عشر

من لم يعترف بأن جسد الرب شافٍ محيى كونه لكلمة الله الآب ويعكس الحق ويقول إنه آخر خارجاً عنه اجتمع بالتجسد، وكان فيه فقط بحلوله ظاهراً يقول إنه مُحي على ما قلنا لكون الله الكلمة كان ساكناً فيه غير متحد به اتحاداً أقنومياً، ولم يحسن كما سبق قولنا إنه معطى الحياة كونه صار لكلمة الله خاصة الذي هو قادر أن يحيى الكل، فليكن محروماً.

جاوب نسطور:

إن كان أحد قال إن الجسد الملتحم مع الله الكلمة هو معطى الحياة من خاصة طبيعته، بخلاف ما نطق به الرب الإله حيث قال: الروح هو الذي يحيي أما الجسد فلا يفيد شيئا، فليكن محروماً.

فإن الروح هو إله وبه الله نطق ذلك القول. أما إذا كان هو قال إن الله الكلمة صار جسداً كالجوهر الجسدانى بذلك النوع، كما قال المسيح بعد قيامته من بين الأموات لتلاميذه: جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي، فليكن محروماً.

الفصل الثاني عشر

من لم يعترف بأن الله الكلمة تألم في الجسد وصلب في الجسد وذاق الموت وأنه بكر الأموات، مثلما أنه الحياة وهو المحيى كالإله، فليكن محروماً. **أنا أصلى أن تخلص وأن تذكرنا أيها الخائف الخادم لله.**

المذكورين يُبهر بالعجائب والآخر ملقَى للشتائم ... يأتي المسيح وحقاً اثنين إله وإنسان" فميز يا صاح بعقلك وتروى قليلاً، إما أن اعتقاد لاون موافق لإعتقاد نسطور ومباتن لإعتقاد البابا كيرلس بالكلية.

جاوب نسطور:

إن كان أحد يعترف بآلام الجسد ويخصها لكلمة الله كما يخصها للجسد الذي كان ساكناً فيه الكلمة، ولم تتميز قيمة الطبائع، فليكن محروماً.

ثم أن نسطور قد احتقر رسائل القديس كيرلس وحرومه ولم يقتنع بها ولا انحاز إلى الإيمان الرسولى، وحينئذ قد أشيع خبره عند الآباء وبالأكثر برسائل من كيرلس البطريرك، فإنه قد كاتب الأساقفة بهذا الأمر المهم. وابتدأت تتقاطر إليه الرسائل من كل جهة سائلين أن يوضح لهم حقيقة الإيمان ليروا ما ذهب إليه نسطور في الاعتقاد.

وهاك جواباً من البابا كيرلس إلى سوكينسوس أسقف دياقيسارية مجيباً عن سؤاله:

قال البابا كيرلس: قرأت الكتب التي أرسلتها قدسك إليّ وفرحت أن لك استطاعة أن تهدينا مع آخرين، وأردت أن تؤنسنا من كثرة محبتك للتعليم، أن نكتب إليك بما في قلبك واعتقدنا أنها مستوية.



نحن نؤمن من أجل تدبير المخلص الذي اعتقده أباؤنا المتقدمون ولما قرأنا مسطور أولئك رتبنا قلوبنا كرأيهم حتى نسير تبعاً لهم، وإلا نُدخل على المذهب الصحيح شيئاً آخر، لأن كمالك يسألنا هل يجب أن يقال إن المسيح طبيعتان أم لا؟ فحسن لدى أنه يجب أن أجيب عن هذا، كان واحد مريضاً يسمى ثيؤدوريت من الذين يضادون الروح القدس مثل هذا الزمان بمثل ما قالوا، هذا شارك كنيسة الأرثوذكسيين وهذا على قدر ما أظن أنه يزيل عنه

نجاسة فرقة المقدونيين، فسقط أيضاً في مرض آخر وكتب أن:

"آخر هو الابن بذاته الذي ولدته العذراء من نسل داود وآخر كلمة الله الآب الذي منه وبه".

وهو يستر الذئب بجلد الخروف قائلاً:

"إن المسيح واحد ويأتي باسم الابن على الذي ولده الآب - الابن الوحيد - ويسمى أيضاً الذي من نسل داود ابناً، على مثل ما يقول إنه بالنعمة صار واحداً مع الابن الطبيعي ولا يقول إنه اتحد مثلما نقول بل كالتمجيد والكرامة والموهبة فقط".

ونسطور صار تلميذاً لهذا، وأظلم من الكتب التي لذاك فيعترف قائلاً: إن المسيح واحد والابن الرب. ثم يقسم الواحد الغير المنقسم إلى اثنين ويقول:

"إن الإنسان اتصل بالله الكلمة بهذا الاسم والكرامة والتمجيد فقط".

وهو لعمري يقسم الكلام الذي في الأناجيل وتبشير الرسل الذي من أجل المسيح. ويقول إن هذه تنسب إلى الإنسان [1] ويبين أنه يعنى الناسوت، وأخرى أنها تليق بالله الكلمة وحده. وهذا ظاهر أنه يعنى اللاهوت، والآن بأنواع كثيرة يفرق الإنسان في ناحية وحده الذي ولدته العذراء القديسة، وأيضاً يفرق الابن الكلمة في ناحية أخرى الذي من الله الآب.

من أجل ذلك لم يسميا العذراء القديسة والدة الله بل والدة إنسان ونحن لا نعتقد هذا.

بل تعليمنا من الكتاب المقدس ومن آبائنا القديسين هو أن نعترف بابن واحد ومسيح واحد ورب واحد، هو الكلمة المولود من الله الآب المولود من ذاته قبل كل الدهور كما ينبغي للاهوته الغير المدرك.

(١) لا جرم أن هذا هو اعتقاد الملكيين بعينه القائلين إن اللاهوت يبهر بالعجائب والناسوت مأتى للاهانات وواحد منهما يعمل كذا والآخر كذا فلا سبيل لهم أن يتبرأون من بدعة نسطور المخالفة لتعليم البابا كيرلس.

وفي آخر الأزمان ولدته العذراء القديسة من أجلنا بالجسد، لأنها ولدت الله الكلمة الذي صار إنساناً وتجسد، من أجل ذلك نسميها والدة الإله.

واحد هو الابن وواحد هو المسيح قبل أن يتجسد، وليس الكلمة ابناً آخر الذي من الله الآب وآخر الذي من العذراء القديسة، بل هو هذا الواحد الوحيد، الذي نؤمن به الذي كان قبل كل الدهور ووُلد من امرأة بالجسد، فلم يكن للاهوته ابتدأ وثبات من جهة العذراء القديسة، بل بالأفضل على ما قلت إن الكلمة موجود قبل الدهور، نقول أنه وُلد منها بالجسد كجسد كل واحد منا.

وإذ يُنسب إلينا فرقة أبوليناريوس قائلين إذا كنتم تقولون إنه واحد باتحاد صحيح، وواحد هو الابن الكلمة الذي من الله الآب، الذي تجسد وصار إنساناً، ولعلكم تظنون هذا [1] أن الكلمة اختلط مع الجسد وامتزج معه، واستحالت طبيعة الإنسان إلى اللاهوت؟

من أجل هذا نزيل عنا بحكم عيوبهم ونقول إن الكلمة الذي من الله الآب، بما لا نعرفه ولا نقدر أن ننطق به، صير الجسد واحداً معه وله نفس عاقلة، وخرج من امرأة وصار مثلنا بدون تغيير طبيعته، بل بالأفضل بإرادة تدبيره أراد أن يكون إنساناً ولم يترك عنه لاهوته الطبيعي. لكن وإن كان هبط إلى حدودنا ولبس صورة العبد، كذلك هو أيضاً في علو لاهوته وربوبيته بالطبيعة.

ونحن نقول عن الكلمة الذي من الآب إنه صار واحداً مع جسده المقدس وله نفس عاقلة على ما نصفه، ولم يمتزج ولم يستحل ولم يتغير.

ونعترف بابن واحد ورب واحد، والواحد هو الله وهو الإنسان ليس هو واحداً مع آخر، بل هو الواحد فقط موجود، وهو يفعل هذا وذاك لأنه مرات يتكلم كالإنسان كالتدبير ومرات كالإله كسلطان اللاهوت.

---

(١) إن هذا الاعتراض الذي كان دأب المعترضين يحاجون به أنبا كيرلس هو بعينه المعترضون به علينا الآن وقد مـر تفنيده سابقاً، ومن ذلك نستدل بالصحيح أن أمانة البابا كيرلس هي بعينها أمانة كنيستنا من دون زيادة ولا نقصان.

ونحن نقول أيضاً هذا والآخر ونسأل ونبحث بحكمة عن مثال أسرار التدبير الجسمانى إن الكلمة الذي من السماء من الله الآب لما صار إنساناً وتجسد، إنه لم يخلق ذلك الجسد من طبيعة اللاهوت بل بالأفضل اتخذه من مريم العذراء، وإلا فكيف صار إنساناً إلا أنه أخذ جنس البشرية واتحد به ويفعل أيضاً بشكل الناس.

نرى طبيعتين اجتمعتا باتحاد من غير افتراق ولا امتزاج ولا استحالة، فالجسد هو جسد وليس هو لاهوتاً وإن كان قد صار جسد الله، والكلمة هو إله وليس هو جسداً وإن كان قد جعل الجسد له بالتدبير.

وللوقت الذي نعقل هذا هكذا لا نُلذع بشئ غير الاتحاد، إذا قلنا إن الطبيعتين اجتمعتا طبيعة واحدة، ومن بعد الاتحاد لا نفرق بعضهما عن بعض ولا نُقسم الواحد الغير المقسوم ونجعله اثنين، بل نقول إنه ابن واحد وحيد، مثلما قال آباؤنا إنه طبيعة واحدة للكلمة المتجسد.

فحسب ما نرى بقلوبنا وعيوننا ونفوسنا بأي مثال تجسد الوحيد، ونقول إن طبيعتين اجتمعتا باتحاد مسيحاً واحداً ورباً واحداً كلمة الله المتجسد.

وإن كان يستقيم لك فلنتخذ قياساً يبشرنا نحن الذي لنا المخلوقين من نفس وجسد. ونحن نرى الطبيعتين واحدة في الجسد وواحدة في النفس، فواحد هو الإنسان بالاتحاد من الاثنين، ولا نقول إنه رجلان لهذا الواحد وإن كان صار من طبيعتين. ولكن مثلما قلت إنه واحد هو الإنسان الذي كان من نفس وجسد، وإذا رأينا هذا، أن المسيح واحد كان من طبيعتين مختلفتين بعضهما من بعض وهو غير مفترق من بعد الاتحاد.

وسيقول لنا الذين يعاندون الإيمان المستقيم إنه إن كان كله طبيعة واحدة صار إنساناً، فكيف خلق له جسداً واحده، وإذا وجدت كلاماً هكذا في رسالتك أنه من بعد القيامة من الأموات هل استحال جسد المخلص الطاهر

إلى طبيعة اللاهوت؟ حتى أنه كله صار لاهوتاً وحده. رأيت من الصواب أن أكتب عن هذا **قال المغبوط بولس الرسول** فيما كتب به يعلمنا سبب تجسد الوحيد ابن الله:

✠ «مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزاً عَنْهُ فِي مَا كَانَ ضَعِيفاً بِالْجَسَدِ فَاللَّهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ» (رو ٨ : ٣).

لكي يكون تدبير الناموس تاماً فيه ونحن الذين لا نسير بالجسد بل بالروح.

ومرات أيضاً:

✠ «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ. لأَنَّهُ حَقّاً لَيْسَ يُمْسِكُ الْمَلاَئِكَةَ، بَلْ يُمْسِكُ نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ. مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (عب ٢ : ١٤ – ١٧).

نحن نقول إنه بمخالفة آدم هلكت طبيعة البشر وملكت الحركات الطبيعية التي للذات الجسد على قلوبنا، فوجب أن يصير كلمة الله إنساناً ليخلصنا نحن الذين على الأرض، لكي يجعل جسد الإنسان الذي صار تحت الفساد بمحبة اللذات خاصاً له، إذ هو الحياة ومعطى الحياة ويبطل الفساد الذي فيه ويزجر حركات الطبيعة التي تكون من محبة اللذات، وليس هذا له أعنى كلمة الله الواحد، بل هو ظاهر أنه باق فيما هو لخاصته في كل حين.

وإذا كنا في شر بمخالفة آدم، فالفساد بلا شك نزل بنا وموت الخطية أيضاً، ولما صار إنساناً لم يتخذ إنساناً على ما يوجبه نسطور، بل نؤمن به أنه تجسد وبقى ثابتاً فيما له أي أنه إله بالطبيعة، ومن أجل هذا يقال عنه إنه جاع وعطش وتعب في الطريق، ونام وقلق وحزن، وقبل الآلام التي ليس فيها لوم ليرضى الذين

يرونه، لأنه إله بالحقيقة وهو إنسان يصنع علامات اللاهوت والناسوت معاً. زجر البحر، وأقام الموتى، وصنع كل العجائب، ثم صبر على الصليب ومات بالجسد ليس بلاهوته ليكون بكر الولادة من الموتى ويهيئ الطريق لطبيعة البشر إلى عدم الفساد. سبى الجحيم ورحم النفوس التي كانت مسجونة فيه، ومن بعد قيامته أيضاً بالجسد الذي مات به هو أيضاً قام به وليس فيه بعد ذلك ضعف البشرية.

ولا نقول عنه إنه يقبل موتاً ولا جوعاً ولا تعباً ولا فعلاً آخر هكذا، بل بالأفضل صار بلا فساد وليس هذا فقط بل صار معطى الحياة، لأنه جسد الحياة الذي هو الوحيد وتمجد بمجد اللاهوت ونحن نفهم أنه جسد إله.

فمن أجل ذلك لا يغلط أحد في الفكر الصحيح أن يقول إن جسد الله مثل جسد إنسان، ولا يغلط أن يقول إنه جسد إنسان. من أجل ذلك أظن أن الحكيم بولس قال:

✠ «إِنْ كُنَّا قَدْ عَرَفْنَا الْمَسِيحَ حَسَبَ الْجَسَدِ، لَكِنِ الآنَ لاَ نَعْرِفُهُ بَعْدُ» (٢كو ٥ : ١٦).

إلا أنه جسد إله، وأنه تعالى أكثر من كل شئ للبشر، وهو مستصعب أن يكون الجسد الذي كان من الأرض يصل إلى طبيعة اللاهوت باستحالة، لأن هذا صعب أن يكون وإلا قلنا إن اللاهوت يكون أضاف إليه شيئاً لم يكن فيه طبيعياً، وهو قول واحد مساوٍ بعضه لبعض أن يقال إن الجسد استحال إلى طبيعة اللاهوت أو أن الكلمة استحال إلى طبيعة الناسوت، وكما أن هذا مستصعب وهو غير مستحيل وغير متغير هكذا الآخر أيضاً هو فعل غير ممكن أن يتغير شئ من المخلوقات إلى طبيعة اللاهوت، لأن الجسد مخلوق والكلمة غير مخلوق. ولأننا نقول أيضاً إن جسد المسيح هو جسد إله لأنه صار جسداً لله، ويمجد بمجد لا يوصف وهو قدوس وغير فاسد ومعطى الحياة.

فأما الاستحالة إلى اللاهوتية فلم يعتقد أحد من الآباء القديسين هذا ولا نحن أيضاً نعتقده، فلا يكون قدسك غير عارف بهذا الأمر أن أبانا المغبوط أثناسيوس الذي صار أسقفاً للإسكندرية في الزمان المتقدم من أجل أفعال تحركت في زمانه كتب رسالة إلى انكيطس أسقف قورنثية مملوءة من كل الإيمان الأرثوذكسي وقد صار الآن كل المتمسكين بالإيمان المستقيم يبكتون نسطور بهذه الرسالة وإذ قرأوها فضحوا كل من يعتقد بإيمان نسطور، ولما بعثوا إليهم ووبخوهم بها فعلوا نفاقاً هرطقياً وأخذوا نسخة الرسالة وأفسدوها لأنها كانت إذا قرئت تفضحهم جداً، فحذفوا منها شيئاً وزادوا فيها شيئاً حتى جعلوها أن يظن بها السذج أن هذا الأب الفاضل كان في اعتقاده مساوياً لنسطور، ولئلا يلدغوا قوماً من الذين يتعلمون تلك الرسالة التي أفسدوها، نحن نأخذ مسطور تلك الرسالة التي أُفسِدَت من الهراطقة المعوجين من الكتب التي عندنا ونرسلها إلى خدمتك الإلهية.

وبولس أيضاً الخائف وخادم الله أسقف حمص المدينة، لما أتى إلى الإسكندرية من أجل هذا وجدنا الرسالة عنده ولكن مفسود من جهة الهراطقة المعوجين، فلما وقف على المسطور الذي عندنا من نسخ قديمة سألنا أن نرسل منها نسخة إلى أنطاكية فأرسلنا إليهم.

ونحن في كل شئ تابعون لإيمان القديسين وقد كتبنا كتاباً ضد مذهب نسطور، والذين عاندوا بالفصول، وأرسلنا إلى مخافتك الخادمة لله، لكي إن كان في إخوتنا الذين هم في هذا الإيمان معنا يتكلمون بشئ ويظنون بنا أننا قدمنا على ما قلناه وقاومنا به نسطور فليقرأوا هذا وليعلموا أنه جيد ومستوٍ إذ كان ضالاً انتهرناه، ونحن الآن أيضاً ثابتون على هذا الفعل في كل حين ونعاند خلافه، ولكمالك استطاعة أن تنفعنا وتكتب إلينا وتصلى علينا.

وقال برسالته التي أنفذها إلى الملك ثاؤدسيوس ضد إيمان نسطور:

كما أن الله الآب واحد الذي به كان كل شئ، كذلك أيضاً ربنا يسوع المسيح واحد الذي من جهته كانت كل البرية، وواحد أيضاً هو الروح القدس الذي هو على كل شئ.

ولسنا نجيز للمجدفين أن يقسموا الواحد ربنا يسوع المسيح إلى اثنين، بل قد تعلمنا نحن أن نرى ونعتقد الصحيح لأننا نحن ما نقول إن ابن الله مقسوم إلى اثنين الذي هو مولود من جوهر الله الآب قبل الدهور كلها حتى لا يكون الوحيد وحده واحداً ويكون آخر الذي كان من امرأة في آخر الأزمان وصار تحت الناموس. بل نؤمن به هكذا ونقول إنه واحد وهو قبل أن يلبس الجسد ويتحد به بالحقيقة وهو من بعد ذلك هو الوحيد ابن الله الآب، ولما اتخذ له جسداً تاماً من مريم العذراء القديسة والدة الإله لم يتغير ولم يستحيل إلى الجسم.

ولما اتحد به لم يخرج عن لاهوته أصلاً لأنه دائماً بحاله وهو رب الكل، قال الرسول بولس:

✞ «فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ» (٢كو ٨ : ٩).

انظروا الآن إلى علو طبيعة اللاهوت الموجود إلى الأبد إذ هو يبين هذا بصحة واتضاع الناسوت الذي لبسه أعني الوحيد إذ هو متحد من طبيعتين، وليس يُدرك بشئ من الكلام تفسير غنى اللاهوت لأنه غير موصوف، الناسوت فقير جدا وهو معطى كل شئ من السماء وإله الكل، وهو موجود في كل زمان قبل كل الخلائق، والناسوت كان من جهة الله وليس هو موجوداً في كل زمان.

ولكن الغنى بالحقيقة كالإله صار فقيراً من أجلنا بإرادته وصار مثلنا لكي تصير طبيعة الإنسان في مجد علو اللاهوت بالمسيح ويبعد عنه حد المسكنة «وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» كما هو مكتوب.

ولكنه لا يليق به أن يكون في هذه الكرامات لو لم يلبس المسيح طبيعتنا الفقيرة وهو الغنى كالإله، لأن الإنسان هو فقير كطبيعته وحده يعنى البشرية فكيف يقال عنه إنه افتقر أيضاً مرة أخرى، [1] هذا إنما ينبغي أن نقوله عن الوحيد ابن الله إذ تمسكن من أجلنا صار مثلنا وهو الغنى.

فواحد هو المسيح ابن الله الذي اشترانا بدمه من لعنة الناموس، وصار لعنه عنا كما هو مكتوب إن كل مصلوب ملعون وكتاب الناموس يبين أن الذي تحت المخالفة والخطايا هو ملعون. والذي لم يعرف خطية وهو المسيح صار مداناً من أجلنا واحتمل محاكمة الظلم وقبل الآلام اللائقة بالذين هم تحت اللعن من أجلنا، وحمل الموت الذي لا يساويه كل البرية.

ولما مات عنا أزال الخطية التي كانت بالمخالفة التي كانت من أول العالم، وكل من هو تحت السماء اشتراه وحده بدمه، ولو كان إنساناً ساذجاً من كان يقدر أن يقول إن الكل لا يساويه، وإذا كنا نعلم أنه الله الذي صار إنساناً وتألم بجسده وحده، وكل الخليقة لا شئ عنده وبموته بالجسد فقط صار الخلاص إلى الأبد لكل من هو تحت السماء إلى الأبد، لأنه موت جسد الله الكلمة الذي من الله الآب.

نحن نؤمن أن ولادته هكذا بالحقيقة وأنه كيف صار ناقصاً عن الملائكة قليلاً وهو الذي تسجد له الملائكة وهو جالس عن يمين أبيه، ولكن العلة في هذا الفعل قد بانت وهي أنه نزل إلى حد البشرية واتخذ جسداً يموت لخاصته وحده

(١) انتفى اعتراض الملكية (الآب أعظم منى) من قول البابا كيرلس البطريرك وقد فندناه سابقاً.

وتألم فيه بإرادته، والمجد والكرامة في العلا إكليل عليه، ومن أجل ألم موته أبطل الموت به وأبطل الفساد أن لا يكون بعد، لأنه الحياة والخلود.
وإذ سُمى يسوع وأنه اتضع قليلاً دون الملائكة فلا نعرفه إنساناً مفرداً من ناحية، بل هو الوحيد القدوس نزل من مكان علو الكرامة للملائكة بالتدبير لأجل أنه صار إنساناً بالحقيقة، لأن البشرية ناقصة دون الملائكة، والرفعة التي الملائكة فيها وكرامتهم ومجدهم لأنهم غير متجسمين وهم غير مائتين، فصار الابن هو محتملاً هذه الآلام هكذا من أجل أنه أفرغ ذاته وحده، ولكن الذي تواضع قليلاً دون الملائكة من أجل حد الناسوت الذي صار فيه هو أيضاً في أعلى لاهوته بحاله وله تسجد جميع الملائكة، وهو جالس على كرسي اللاهوت، جالس والملائكة قيام حوله يمجدونه في كل حين، والقوات والرؤساء والسلاطين يسمونه ربنا.

كلمة الله صار واحداً مع الجسد الذي اتخذه بما لا ينطق به، جسد تام بنفس عاقلة وليس هو كما قال قوم بلا نفس، وهكذا شارك اللحم والدم الذي هو الولادة بالجسد من العذراء القديسة، فواحد هو الآن ربنا يسوع المسيح لأنه ابن الله اتخذ جسد إنسان واتحد به وبقى على حاله دائماً كما كان، وإن كان هو الذي أبطل تغلب الموت لأنه هو الحياة وهو "الله، فيجب أن نعلم أن الجسد هو له لخاصته وذاق الموت وهو الذي قام،
وقيل إنه الذي أبطل الموت وأعطى جنسنا كله موهبة البقاء.
وهذا الفعل الذي هو أنه داس الموت وأبطل غلبته ليس هو لإنسان ناقص مثلنا بل هو جليل جداً عن حدود البشر، فمن أجل هذا نؤمن ونقول أن شارك اللحم والدم أعنى كلمة الله الذي صار إنساناً مثلنا وبقى بحاله في لاهوته الغالب الموت هو الله الذي صار إنساناً كما هو مكتوب.

وهو أيضاً كإنسانيته صار رئيس كهنة وهو القربان كالجسد الذي اتخذه، وهو الذي يحمل له كل القرابين كالإله، وهو غافر الخطايا كسلطان لاهوته. فواحد هو الآن الرب يسوع المسيح.

وإن قلنا يسجد أيضاً للابن من أجل الجسد الذي اتخذه فإن الخليقة كلها تسجد له كالإله وهو جالس على كرسي لاهوته والملائكة قيام حوله يمجدونه كل حين والقوات والرؤساء والسلاطين يسمونه ربنا.

قال السيد المسيح:

✞ «أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً يَسِيراً بَعْدُ ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يو ٧ : ٣٣).

فأي موضع ليس فيه كلمة الله، وإذ هو يملأ الكل بطبيعة لاهوته، فكيف يرسله الآب إلا أنه بعثه بالناسوت الذي اتخذه بمثال الإرسال.

ولما قال المخلص لتلاميذه:

✞ «وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ» (يو ١٥ : ٢٦).

الذي يملأ الكل فمن أجل ذلك يقول إن روح الرب يملأ المسكونة كلها لكنه لم يخرج عن لاهوته وهو غير متحول بطبعه وهو هو إلى الأبد.

قال:

✞ «مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ» (يو ٨ : ٢٨).

صُلب الابن بإنسانيته وعاش بلاهوته ونحن نؤمن بقيامته وأنه الله وابن الله بالحقيقة.

فإذا كنا نؤمن به أنه ما قام آخر غيره بل بالأفضل هو الذي قام، فالحال يضطرنا من كل جهة أن نعلم أن جسده هو الذي تألم بالموت لكي يقال عن كلمة الله أنه الذي قام وهو غير مائت بطبيعته كإله.

نحن نكرز بموت مسيح واحد وابن واحد ونقر بقيامته ونكرز بالإيمان به، وهو الواحد يسوع المسيح الذي مات بإنسانيته وقيل إنه مات بالجسد وقام من الأموات بلاهوته لأنه هو الحياة.

من هو الذي يقول:

✝ «اَلأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي هِيَ تَشْهَدُ لِي» (يو ١٠ : ٢٥).

وعن من يقول إنه أبوه إلا لله، فترى أنهم هل يظنون أن الذي هو من العذراء هو من ناحية وحده وهو الوحيد وحده ولا يجوز أن تكمل طبيعة الناسوت أفعال اللاهوت ولا يمكننا هذا التفضل لأنه المسيح هو الذي كمّل أفعال أبيه ولا نعرفه أنه إنسان مثلنا بل هو إله شارك اللحم والدم وبقى بحاله في لاهوته الذي لم يزل له وهو في كل شئ مساوٍ لأبيه عندما تم التدبير ليس أحد ممن يعتقد الاستواء ينكر التدبير، قال أن الطفل كان ينمو ويقوى ويمتلئ من الحكمة وكانت نعمة الله معه: «وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ»

ونحن نقول إن ربنا يسوع المسيح إله واحد والأفعال التي ينبغي للاهوته ولناسوته نحسبها أنها له معاً باتحاد، ونقول عن نمو جسده إنه قبله بالحقيقة كالحدود التي تليق بالجسد، وإنه قبل ذلك بالحقيقة كما ينبغي لإنسانيته، وثبات أعضاء الجسد يتقوى قليلاً قليلاً وظهر أيضاً مملوأً حكمة من أجل الذي أعطاه من حكمته وحده كالنمو الذي ينبغي لجسده، وهذه كما قلت تليق بتدبير تجسده والحدود التي اتخذها وطبيعة الكلمة المقدسة.

وهو شئ تام يليق به في كل حين وهو الحكمة كلها وله أيضاً الأفعال التي تليق بناسوته الذي لبسه بالاختيار وله أيضاً الأفعال اللاهوتية لأنه هو الله، ومثال تدبير الجسد الذي اتخذه قد بينه لنا أنه صار مثلنا وهو يخبرنا به أنه أعلى منا جداً كالإنسان وهو أيضاً على كل الخليقة كالإله ونقص عنه وحده واتضع على مثلما ظهر أنه إنسان.

كما أنه لو رفض الأفعال الناسوتية كيف كان ينبغي له التواضع الذي صبر عليه، ولكن ما نعرف أن طبيعة الكلمة لها أفعال الناسوت في جوهرها بل نسب

ذلك إليه (بالاتحاد) بجسده كما قيل إنه جاع وعطش وتعب من المشى في الطريق.

فإذا أنت سمعت أن الطفل نمى وتقوى وامتلأ حكمة فاعترف بسر تدبير جسده واقبل القول هكذا وأجب أنه الله الذي تجسد.

نحن نصدق الإنجيلي لوقا إذ يقول نعمة الله كانت معه، لم يقل إنه نال النعمة من إله آخر ولكن هي معه كما يليق بالإله الذي هو لابس الجسد، لأن الكلمة المقدس هو إله وهو الله، وإن كان قد ظهر بالجسد أي صار إنساناً مثلنا وهو قوة الآب وحكمته فكيف يكون حكمة الآب غير عالم بخفيات الآب، وكيف قيل عن الروح القدس إنه: «يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ»



وعن الخفايا التي لله وهذا الروح هو للمسيح أيضاً، فكيف يكون غير عالم بهذا بناسوته بل هو يعلم بالحقيقة كل شئ كلاهوته. هو يقول عن لعازر ويسأل أين تركتموه لكي يجعل موضعاً لحدود ناسوته الغير العارف بالخفيات وباللاهوت أقامه من الأموات.

فالأفعال التي لناسوته نوجبها لتدبير تجسد المسيح والأفعال اللائقة بلاهوته نحفظها بالبقية ونوجبها للاهوته، وإن كان كلمة الله الآب قد صار مثلنا، أيضاً أن يسوع صرخ بصوت عالى: «إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي» فترى يقال إن كلمة الآب احتاج إلى معونة من السماء هذا هو سفه جداً أن يقال لأنه هو المتسلط على الكل مثل الآب والسماء ثابتة بروحه، وهو أيضاً بالحقيقة يُسمى رب القوات، وهو هو بالحقيقة ولكنه جعل موضعاً لليهود ليتموا اغتيالهم له ولم يقاتل البته الذين صلبوه، وإشعياء النبي يقول هكذا لأجله أن سائر الأمم هم

عنده مثل نقطة ما من قادوس وهم محسوبون قدامه مثل رجحان ميزان. وأيضاً بماذا شبهتم الرب وبأي مثل مثلتموه.

قد نعلم أنه لما أتى إليه أعوان اليهود ليأخذوه ومعهم جماعة من الجنود ويهوذا الجاحد أمامهم سألوا عنه ليأخذوه فخرج هو إليهم وقال لهم:

✞ «مَنْ تَطْلُبُونَ؟ أَجَابُوهُ: يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ. قَالَ لَهُمْ: أَنَا هُوَ وَكَانَ يَهُوذَا مُسَلِّمُهُ أَيْضاً وَاقِفاً مَعَهُمْ. فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ: إِنِّي أَنَا هُوَ رَجَعُوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ» (يو١٨: ٤- ٦).

فكيف وبأي مثال يكون غير قوى وهو بصوته وحده بيّن ضعف اليهود لما اغتالوا به، فما الذي أراد الآن، إذ يقول «إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي».

نحن نقول إن أبانا آدم الأول لما داس الوصية التي سُلمت إليه فتوانى وحده عن الناموس الذي أُمِر به، ترك الله عنه طبيعة البشر فحصلوا تحت اللعنة وصاروا مغلوبين بالموت، فمن أجل ذلك أراد الله أن ينقل جنسنا إلى غير الفساد مرة أخرى فنزل كلمة الله الوحيد إلى العالم، وأُخذ من زرع إبراهيم وتشبه بإخوته ليبطل ذلك اللعن الأول والفساد الذي ذهبنا إليه من الأول الذي كانت طبيعة الإنسان قد صارت فيه، ولما شارك مخلصنا اللحم والدم مثلنا نسب نفسه أنه صار واحد منا نحن الذين تركنا الله عنا بمخالفتنا. فقال حينئذ هذا القول عن جنسنا لماذا تركتني، كأنه يحلل الأمر الذي لحقنا بالانتقام، وكأنه يسأل الآب ليزيل الغضب عنا الذي لحقنا من الأول كمن ينسب السؤال إليه. لأنه أخذ شبهنا ليطلب إلى الآب فينا أن يذكرنا مرة أخرى ولا يتركنا عنه كأنه مبدأ لنا في كل شئ، وصار لنا بكراً لكل الخيرات أعنى المسيح وابتدأ أن يعد لنا البقاء، حتى قيل عنه إنه تمنى شيئاً يناله من عند الآب بناسوته.

فهذا مبتدأ من أعد هذا لطبيعتنا وهو التام في ذاته الغير العاجز شيئاً أصلا كالإله، غير أن الجسد الذي اتخذه قد صار له وحده بالحقيقة، ونحن نعرف أنه ذاق الموت بجسده وهو ليس له، والفعل الذي كان بالتدبير ليس له مكروهاً عنده ولا مدانا، لأن جسده وحده هو الذي ذاق الموت وعلمنا أنه أول المولودين من الموت وهو الغير المائت بلاهوته وهو الحياة بجوهره.

ولما دفعه الآب رأساً للكنيسة وهبط وحده إلى الامتياز حينئذ قيل عنه إنه مات عنا بناسوته هذا الذي هو غير مائت كالإله وهو في جلال لاهوت الآب وعظمته التي لا يُنطق بها، ومن أجل أنه امتاز قيل عنه إنه اتضع ولبس صورة العبد وطلع إلى مجده وترك عنه مسكنة الطبيعة التي صارت معه واحداً وهي الناسوتية التي اتحد بها، فمن أجل أنه قيل عنه كناسوته نال المجد الذي هو للاهوته في كل زمان من غير تغيير وهو الرب على الكل.

فإذا كان الابن الذي يحبه الله الآب جداً أن يبقى على الكل رباً، فكيف لا يكون القول حقيقياً أنه وإن اتخذ شكل العبد وهو باقٍ في حريته وحده وله المجد الجليل الذي للاهوته الذي هو على الكل وله سلطان الملك.
اسمع المغبوط بولس إذ يقول إن ابن الله الوحيد الموجود قبل كل الدهور الذي ثبت البرية كلها، الذي به كان الكل ثابتاً صورة الله الغير المرئية. ويقول عنه أيضاً إن الآب جعله رأس جسد الكنيسة. وأيضاً أنه صار بكراً من الأموات لأنه غير مائت بلاهوته، فنضطر أن نقول عن الكلمة الذي من الآب الإله أنه صار إنساناً مثلنا بتدبير الاتحاد وهكذا أثبتوه لنا أنه مسيح واحد وهو إله وهو إنسان وهو هو.

من هو أيضاً الذي حصل فيه كل ملء اللاهوت، إن توهمنا أن هذا كان لطبيعة الكلمة وحده فليس نغلط البتة في هذا القول وهو موافق لما نقوله

إن الوحيد وحده كان فيه عندما آمنا أن الكلمة صار جسداً ولم يتغير ولم يستحل لكنه صار معنا واحداً، والجسد الذي صار واحداً معه هو بالحقيقة خلقه له وحده هيكلاً تاماً ذا نفس ناطقة.

والصلاح الآن أن يقال إن الولادة بالحقيقة للكلمة بالجسد الذي اتحد به، ويدلنا على هذا ذاك العجيب بولس المغبوط ويقول: «فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيّاً»

وكما نقول أيضاً روح الإنسان موجود فيه وليس هو شيئاً آخر خارجاً عن الإنسان، بل نعترف بأنه الله تجسد بناسوت وهو مسجود له بجسده إذ صار إنساناً.

من أجل ذلك قول الإيمان الذي يكرز به بولس المغبوط بيّنه إذ يقول:

✠ «إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ خَلَصْتَ»

وإذا قلنا إنه قام من الأموات فكيف يكون، لأنه غير مائت بلاهوته وإنما هو بإرادته قبل حد الناسوت الذي صار فيه.

ونحن نعلم أن الجسد الذي يموت هو لبسه وجعله لخاصته وحده وصبر على الموت فيه بالناسوت وعاش بلاهوته وإنما هو الحياة والبقاء، وإن نحن قلنا الكلام الذي يليق بناسوته فإن ذلك لا يعيب طبيعة الكلمة بشئ من المقال لأن جسد الناسوت ناقص جداً عن اللاهوت، ونحن نؤمن جيداً أنه صار إنساناً مثلنا وأنه أيضاً لم يخرج عن لاهوته البته ولا تغير، بل اتخذ الناسوت له وبقى كما هو بلاهوته وصار طائعاً حتى الموت بولادته الجسدية وهو يملأ الكل.

وأنا أظن أن الذي يخبرنا به هو هذا وهو ظاهر لكل أحد، لأنه هو الكلمة الذي هبط إلى حدود البشرية بالتدبير من أجلنا ولم يخرج عن لاهوته ولم يترك عنه طبيعته بل الأفضل اتخذ ما لم يكن فيه ليكون جسده وحده الذي اتحد به

هو الذي سلّمه إلى الموت مدة يسيرة، والذين سلّمهم إليه الآب لا يفسد منهم شئ بل ينجيهم كثيراً ويقيمهم في اليوم الأخير.

وكيف يقيمهم الأمر ظاهر أنه من جهة قيامته وحده من الأموات عندما أحيا جسده وحده وأقامه قبل كل أحد وأبطل قوة الموت بموت جسده الذي اتحد به وصار طريقاً لطبيعتنا إلى القيامة وأعطانا المثال الذي نغلب به الفساد.

ونرى كلمة الله الذي أتى من السماء البكر من الأموات بجسده وحده لكي بقيامته يتبعه الذين سلّمهم إليه أبوه، ولا يكونوا من الذين يهلكون بمخالفة آدم الإنسان الأول بل يخلصوا هم بالأحرى من أجل طاعة المسيح، ولأجل ذلك لبس كلمة الله المحيى طبيعتنا المائتة وذلك أنه صار إنساناً مثلنا لكي إذا جعل للموت سبيلا إليه ووثب على جسده بمثل الوحش البري يبطل الغلبة التي علينا ويزيلها لأنه الله وهو الآن كمل آلام الجسد عنا بناسوته.

كنا نقول عن الكلمة إنه إله وصار إنساناً من أجلنا ولم يخرج عن لاهوته أيضاً بل بقى بحاله دائماً في مجده الذي هو له في كل حين، فهو عظيم جداً بالحقيقة. وبأنه العظيم اللاهوتي فالمسيح إذن ليس إنساناً أُعطى الكرامة باتصاله مع الله الكلمة فقط كما يجدف قوم، بل هو الرب الواحد ابن الله اتخذ جسد إنسان واتحد به بالتدبير، وهذا هو السر العظيم اللاهوتي، الكلمة ظهر بالجسد وهو الإله وتبرر بالروح، ولم يحط سيدنا يسوع المسيح بشئ، **وظهر للملائكة مولوداً بالجسد وما كانوا يعرفونه من قبل أن يصير إنساناً وقالوا:**

✞ «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ»

وبُشر به في الأمم، وآمنوا به في كل العالم أنه ابن الله بالحقيقة ظهر بالجسد.

وشهد يوحنا المعمدان قائلا:

✟ «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ. وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لِأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلاً وَمُسْتَقِرّاً عَلَيْهِ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ»

وأنا رأيت وشهدت بأن هذا هو ابن الله الجليل، ونحن الآن نقول إن عمانوئيل واحد، ولا نجيز ما يقوله الذين يقسمون المسيح اثنين، وماذا نقول إذ نسمع الروح القدس نزل من السماء وحل عليه، فإن أردنا أن نجعل مكاناً لفكرنا لكي نقول إن الكلمة الذي هو من الله الآب احتاج أن يأخذ شيئاً من الروح القدس، فإن هذا هو فكر معوج جداً أن يظنه أحد أو يقوله بالكلية، لأن الروح القدس له كما هو أيضاً للآب.

وقد قال المغبوط بولس:

✟ «بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخاً: يَا أَبَا الآبُ» (غل ٤ : ٦).

وهذا نفاق عظيم لن يعتقده أحد أصلاً أن كلمة الله احتاج بلاهوته إلى معونة الروح القدس، وهذا الفعل له برهان ظاهر إنما حل عليه الروح القدس بناسوته لما أظهر لنا تدبير الجسد، وهو سفه أن يفحص أحد عنه بالكلية مرة أخرى، أن كيف نزل عليه الروح القدس. وليس في هذا الفعل سبب أن يقال إنه أخذ من الروح بل بالأفضل أن تدبيرنا ساقنا إلى هذا بالحقيقة، لأنه لم ينل من الروح لذاته هو بل إنما نال ذلك لنا نحن البشر لأنه كان قد بعد من الذين على الأرض، وأيضاً إن كان نال الروح القدس بناسوته فقد رأيناه أيضاً يعطينا ذلك بحسب لاهوته.

هـو قـال: «الَّـذِي تَـرَى الـرُّوحَ نَـازِلاً وَمُـسْتَقِراً عَلَيْـهِ فَهَـذَا هُـوَ الَّـذِي يُعَمِّـدُ بِـالرُّوحِ الْقُدُسِ». وهذا الفعل هو فعل الله، لأنـه يرسـل الـروح فيحـل علـى الـذين يتعمـدون كأنه له وحده ربنا يسوع المسيح وهو أيضاً لأبيه.

فإذا كان هو هذا الواحد ربنـا يسوع المسيح الـذي يقبـل الـروح كتدبير تجسده وهو أيضاً يعطيه هكذا لأنـه هـو الله بالطبيعة والحقيقة، وإن كـان يحـل عليـه كإنسانيته فليس يحل عليـه في لاهوتـه بل علـى ناسـوته وهـو بالأفضل مـن عنـده وهو فيه ومعه.

هو بدأ لنا بإعداده وهو يعطينا بلاهوته من طبيعته فقط هـو يعطيـه للـذين جعلهم لقبوله مستحقين، وقال الكتاب:

✠ «أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئاً مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَكَانَ يُقْتَادُ بِـالرُّوحِ فِـي الْبَرِّيَّةِ. أَرْبَعِينَ يَوْماً يُجَـرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ. وَلَـمْ يَأْكُـلْ شَيْئاً فِـي تِلْكَ الأَيَّـامِ. وَلَمَّا تَمَّتْ جَاعَ أَخِيراً».

فوجب الذي هبط إلى الامتيـاز أن يقـاوم الـشيطان الـذي كـان غالبـاً لنـا في الأول ويقـاتـل عنـا ويحطـه إلى أسـفل ويعريـه مـن قوتـه، ولأجـل هـذا الفعـل أتـى الوحيـد القدوس بالجسد لكي يُظهر أننا قد شاركنا كماله، ولما صام المسيح عنا بقوة تليق بلاهوته أظهر جسده أنه لم يتوجع أصلاً من الجوع والعطش، بل جعله فيمـا هو لخاصته وقلّ تعبه وقال إنه جاع.[1]

فـلأي سبب جاع إلا ليعـرف أنـه طبيعـة واحـدة مـن طبيعـتين لأنـه إلـه وهـو إنـسان ظاهر وهـو متحد اتحاد حسن لـيس لنـا اسـتطاعة أن ندركـه. وهـو هـو الـذي في لاهوته موجود في ناسوته أيضاً كمـا أنـه الـرب بطبيعتـه، وإن كـان قـد صـار في صورة العبد وهو أيضاً في الحال الذي لم يزل فيه، وهكذا هو المثال الذي نقولـه إنه نال رئاسة الكهنوت لما صار إنساناً مثلنا وله ربوات ربوات خدام في السماء

(١) رأى خاص بالمؤلف (الناشر).

يرفعون إليه قرابين عقلية بلا دم وهي التماجيد والتسابيح الغزيرة التي يسبحونه بها.

صار واحداً بالأفضل مع الناسوت الذي اتخذه كشبهنا وتألم بالجسد وهو غير متألم بلاهوته لما قبل ما يخص البشرية، الأفعال التي جربها الآن لنتبع آثاره، وهو الظافر بكل خطية كالإله صار لنا رئيس الكهنة بناسوته، وكالخادم دفع جسده الطاهر لله الآب وله قربانا عنا وحمله قرباناً وبخوراً طيباً.
وهو بلاهوته غير متألم وإن كان في الناسوتية فهو أيضاً قاهر للخطية لأنه بلاهوته غير مستحيل بالكلية وهو غالب في كل شئ وكل الخطايا بعيدة عنه، فهذا هو مثال خدمته. والذي يقال عنه إنه كان فيه ههنا هو فعل لاهوتي،
وإن كان يكرز به أنه صار في حدود البشرية مثلنا فالذين آمنوا به فله الاستطاعة أن ينجيهم بروحه وحده ويبررهم بالمجد والنعمة، لأنه محمول عنهم لله الآب وظهر الآن بين يدى الله عنا.
فبأي وجه ما كان ظاهراً بين يدى الله من قبل أن يتجسد بل هو عنده ظاهر وهو صانع الكل براحة وهو حكمة الآب الذي به كان كل شئ.
وبأي مثال ظهر بين يدى الله إنما ظهر الكلمة المقدس بفعل جديد إذ هو لابس جسد مثلنا وهو بلاهوته ولم يزل عند الآب قبل كل الدهور من قبل أن يتجسد وظهر الآن بين يدى الله لأجلنا في طبيعتنا.
فهذا هو المثال الذي نقوله إنه ظهر الآن به عند الله عنا، لأنه ظهر بين يدى الله أبيه بطبيعة الإنسان التي كانت مرذولة بمخالفة آدم وأقامها في خاصته بين يدى الله أبيه. وليس كما كان في الأول بل ظهر إنساناً ليدخل بنا نحن أيضاً بين يدى الله أبيه.

وبأي مثال أيضاً يتمجد من الآب وهو رب المجد، الأمر بين أن هذا القول مثل القول أنه خلق وإنما قيل لأجل التدبير.

وهو يأخذ المجد من الآب بناسوته وهو الرب الممجد بلاهوته، وكعلو طبيعة اللاهوت نحن نراه في علو مجده الذي هو على الخليقة كلها، وكقدر مسكنة الناسوت الذي اتخذه يقال عنه أنه تمجد من الآب.

فهذا هو المثال أنه إذا قيل عنه أنه أخذ المجد والمُلك والسلطان على الكل، فالأخذ الآن إنما يقال على حدود إنسانيته، ونحن نعرف أنه رب المجد كالإله وهو الجالس مع الآب وليس فيه على أي حال كان شئ من النقص عن علو الذي ولده ومجده ولا عن أفعاله التي توافق طبيعة اللاهوت.

هذا هو المثال الذي باعتقاده نكون نحن أنقياء كيف نتأمل أيضاً السر المقدس كله الذي لبشرية الوحيد الكلمة الذي هو شبه الله الآب، الذي هو منه المساوى له في كل شئ وهو يمينه القوية التي خلقت الكل. إذ يقال عنه إنه أفرغ ذاته وحده من أجل ناسوته الذي أخذه، وارتفع أيضاً في مجده الذي هو له قبل الدهور في علو جلالته التي ولد فيها من الله الآب، وارتفاعه إذاً بالمجد إنما هو بناسوته وهو الرفيع في كل حين وصار إنساناً.

وأظن هذا هو التغيير الذي لبسه والامتياز الذي قيل عنه، فالإله الآن الذي صار إنساناً عندما ظهر لهم لم يُضف إليه شئ، إلا أنه اتخذ جسداً من العذراء واتحد به وصار واحداً بلا زيادة.

فقط نحن نقول إنه لما لبس الإنسانية قيل عنه أيضاً إنه تألم وهو تام في المجد وله ينبغي كل التماجيد، انظروا أيضاً أن ربنا يسوع المسيح لما قبل الروح بناسوته وهو تام عند أبيه بلاهوته أرسل الروح القدس إلى الناس الذين آمنوا حتى أنه ليس هو لآخر الذين كملهم كأنه لهم بل هو له وحده ولأبيه فقط.

أعمال الابن أعمال الآب أعطى الروح لخواصه وقبل الروح بناسوته وأفاضه على آخرين وأعطاهم من تمامه هذا الفعل يليق بالله وهو يفوق البشرية جداً، فالكلمة الآن هو إله وظهر في شكل الإنسان ومن أجل ذلك هو أيضاً جالس مع الله أبيه.

هي طبيعة واحدة للرب نسجد لها بثلاثة أقانيم عندنا وعند الأرواح التي في العلو، والثالوث لاهوت واحد فقط وكل شئ جليل جدا ينبغي أن يكون لها فقط، والكل فهو بالإله الآب ومن جهة الابن والروح القدس.

وإن قيل عن الآب في مكانه إنه يحيى فلا شك هذا الفعل أيضاً يفعله الابن ويفعله الروح القدس، وإن فعل الابن الحياة في الذين هم محتاجون إلى الحياة فإنه يفعل هذا بغير أبيه الذي هو مساوٍ له لأنه له في ذاته ما للآب الذي ولده، لأنه قال ظاهراً: «لَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ نَفْسِي بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهَذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي»

وإن قيل عن الروح القدس إنه يحيى فبلا شك أنه يفعل هذا لأنه روح الحياة، ونحن نقول إن الحياة الطبيعية هي الله الآب وابنه المولود منه والروح القدس.

وعلى هذا المثال إذا قيل إن الله الآب أقام المسيح، فنحن نجد الابن أيضاً هو أقام نفسه، قال لليهود «انْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ»

ونحن نضطر أن نعلم كما يجب أنه لما صار مثلنا أعنى الكلمة المولود من الله تألم بالجسد بإرادته، وهو المثال الذي تعمدنا بموته كما أنه ابن وحيد لله وهو غير متألم بلاهوته وهو متألم بجسده الذي اتخذه، وهو الحياة الطبيعية أعنى كلمة الله الوحيد لأنه لبس الجسد الذي يضبطه الموت وبنعمة الله ذاق الموت بجسده عن الكل، وعاش بلاهوته لأنه لا يمكن للموت أن يتغلب عليه، فمن أجل ذلك قيل عنه إنه قام من الموت من جهة الآب على ما لقنونا الآباء بكلامهم أنه أقر أنه مات بالجسد وعاش بقوة الله وهو الإله بالطبيعة.

وأما كيف مات وبأي مثال جعل سبباً لجسده أن يذوق الموت من أجلنا ؟

لكي بموته يبطل الذي له الموت وهو الشيطان، وأن يشفي هؤلاء الذين هم تحت مخافة الموت كل زمان حياتهم وهم مستحقون للتعبد، فإذا كان الموت الذي ذاقه قليلاً بجسده صار سبباً لخلاص كل من تحت السماء، أفما كان يجب أن يقبل ضعف الجسد ليبطل الموت بموته وإنما العجب منه أيضاً لما أقام جسده وحده مرة أخرى ولم يقمه من جهة ضعف الجسد بل بقوة الله، وهو أيضاً قوة الآب وهو القيامة والحياة.

قال:

✞ «اَلآنَ نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ. وَمَاذَا أَقُولُ؟ أَيُّهَا الآبُ نَجِّنِي مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ. وَلَكِنْ لأَجْلِ هَذَا أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ. أَيُّهَا الآبُ مَجِّدِ اسْمَكَ»

وأيضاً في موضع آخر بدأ يتوجع قلبه، وحزن بقلبه وقال : «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدّاً حَتَّى الْمَوْتِ»

وأيضاً أن يسوع صاح بصوت عالٍ وقال: «يَا أَبَتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي»

أفما الموجودون على مذهب أبوليناريوس والذين اصطفوا لهم يعتقدون فارغاً ويقاومون الحق ويقولون إن الهيكل الذي اتحد به كلمة الله ليس له نفس، وأنه لم يتخذ عقل إنسان.

فماذا يقولون فيما كتبه لنا الإنجيل المقدس وتقدم ذكر مخلصنا كلنا المسيح، فطبيعة كلمة الله الآب الذي في السموات هي في ذاتها غير متوجعة القلب ولا جزعت ولا يقربها شئ من الضعف بالكلية، ولا يجوز بالحقيقة أن تكون في مثل هذا أبداً، ولا يجوز أن نقول أن لها شيئا من أوجاعنا نحن البشر بالكلية.

وأيضاً أن جسداً لا قلب له ولا نفس ؟ كيف يجوز أن يقبل وجع القلب ولا يمكن أن يعلم شيئاً من الذي يكون منها ولا يرى البتة شيئاً من الأفعال التي تليق بالخوف وسجس القلب أصلاً بالكلية، بل هذه الأفعال أنا أقول إنها للنفس الناطقة التي يمكنها قبول ذلك، لأن لها قلبا يؤدى لها ما هو فيه وما يأتي عليه.

فإذا كان الخوف والموت وكل ما قلناه بعيداً عن اللاهوت بالكلية فكيف قال عمانوئيل «نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ»، وبأي مثال يتوجع قلبه ويتسجس، وأي روح أسلمه في يدى الله أبيه إن كان الجسد الذي اتخذه ليس فيه نفس ولا عقل.
بل الفعل ظاهر أن الكلمة الوحيد صار إنساناً، وأنه لم يأخذ جسداً ليس له نفس ولا عقل بل هو جسد تام بالأفضل بنفس ناطقة عاقلة كما يليق بكمال الكلمة الذي هو له، وكما أنه حسب الأفعال التي بجسده أنها له كذلك أيضاً التي للنفس.
ونحن أيضاً من نفس وجسد موجودين، وكما أنه جعل موضعاً لأن يتألم جسده وحدد بالتدبير حتى كأنه هو المتألم وهو غير متألم هكذا أيضاً جعل النفس أن تقبل أفعالها وحدها وحفظ حد الامتياز ليكمله من كل جهة.
ولأنه الله بالطبيعة وهو على الكل، أسلم روحه وحده في يدى الله أبيه وهي نفسه التي اتحد بها لكي يصنع معنا الخير بهذا الفعل أيضاً.

وقد كانت النفوس في الزمان الأول إذا خرجت من أجساد الناس تهبط إلى أسفل الأرض وترسل إلى الجحيم حتى ملء مساكن الموت، فلما أسلم المسيح روحه في يدى الله أبيه أصلح لنا طريقاً جديداً إلى السماء، فلا نذهب من الآن إلى الجحيم بل بالأفضل نتبع الذي خلقنا، وهكذا نُسلم نفوسنا في يديه.
والذي وعدنا هو نفسه لنكون في الرجاء الحسن بأن المسيح يقيمنا كلنا لأنه حي من أجل أبيه إذ هو مولود من آب حى أبدا، وكذلك ينبغي أن يكون هو أيضاً حياة إذ كان مولوداً من الحياة المحيى الذي هو الله الآب وهو ابنه أيضاً بالحقيقة، ومن أجل أن الجسد الذي اتخذه من مريم العذراء القديسة جعله له خاصة ظهر أيضاً أنه محيى كما يجب باتحاده معه، بما لا نستطيع أن ننطق به فالجسد إذ هو أيضاً حياة محيى للكل.

فلا يجب أصلاً بالكلية أن يقسم المسيح الواحد إلى اثنين، واحد هو سيدنا يسوع المسيح، فإذاً كان هو الحياة، وهو هو المولود من الحياة المحيى الله الآب فهو أيضاً محيى، وإذا كان جسده بالاتحاد فجسده أيضاً محيى، وإن كان قد صار إنساناً فهو الله أيضاً.

ثم أن الابن يقبل الحياة ويجعلها فيه بجوهره بأي مثال، هذا لأجل أن الجسد الذي اتخذه وصار واحداً مع الكلمة الحي وصيره له خاصة، فمن أجل ذلك قيل عنه بالأكثر إنه قبل الحياة بطبيعته، وهو أيضاً جعل فعل ما اتحد به أنه خاصته وحده أعنى الجسد الذي اتحد به.

ثم بعد ما أرسل القديس كيرلس المطوب الذكر عدة رسائل إلى بعض الأساقفة وخصوصاً إلى نسطور موضحاً بهذه الرسائل الشريفة كيفية الاعتقاد بالمسيح، وأن اعتقاد نسطور خارج عن اعتقاد الآباء والأنبياء والرسل والشهداء، ولاسيما أثناسيوس الرسولى الذي بواسطة رسالته التي أنفذها إلى انكيطس أسقف قورنثية، أفحم البابا كيرلس أفواه القائمين مساعدة لنسطور بنشره إياها في كل موضع. وكان موضوع تلك الرسالة ومفهوم معناها «أن للكلمة المتجسد طبيعة واحدة»

فبواسطة اعتناء البابا كيرلس واجتهاده اتضح فساد معتقد نسطور لدى جماعة المؤمنين في كل مكان، ولما رأى البابا كيرلس أن نسطور تعالج بعلاجات كثيرة ولم يشف من دائه العضال ولم يزل مصراً على رأيه طلب من الملك (الحالى) أن يجمع مجمعاً ليكشف عن سوء اعتقاده، فأجاب الملك ثيؤدوسيوس الصغير طلبة البابا كيرلس وفي الحال والساعة أرسل فجمع أساقفة الكنائس من كل مكان وكان عددهم **مائتي أسقف** ومقدامهم **البابا كيرلس عمود الدين وبهجة الأرثوذكسيين**، ومن ضمنهم **يوبيناليوس أسقف**

بيت المقدس ونواب **كلستينوس بابا روما**. فتألف المجمع المقدس وأرسلوا رسلاً لإحضار نسطور فرفض الحضور وتظاهر بالعصيان، فأخبروا الملك بعدم خضوع نسطور لأمر المجمع، فأرسل الملك في طلب نسطور واستخبر منه ما سبب عصيانه فاعتذر أنه خائف لئلا يقتل، فأنفذ صحبته بطريركاً يسمى قنطيطانوس وكان معتقداً باعتقاد نسطور، فهذا حينما وصل مُصطحباً ببعض من الجند ودخل أفسس أظهر الرهبة والخوف على جماعة الأساقفة قاصداً أن يصرفهم من حيث أتوا ليُمكِّن نسطور من نشر تعاليمه، ويقيم له حزباً قوياً ويعضد اعتقاده، فالقديسون لم يبالوا بتخويفه وترهيبه بل حالاً داوموا الصلاة، وانتظروا يوحنا أسقف أنطاكية عدة أيام فلم يحضر، فأرادوا أن يقيموا الجلسة وعينوا لذلك يوما معلوماً، ففي ذلك اليوم أرسلوا ثلاثة أساقفة ليحضروا نسطور فرفض الحضور وطرد الأساقفة مرسلين بقوة الجند. فلما علم الآباء تمرُد نسطور وعدم إذعانه وطال عليهم الأمر جداً جلسوا ذلك اليوم وأحضروا لديهم رسائل نسطور التي كان جاوب بها البابا كيرلس فقرأوها، ونظروا في مقالته وقابلوها على رسائل البابا كيرلس ونظروا في كلا الاعتقادين وقابلوهما على معتقد الآباء والأنبياء والرسل والشهداء فوجدوا أن اعتقاد نسطور مخالف لاعتقاد البيعة بالكلية.

وعند ذلك قام البابا كيرلس في وسط المجمع وأخذ بيده رسالة أثناسيوس وتلاها على صحتها وقرأ ما كان مدرجاً فيها من كيفية الاعتقاد بسر التجسد وهو ليس بأن الابن الواحد طبيعتان بل طبيعة واحدة للكلمة المتجسد، فعندما وقفوا على حقيقة الاعتقاد رأوا من الواجب أن يسألوا نسطور لعله يرجع عن غيّه وفساد رأيه فلم يرضى وصمم على رأيه فحرمه المجمع وأنزلوه

عن كرسي بطريركيته وأقاموا بدله بروكلس [1] وكتبوا خطوطهم بكتاب حرمه وأخبروا نسطور بذلك مرة ثانية.

وبعد ذلك رغبوا أن يُعلموا جلالة الملك بالقضاء والحكم الذي أوجبوه على نسطور بحسب قوانين البيعة الأرثوذكسية وكان ذلك عسراً عليهم، فإن البطريرك المتشيع لنسطور غلب عليه الهوى والتحزب وربط قوارع الطرق لكي لا يدع أحداً يتصل بالملك فيخبره بما جرى من هذا المتحزب من ترهيبه لجماعة الأساقفة وتخويفه لهم، فكتب الأساقفة للملك رسالة مضمونها ما حدث من نسطور وتحزب البطريرك له، ونتيجة الإيمان كما هو آت:

"نحن نعلم أن عمانوئيل هو الله المتأنس، ونسطور لم يشاركنا هذا الإيمان فيكون غريباً من الآب والابن والروح القدس وغريباً من ميراث الحواريين وغريباً من البيعة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية هو وكل من لا يقول إن يسوع عمانوئيل الله المتأنس، وكل من لا يقول إن العذراء مريم ولدت الله الكلمة متجسداً، يسوع هو الخالق، يسوع هو الغالب، يسوع هو المخلص للكل له المجد إلى الأبد آمين".

وطويت الرسالة ووضعت داخل قصبة فارغة وأُحضر رجل وسلّمت إليه ليوصلها إلى الملك، فأخذها الرجل وسافر بهيئةِ غريب الوطن والبلاد لئلا يظن به أنه آتٍ من طرف المجمع المقدس فيُحجز ويُمنع من الذهاب فوصل سالماً إلى مدينة القسطنطينية ودخل على الملك وسلّم له الرسالة، فأخذها الملك من يده وفتحها وقرأها على مسامع أرباب دولته وجنوده وعساكره، فوقتئذ صاح الجميع بأعلى أصواتهم وصرخوا قائلين: يسوع عمانوئيل هو الله المتأنس.

(١) Proclus بروكلس البطريرك ٤٣ من بطاركة القسطنطينية (٤٣٤-٤٤٦م) (الناشر).

ثم كتب الملك وأحضر المجمع المقدس إلى مدينة القسطنطينية وتبارك من الآباء وأخذهم بغاية الإكرام والاحترام التام وتم التراضي والاتفاق ما بين الجميع بنفي نسطور، فقطع الحكم عليه أن يُنفي إلى ديار مصر إلى بلدة تدعى أخميم في الصعيد، وفي أثناء ذلك قد اعتنى الآباء اعتناءً لا مزيد عليه أن يردوا نسطور من ضلالته بالملاطفة والرفق واللين، فدام على تمرده وقام على قدمٍ بغيه، ولم يسمع ويطع ويخضع، فاصطحبه الملك بأحد قواد جيشه مع بعض من الجند وصار الجميع نحو الديار المصرية، وفيما هم سائرون في الطريق تألم نسطور من إعياء الطريق وتعبه وأشار للقائد بأن يستريحوا قليلاً، **فرد عليه الجواب قائلاً:**

"إن ربك قد عيي وتعب وهو الإله من مشى الطريق، فبماذا تجيب على ذلك"

فقال نسطور:

"إن مئتين أسقف اجتمعوا عليّ في أفسس ليضطرونى بالاعتراف أن عمانوئيل هو الله المتأنس وأنه المولود من مريم فما أمكنهم، أتريد أن أتنازل عن رأيى وأعدل عن مقالتي، لا يكون ذلك أبداً" فأوصله إلى أخميم ورجع ثانياً.

ثم أن البابا كيرلس مع مجمع الأساقفة كانوا قد أحضروا أمامهم في المجمع المقدس إيمان الثلاثمائة والثمانية عشر وحتموا شرعياً أن يُتلى في جميع الكنائس بين كافة المسيحيين شرقاً وغرباً، ولاحتراسهم على الدستور المقدس لئلا يزيد عليه أو ينقص منه شيئاً **حرموا كل من يزيد عليه أو ينقص منه بهذه الألفاظ الآتية وهي:**

"لا يجوز لأحد أن ينطق أو يكتب أو يصنف اعتقاداً غير اعتقاد آباء نيقية، ومن يتجاسر على تصنيف إيمان آخر أو يتكلم باعتقاد آخر إن كان أسقفاً أو شماساً يسقط من درجته، وإن كان علمانياً يقع تحت الحرم، وإن وجد أحداً متمسكاً بتعليم أريوس أو بتعليم نسطور يكون تحت دينونة المجمع

المسكونى، إن كان أسقفاً يُعزل من أسقفيته وينفي، وإن كان شماساً يسقط من خدمته، وإن كان علمانياً يُفرز من الجماعة المقدسة"

أما يوحنا أسقف أنطاكية فبعد مدة من انتهاء الحكم حضر ومعه جمع من الأساقفة، فلهذا لما نظر أن المجمع حكم على نسطور قبل حضوره انتصر هو وأساقفته لنسطور وأراد أن يفسخ حكم هذا المجمع، فحصل الانشقاق بينه وبين البابا كيرلس الإسكندري، إلا أن الملك البار تلافى أمرهما وأصلحهما مع بعضهما، وبعد ذلك اعترف يوحنا أن ذلك كان منه عناداً لا غير، لكونه لم يحضر المجمع، وبعد ذلك انصرف الجميع ثابتين على اعتقاد الكنيسة الأرثوذكسية وقوانينها الإلهية.

أما نسطور فلما استتب في مكانه شرع يخاطب أهل الشرق حتى وافقه برصوما مطران نصيبين، وبواسطة هذا الرجل المغشوش زرع إيمان نسطور في بلاد بغداد والموصل وسرى سمّه في تلك البلاد حتى بلغ بلاد الهند كما في يومنا هذا، ثم أن البابا كيرلس بعد رجوعه إلى كرسيه أخذ يخاطب الأساقفة في كل مكان ويشرح لهم الإيمان الأرثوذكسي ويبيّن لهم فساد معتقد نسطور، وفي هذا المعنى ألف كتباً كثيرة، وهكذا تمم حياته بسعى انتشار الإيمان الأرثوذكسي وهداية الضالين ولربنا المجد دائماً سرمداً.





المجمع الرابع: في خلقدونية [1]

إنه بعدما سكن هبوب الريح، وهدأ عجيجه وانتشر السلام في البيعة الأرثوذكسية مدة من الزمان قامت هرطقة أخرى، سببت نزاعاً وتشويشاً واضطراباً زائداً في البيعة.

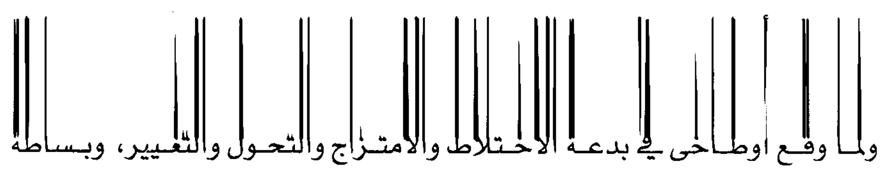
وذلك أن أوطاخي رئيس دير في القسطنطينية حاد عن الصواب وابتدع بدعة أشر من بدعة نسطور، زعم الشقي إن جسد المسيح لطيف بسيط غير مساوٍ لأجسادنا، لا تتطرق إليه الأوجاع والآلام بالأصالة.

فهذه البدعة كانت سبباً لتوطيد بدعة نسطور ونموها وانتشارها في كل مكان، وذلك أنه عندما انتشر زوان أوطاخي في قلوب بعض الشعب وأخذ بالنمو قليلاً، ذاع خبره عند بعض الأساقفة، وكان أوسابيوس متحزباً لنسطور فوجد الطريقة التي يتمكن بها من نشر تعليم ذاك الشقي نسطور، ولهذا شمر عن ساعد جده واجتهاده وشكا أوطاخي عند فلابيانوس بطريرك القسطنطينية [2] فعقد مجمعاً إقليمياً متركباً ما ينوف عن ثلاثين أسقفاً فأوجبوا القضية على أوطاخي إلا أنهم أخطأوا في توطيدهم إيمان نسطور وتقويته، وما ذلك إلا لأنهم كانوا يتحزبون لنسطور سراً.

---

(١) خلقيدونية مدينة بحرية قديمة تقع في إقليم بيثينية في أسيا الصغرى على الشاطئ الشرقي للبسفور، وكانت تقريباً في مقابل القسطنطينية وعلى مسافة ميلين منها. وكان الغزو الذي جعل الإمبراطور مركيان يغير مكان انعقاد المجمع من نيقية التي تبعد مسافة ستين ميلاً عن القسطنطينية إلى مدينة قريبة من العاصمة، ومن ثم يستطيع أن يباشر مهام الحكم بنفسه كما يستطيع أيضاً أن يتولى الإشراف والتحكم في المجمع (الناشر).

(٢) Phlabianus فلابيانوس البطريرك ٤٤ من بطاركة القسطنطينية (٤٤٦-٤٤٩) (الناشر).



ولما وقع أوطاخي في بدعة الاختلاط والامتزاج والتحول والتغيير، وبساطة الناسوت ولطافته، وعدم قبوله التأثيرات الجسدية كان بيدهم الحجة القوية، وسبب ذلك اعترفوا بالافتراق جهراً وخصوا جانباً للإله وجانبا للإنسان، وبعد جردوا أوطاخي من درجة الكهنوت وخلعوه من شركة الكنيسة.

فالشقي لما رأى ذاته قد شُجب وعوقب أراد أن يلبس ثوب الحملان حال كونه ذئباً خاطفاً، فاشتكى من صنع فلابيانوس عند الملك بأنه ظلم وقطع دون ذنب يستحق القصاص عليه.

ومثل ذلك أرسل يخاطب أسقف روما مشتكياً من فلابيانوس وأساقفته وما جرى من خصمه أوسابيوس ووشايته به عند الأسقف فلابيانوس. فالأسقف الرومانى أرسل على الفور رسالة إلى أوطاخي مملوءة تعزية له [1] وهذا كان من الحيلة التي صنعها أوطاخي وأظهر له أنه معتقد باعتقاد الكنيسة الأرثوذكسية، فالمذكور أراد اجتماع جمعية لتكشف عن اعتقاده ويُرد إلى رتبته مرة ثانية، فصار يتردد عند الملك ويسأله في هذا الشأن إلى أن رضى باجتماع مجمع مسكونى يطفئ نار النزاع، فصدرت الأوامر الملوكية إلى بعض الفجاج، وبنوع خصوصي إلى تلميذ البابا كيرلس الذي خلفه في كرسي البطريركية البابا ديسقوروس [2] ولما شعر فلابيانوس بهذا المجمع وأنه سيقع

---

(١) صورة رسالة من لاون الأسقف: "إلى الولد العزيز أوطاخى قد بلغتنا رسالتك أن بعض الناس بأغراضهم القبيحة قد أنشأوا ثانية هرطقة نسطور، فنعرفك بأننا سررنا باهتمامك وعنايتك بهذه القضية، كون من رسالتك تحقق عندنا ما فى نيتك، ولذلك لم نشك أن الرب الذى كوّن الإيمان الكاثوليكي يسعفك فى كل شئ، فأما نحن إذ بلغنا بالكمال أمر أولئك الذين بنفاقهم يفعلون ذلك، فيلزم أننا بتوفيق الله أن نعتنى بقطع هذا الرأى القبيح الذى لمضى زمان يسير قد نُفى، فالله عزت قدرته يصونك أيها الابن العزيز. في ١حزيران سنة ٤٤٠ مسيحية" (أنظر باب ١٤ من كتاب أعمال خلقيدون).

(٢) أرسل الإمبرطور ثيؤدوسيوس الصغير إلى ديسقوروس بابا الأسكندرية ثلاثة رسائل واحداً بعد الآخر، أولهما يطلب فيه أن يرأس مجمع أفسس الثاني عام٤٤٩م ويستصحب معه ١٠ من أساقفته، وثاني طلب هو إبعاد ثيئودوريت أسقف قورش عن المجمع ولا عن توبته لصداقته لنسطور وإنه رفض ذم نسطور الهرطوقى والحكم عليه فى المجمع المسكونى الثالث الذى انعقد فى أفسس برئاسة البابا السكندري الأنبا كيرلس سلف البابا ديسقوروس، أما رسالة

تحت الشجب لم يجد له مفراً إلا أن يلتجئ إلى أسقف روما ، فأرسل أناساً مخصوصين برسائل منه يسأله أن يوافقه الاعتقاد.

ولما أرسل الملك يطلب أسقف روما لحضور المجمع اعتذر عن الحضور وكتب رسالة إلى الملك ورسالة إلى فلابيانوس المعروفة بطومس لاون، وقرر اعتقاده فيها وكان موافقاً غاية ما يكون من اعتقاد نسطور، وأرسل نوابا عنه ليحضروا في المجمع، يوليانوس الأسقف وشماساً وكاتباً يكتب الوقائع التي تصير.

فهؤلاء توجهوا إلى مدينة أفسس، ولما وصلوا دخلوا عند فلابيانوس فأُخذوا بالاحترام والإكرام، فحينما اجتمع المجمع وتكامل، انعقد في كنيسة العذراء، كان المتقدم في هذا المجمع:

- **البابا ديسقوروس الإسكندري.**
- **يوبيناليوس الأورشليمى.**
- **دامنوس الأنطاكى.** (١)
- **اسطفانوس الأفسسى.**

فحينئذٍ قُرئت رسائل الملك البار ثيؤدوسيوس المرسلة إلى الأساقفة، وبعد ذلك قال نائب الأسقف الرومانى قد أرسل الأسقف لاون رسائل صحبتنا فأمروا بقراءتها ، **فأجاب البابا ديسقوروس وقال:**

"يُقبل ما كتب قدس أخينا لاون ورفيقنا في درجة الأسقفية إلى هذا المجمع المقدس العام" (٢)

الإمبراطور الثالثة للبابا ديسقوروس ففيها يطلب قبول الأرشيمندريت المصري برسوم (كان برسوم هذا راهباً فى درجة قس قضى السنين الطوال فى برية شيهيت وصار أباً لجماعة كبيرة من الرهبان وذاعت شهرته فى المسكونة) بين آباء المجمع عوضاً عن جميع أرشيمندريتى الشرق (الناشر).

(١) Domnus II دومنوس الثاني البطريرك ٤٠ من بطاركة أنطاكية (٤٤١-٤٤٩) (الناشر).

(٢) لم يُقرأ طومس لاون فى هذا المجمع بدليل الهجوم الشديد على البابا ديسقوروس كما سيتضح فيما بعد (الناشر).

فقدمت الرسالة **فقال القس يوحنا كبير الكتبة**: عندنا رسائل أخرى مرسلة من الملك إلى أسقفنا ديسقوروس فأمُروا بما تشاءون. **فأجاب يوبيناليوس** أسقف بيت المقدس وقال تقرأ وتحفظ بين الأعمال، فقُرئت الرسائل.

وبعد ذلك قال البابا ديسقوروس:

"قد ظهر لنا مضمون رسائل ملوكنا المسيحيين بأنهم أمروا باجتماع هذا المجمع بسبب الخصومة التي حدثت في القسطنطينية فإذاً يكشف أولا عما صار ثم ينبغي ذكر ما صار بعد في المجامع المقدسة فيما مضى من زمان، فهي أمور واضحة، التي فرضتها المجامع المقدسة وهي مشهورة حدود القوانين ولا يليق بنا أن نتجاوز عنها.

وإن ملكنا إنما أمر باجتماع هذا المجمع من أجل أمور حدثت، لا حتى نفسر اعتقادنا الذي فسره أباؤنا، بل نفحص إن كانت الأمور التي حدثت توافق فرائض آبائنا القديسين أم لا، فإذاً هو أمر واجب بأن نفحص أولاً الأمور التي وقعت ونمتحن إن كانت هي موافقة لما شرع به الآباء القديسون أم لعلكم تريدون أن تحيدوا عن اعتقاد الآباء الأطهار".

حينئذ قال المجمع المقدس: "إن كان أحد يحيد عن ذلك فليكن محروماً"

قال البابا ديسقوروس:

"إني أفحص في قوانين الآباء الذين اجتمعوا في نيقية وفي أفسس لتنقضى الأمور التي حدثت ويثبت الإيمان وليرضى بذلك جميع الناس"

أجاب المجمع المقدس وقال: "هذا يُخلّص العالم".

قال البابا ديسقوروس: "فإن قلتم مجمعان لكنهما يخصان إيماناً واحداً".

أجاب المجمع المقدس وقال: "الآباء فرضوا كل شئ بغاية الكمال، ومن تجاوز ذلك فليكن محروماً، فلا أحد ينقص ولا أحد يُزيد".

فأجاب البابا ديسقوروس[1] وهو ممتلئ خوفاً ورعبة قائلاً: "قبل أن يخطأ رجل إلى رجل يستغفر له من الله، فإن أخطأ إلى الرب فمن يطلب من أجله، فإذاً إن كان الروح القدس جالساً بين الآباء كما هو واضح أنه جلس معهم وأمر ما فُرض منهم، فمن أنكر ذلك فقد أبطل الروح القدس".

أجاب المجمع المقدس قائلاً: "كلنا نقول ذلك ليكن محروماً".

حينئذ قال أسقف بيت المقدس: "يجب أن يحضر أوطاخى ويحتج عن نفسه"، فحضر أوطاخى إلى المجمع وبيده كتاب[2] اعتقاده، فأمر اسطفانوس أسقف

---

(١) اعلم أيها القارئ اللبيب أن هذا التاريخ أخذناه عن نسخة عربية مطبوعة في رومية، ولما فيها من المغالطات والأكاذيب وشجب البطريرك الإسكندري دون علة توجب شجبه كما شُجب أثناسيوس الرسولي في مجمع صور تحت الإدعاء الباطل من الستين أسقفاً، فأردنا أن نبين فساد الحكم من مقتضى بيان كلامهم. فهنا كانت الوقائع أن ديسقوروس كان خائفاً ومرعوباً. فهذا الخوف والرعب يفند ما ادعاه عليه الأخصام أنه كان معه عسكر وجند، ولو كان ذلك صحيحاً فما الذي كان يرعبه ويزعجه.

(٢) إن ديسقوروس مع باقى الأساقفة قد انخدعوا باعتقاد أوطاخى كما انخدع لاون أيضاً، لأن اعتقاد أوطاخى كان مستقيماً حسب الظاهر مع أن ضميره لم يكن خالصاً بالكلية لهذا الاعتقاد فالمجمع المقدس لما نظر اعتقاد أوطاخى اضطر أن يحالله ويقبله في درجة الكهنوت. قال أوطاخى في اعتقاده:

"أؤمن بالله واحد آب ضابط الكل خالق كل ما يُرى وما لا يُرى، وفي رب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد مولود من الآب، أعنى من جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق مساو للآب فى الجوهر، أعنى ذات واحدة مع الآب الذى به صار كل شئ، ما فى السماء وما فى الأرض، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد، و صار إنساناً وتألم، وقام فى اليوم الثالث وصعد إلى السماء، ومن هناك سيأتي ليدين الأحياء والأموات، وفي الروح القدس.

أما أولئك الذين يقولون إنه كان حين لم يكن وقبل ما يولد لم يكن، وأنه صار من العدم أم من اقنوم آخر أم ذات أخرى، أو أنه قبِل التحول أو التغيير فهؤلاء تحرمهم الكنيسة الكاثوليكية الرسولية، فهذا هو الاعتقاد الذى قبلته من البدء من آبائى وأنا معتقد به. وإنى أحرم مانى وبالنتيوس وأبوليناريوس ونسطور وسائر الهراطقة إلى سيمون الساحر، وأولئك الذين يقولون إن جسد ربنا وإلهنا يسوع المسيح نزل من السماء".

إن الذين أوجبوا على البابا ديسقوروس القضاء من ضمن حججهم أن أوطاخى في اعتقاده لم يذكر أمانة المائة والخمسين، ومن ذلك يتضح أن المذكور ما كان مؤمناً بذاك المجمع، وقبول ديسقوروس له ليس بلائق.

فعلى ذلك نجيب:

أولاً: إن المذكور لم يكن مشكوكاً به من جهة كونه غير مؤمن بإيمان ذلك المجمع ولو كان رافضاً قوانين ذلك المجمع أمانتهم لما حرم أبوليناريوس المنتصر لمقدونيوس عدو الروح.

أفسس أن يقرأ ، فأخذه يوحنا كبير الكتبة وقراه على مسامع الجماعة المقدسة.

وبعد قليل **قال البيديوس** المقدم: "فأمُروا الآن بقراءة بقية الأعمال بالتدريج على ما يحسن برأيكم".

أجاب البابا ديسقوروس: "قد طلب المقدم البيديوس بقراءة الأعمال فليقل الأساقفة إن كانوا يرتضون بذلك".

أجاب المجمع قائلاً: "كلنا نرتضى بقراءة الأعمال التي صارت في مدينة الملك".

قال البابا ديسقوروس: "فليقل يوليانوس نائب قدس لاون إن كان يرتضى بقراءة الأعمال".

فقال النواب: "نرتضى بتلك القراءة لو قرئت رسالة البابا لاون".

فأجاب أوطاخى قائلاً: "اعلموا أيها الآباء إننى متشكك بالرجال المرسلين من طرف البابا، لأنهم لما وصلوا هذه المدينة نزلوا في منزل فلابيانوس وهو أكرمهم إلى الغاية ومنحهم مواهب وعطايا ، فلذلك أنا أتضرع إلى قدس أبوتكم أن تنظروا لئلا يقضوا عليّ بغير الصواب ويتأتى لى ضرر". (١)

ثانياً: إن الشك الذي وقع بأوطاخى لم يكن من حيثية الروح القدس، بل من حيثية الاختلاط والامتزاج والتغيير، وهذا قد رفضه كما ترى.

ثالثاً: إن عدم ذكره ذلك المجمع في أمانته لا يبين أنه كان غير مؤمن به. فإن خصمه أوسابيوس أسقف دوريليا لم يذكر في عرض حاله الذي قدمه إلا إيمان مجمع نيقية ومجمع أفسس. وهكذا لاون بابا رومية في رسالته التي بعثها إلى الملك.

فإذا كان لا لوم على هذين لا لوم على البابا ديسقوروس في قبوله أوطاخى (أنظر باب ٥ و ٣٤ من أعمال مجمع خلقيدون).

(١) لا يليق بالقاضى أن يميل لأحد الطرفين، أعنى المدعى والمدعَى عليه. فما كان بواجب أن ينزل نواب لاون عند فلابيانوس حيث أنه مدعَى عليه. لكن ماذا نقول في التحزب والهوى والتعصب. حيث أنه من قبل رفع الدعوى لاح الحيف في القضاء، ولماذا يُلام إذاً البابا ديسقوروس في عدم قراءة رسالة لاون حيث أنه أمر بذلك مرة ومرتين غير أنه بعد قراءة الأعمال. وأعلم أنه لو ما كان أمر بذلك لما كان عليه لوم أيضاً. لأن الرسالة ليست مرسلة إلى المجمع بل إلى فلابيانوس، فلا علاقة لها بالمجلس البتة.

فقال البابا ديسقوروس الأب المكرم: "ينبغي أن تقرأ بقية الأعمال كأمر المجمع المقدس، وبعد ذلك تقرأ رسالة قدس لاون".

فقُرئت الأعمال وبعد ذلك صار ذكر طيب للأب كيرلس الإسكندري وقرئت رسالتان له.

وعند ذلك أجاب اسطاسيوس أسقف بيروت: "بالحقيقة منى أن أخبر قدسكم أن الله جل جلاله وهب لأبينا كيرلس الطوباوى ذى الذكر الصالح، إن أولئك الذين لا يفهمون فهماً مستقيماً الأقوال الصحيحة شكوا في بعض ما كتب، ولكي ما يظهر معانيه في فصاحته لأولئك الذين قصدوا التصنيفات الصحيحة ولا زال يخاطبهم حتى مال المجمع إلى أن تبعوا المذهب المستقيم، وحينما انتبه آخرون ليرموا تحت الشك معنى الرسائل التي قرئت الآن قد دعته الضرورة ليفعل كما ذكرنا بتفسير أقواله فإنما قضى كل زمانه في تفسير أقواله وبيان مقصوده وليبرهن الجمع فيما كتب إلى الأساقفة: أكاكيوس أسقف ميليطينى. بالريان أسقف قونية. سوشنسيوس أسقف ديقيسارية في كورة الأبسورية.

على أي معنى يجب فهم الرسائل التي قرئت وبأي نوع ينبغي لنا السجود لمجئ مخلصنا فأنه موجود أيضاً في تلك الرسائل التي أنفذها إلى أولئك الأساقفة الطوباويين هذا القول '*ليس ينبغي لنا إذاً أن نفهم طبيعتين بل طبيعة واحدة للكلمة المتجسد*'، وقد ثبت هذا القول بشهادة أثناسيوس الأب الطوباوى" [1]

ثم أجاب مجمع الأساقفة قائلاً: "ليس أحد يقول إن المسيح اثنان من بعد الاتحاد ولا يفصل الغير المنفصل هذا كان اعتقاد نسطور".

---

(١) اسطاسيوس نطق بالحق والاستقامة بأن اعتقاد البابا كيرلس مباين لاعتقاد فلابيانوس غاية المباينة. لكن واأسفاه فإنه عندما أعيد كلامه في المجمع الخلقيدونى وأظهر بعض الشجاعة واعترف بالحق لم يمكنه أن يستمر على ذلك كما سترى.

فقال ديسقوروس أسقف الإسكندرية: "أنصتوا قليلا لنسمع تجديفا آخر. لماذا ندين نسطور وحده؟ كثيرون هم بمقام نسطور". **أجاب كبير الكتبة** وقال: "مما قرئ يتضح أن الذين نطقوا هذا الكلام قد أظهروا اعتقاداً مختلفاً عما فسره الآباء في نيقية وثبته المجمع الذي اجتمع في هذه المدينة".

وبعد أن قرأ الكاتب في الأعمال، ولما قرأ سؤال أوسابيوس لأوطاخى: "أتعتقد بطبيعتين أيها الأرشمندريت بعد التجسد، وأن المسيح مساوى لنا في الجسد أم لا".

فحينئذ [1] **صاح المجمع:** "ارفعه، احرق اوسابيوس، هذا يُحرق بالحياة، هذا يشقونه اثنين، كما قسم المسيح هكذا يقسم".

ثم قال البابا ديسقوروس: "هل تطيقون هذا القول، أن يكون في المسيح طبيعتين بعد التجسد"،

فأجاب المجمع قائلاً: "محروم القائل بذلك"،

قال البابا ديسقوروس: "إنى محتاج لأصواتكم وأيديكم، والذي ما يقدر أن يصيح يرفع يده".

فقال المجمع: "القائل باثنين فليكن محروماً".

ثم بعد قليل **قال البابا ديسقوروس:** "قد قبلنا هذا الكلام".

فقال المجمع: "هذا هو اعتقاد الآباء".

أجاب البابا ديسقوروس: "قدسكم قلتم إن هذا هو اعتقاد الآباء، فما هو هذا الاعتقاد ومن شرحه؟".

فقال المجمع: "الذي شرحه هو أوطاخى لأن أوسابيوس منافق".

قال البابا ديسقوروس: "قد سمعتم إيمان أوطاخى واطلعتم كلكم علي نيته".

---

(١) لما تكرر هذا القول في خلقيدون قال أساقفة الشرق: ما أحد نطق بهذا القول إلا المصريون. والحال ليس الأمر كذلك. فإن المجمع بالسواء قد كره الاعتقاد بالطبيعتين وليس المصريون وحدهم كما تنظر. فيالشر الكذب ورداءته.

وبعد، قرأ الكاتب من الأعمال إلى غاية كلام باسيليوس أسقف سالق القائل: "إن لم نعترف بطبيعتين من بعد الاتحاد فقد أُدخلت بينهما الامتزاج والاختلاط".

فقال باسيليوس: "أنى لم أتذكر أنى قلت هذا الكلام بل قلت أعترف بطبيعة واحدة، وإن لم تقل إن هذه الطبيعة متأنسة يُظن أنك اعترفت بالامتزاج" وبعد قليل **قال الأسقف المذكور:** "إنى اعتقد باعتقاد الآباء القديسين المجتمعين في نيقية أو في أفسس، وألعن كل من يقسم المسيح الواحد إلى طبيعتين أو جوهرين أو أقنومين بعد الاتحاد، ثم أندم على قولي واعترافي الذي تظاهرت به في القسطنطينية، وأسجد لطبيعة واحدة هو لاهوت الابن الوحيد المتأنس"، وهكذا قال الأسقف سالوقس.

حينئذ قال البابا ديسقوروس للمجمع: "قولوا الآن ما ظهر لكم من إيمان أوطاخى وما هو مرادكم وحكمكم في دعوته"

أجاب يوبيناليوس أسقف بيت المقدس وقال: "لأنه اعترف واقتدى باعتقاد مجمع نيقية وما ثبته الآباء في المجمع العظيم الذي اجتمع سابقاً في هذه المدينة، ظهر لى أنه أرثوذكسي من أقواله، فمن أجل هذا قد حكمت بأن يثبت في درجته وفي ديره".

فأجاب المجمع وقال: "حق وعدل هذا الكلام".

ثم قال دومنوس بطريرك أنطاكية: "قد سبق وثبت القضية التي أوجبها فلابيانوس على أوطاخى لأجل الرسالة التي وجهوها إليّ في هذا الأمر، لكن ظهر لى أن المذكور أرثوذكسي من الكتاب الذي قدمه لهذا المجمع حيث يعترف بأنه متمسك باعتقاد الآباء ..الخ" ومثل هذا القول قال اسطفانوس أسقف أفسس وبعده ثلاسيوس أسقف قيسارية الكبادوك [1] وعلى هذه الصفة

(١) كان ثلاسيوس حاكم ايليريكم (Illyricum) وكان قد عُين حاكماً امبراطورياً على الشرق، ولكن بروكلوس القسطنطيني قد حثه ليصبح أسقفاً على قيصرية خلفاً لفرميوس عام ٤٣٩م (الناشر).

قال جميع [1] الآباء الذين كانوا مجتمعين في ذلك المجمع وعددهم دون المذكورين مئة وسبعة من جهات وأقاليم مختلفة.
حينئذ **قال البابا ديسقوروس**: "أثبت أنا أيضاً حكم هذا المجمع المقدس، وحكمت أن يُحصى أوطاخى ضمن الكهنة ويتولى ديره كما كان سابقاً".

ثم بعد ذلك قُدم عرض حال من رهبان أوطاخى وتلى أمام المجمع، وبعد تلاوته **قال البابا ديسقوروس** للذين قدموه: "قد قلتم إن فلابيانوس حرمكم من حيث لم تعلموا السبب، فنحن أيضاً قد وهمنا لأي شئ صار لكم ذلك. ولكن اجهروا لنا صورة إيمانكم لأن ذلك هو يحلكم من كل حرم".
فأجاب أحدهم: "إن اعتقادنا هو بموجب ما شرح الآباء في نيقية وثبته الذين اجتمعوا في هذه المدينة، ولا نفهم أو نعرف مذهبا آخر دون ذلك، كما اعتقد رئيسنا أوطاخى".
فقال البابا ديسقوروس: "قولوا لنا هل تعترفون بذات مخلصنا وإلهنا المتجسد كما اعتقد أثناسيوس الرسولي والبابا كيرلس والقديس غريغوريوس المغبوطون وكافة الأساقفة الأرثوذكسيين".
فأجاب أحدهم: "كلنا هكذا نعترف".

وبعد قليل من هذا الكلام **قال يوبيناليوس** أسقف أورشليم: "حيث أنهم اعترفوا بالإيمان، فليحصوا في شركة القديسين وفي درجاتهم".

---

(١) إن العلل التي كان يقدمونها الأخصام من ضمنها أن البابا ديسقوروس قبل أوطاخى وحكم أولاً ثم ألزم الأساقفة أن يثبتوا القضية رغماً عنهم بواسطة الجند والسلاح والسيوف والعصى. والحال أن كتابهم أفشى كذب الأخصام وأجلى البيان وهتك حرمة القضاة الذين سمعوا وسكتوا عن دينونة الكاذبين حيث أنه أوضح غاية ما يكون من الإيضاح أن ديسقوروس لم يحكم إلا بعد حكم المجمع بالسوية من دون استثناء. فضلاً عن كونه أيضاً لا يذكر ولا يحقق وجود ما ادعاه الأخصام من جنود وأسلحة وتخويف وترهيب وقهر واضطرار وغير ذلك، بل بغاية الهدوء والسلام. وذلك بخلاف اضطراب مجمع خلقيدون كما ستنظر.

فأجاب المجمع: "قد ارتضينا بذلك".

وبعد قليل من مثل هذا **قال البابا ديسقوروس**: "حيث أننا نظرنا في أمر أوطاخى ورهبانه وأشركناهم في درجة الكهنوت، فيجب أن نفحص عما صار من خصوص الإيمان ونقرأ أعمال ذلك المجمع الذي اجتمع في هذه المدينة".
فقُرئت رسائل البابا كيرلس وأعمال المجمع الأفسسى، وبعد ذلك سألوا فلابيانوس عن اعتقاده فجاهر باعتقاد نسطور فحرموه ومعه ٦ أساقفة، وحرموا كل من لا يقول أن طبيعة واحدة للكلمة المتجسد على حسب اعتقاد البابا كيرلس والمجمع المقدس.

وعلى ذلك انفض المجمع وأُرسلت الأحكام إلى الملك فصادق عليها، وثبت الحكم على المقطوعين المتذهبين بمذهب نسطور.
أما المنقطعون بعد ذلك ساروا إلى روما وشكوا للبابا وتقولوا تقولات باطلة وادعوا دعاوى فارغة في حق البابا ديسقوروس والمجمع، فالمذكور مال إلى رأيهم وتعصب منتصراً لهم، فخاطب الملك ثيؤدوسيوس في إعادة جمع المجمع فلم يقبل بل عرفه وكشف له أن ما عمله ذلك المجمع هو بغاية العدل والإنصاف وحسب قوانين البيعة المقدسة.

فيوم ما كان الملك بالنتيانوس وعائلته داخلين إلى روما ولما بلغوا إلى الكنيسة، دخل عليهم الأسقف لاون وبعض من أساقفته وانحنى إلى أرجلهم جاثياً بالنحيب والبكاء والعويل طالباً منهم أن يكاتبوا الملك في عقد مجمع ثانى، فالملك وعائلته كاتبوا ثيؤدوسيوس حسب مرغوب الأسقف، إلا أن الملك برهن لهم كيفية موقع ذلك المجمع وأن الكنيسة بغاية الاستقامة من بعده، فخاب أمل المقطوعين، وصاروا في انتظار فرصة ينتهزونها لإتمام رغبتهم.

فبعد مدة من الزمان تنيح الملك ثيؤدوسيوس المحامى عن الإيمان، وقامت أخته وكانت لابسة زى الرهبنة، شُلحت وتزوجت من رجل نسطورى يدعى مرقيان [١] وأمسكت زمام الملك.

فأرسل الأسقف الرومانى رسالة إلى مرقيان، ورسالة إلى بلخارية [٢] زوجته ورسالة إلى شعب القسطنطينية [٣] ورسالة إلى فلابيانوس [٤] فالملك وزوجته قبلا التملق وأمرا بعقد مجمع مسكونى فإذ ذاك صفق المقطوعون بأيدي الانتقام، وطلبوا من الملك أن يطلب بإحضار نسطور من النفي، فتمم مرغوبهم، إلا أن الشقي مات في الطريق.

فحضر من أتباع نسطور ثيؤدوريت معلمه وتادرس ابن أخته وغيرهما، فهذان ذهبا إلى روما قبل أن يحضرا في المجمع وتملقا الأسقف الرومانى فأخذهما بالإكرام وسيرهما إلى الملك، فاجتمع المجمع في القسطنطينية أول مرة، وقد حضر البابا ديسقوروس مع أساقفته، ولما نظر ذاك الجمع الغفير هتف نحو الملك قائلاً: "أيها الملك الأعز ما هذا الجمع الذي أراه وما سبب اجتماعه، إن الإيمان لفي غاية الكمال والآن لسنا ننظر قيام هرطقة توجب اجتماع مجمع مثل هذا، فدع الأساقفة ليذهب كل منهم إلى مركزه".

فأجابه البعض إن الملك ليس بمتحقق إن كان المسيح طبيعة واحدة أم طبيعتين.

فأجابهم البابا ديسقوروس: "إن اعتقاد البيعة لا ينبغي أن يزاد عليه أو ينقص منه، فالمسيح واحد بالطبع والجوهر والفعل والمشيئة، كما كرز ذهبى الفم

---

(١) Marcian (٤٥٠ – ٤٥٧م) (الناشر).

(٢) معنونة بهذه الألفاظ "إلى حضرة بلخارية الغالية اعلمى أيتها الملكة إنى كنت دائماً اتكل على قداسة نيتك".

(٣) فيها يقول إن "المسيح سيأتي وحقا اثنان هما الإله والإنسان".

(٤) فيها يقول "إذ هما موجودان بعضهما مع بعض اتضاع الإنسان وعلو الإله، وأيضاً كل واحدة من الصورتين تفعل ما يختص بها بالاشتراك مع الأخرى، أعنى الكلمة يفعل ما يخص به الكلمة، واللحم يكمل ما يخص به اللحم، فالواحد من المذكورين يبهر بالمعجزات والآخر ملقى للشتائم".

وباسيليوس وغريغوريوس وأفرام والبابا كيرلس في الاثنى عشر فصلاً والرسائل التي كتبها إلى الأساقفة".

ولما تردد، قليل مثل هذا الكلام، **قال البابا ديسقوروس**: "أسألكم فاجيبونى: لما دعى المسيح إلى عرس قانا الجليل دعى إنساناً أم إلهاً؟"، **فأجابوه**: إنساناً.

قال لهم: "ولما حول الخمر كان تحويله باللاهوت أم بالناسوت، أو فوض للاهوت أن يعمل ذلك والناسوت أن يسكت، فإن كان على حسب رأيكم باللاهوت فليس ذلك بعجيب وأمر غريب إذ أن اللاهوت قادر على كل شئ، وإنما العجب بالناسوت لاتحاد اللاهوت به. وها أنا أقول لكم إن ذهبي الفم دعى مريم والدة الإله ولم يقل والدة نصف الله. والبابا كيرلس يدعو المسيح إلها واحداً بالحقيقة وابنا واحداً بالطبيعة. وأن اتحاد اللاهوت بالناسوت يماثل الفولاذ إذا عبر الكور واتحد بالنار، فيصير طبع النار وطبع الحديد شيئاً واحداً. واحتجاجكم عن ذلك بإيجاب وقوع الآلام على اللاهوت،

فمعنا الدليل الكافي من الشهداء الذين لما كانوا يعاقبون، لم تكن أنفسهم تعاقب وتتألم، والله قبل الآلام بجسده ولاهوته منزه عن قبول الآلام بالكلية".

وبمثل هذه الأقاويل المملوءة روحاً أقنع الأساقفة على الرأي المستقيم واستقروا على الإيمان الأرثوذكسي في تلك الجلسة، وعند ختام الجلسة ألقى البابا ديسقوروس مقالة روحية، وفيها دعا للملك ولوزرائه ولجميع مملكته، وانفض المجمع في ذاك النهار.

فاختلى المقطوعون ونواب الأسقف الرومانى بالملك وقالوا له إن ديسقوروس لا يريد انتشار اسمك ودوامه إلى الأجيال القادمة، فقد أرسل لاون الأسقف رسائل وفيها ينهي المجمع عن جلوس البابا ديسقوروس فيه، فنسأل جلالتك أن تدع الأساقفة يتصرفوا في المجمع كما يشاءون.

فرسم الملك لهم أن يكون المجمع بخلقدونية، وحضر هو وزوجته بلخارية وانعقد المجمع وأُحضر أمام المجمع أعمال مجمع أفسس الثاني الذي كان فيه البابا ديسقوروس، وكان عدد المجتمعين ستمائة وثلاثين أسقفاً،

وها نحن آخذون في وضع أقوال الآباء بحسب ما وجدناها في النسخة اللاتينية [1] المطبوعة في روما سنة (١٦٩٤) التي زعم مترجمها للغة أولاد العرب أنها من دون تحريف. ونحن نشكر أفضاله حيث أنه كشف لنا خبايا الخفايا، وأظهر لنا براءة أسقفنا البابا ديسقوروس المطوب مما أوجبوا عليه من الحجج الفارغة والعلل الباطلة (من الباب الثامن عشر).

بعدما جلس الآباء وقف **نائب الأسقف الروماني في وسط المجمع وقال**: معنا أوامر الأقنوم الطوباوي بابا روما يأمر بها أن ديسقوروس لا يكون له جلوس في هذا المجمع، ولكن احضروه هنا كي يرد الجواب عن فعله ونحن ملزمون على حفظ ذلك، فأمُروا أن يخرج [2] وإلا نخرج نحن، **فأجاب القضاة**: ما الأمر الخصوصي الذي يُعرض على البابا ديسقوروس، فليكشف عن الشكاوى المثلوب بها. **فأجاب النائب الآخر قائلاً**: ينبغي له أن يحضر ويرد الجواب عما حكم به كونه إذ لم يكن معه [3] سلطان بهذه القضية عقد بافتراء مجمعاً بغير دستور الكرسي الرسولي.

---

(١) هو كتاب (مجمع خلقيدون) ترجمه إلى العربية عن الأصل اللاتينى المحفوظ بمكتبة الفاتيكان الراهب فرنيسي ماريا، وصادق عليه ثلاثة كرادلة – طبع فى روما سنة ١٦٩٤م (الناشر).

(٢) من ههنا نعلم بالصحيح أن النواب ما كان قصدهم أن يبحثوا عن الحقيقة ويقضوا بالعدل والانصاف.

(٣) قد اجتمعت مجامع عديدة اقليمية ومسكونية فالمشهور من المجامع الأقليمية هي في قرطاجنة سنة (٢١٧) والإسكندرية (٤٣٠) وأنطاكية (٣٤١) وهذه أحكامها وغيرها ثابتة وقوانينها واجبة. ومن المسكونية مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية ومجمع أفسس، ويقال إن البابا الرومانى في وقت مجمع القسطنطينية كان في المدينة المذكورة ولم يحضر المجمع. فهذه جميعها كانت خالية من سلطة بابا رومية فلعلها بسبب ذلك كانت مرفوضة. ولو صح ادعاء من

فقال القضاة: الواجب عليكم أن تنبئونا ما ذنب المذكور. **فأجاب النائب الذي تكلم في أول الأمر**: لا نطيق أن يصير لنا ولكم الاحتقار أن يجلس هذا الذي إنما جاء ليدان، **فقال القضاة**: إن كنت بمقام قاض فلا يصح لك أن تدعى كالمشتكى.

حينئذ قدم أوسابيوس عرض حال مضمونه أن البابا ديسقوروس رفيق أوطاخى وأنه أفسد الإيمان، وبعدما قدمه أمر القضاة والمحفل أن يجلس أوسابيوس [1] بين الآباء، ولما قرئ العرض حال **قال البابا ديسقوروس**: أسأل عظمتكم أن يُفحص أولاً فيما يخص الإيمان، [2] **فأجاب القضاة** ينبغي أن تصبر على قراءة الأعمال، وأمروا بدخول ثيؤدوريت معلم نسطور إلى المجمع، كون قدس لاون رده إلى كرسيه والملك أمر أن يحضر في المجمع.
ولما عبر إلى المجمع **هتف أساقفة مصر وايليريكم وفلسطين قائلين**: ارحمونا يا قوم، الآن الإيمان قد باد، اعلموا أن القوانين تطرد هذا خارجاً فاطردوه أنتم عنا، **أجاب أساقفة الشرق**: نحن وضعنا خطوطنا في ورقة بيضاء وثبتنا القضية بخط أيدينا، فاطردوا إلى خارج أتباع مانى اطردوا غرماء فلابيانوس، اطردوا مضادي الإيمان، اطردوا ديسقوروس القاتل ومن يجهل أعماله.

هذه الجهة لفوضناه من جهة أخرى، فإن لاون البابا كان أرسل نواباً للمجمع الأفسسي من طرفه. فلماذا هذا الافتراء الزائد.

(١) أيها القضاة المنتصبون للإنصاف والعدل والحكم بالصواب، ما هذا الحكم وأى قانون صرح به حتى أجلستم أوسابيوس المقطوع في درجة الأساقفة قبل أن تنظروا في دعوته إن كان مظلوماً أم ظالماً.

(٢) من الواضح أن قادة مجمع خلقيدونية كانوا قد خططوا للقيام بأمرين: **أولاً**: عدم اعتبار قرارات مجمع أفسس الثاني عام ٤٤٩م أنها قرارات مجمعية وإعلان أن البابا ديسقوروس كان هو وحده المسئول عنها، **وثانياً**: تجنب أية مناقشات عن طبيعة الإيمان حتى يمكن للقضية الأساسية التى كانت تتطلب إجابة في ذلك الوقت ألا تطرح على الإطلاق (وهى الإختلاف السكندري الأنطاكي) وكان كلا هذين الأمرين في غاية الضرورة حتى يتجنبوا تعرض طومس لاون للفحص والتقييم (الناشر).

قال المصريون: الملكة طردت نسطور، والمجمع لا يقبل معلمه، (ثم عبر إلى المجمع ثيؤدوريت) وانتصب في نصف المجمع وقال: قدمت عرض حال إلى الملوك لأجل أمرى وما حدث لى من الشرور والمصائب، فأمروا بقراءته، ثم جلس المذكور فقال الأساقفة أكسيوس، وإذ ذاك **أجاب أساقفة مصر والذين معهم:** لا تقولوا إنه أسقف، فاطردوا عنا من قاوم الله، اطردوا عنا اليهودى.

أجاب الشرقيون: ذو الإيمان المستقيم يستمر، وذوى السجس والاضطراب اخرجوهم.

قال المصريون: اطردوا إلى خارج من قاوم الله، اطردوا عنا من شتم المسيح، ذلك الإنسان أوجب اللعن على البابا كيرلس وقذف عليه، فإن قبلناه فإنما طردنا ورفضنا البابا كيرلس [1] ومن بعد كلام كثير مثل هذا **قال القضاة:** هذه الأصوات نظير صراخ الشعب ولا تفيد نفعا لأحد الجانبين، فاصبروا إلى قراءة الأخبار، **فقال المصريون ومن معهم:** يطرد عنا واحد ونحن من السامعين، نحن نصرخ لأجل التقوى والإيمان الأرثوذكسي.

ومن بعد ذلك قُرئت رسائل من الملك بسبب اجتماع مجمع أفسس، **فأجاب على ذلك البابا ديسقوروس وقال:** قد علمتم أن الملك لم يجعل لى الأمر وحدى بل وليوبيناليوس وثلاسيوس ومنح لهم التدبير، فنحن بما قد حُكم به والمجمع بأسره أذعن لنا، فلماذا ينسبون إلىّ وحدى هذه الأمور حال كون سلطان الثلاثة متساوياً، وقد استصوب المجمع ما قد حُكم به، فأقروا بأصواتهم ووقعوا

---

(١) اتضرع إليك يا صاح أن تنظر معى نظراً مدققاً وارفع عنك كل غاية وتحزب. من أين نصدق أن البابا لاون كان اعتقاده موافقاً لإعتقاد كيرلس ومخالفاً لإعتقاد نسطور، وبالتالي من أين نحقق أن ما حكم به هذا المجمع كان حكماً مقدساً، وأية شريعة حكمت بأن يجلس عدو البابا كيرلس (المحروم من المجمع المقدس معلم نسطور الذي جاوب على فصول البابا كيرلس كما مر بك) في درجة الأسقفية ويطرد تلميذ البابا كيرلس خارجاً. فيا له من حكم مخالف للعدل الإلهي ويا له من اضطراب مهول لم يجر شبهه في المجامع السابقة.

بأيديهم، وأخبرنا الملك بذلك، وهو ثبت بأمر عام كل ما حكم به المجمع المقدس.

فأجاب أساقفة الشرق ومن معهم وقالوا: ما أحد ارتضى بذلك من تلقاء نفسه، وبقضية فلابيانوس وأوسابيوس فقد أغصبونا وأرعبونا بالضرب فوقّعنا في ورق أبيض حينئذ كانوا يرعبونا بالنفي، والأجناد كانوا واقفين بالسيوف والعصى، وحيث يوجد سيوف وأسلحة فليس بمجمع لأجل ذلك أثر البابا ديسقوروس أن يخيفنا بالعسكر، فلسنا نحن بل الأجناد الذين عزلوا فلابيانوس.

أجاب أساقفة مصر ومن معهم: فالشمامسة كانوا الأولين في تثبيت القضية، فلماذا يصرخون الآن فالمجمع ليس هو اجتماع شمامسة بل اجتماع أساقفة. فاطردوا إلى خارج من ليس له كلام في المجمع. ومن ثبت القضية يحضر في وسط المجمع. لأننا نحن الذين ثبتناها من بعد تثبيتهم [1] **قال أسقف أفسس:** رغماً وضعنا توقيعاتنا بما حكم على فلابيانوس. **قال القضاة:** من أرغمكم **قال المذكور:** أرغمنا رجال ديسقوروس وجنوده ورهبان أوطاخى وعددهم ثلاثمائة، لم يدعونى أخرج من مكتبة الكنيسة إلا بعدما تثبتت القضية المكتوبة من ديسقوروس ويوبيناليوس وثلاسيوس.

قال ثلاسيوس: أدخلونى في المكتبة ولست أدرى كيف دخلت.

قال ثاودروس أسقف الهيورية: كانوا يهددونا بالقتل وأخافونا حتى بقينا خمسة عشر نفراً، وكأننا هراطقة طردونا. **قال أساقفة الشرق والذين معهم:** كذلك جرى.

---

(١) إننا لا ننكر أفضال ذاك الذي ترجم كتاب أعمال مجمع خلقيدون وأخرجه إلى لغة أولاد العرب، وزيادة على ذلك كونه اعترف أن ما دونه هو حقيقي من دون تحريف. فله الفضل على ذلك. راجع يا صاحِ ما تدون في المجمع الثاني الأفسسي، هل ذكر فيه أن ديسقوروس وأساقفته ثبتوا القضية أولاً ثم اضطروا الأساقفة أن يثبتوا بالسلاح والقتل والنفي والطرد، وكان يجب على كاتب الوقائع أن يذكر شيئاً هناك حتى لا يتضح كذب الأساقفة ووقوع الفشل بينهم. حيث يقول البعض إننا كتبنا في ورق أبيض والآخر بعدما كتبت القضية من ديسقوروس وبوناليوس. فمن نصدق من الجهتين.

قال أساقفة مصر ومن معهم: المسيحي لا يخاف من أحد، الأرثوذكسي لا يرتعب من أحد، أتوا إلى هنا بالنار ونعلم لو كان الشهداء يخافون من الناس لما فازوا بالشهادة. **قال البابا ديسقوروس:** لأنهم قالوا ما سمعوا بما حكمنا وأمرنا في المجمع بل قدم لهم ورق وهم كتبوا أسماءهم فيه، فما كان ينبغي لهم أن يثبتوا القضية لأنهم ليسوا بعارفين ما قال المجمع وحكم به عليه لأن الكلام كان لأجل جلالة الإيمان. ولكن حيث أنهم يعتذرون بكتابة أسمائهم في ورق أبيض من غير علم. فاسأل أن تأمروا ليقولوا من رتب خطابهم وألفاظهم [1] **قال القضاة:** تقرأ بقية الأعمال.

وفي أثناء القراءة **قال أساقفة الشرق ومن معهم:** قد طرد لاون، ما أحد قبل اسمه، وبعد قليل **قال أساقفة مصر ومن معهم:** نسألكم أن تطردوا من ليس له كلام، المجمع للأساقفة ومن ليس له كلام لماذا يهتف. **قال ثيؤدوريت المذكور:** كتبة ديسقوروس الصارخون. **قال البابا ديسقوروس:** إنما عندي كاتبان فقط واثنان لا يجعلان سجساً.

وبعد ذلك أتى ذكر رسالة لاون، **فقال القضاة:** لماذا لم تقرأ رسالة لاون. **قال أوسابيوس:** ديسقوروس أخفاها، **وقال أحد الشمامسة:** ما قُبلت تلك الرسالة ولا قُرئت، بل هو أقسم على ذاته سبع مرات أمام المجمع وحلف وأقسم على نفسه أنه سيقرأها. **فسُئِل البابا ديسقوروس فقال:** قلت مرتين أن تقرأ رسالة قدس لاون، وبعدما كرر عليه السؤال **قال:** قد قلت إني أمرت بقراءتها مرتين.

---

(١) إن القضاة الشرعيين قد أخذوا بالوجوه من ابتداء المجمع إلى انتهائه كما هو ظاهر كالشمس، فعندما كان الأب ديسقوروس يفحم المفترين بأجوبته القاطعة ويبين افتراءهم ويجلب عليهم اللائمة، كان القضاة يعدلوا عن لائمتهم ويستندون على قراءة الأعمال.

قال أوسابيوس: كذبت [1] **قال القضاة:** ليقل يوبيناليس لِما لم تقرأ تلك الرسالة حيث أن ديسقوروس أمر بقراءتها، **فقال المذكور:** في ذاك الحين قال كبير الكتبة أن معه رسائل الملوك فأمروا بقراءتها.

قال القضاة: وبعد قراءة تلك الرسائل أما قُرئت؟.

فقال المذكور: بعد ذلك لا كبير الكتبة ولا غيره قال أن معه رسالة.

فقال القضاء: تقرأ الأعمال، وفي ما كان يقرأ إن أحد حدد يكون محروماً .. الخ.

قال الشرقيون: لم ننطق بهذا الكلام [2] من نطق به؟

قال ثيؤدوريت: كتبة ديسقوروس كتبوا الأعمال وحدهم [3]، فليحضروا لكي يشهدوا على ذلك الكلام إن كان كتبوه أم قرأوه أمامنا ومن عرفه وثبته.

قال القضاة: لمن هذا الخط المكتوبة به الأعمال، ومن كتبها.

قال البابا ديسقوروس: كل من الأساقفة كان له كتبة، فكتبتي كتبوا نسختي، وكتبة يوبيناليس كتبوا نسخته، وكتبة ثلاسيوس كتبوا نسخته، وكان كتبة كثيرون للأساقفة الآخرين وكلهم كتبوا الأعمال ليس كتبتي

---

(١) إن أوسابيوس قد ظهر أن كل ما قاله كذب وخاصة في هذا المحل. **أولاً:** من فم بوناليوس أسقف بيت المقدس حيث اعترف أن ديسقوروس أمر بقراءة الرسالة حسبما موضح في الأعمال بدون تحريف. غير أنه بعد ذلك نُسيت.

ثانياً: أن المذكور أوسابيوس يذكر بعد قليل أن ديسقوروس منعه من الدخول فلم يحضر في المجمع. فقل لي يا صاح من أين يعلم إن كان ديسقوروس أمر بذلك أو لم يأمر، وأخفى الرسالة ولم يخفها.

(٢) نكرانهم هذا كان ليتمكنوا من إدخال الزيادة والتجديد طبيعتين بأقنوم واحد فلا يمتنعوا من ذلك.

(٣) هذا الأسقف كذب مرتين وليس من يقضى بالحق. **فأولاً:** لما قال أساقفة مصر من ليس له كلام لماذا يهتف. تعرض لهم وقال إن الهاتفين هم كتبة ديسقوروس، والحال إن كتبةَ ديسقوروس اثنان واثنان لا يجعلان سجساً مع إن السجس كان مهولاً ويومه مخوفاً مرعباً.

ثانياً: زعم أن كتبة ديسقوروس وحدهم كتبوا الأعمال فظهر افتراءه وكذبه من فم يوبيناليوس وثلاسيوس أن الكاتبين كثيرون وخاصة كاتبهما وجميعهم كتبوا الأعمال بالسواء والبرهان المحقق كتابة الأعمال وأنها من دون تحريف بحسب الوقائع التي صارت في المجمع ما عدا شهادة هذين الشاهدين هو إتمام قرائتها في المجمع أولاً وثانياً اندراجها في كتب اللاتينيين بعد ذلك.

وحـدهم كتبـوا الأعمـال، لأن كـل واحـد كـان لـه كاتـب خـصوصي،
قال يوبيناليس: كان لي كاتب فقط وهو كتب مع الآخرين.
وقال ثلاسيوس: وأنا أيضاً كان لي كاتب واحد وهو كان يكتب مع الآخـرين.
قـال البابـا ديـسقوروس: هـا كاتـب يوبينـاليس كتـب مـع الآخـرين، وكاتـب ثلاسيوس أيضاً وكاتب أسقف قورنثيـة، فلِما قـالوا عـن كتبتي أنهم وحدهم كتبوا الأعمال؟.

وبعـد قليـل **قـال أسـقف أفسس:** كتبنـا توقيعنـا في ورقـة [1] بيـضاء. قـال القضاة: فلتقرأ بقية الأعمال: فقـرأ الكـاتب وعندما بلـغ القـارئ إلى قـول البابـا ديسقوروس إنـى أفحـص في قـوانين الآبـاء الـذين اجتمعـوا في نيقيـة وفي أفـسس، **قال أوسابيوس:** البابا ديسقوروس قال إنه يفحـص وأنـا علمـت ذلـك، **أجاب البابـا ديسقوروس:** إنما قلت إنى أفحـص لا إنـى أجـدد، فـإن مخلـصنا أمرنـا أن نفحـص الكتب، فالذي يفحص لا يجدد.

وفيما كـان يتلى أعمال المجمع مما يتعلق بتحديـد الإيمـان والحـروم **قـال ثـاودروس المذكور:** مـا أحـد نطـق بـذلك، **قـال البابـا ديـسقوروس:** هـم يـشاءون أن ينكـروا مـا كـانوا أقـرّوا بـه فليقولـوا الآن أيـضاً إننـا ولا كنـا حاضـرين. ولما تلـى إيمـان أوطـاخى وقـرأ منـه مـا هـو آتٍ أن البابـا كيرلـس حـدد أن الـذي يخالف الإيمان أو يزيد شيئاً أو ينقص منه أو يُعلم بخلافه يكـون تحـت القـوانين. **قال أوسابيوس:** كـذب [2] لـيس هـو كـذلك التحديـد لـن يحـد قـانون يـأمر بـذلك،

(١) هذا الأسقف نقض اعترافه الأول، لأنه سابقاً قال لم يدعونى أن أخرج من مكتبة الكنيسة إلا بعد ما تثبتت القـضية المكتوبة من فلان وفلان، والآن يقول في ورق أبيض كتبنا توقيعنا. فلاحظ يا أخى وأمعن نظرك جيداً ولا تحاب وأحكم بالحق والاستقامة.

(٢) أيها الذين أقيموا ليفصلوا بكلمة الاستقامة. أيجوز لكم أن تحرموا القضاء وتعرضوا عن الحق؟ ما هذا الضلال الذي كان ظاهراً كالشمس. كم مرة ترون الكذب وتجعلونه حقاً وتبرّرون صاحبه بأخذكم بالوجوه؟ هل هو غير ظاهر لـديكم

قال البابا ديسقوروس: موجود ذلك التحديد في أربعة مجلدات، فهل ما حدد الأساقفة ليس بتحديد، لعل عنده القانون ليس بقانون. أو القانون خلاف التحديد، وبعد قليل **قال البابا ديسقوروس:** باسيليوس أنكر خطابه المحرر في دفتر الأعمال، وإن كان أوطاخى يذهب بخلاف مذهب البيعة فهو يستحق ليس العقاب فقط بل أيضاً النار، أما أنا فمهتم في الإيمان، ولست بشأن [1] أحد من الناس، بل فكرى شاخص إلى اللاهوت، فلا أبالى بأحد ولا أهتم بأحد سوى بنفسى وبالإيمان المستقيم الصحيح.

وبعدما قُرئ شئ من كلام باسيليوس **قال القضاة:** إن كنت تعلّم بهذا التعليم فلأي سبب وقعت على عزل فلابيانوس.

قال المذكور: كنت موقوفاً على قضية [2] وحكم مائة وعشرين أم ثلاثين أسقفاً فالتزمت أن أطاوعهم في الأمور التي فرضوها،

قال البابا ديسقوروس: الآن كذبت، قال الكتاب من فمك تتبرر ومن فمك تدان، استحيت من الناس وتجاوزت عن الصلاح، وأهنت الإيمان، لعلك ما سمعت ما كتب لا تخجل من شئ يهلكك.

قال أساقفة الشرق والذين معهم: أخطأنا [3] جميعنا وكلنا نسأل الغفران.

ما دونه المجمع الأفسسي الأول والبابا كيرلس البطريرك؟ وأعلم يا صاح إن هذا المجمع قد قرئ أمامه هذا القانون المدون من البابا كيرلس وها هو موجود في أعمال هذا المجمع في الباب السادس والعشرين.

(١) كثيراً ما قرف ديسقوروس بأنه محام عن أوطاخى ومنتصر له، مع أننا لم نرى في وقت من الأوقات أن ديسقوروس تكلم كلمة يظهر منها المحاماة والانتصار لأوطاخى. فكيف يدعون عليه وينسبونه لأمور لا علاقة له بها. قد نظرنا اعتراف أوطاخى المكرر في هذا المجمع من دون زيادة ولا نقصان الذي أخذ الحل لأجله وهو موافق غاية الموافقة.

(٢) باسيليوس كشف كذب من قال إننا وقعنا في ورق أبيض، ومن قال رغماً عنا إذ اعترف أن القضية حكم فيها الأساقفة جميعهم دون اضطرار.

(٣) لما قال هذا باسيليوس نُخزت ضمائر الأساقفة بالفضيحة حيث ظهر كذبهم فاضطروا أن يلتجئوا إلى الإقرار بأنهم هم الذين حكموا من ذات خاطرهم. وإذ وبخهم المحفل كونهم زعموا أنهم كتبوا في ورق أبيض والآن اعترفوا بالصحيح ولم يجدوا لهم مناصاً إلا الإقرار بأنهم هم الذين ثبتوا القضية وأخطأوا في حرم فلابيانوس. فمن ثم اتضح يا صاح أن كل ما قالوه سابقاً في حق البابا ديسقوروس لا صحة له ولا حقيقة.

قال القضاة لهم: أنتم سابقاً ذكرتم بأنكم رغماً وقهراً اضطررتم أن تكتبوا أسماءكم في ورق أبيض في عزلة فلابيانوس. **قالوا:** كلنا أخطأنا وكلنا نطلب الغفران.

ثم قال ثلاسيوس وأوسابيوس وأسطاسيوس: كلنا أخطأنا وكلنا نطلب الغفران.

وبعد قليل **قال أوسابيوس:** أتضرع إليكم أن تبحثوا على أي وجه منعني من الدخول.

قال القضاة: لأي سبب منعته، **قال البابا ديسقوروس:** أسألكم أن تقرأوا شهادة البيديوس فإني ما كنت منعته لو لم يأت البيديوس بأمر الملك أن المذكور لا يدخل، وهكذا قال البيديوس.

قال القضاة: في أمر الإيمان لا يُقبل هذا العذر.

قال البابا ديسقوروس: فإذ أنكم تبكتوني كأني تعديت [1] القوانين، فهل أنتم تحفظون القوانين في دخول ثيؤدوريت (معلم نسطور).

قال القضاة: أن ثيؤدوريت دخل بمقام المشتكي.

قال البابا ديسقوروس: ولأي سبب جلس في درجة الأسقفية، **قالوا:** أوسابيوس وثيؤدوريت جلسا في صف المشتكين.

وبعد ذلك تلا رسالتين للبابا كيرلس واحدة لنسطور وأخرى ليوحنا أسقف أنطاكية. وفي الانتهاء **قال القضاة:** لأي سبب عزلتم فلابيانوس وأوسابيوس. **أجاب البابا ديسقوروس:** أعمال المجمع تظهر لنا الحق.

---

(١) كل مقصود القضاء مسك حجة ما على البابا ديسقوروس ليعزلوه بسببها. والحال كلما يغتنمون الفرصة بعلة تتمزق أما بظهور كذب المدعين وافترائهم، وإما بتفنيد العلة وعدم حقيقتها. ففى هذا المحل مع عدم دخول أوسابيوس لا علاقة له بالبابا ديسقوروس بل باليديوس المرسول من طرف الملك بهذا الشأن. وإذ أرادوا أن ينسبوا هذا الأمر له قوض أركانه وأوقعهم تحت الإنشجاب حيث أنهم تعدوا القوانين لا بدخول ثيئودور وأوسابيوس فقط بل بجلوسهما في رتبة الأسقفية من قبل أن يكشفوا عن دعواهما وحقيقة حالهما. أما هم فعندما تضايقوا استندوا إلى الكذب وقراءة الأعمال. ولقد مر بك صحة هذا الأمر أن ثيئودور جلس في صف الأساقفة ورتلت له الأساقفة أكسيوس أكسيوس.

فقرأ الكاتب إيمان أسطاسيوس أسقف بيروت وعندما قال فإنه موجود أيضاً في تلك الرسالة التي أنفذها إلى الأساقفة هذا القول لا ينبغي لنا أن نفهم طبيعتين بل طبيعة واحدة للكلمة المتجسد، **قال أساقفة الشرق:** هذا هو قول أوطاخى هكذا يقول البابا ديسقوروس.[١]

أجاب البابا ديسقوروس وقال: لسنا نقول بالاختلاط ولا بالامتزاج ولا بالاستحالة، **فقال القضاة:** ليقل المجمع إن كان خطاب أسطاسيوس موافقاً لنص رسائل القديس كيرلس، وقبل أن يجاوب المجمع **قام أسطاسيوس** ووقف في وسط المجمع وبيده كتاب **وقال:** إن كان قولي حائداً عن الحق فهذا الكتاب للبابا كيرلس احرموه وأنا قد استقبلت الحرم مثله، ثم **قال أساقفة مصر والذين معهم:** أسطاسيوس نطق بالحق. وبعد قليل **قال أسطاسيوس** (ماذا جرى لهذا الأسقف) أخطأت في حرم فلابيانوس. وانتقل هو وباقي الأساقفة إلى الجهة الأخرى، **فقال لهم الأساقفة:** مبارك قدومكم. **فقال حينئذ البابا ديسقوروس:** أمر واضح أن فلابيانوس نفي لكونه قال بطبيعتين بعد الاتحاد، لما لم يطلبوا منه ما ادعاه، وأما أنا فلى شهادات القديسين أثناسيوس واغريغوريوس وكيرلس أنه لا يجب القول بطبيعتين بعد الاتحاد لكن طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد. فإنهم ينفونى مع الآباء. أنا أقول بقول الآباء ولا أخالفهم بشئ وكتبهم عندى تشهد بذلك.

---

(١) إذا كان أساقفة الشرق يشهدون بأن قول أوطاخى هو طبيعة واحدة للكلمة المتجسد فإما أن يكون هذا القول مثبتاً ومستقيماً فيكون على ذلك أوطاخى أرثوذكسياً ومن تبعهما أيضاً. وإما أن يكون هذا القول غير مستقيم فيكون كيرلس وأثناسيوس غير أرثوذكسيين ومن تبعهما أيضاً والحال أن أوطاخى لم يعتقد إلا بالظاهر فإنه يمزج ويخلط.

إلى هنا نقتصر على ما عمل هذا المجمع وما هي العلل التي شُجب بها الأب ديسقوروس، وهل تحققت أم اعتراها الريب وتداخلها الشك من قبل الفشل من الشاهدين بها، غير أننا ما أمكنا أن نعلم بأية كيفية خرج الأب ديسقوروس من المجمع وما سبب خروجه. فهذا الأمر لم يُصرّح به ذاك الكتاب الذي أخذنا عنه. بل نقدر نتحقق أنه طُرد بالقوة من جهة أخرى. فإنه أتى في الباب ٢٧ من ذاك الكتاب المذكور: أن الأساقفة وقع الانشقاق ما بينهم من جهة ترجيع الأساقفة إلى المجمع بهذه الألفاظ، **قال أساقفة الشرق:** يُنفي المصري. **ثم قال أساقفة الصقالبة والذين من حزبهم:** كلنا أخطأنا فاشفقوا على الكل ونطلب ذلك من الملك لأن الكنائس أشرفت على الانشقاق. **ثم قال الشمامسة:** انفوا المصري. ثم **قال أساقفة الصقالبة والذين معهم:** كلنا أخطأنا فسامحونا، ردوا للمجمع البابا ديسقوروس وباقي الأساقفة، لا يصير في أيامكم انشقاق.

فالظاهر أنهم طردوه ومن معه بقوة الجنود وحبسوهم في مكان ووضعوا حراساً عليهم. ولما طلبوه مرة ثانية بعد ما حكموا عليه بالنفي **قال للرسول:** بلغنى أن القضاة ليسوا حاضرين وأنا أشاء أن يُفحص عن دعواي أمام القضاة. **ثم سأل الرسول:** هل المجمع يقصد أن يبطل ما قضى به عليّ **فأجابه الرسول:** أن المجمع لم يدعك ليبطل الذي صار في محضر القضاء كما حرر في الرسالة المرسلة لك، بل قصده أن تحضر، فأبى الحضور لما علم أن حضوره لا نتيجة له ولا فائدة، وبعد ذلك يخبر الكتاب المذكور أن في غياب البابا ديسقوروس قدمت أعراض شكاوي في المجمع على البابا ديسقوروس من ثلاثة شمامسة من الإسكندرية. ومع كوني لا أكذب هذا الخبر المكذب من ذاته، فأقول لو كان هذا الأمر صحيحاً لكان الأجدر بهذه الشكاوى الأساقفة. فإنه يذكر في هذه الأعراض أن البابا ديسقوروس عدو البابا كيرلس.

وأمر مثل هذا لا يمكن أن يخفي على أساقفة مصر. وإذا سلّمنا أنه بالصحيح قد تقدمت إلى المجمع تلك الأعراض في حق البابا ديسقوروس فليس بعظيم، فإن يوحنا فم الذهب اتهم في ٤٦ تهمة في مجمع اجتمع عليه سنة ٤٠٣ فأبى الحضور ونُفي. وأثناسيوس الرسولي اتهم بشكايات زور واجتمع عليه مجمع في قيصرية سنة ٣٣٤ ولم يحضر. وفي السنة الثانية حضر أمام مجمع صور المنعقد من ستين أسقفاً ومع كونه أحسن الأجوبة عن تهمة قتل وعدم عفة والعرافة وتهيج الفتن والرشوة وإساءة استعمال مال الكنيسة لم يُنصف. بل حكم المجمع بنبذه ونفيه. والبابا كيرلس الإسكندري قد قرف عند نسطور بشكاوي عديدة. وعلى هذا أكثر الآباء المنتصرين للحق. فإذا كانت صحيحة تلك الشكاوى تكون مثل هذه.

ثم أن البابا ديسقوروس نُفي إلى جزيرة غاغرة وصحبه أسقف ادكو [١] وهناك تنيح بسلام. وقام خلفاً له على كرسيه البابا تيموثاوس [٢] وبعده بطرس منغوس[٣] أما باقي الأساقفة المنتصرين للإيمان المستقيم فلبثوا إلى أن فرغ المجمع وهم يتكبدون أشد الصعوبات. ولما ذهبوا إلى بلادهم ثبّتوا المؤمنون على الإيمان القديم ورفضوا إيمان مجمع خلقيدون.

---

(١) هو القديس الأنبا مقاريوس الأسقف والشهيد أسقف ادكو (مركز رشيد بمديرية البحيرة) وأحد الثلاثة مقارات القديسين، نُفي مع البابا ديسقوروس ومن هناك أرسله البابا ديسقوروس مع تاجر مؤمن إلى الإسكندرية قائلا له "إن لك هناك إكليل شهادة". بوصوله إليها وجد رسول الملك مركيان ومعه طومس لاون يحاول إقناع الآباء بقبوله والتوقيع عليه. ولما طلب رسول الملك إلى القديس مقاريوس التوقيع رفض، وأخذ يحض الباقين على التمسك بإيمان الآباء. فاغتاظ منه رسول الملك وهجم عليه وركله بقدمه بقوة، فسقط ميتًا لوقته نظرًا لشيخوخته. وتقول مسز بتشر في كتاب (تاريخ الأمة القبطية): "قد وجد بالفاتيكان كتاب قبطى (مخطوط بخط اليد) ناسخه كتب الأقوال الموجودة فيه من فم ديسقوروس نفسه عندما كان فى منفاه، وهذا الكتاب يحتوى على سفر ديسقوروس إلى مجمع أفسس وما تم فيه، وقد جاء فى هذه النسخة حكاية كلها ثناء وتعظيم لمكاريوس أحد مشاهير الرهبان المصريين فى ذلك العصر وكان أسقفاً لناحية ادكو "(الناشر).

(٢) Timothy II تيموثاوس الثانى البابا ٢٦ من باباوات الإسكندرية (٤٥٧ – ٤٧٧م) (الناشر).

(٣) Peter III بطرس الثالث البابا ٢٧ من باباوات الإسكندرية (٤٧٧ – ٤٨٩م) (الناشر).

ولما نظر الملك مرقيان أن أغلب الكنائس المشهورة ككنيسة الإسكندرية وأنطاكية وأورشليم وكافة الكنائس المتفرعة منها قد خالفت كل المخالفة أوامره ورفضت إيمانه، التزم انتصاراً للدين أن يجبرهم لقبولها بالعنف والقهر والاغتصاب. فأخذت جنوده السيوف وشرعت بالفتك والقتل تجوب وتطوف بين الورى والأنام. ولا محل لذكر تلك الواقعات بالتفصيل التي جرى فيها دم المقتولين وخصوصاً في مدينة الإسكندرية ومدينة أورشليم ومدينة حمص (في سوريا) واستدام على هذا الحال الاضطهاد مدة ملك مرقيان ٧ سنين، و١٦ سنة مدة الملك ليو [١] الذي حذا حذو مرقيان بالتمام. والمؤمنين في أشد ما يكون من الضيق والكرب. وبعد هذين الملكين المنتصرين للدين الخلقيدونى قام ليو الصغير [٢] وكان أرثوذكسياً فمكث سنة واحدة وتنيح، تولى بعده وتملك الملك زينون [٣] وكان من الرجال الأفاضل فاستراحت البيعة في أيامه من الاضطهاد وانتشر السلم والاطمئنان فيها. وحينئذ أتى أغلب الأساقفة الذين كانوا حاضرين في مجمع خلقيدون وأقروا بذنوبهم واعترفوا بالإيمان المستقيم، ورفضوا ما دونه المجمع، وفي هذا الزمن كان بطرس القصار بطريركاً على أنطاكية المشهور بالفضل والعلم والبابا بطرس على كرسي الإسكندرية وأكاكيوس بطريرك القسطنطينية وكان على الإيمان المستقيم فاستقام زينون على الكرسي سبعة عشر سنة وتوفى . وقام بدله أنسطاسيوس [٤] وكان مؤمناً وفي آخر ملكه تنيح البطريرك الأنطاكى وقام عوضاً عنه ساويرس الذي كان فريد عصره ووحيد دهره، مشهوراً بالنسك والعفة والفضيلة والإيمان والسلم، فهذا الأب أفرغ جهده في التعليم وانتشار الإيمان المستقيم في بلاد الشرق حتى

(١) Leo I (٤٥٧ - ٤٧٤م) (الناشر).
(٢) Leo II (٤٧٤م) (الناشر).
(٣) Zeno (٤٧٤-٤٩١م) (الناشر).
(٤) Anastasius (٤٩١-٥١٨) (الناشر).

لاشى من تلك البلاد جميع الشيع والهرطقات. إلا أنه في آخر حياته قامت عليه اضطهادات شديدة. فإنه بعد أن تنيح أنسطاسيوس ملك خلفه على كرسي المملكة جوستين [1] وكان متحزباً لمجمع خلقيدون فطرد ساويرس عن كرسيه وآثار الاضطهاد على المؤمنين. وكان مهولاً جداً حتى أن أكثر كهنة المؤمنين اضمحلت والبعض هرب إلى الجبال وسكن البرارى والبعض قُبض عليه وسُجن في مدينة الملك. وكثيرون استشهدوا وذهبوا مأكلاً لسيوف جنود الملك. وبالاختصار إن جميع الطوائف التي رفضت أحكام مجمع خلقيدون تلاشت بالكلية، وساويرس هرب مطروداً من وجه الملك وجنوده الطوافة في البلاد وأتى فسكن في مدينة سخا.

وبعد أن قاسى أشد العذابات وهو لم يأل جهداً، مثابراً على تقوية وتعزية المؤمنين في كل مكان بواسطة رسائله الروحية وكتبه الأبوية تنيح على رجاء الإيمان الأرثوذكسي. وأما المسجونون من الكهنة ورؤساء الكهنة ومنهم ثيؤدوسيوس البطريرك الإسكندري الذي قُبض عليه بواسطة خداع الملك جوستين وأنتيموس بطريرك القسطنطينية الذي خالف المنشور الملوكى المحتوى على تصديق مجمع خلقيدون وقبول أوامره. فنظروا أن الأساقفة والقسوس اضمحلت من البلاد إذ قُتل البعض وهرب البعض وسُجن البعض فوجدوا رجلا اسمه يعقوب فرسموه مطراناً عاماً وناولوه من الأسرار المقدسة وأرسلوه ليثبت المؤمنين، ومع أن هذا الرجل مسكين وفقير ولكنه بواسطة اجتهاده المدهش وغيرته العجيبة طاف تارة سراً وطوراً جهرا كل بلاد الشرق وأنعش الإيمان بزمن يسير.

---

(١) Justin (٥١٨ – ٥٢٧م) (الناشر).

وأقام له من القسوس والأساقفة مائة ألف وهذه أسماء البلاد التي بشر فيها:
سوريا - ما بين النهرين - أرمينيا. مصر - النوبة والحبشة
وتنيح سنة ٥٧٨ في ايدسا، فدعى المؤمنون الذين كرز ما بينهم باسمه (يعقوبيين) إلى الآن انظر كتاب ٢ قرن ٦ قسم ٢ فصل ٥ من تاريخ البروتستانت.



الخاتمة

❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تم طبع هذا الكتاب، الأجل المستطاب، ولما جُمع فيه من أقوال الآباء، والرسل والأنبياء، وبراهينهم الساطعة، ودلائلهم القاطعة،
أتى غزير الفائدة يقى قارئه من أخطار المهالك وينير له كل ظلام دامس حالك، ويصونه من صدمات الصخور وتيه الشعاب، مبهراً عجيباً، مفحماً غريباً، مقنعاً مجيباً. يوضح المشكلات، والأقوال المعضلات، والغامضات الصعاب، فمطالعه لا يلحقه ضر ولا يغشيه شر، ولا تنتهكه نازلة ولا تدهمه نائبة، ولا يكابد ألم شكوك وعذاب.

فقد أضحى درة فريدة وجوهرة يتيمة، ولؤلؤة وخريدة. ونبراساً يضئ بنور بيّناته الرائعة، ويهدي ببواهر جواهر ألفاظه العسجدية الفصيحة الواضحة اللامعة، بل منهلاً يرتشف من عباب ماء زلاله وحميا معارفه كل ظمآن، ويبرد غليل قلب كل عليل حيران. فهو كروضة نضرة خضراء، وحديقة يانعة غراء، يجاب من عب أشجار جناتها الشاهقة العلياء وأغصانها المثقلة الميلاء، ثمار العلوم والآداب، ومحجة الحق والصواب.
فلله در مؤلف قد جمع العجب العجاب، وسكن العواصف والخباب، وجاب المفاوز الصعاب،

ولقد تحققنا أمراً نرقمه على صفحات الكتاب، ونطبعه على دساتير القلوب والألباب، ونذكر به كل حدث دب، وغلام شب، وشيخ شاب.
إن الهوى الغالب على كل امرئ طالب يهتك حرمة الأمر الصائب فلا يقتنع ذووه من تبيان وتفسير ومعان، وإيضاح وبيان، ولا من براهين عقلية وشواهد نقلية، فإن رأى الحقيقة احتسبها شبحاً والجوهر عرضاً والذات ظلاً والنور ظلاماً والنصيحة ملاماً والماء سراباً، والسراب شرابا، والحلو مراً والخير ضراً، ولقد

تم فيه قول من قال:

فليتنى أبصرت فيهم رجلاً حبراً ألد في الخصام جدلاً
يعتمد الإنصاف في المجادلة لا يقصد اللجاج والمماحلة
فإن من مقصوده العناد كالجمل المصعب لا ينقاد
ولو رأى للخصم كل آية ما زاده ذاك سوى غواية

ونحن على كل حال لا يهمنا القيل والقال، والمماحكة والجدال، لما بأيدينا من البيّنات والبراهين والآيات، ومؤلفات جهابذة كنيستنا العظام وفحولها الكرام كأثناسيوس وكيرلس وساويرس وبطرس القصار ويحيى بن عدى وغريغوريوس أبو الفرج بن العبري وأولاد العسال وابن المقفع وجرجس بن المكين وبطرس السدمنتي وشماس المعلقة وحبيب أبى رابطة وغيرهم من أولئك الذين أبهروا الأنام بأقوالهم وأذهلوا الفلاسفة بإرشاداتهم.

هذا ولقد نعلم أن كتابنا سليح بين أيدي كل عارف، من أولى العلوم والمعارف، وتتداوله الأقارب والأحباب، والوطنيون والأغراب، فلذلك نبدي اعترافنا بالزلل والخطأ والخلل، ونستغفر من ذوي الألباب، الذين أسماؤهم لا تثلم ولا تعاب، المشهود لهم بالفضل والكرم في كل ناد، وفج وواد، عما هفونا به من الهفوات، وزلت خطواتنا بعض الزلات، فلا جرم أن لكل صارمٍ نبوة، ولكل جوادٍ كبوة، ولكل عالمٍ هفوة.

من قال لا أغلط في أمر جرى فإنها أول غلطة تُرى

والله يجزيهم على حسن صنيعهم فضلاً يُقلد، وذكراً يُخلد، ويحسن خواتمنا اللاحقة، كما أحسن فواتحنا السابقة. فإنه ولي الإجابة، وإليه العود والإنابة، والحمد لله أولاً وآخراً.

انتهى

الفهرس





إن شاء الرب وعشنا

سيقوم دير البرموس العامر

بنشر باقي تراث العلامة المتنيح

الأنبا ايسوذورس

أسقف ورئيس دير البرموس

تباعاً



...م الذي صنعه الرب فلنفرح فيه ونُسر، كيف
...ر ونحن نرى اليوم غبطة البطريرك قد أقام
...وراعياً جليلاً، هو من المعدودين من طبقة
...ن يُستضاء بعلمهم ومعارفهم، هو العلامة
...ارى في مضماره، نيافة الأسقف الجليل
...ذورس، وهل يجوز لي في هذا المقام أن أبين
...يل أعماله، بعد ما شهد له الخاص والعام
...له وعظيم مقامه ووفور مادته العلمية
...، فدونكم أيها الحضور الأفاضل كتبه
...جليلة الكثيرة العدد، التى حامى بها عن
...ثوذكسي القويم الرأي، ألا فتصفحوها
...م فضله الباهر، فقد مرت عليه سنون وهو
...بنهاره بجد وبدأب حتى بلغ غاية ليس من
ورائها غاية

...ب جرجس في عظة قداس سيامة الأنبا ايسوذورس أسقفاً لدير البرموس

